



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي



الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي

المجلد الرابع عشر

الأقليات المسلمة في العالم المعاصر

«القسم الأول»

[آسيا، إفريقيا، أستراليا ونيوزيلندا]

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

طبع بمناسبة الاحتفال بمروور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي
الأقليات المسلمة في العالم المعاصر

اهداءات ٢٠٠٢

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
السعودية



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي



الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي

المجلد الرابع عشر

الأقليات المسلمة في العالم المعاصر

«القسم الأول»

[آسيا، إفريقيا، أستراليا ونيوزيلندا]

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

طبع بمناسبة الاحتفال بمئذ عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

أشرفت على طباعته ونشره الإدارة العامة للثقافة والنشر بالجامعة



ح . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . عمادة البحث العلمي

الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي -- الرياض

٦٠٨ ص ١٧ × ٢٤ سم .

ردمك ٣ - ٢٧٢ - ٠٤ - ٩٩٦٠ (مجموعة)

٤ - ٢٨٠ - ٠٤ - ٩٩٦٠ (ج ١٤) .

المجلد الرابع عشر: الأقليات المسلمة في العالم (القسم الأول)

١ - العالم العربي - جغرافيا - موسوعات

٢ - العالم الإسلامي - موسوعات أ - العنوان .

ديوي ٩١٠,٣ ١٩/٣٠٦٣

رقم الإيداع : ١٩/٣٠٦٣

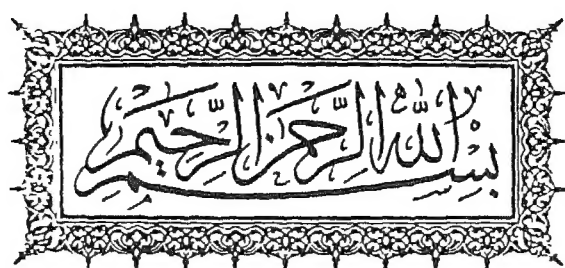
ردمك ٣ - ٢٧٢ - ٠٤ - ٩٩٦٠ (مجموعة)

٤ - ٢٨٠ - ٠٤ - ٩٩٦٠ (ج ١٤) .

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٩٩٩م / ١٤١٩هـ



هيئة الإشراف

مدير الجامعة

رئيساً	معالي الأستاذ الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل
	وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي
عضواً	الدكتور محمد بن عبدالرحمن الربيع
	عميد البحث العلمي
عضواً	الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الربيعي
	الأستاذ الدكتور مهدي أمين التوم
عضواً	المشرف العلمي / رئيس هيئة التحرير

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور / مهدي أمين التوم

عمادة البحث العلمي - الرياض

الأستاذ الدكتور / عبدالله بن ناصر الوليعي

أستاذ - قسم الجغرافيا - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

الأستاذ الدكتور محمود توفيق محمود

أستاذ - عمادة البحث العلمي - الرياض

الدكتور عبدالله بن حمد الخلف

أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

الدكتور الأصم عبدالحافظ أحمد الأصم

أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

الدكتور إبراهيم بن صالح الدوسري

أستاذ مساعد - قسم الجغرافيا - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

الدكتور عبدالله بن صالح الرقيبة

أستاذ مساعد - قسم الجغرافيا - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

الدكتور عبدالرحمن بن علي السنيدي

أستاذ مساعد - قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

الدكتور محمد بن صالح الربدي

أستاذ مساعد - قسم الجغرافيا - كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

المحتوى

- مفهوم الأقليات في الإسلام وحقوقها .
الدكتور / عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان

- الأقليات المسلمة في قارة آسيا .
الأستاذ / سيد عبدالمجيد بكر

- الأقليات المسلمة في قارة أفريقيا .
الدكتور / تاج السر أحمد حرّان

- الأقليات المسلمة في قارة أستراليا ونيوزيلندا .
الدكتور / إبراهيم بن حمد القعيد

الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي

الأقليات المسلمة في العالم المعاصر

«الجزء الأول»

[آسيا، إفريقيا، أستراليا ونيوزيلندا]

مفهوم الأقليات في الإسلام وحقوقها

الدكتور / عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١٧	فهرس الموضوعات
١٩	خلفية عامة
٢٤	علاقة المسلمين بغير المسلمين
٢٤	أولاً : أسس العلاقة بغير المسلمين
٢٨	ثانياً : مقاصد العلاقة بغير المسلمين
٣٤	حقوق غير المسلمين في الإسلام :
٣٤	أولاً : الحقوق العامة
٥٠	ثانياً : الحقوق الخاصة
٥١	واجبات غير المسلمين في الإسلام
٥٧	الخاتمة
٥٩	الهوامش
٦٧	المراجع

• • • • •

خلفية عامة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
محمد بن عبدالله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فقد بعث الله تعالى محمداً ﷺ نبياً ورسولاً ، وأنزل عليه القرآن الكريم ، وأمره بالدعوة إلى الإسلام ، وتبليغ رسالته فقال : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ ^(١) ، وقام رسول الله ﷺ بدعوة جميع الناس ، تنفيذاً لقوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ ^(٢) ، ونهض رسول الله ﷺ بالدعوة ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، فمن استجاب لدعوة الإسلام وآمن برسالة محمد ﷺ فهو المسلم ، ومن لم يستجب لها ولم يؤمن بها فهو غير المسلم . وقد عاش غير المسلمين مع المسلمين في بلد واحد ، وأقاموا معهم في أوطانهم ، وصاحب ذلك الدولة الإسلامية منذ تأسيسها حيث كان في مجتمع المدينة غير المسلمين فكتبت الوثيقة التي نظمت علاقة المسلمين ببعضهم وعلاقتهم بغيرهم . ومنذ ذلك الوقت تكون المجتمع الإسلامي من فريقين : المسلمين وغير المسلمين ، وتعيش الفريقان منذ بداية الهجرة وفي بداية الدولة الإسلامية الأولى في المدينة ، وفي ظل الخلافة الراشدة ، والدولة الأموية والعباسية والحكومات المتلاحقة ، وحتى العصور الحاضرة ، وتقرر لغير المسلمين حقوق وواجبات وشرع الإسلام لهم أحكاماً خاصة في التشريع والتعامل .

ولم يخل المجتمع الإسلامي - في كل عصوره - من غير المسلمين ، ولا عجب في ذلك ، فهذه الظاهرة تتناسب مع عدالة الإسلام ، وعدم الإكراه على اعتناقه ، وتقدير مفهوم العيش مع غير المسلمين في مجتمع واحد يسوده

نظام محكم دقيق يستند إلى النصوص الشرعية . والمراد بالمفهوم هنا هو بيان المقصود بالأقليات غير الإسلامية وبيان حقوقها وواجباتها من وجهة النظر الشرعية^(٣) ، أما الحقوق فهي جمع حق والحق نقيض الباطل ، وحق الأمر إذا وجب وثبت ولزم^(٤) ، قال تعالى : ﴿لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾^(٥) أي ثبت ووجب عليهم ، والحق عند الفقهاء يطلق ويراد به معنى عاماً وهو الملك ، أو معنى خاصاً كالحقوق المطلقة ، مثل حق الشفاعة والخيار^(٦) .

وكلمة الواجبات : مأخوذة من وجَبَ وجوباً وهو الثبوت والاستحقاق^(٧) ، وهو عند الفقهاء : ما ثبت وجوبه بدليل شرعي ، يثاب بفعله ويعاقب بتركه أو يذم^(٨) . أما كلمة الأقليات : فمأخوذة من القلة ضد الكثرة يقال : تقلل الشيء واستقله ، وتقال له إذا رآه قليلاً^(٩) .

والأقليات مأخوذة من هذا المعنى فهي في مقابل الأكثرية .

والأقليات قد تكون عرقية ، أو لغوية ، أو دينية ... إلخ^(١٠) .

والمراد بها هنا والأقليات التي تدين بغير الإسلام وهي تعيش في بلاد إسلامية يحكمها الإسلام وهناك أنواع مختلفة من الأقليات غير الإسلامية تشمل الذميين والمستأمنين أو المعاهدين وذلك على النحو التالي :

أ - الذميون أو أهل الذمة :

الذمة في اللغة : الأمان والعهد ، والكفالة والضمان والحرمة^(١١) .

يقال في ذمته كذا أي في ضمانه ، وأنت في ذمة الله أي في كنفه وجواره وأمانه .

ورود في السنة الصحيحة قوله ﷺ : (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم)^(١٢) أي بالأمان .

وسُمِّيَ المعاهد ذميًّا نسبةً إلى أهل الذمة بمعنى العهد ، كما يقال : أهل الذمة أي أهل الأمان ؛ لأنهم التزموا شروطه فأمنوا على دماءهم وأموالهم وأعراضهم .

وفي الاصطلاح : أهل الذمة هم المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم ممن يقيم في دار الإسلام .

وجاء في كشف القناع : « إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة »^(١٣) .

وعلى هذا يمكن القول بأن عقد الذمة عقد بمقتضاه يصير غير المسلم في ذمة المسلمين أي في عهدهم وأمانهم على وجه التأييد وله الإقامة في دار الإسلام على وجه الدوام .

ولهذا قال الفقهاء : « يلزم لهم ببذلها - أي الجزية - حقان : أحدهما : الكف عنهم ، والثاني : الحماية لهم ، ليكونوا بالكف آمنين ، وبالحماية محروسين »^(١٤) .

وأصل هذه التسمية جاءت من قوله ﷺ : (. . . يسعى بذمتهم أدناهم . . .) . وفيما رواه نافع عن ابن عمر قال : « كان آخر ما تكلم به النبي ﷺ : (. . . احفظوني في ذمتي) »^(١٥) .

والذمة بمعنى العهد والأمان تشمل ثلاثة أقسام :

الأول : المعاهدون في ترك القتال وهم الحريون وهذا أمان مؤقت ينتهي بانتهاء شروطه .

والثاني : أصحاب العهد والأمان المؤقت الذي يعطى للحريين أثناء إقامتهم في دار الإسلام ، وتسمى هذه الفئة بالمستأمنين ، ولهم أحكام خاصة ، وشروط معينة تأتي الإشارة إليها .

والثالث : أصحاب العهد والأمان الدائم الذي يعطى لغير المسلمين لإقامتهم في رعاية الدولة الإسلامية بصفة دائمة ، وتمنحهم حق الرعوية أو الجنسية في البلاد الإسلامية .

وإذا أطلق اصطلاح « الذمة شرعاً » فيراد به القسم الثالث فقط ، ويكون المعنى الشرعي أخص من معناه اللغوي ، وتسمى هذه الفئة أهل الذمة أو الذميين^(١٦) .

وعقد الذمة يشبه التجنس في وقتنا الحاضر ، وتتولى الدولة بيان الشروط المطلوبة من الراغب في الجنسية ، وتدرس الجهات المختصة طلبه ثم تقرر منحه الجنسية أو رفض طلبه^(١٧) . وأرى أن ينص فيها على ديانته حتى لا يلتبس أمره بالمسلمين عند من لا يعرفه وإلا فيميز كان يمنح إقامة دائمة بدل الجنسية المطلقة .

وإذا تأملنا استعمال لفظ الذمة - فيما ذكر - لانجد مايدل على الانتقاص أو الامتهان ، وإذا ضممننا إلى ذلك قول النبي ﷺ : « من آذى ذمياً فأنا خصمه » ، علمنا قطعاً أن القصد من هذا اللفظ : (إن أولئك يكونون في كنف الله وعهدته وحمايته ، وأن من تعرض لهم بأي نوع من أنواع الأذى أو الاضطهاد ، بدون وجه حق ، يكون قد خالف الإسلام وانحرف عن طريقه السوي واستحق مايقضي به أحكام الإسلام في مثل هذه الحالات .

ب - المستأمنون :

في اللغة : يقال : استأمنه طلب منه الأمان^(١٩) .

والمستأمن بكسر الميم هو الطالب للأمان ، ويصح بالفتح بمعنى اسم مفعول ، والتاء للصيرورة أي صار آمناً .

والأصل في الأمان قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَحَ كَلَامُ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾^(٢) .

وفي الاصطلاح : هم الذين يعطون عقداً مؤقتاً للبقاء في دار الإسلام لغرض شرعي ، كسماع كلام الله ، أو تجارة أو سفارة^(٢١) .

وعرفهم ابن القيم -رحمه الله- بأنهم الذين يقدمون بلاد المسلمين من غير استيطان لها وهم أقسام : رسل ، وتجار ، ومستجيرون ، وطالبوا حاجة من زيارة أو غيرها . وحكم هؤلاء ألا يهاجروا ولا يقتلوا ، ولا تؤخذ منهم الجزية ، وأن يُعرض على المستجيرين منهم الإسلام والقرآن : فإن دخلوا فيه فذاك ، وإن أحب اللحاق بمأمنه ألحق به ، ولم يعرض له قبل وصوله إليه ، فإذا وصل مأمنه عاد حريباً كما كان^(٢٢) .

ج- المعاهدون :

في اللغة : مأخوذ من العهد وهو الموثق ، واليمين ، والضمان^(٢٣) .

وقيل من معانيه أيضاً : حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال^(٢٤) .

وهو واجب الوفاء لقوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾^(٢٥) .

وفي الاصطلاح : العهد نوع من الأمان المؤقت ، يعقد مع غير المسلمين على ترك القتال ويسمى بالمعاهدة ، والمسالمة ، والمهادنة^(٢٦) .

وله معنى أشمل في عرف الشرع حيث يختص بمن يدخل من الكفار في عهد المسلمين^(٢٧) ، وبهذا يدخل فيه الأصناف الثلاثة المتقدمة ؛ لأن كل واحد داخل بعهد ، والمعنى الأول أدق .

علاقة المسلمين بغير المسلمين

أولاً : أسس العلاقة بغير المسلمين :

تقوم العلاقة بغير المسلمين أيا كان وضعهم على أسس منها :

الكرامة الإنسانية ، الرحمة ، التسامح ، البر ، والبراءة . وذلك على النحو التالي :

١ - الكرامة الإنسانية :

فالكرامة الإنسانية قررها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾^(٢٨) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : « يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها »^(٢٩) .

وقال أبو السعود بعبارة أصرح وأوضح : « ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ قاطبة تكريماً شاملاً لبرّهم وفاجرهم ، أي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على مافي الأرض ، والتمتع به ، والتمكين من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة »^(٣٠) .

وتظهر الكرامة الإنسانية في أمور من أبرزها تساوي الناس في :

أ - القيمة الإنسانية .

ب- الطهارة الجسمية « فقد توضحاً النبي ﷺ من مزادة مشركة »^(٣١) .

ج- الخطاب بالتي هي أحسن : ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ .

- د - خلقهم ورزقهم وتفضيلهم على الأجناس الأخرى كما في الآية السابقة .
- هـ - وجوب العدل في التعامل بين الناس مهما كانت الفوارق بينهم :
- ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾^(٣٢) .
- و - الوفاء بالعهود والعقود مع جميع الناس : ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾^(٣٣) .

فالعلاقة بغير المسلمين تقوم على أساس التكريم الإلهي للإنسان ، والكرامة الإنسانية تعني الاحترام المتبادل والتأدب في المعاملة والمخاطبة ، والمساواة في القيمة الإنسانية .

٢ - الرحمة :

ونعني بها الرحمة بالإنسان من حيث هو إنسان يستحق العطف والرحمة به في هدايته إلى الحق ورعايته عند الحاجة وحمايته من الاعتداء عليه وصيانة حقوقه وهذا ما حدث فعلاً لغير المسلمين الذين عاشوا في المجتمعات الإسلامية ، فمن البر بالوالدين المشركين إلى البر والإقسط إلى المخالفين الذين لم يقاتلوا المسلمين ، إلى إطعام الأسرى من المشركين ، إلى الإنفاق على الأقارب والجيران من غير المسلمين وصلتهم ، وفي عفو النبي ﷺ عن أهل مكة عام الفتح رغم إيذائهم له وللمسلمين ، ومحاولة إنقاذهم من الموت على الكفر والشرك ، وكما فعل عمر -رضي الله عنه- حيث أمر بإدخال اليهودي العاجز عن الكسب في الضمان الاجتماعي بحيث يصرف له ما يكفي من بيت المال ، ومن أمره وهو في طريقه إلى الشام لما مر بمجذومين فأمر لهم بمساعدة من بيت المال . إلى غير ذلك من الأمثلة والشواهد على امتداد التاريخ الإسلامي التي تدل على مبلغ الرحمة والتسامح من المسلمين مع غيرهم إذا لم يكن منهم

مضرة على الإسلام والمسلمين وهذه وقائع قد شهد بها المنصفون من المستشرقين .

٣ - التسامح :

القرآن الكريم حافل بالدعوة إلى التسامح ومن مظاهرها الرفق واللين بالمدعوين: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾^(٣٤) . ومن مظاهره إجارة المشرك وحمايته ، والتسامح مع المشركين أثناء عقد الصلح وفي الحرب وفي حسن المعاشرة ، ولطف المعاملة ، ورعاية الجوار وفي الدفاع عن أهل الذمة واعتبار أعراضهم وحرمتهم وحقوقهم كحرمات وحقوق المسلمين .

كما يظهر التسامح في الإسلام مع مخالفه بالدعوة إلى السهولة في الخطاب وفي مطلق التعامل في الأخذ والعطاء والتصرف فهو من الرفق الذي أمر به الدين . كما يظهر في حل طعام أهل الكتاب ونكاح نسائهم ، وفي تخيير غير المسلمين بين الإسلام والجزية والقتال ، والاستفادة منهم في مجال العلوم والخبرات الإنسانية ، والمعاملات التجارية ، وجواز مخالطتهم لأغراض مشروعة . كل ذلك وغيره كثير من الأمثلة التي حفل الإسلام بها في تسامحه مع غير المسلمين حيث لا إكراه في الدين ، لإتاحة الفرصة أمام غير المسلمين للاطلاع والتأمل والقناعة بالإسلام قبل الدخول فيه .

٤ - البر :

هو الإحسان والفضل ، والإقساط ، وبذل المعروف وكظم الغيظ وحسن الخلق وإكرام الضيف ، وجميع هذه الأخلاق من البر الذي يستحب بذله لجميع الخلق بدون ذلة .

والإسلام يدعو إلى البر والإقساط مع غير المسلمين ماداموا في سلم مع

المسلمين فيقول سبحانه . ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم من يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾^(٣٥) .

كما يدعو إلى البر والصلة بالوالدين ولو كانا مشركين كما في حديث أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت : قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا ، فأتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ، إن أمي قدمت وهي راغبة ، أفأصلها ؟ قال : (نعم صلي أمك)^(٣٦) .

٥ - البراءة من الشرك وأهله :

إذا كان من أسس العلاقة بغير المسلمين الاحترام المتبادل القائم على الإنسانية ، والتسامح ، والرحمة ، والبر ، على التفصيل الذي ذكرنا ، فإن ذلك يتطلب وجود البراءة وهي التخلص والتباعد عن الشرك والمشركين ، كما فعل إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقوله : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون ﴾^(٣٧) .

فالبراءة من جميع المعبودات غير الله في جميع أنواع العبادات هو معنى التوحيد لا إله إلا الله .

وإذا كان حب الله ورسوله وحب مرادهما من مقتضى العبودية كما في قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا حباً لله ﴾^(٣٨) ، إذا كان ذلك كذلك ، فإن هذا يقتضي بغض ما يضاؤه ، وهو الباطل وأهله أو الشيطان وحزبه .

ويندرج تحت البراءة عدة أمور منها :

أ - إنكار الباطل والتبري منه .

ب - البغض والعداوة له .

ج - عدم الموالاة ، والموالاة المنهي عنها نوعان :

-قلبية : وهي الميل إلى الكفار تعظيماً وحباً ، أو اعتقاد صحة ما هم عليه أو التشبه بهم .

-عملية: وهي مDAHنة الكفار وتقريبهم من دون المسلمين وجعلهم بطانة ، وطاعتهم في غير شرع الله ، ومناصرتهم والإقامة بين ظهرائي المشركين من غير حاجة ، ومشاركتهم في الأعياد .

وتفاوتت هذه الأعمال في المفسدة فمنها ما يصل إلى حد الكفر ومنها ما هو معصية صغيرة^(٣٩) .

ثانياً : مقاصد العلاقة بغير المسلمين :

للعلاقة بغير المسلمين مقاصد وأهداف من أبرزها :

إظهار الدين ، الدعوة إلى الله ، إبطال الكفر وأمور الجاهلية ، وتبادل المنافع . ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي :

١ - إظهار الدين :

من أعظم مقاصد الإسلام تبليغ الدعوة إلى الله إلى جميع الناس لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الرسول بَلِّغْ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بَلَّغْتَ رسالته ﴾^(٤٠) ، وقوله ﷺ: (بَلِّغُوا عني ولو آية)^(٤١) ، فالدين الإسلامي هو الدين الحق ورسالته رسالة عالمية ودعوته عامة لجميع البشر وهو الدين الخالد الذي يجب أن يسود جميع الأرض قال تعالى: ﴿هو الذي أرسل

رسوله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴿٤٢﴾ .

فالمسلم وهو يتعامل مع غير المسلمين بالقول أو العمل يهدف في تعامله كله إلى إظهار دين الله وإعلائه ، وهكذا كان سلوك السلف الصالح من علماء ودعاة وتجار . فالله عز وجل يريد أن تكون كلمته هي العليا وأن تصل كلماته إلى جميع الناس وأن يظل لهم النور والهدى وتظهر لهم المحجة وتقوم عليهم الحجة .

وتبليغ دين الله ينبغي أن يتم بكل الوسائل الممكنة والدعوة تكون بالتي هي أحسن . فالإسلام كله محاسن وفضائل فما أن تصل دعوته إلى القلوب إلا وتستجيب لها وتدعن لها النفوس وتنقاد لها الجوارح .

٢ - الدعوة إلى الله :

هذا المقصد من المقاصد العظيمة والأهداف الجليلة ، فهداية البشر إلى الخير ودلائتهم على الحق ، وتخليصهم من الكفر والنار ، من أهم الأعمال وأفضلها عند الله ولذلك كان الرسل عليهم السلام أفضل البشر وأهداهم سبيلاً والدعاة إلى الله أحسن الناس قولاً : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ ^(٤٣) ، وقال النبي ﷺ : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً) ^(٤٤) ، وقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب : (فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم) ^(٤٥) .

فدعوة الإسلام دعوة إنقاذ للإنسانية ورسالته تصحيح وإصلاح فهو آخر الشرائع الإلهية ورسالته خاتمة الرسالات السماوية ، ودعوته خالدة باقية والمسلم يحب الخير لغيره ، سواء في الحاضر الدنيوي أم في المستقبل

الأخروي، فهو حريص على إنقاذهم وإصلاح أوضاعهم ، فقيام المسلم بالدعوة إلى الله أعظم خدمة للإنسانية ، وأكثر نفعاً وتحقيقاً للبشرية من الطعام والشراب لأن النفس أحوج للغذاء الروحي من الغذاء المادي ، ففقدان الغذاء الروحي يؤدي إلى الهزات النفسية والاجتماعية والاضطراب والقلق الذي يؤدي بدوره إلى كثرة الانتحار وانتشار الجرائم وهذا الأمر واضح بشكل جلي في بيئة الحضارتين الغربية والشرقية المعاصرتين ، وذلك بسبب فقدان الأمن والرخاء والطمأنينة النفسية حيث يؤدي فقدانها إلى القلق . الأمر الذي يوجب على المسلمين السعي للتبصير بالإسلام دين الوسطية ورسالة التوازن بين الروح والمادة ففيه إنقاذ للإنسان من ضياعه وضلاله وتدرج به في مدارج الكمال الإنساني الذي يكسبه السعادة في الدارين ، وواجب الدعوة إلى الله يقع بالدرجة الأولى بعد الأنبياء على ورثتهم وهم العلماء والدعاة المصلحون ثم بعد ذلك يكون شاملاً لجميع أفراد الأمة فليس في الإسلام طبقة معينة هي المسؤولة وحدها عن نشر الإسلام وتعاليمه - كطبقة رجال الدين أو « الإكليروس » كما في النصرانية بل على كل من علم من الإسلام شيئاً صحيحاً وفهمه فهماً سليماً أن يبلغه إلى غيره وهو مسؤول أمام الله عز وجل عن ذلك لقوله ﷺ : (بلغوا عني ولو آية)^(٤٦) ، وقوله ﷺ : (نضر الله امرأ سمع منا حديثاً ، فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه)^(٤٧) ، وكان النبي ﷺ يأمر الوفود التي تفد إليه بتبليغ الإسلام وما سمعوه منه إلى من خلفهم .

لذلك كان قيام المسلم بواجب تعليم الإسلام ونشره أنفع عمل وأرجى له عند الله عز وجل لأنه بذلك ينفع نفسه ويدفع الضرر عن غيره ضرر التخبط في ظلمات الكفر والضلالة .

والرسول ﷺ يقول: (خير الناس أنفعهم للناس)^(٤٨) ، وقال أيضاً: (الخلق

كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله^(٤٩) أي بالهداية إلى الله ،
وتعليم ما يصلحهم وقضاء حوائجهم ، وكان من أثر ذلك أن أصبح كل مسلم
تقي داعية إلى دين الله في الماضي والحاضر وفي مختلف بقاع العالم حيث
انتشر الإسلام في جنوبي شرقي آسيا وفيما وراءهما وفي أفريقيا وفي أمريكا
وأوروبا بالقدوة وبال دعوة بالتي هي أحسن وبالنقاش الهادئ والحوار القائم على
الإقناع والبرهان . وهذه مهمة المسلم أي كان تخصصه أو نوع عمله سواء كان
طالباً أو أستاذاً أو تاجراً أو سفيراً لدولته ينبغي أن يستشعر أنه قدوة وأنه يمثل
الإسلام وأنه داعية إليه بالقول أو العمل أو بهما جميعاً وهكذا كان سلفه
رضوان الله عليهم ، فلم ينسوا دعوتهم وهم يجوبون الأرض تجاراً أو طلاباً
وسفراء وغيرهم .

٣ - إبطال الكفر وأمور الجاهلية :

القضاء على الكفر وإزالته أو كسر شوكته وإضعاف قوته من مقاصد
الإسلام ، وكذا أمور الجاهلية لأن الكفر والشرك إفساد للفطرة وتشويه للطبيعة
البشرية التي خلقها الله في أحسن تقويم ، وفي ظهورهما وقوتهما تحريض
على نشر الفساد والإفساد في الأرض الأمر الذي جاءت جميع الرسائل
السمائية لمحاربه والقضاء عليه .

يقول الله عز وجل مبيناً للمسلمين الهدف من مواجهة الكافرين وذلك في
سياق الحديث عن غزوة بدر: ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره
المجرمون﴾^(٥٠) ، وأمر الله بمقاتلة الكفار حتى يسلموا أو يخضعوا للمسلمين ،
فقال تعالى : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا
الجزية عن يد وهم صاغرون﴾^(٥١) ، والصغار معناه : الخضوع لأحكام

الإسلام .

ومن أهداف الجهاد في الإسلام كسر شوكة الكفر وإذهاب سلطة الكافرين لإفساح المجال أمام الدعوة إلى الله لتصل إلى قلوب الناس وعقولهم وكذلك إزالة الظلم والعدوان الناتج عن تسلط الكافرين وبطشهم فهذا هو هدف المسلمين من حروبهم مع أعداء الإسلام ، لم يكن الدافع لهم الطمع أو حب السيطرة والعلو في الأرض ، بل كان الهدف الأساس هو فتح المجال أمام أبصار الناس وعقولهم حتى ترى النور وتعرف الحق فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وتنقاد له جوارحهم . وهكذا كان حيث دخل مئات الآلاف من أبناء البلاد المفتوحة في الإسلام أو تحت حكمه دغبة فيه وفي عدله . وهكذا الإسلام إذا خالطت بشاشته القلوب وعرفت الحق الذي فيه العقول . وماحجب كثير من شعوب العالم عن الدخول في الإسلام أفواجاً إلا سلوك المسلمين وأخلاقهم ، وزهدهم في الإسلام وأسلوبهم في التعامل مع غير المسلمين في جميع مجالات الحياة مما زاد في نفرة كثير من الراغبين فيه ، في تركه والعدول عنه فضلاً عن الذين لم يفكروا فيه ، وما أصاب الإسلام في هذا العصر من أبنائه أشد وأنكى مما أصابه عن طريق أعدائه لذلك سلط الله عليهم أعداءهم فنهبوا خيرات بلادهم وأشاعوا الفوضى والتخلف في حياتهم وهكذا سيظلون حتى يراجعوا دينهم : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾^(٥٢) .

٤ - تبادل المنافع :

من الأهداف المقررة في الإسلام من علاقة المسلمين بغيرهم تبادل المنافع الدنيوية من أمور التجارة والصناعة وغيرهما من العلوم النافعة التي يحتاج إليها الناس في معاشهم . فقد درج المسلمون على التعامل مع غير المسلمين في

أمر المعاش، والتعامل مع غير المسلمين وفق الضوابط الشرعية لم يرد في القرآن والسنة ما يدل على منعه، بل الثابت خلافة: (فقد عامل رسول الله ﷺ أهل خيبر، وهم يهود، على نصف ما يخرج من أراضيهم، على أن يعملوها بأموالهم وأنفسهم، وهذه شركة في الزرع والغرس والثمر، وقد ابتاع رسول الله ﷺ طعاماً من يهودي بالمدينة ورهنه درعه، ومات عليه السلام ودرعه رهن عنده، فهذه تجارة مع اليهود، ومعاملتهم جائزة، ومن خالف فلا برهان له) (٥٣).

واستمر العمل كذلك في تبادل المنافع العلمية والتجارية ونقل الخبرات بين المسلمين وغيرهم سواء كانوا داخل البلاد أم خارجها منذ ذلك العصر إلى عصرنا الحاضر . وعلماء السلف يفصلون تلك العلاقة ويحددون معالمها كما سيأتي في حقوق غير المسلمين وواجباتهم .

• • • • •

حقوق غير المسلمين في الإسلام

إذا قبل غير المسلمين الدخول مع الدولة الإسلامية في عهد يلتزمون بموجبه الخضوع لسلطانها والانقياد لأحكام الإسلام فيهم ، فلا شك أن ذلك يمنحهم حقوقاً قريبة من حقوق المسلمين بل قد تكون مساوية لها إلا فيما استثنى .
وذلك أن بعض الحقوق في الإسلام يشترط لها توافر الإسلام كما سيأتي تفصيله .

ويمكن تقسيم حقوق الأقليات في الإسلام إلى قسمين : عامة وخاصة ،
وذلك على النحو التالي :
أولاً : الحقوق العامة :

ونقصد بها الحقوق الضرورية للإنسان باعتباره فرداً في مجتمع ولا يمكنه الاستغناء عنها ومنها :

١ - الحقوق الشخصية .

٢ - الحقوق الاقتصادية والوظيفية .

٣ - الحقوق الدينية والفكرية .

٤ - الحقوق السياسية .

وتفصيلها على النحو التالي :

١ - الحقوق الشخصية :

ويندرج تحتها جملة من الحقوق من أهمها :

أ - حق الأمن والحماية للنفس والمال والعرض .

ب - حق الحركة والتنقل والاجتماع داخل حدود الدولة .

ج - حق المأوى والسكن وحرمة .

د - عدم حبس المعاهد وتوقيفه ومعاقبته إلا بمقتضى الشرع .

هذه الحقوق وغيرها مما ستأتي الإشارة إليه قد قررها الفقهاء وأجمعوا على وجوب الوفاء بها استناداً للنصوص الشرعية الواردة في ذلك من الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الإسلام، ويمكن شرحها كالاتي :

أ - حق الأمن والحماية للنفس والمال والعرض :

فالمعاهد له حق الأمن على نفسه وماله وعرضه وحق الحماية له من أي اعتداء يقع عليه من الداخل أو الخارج مادام في دار الإسلام لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾^(٥٤)، وقوله تعالى: ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ﴾^(٥٥) .

فالأمر بالوفاء بموجب العهد في هاتين الآيتين موجه للمسلمين على وجه الخصوص ، وهو تكليف أقره الشارع لمصلحة المعاهدين سواء كانوا أهل ذمة أو مستأمنين . ومن لوازم الوفاء بموجب عقد الذمة وعقد الأمان ، وجوب الحماية للحقوق الناشئة عنهما ، وذلك بتمكين صاحب الحق من الاستمتاع به على وجه الكمال وفي حدود النظام العام ، ويمنع الغير من العدوان على هذا الحق .

ومما جاء في السنة مما يدل على وجوب حماية المعاهد - سواء كان ذمياً أو مستأمناً - قوله ﷺ: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)^(٥٦) ، وقوله ﷺ: (ألا لا تحل أموال المعاهدين إلا بحقها)^(٥٧) .

وفي عهد النبي ﷺ لأهل نجران: (ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر)^(٥٨) .

وعلى هذا المنهج سار الخلفاء الراشدون فجاءت أقوالهم وصدرت أوامرهـم للولاء والعمال بلزوم رعاية أهل الذمة . فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي خليفته من بعده بقوله : (وأوصية بذمة الله وذمة رسوله أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وألا يكلفوا إلا طاعتهم)^(٥٩) .

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حق أهل الذمة : « إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا »^(٦٠) .

ونقل أبو عبيد في الأموال : « أن عمر رضي الله عنه كان يتفقد أهل الذمة ويسأل الوفود عنهم ، ويستوثق من ولاته أنهم لم يظلموا »^(٦١) .

وجاء الفقهاء من بعدهم فسلكوا المسلك نفسه ونهجوا المنهج نفسه فقرروا الأحكام التي تقضي بحماية الذمي في نفسه وماله وعرضه وجميع حقوقه حتى أنهم لم ينسوهـم عند ذكر واجبات المحتسب فقالوا « إن عليه أن يمنع المسلمين من التعرض لهم بسب أو أذى ، ويؤدب من يفعل هذا بهم »^(٦٢) .

ومن وصايا أبي يوسف إلى هارون الرشيد : « وقد ينبغي يا أمير المؤمنين أيدك الله الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ والتقدم لهم حتى لا يظلموا ، ولا يؤذوا ، ولا يكلفوا فوق طاعتهم ، ولا يؤخذ من أموالهم إلا بحق وجب عليهم »^(٦٣) .

ويقول ابن قدامة - رحمه الله - : « وإذا عقد الذمة فعليه - أي الإمام - حمايتهم من المسلمين وأهل الحرب وأهل الذمة ، لأنه التزم بالعهد حفظهم »^(٦٤) .

ويقول الماوردي : « ويلزم لهم - يعني أهل الذمة - ببذل الجزية حقان :

أحدهما : الكف عنهم ، والثاني : الحماية لهم ، ليكونوا بالكف آمنين ، وبالحماية محروسين »^(٦٥) .

ونختم هذه النقول عن الفقهاء بقول القرافي في الفروق حيث يشير إلى ضرورة كف الأذى عنهم بكل أنواعه وأشكاله فيقول : « إن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم ، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله ودين الإسلام ، فمن اعتدى عليهم ، ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم ، أو نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك ، فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ وذمة الإسلام »^(٦٦) ، فأى رعاية أو أي عدل في رعاية الحقوق لأهل الذمة فوق هذا العدل وفوق هذه الرعاية .

بل إذا بدر من حكام المسلمين شيء يؤذي الذميين فإن الفقهاء ينكرون عليهم . ومن ذلك إنكار الإمام الأوزاعي على الوالي العباسي عندما أجلى قوماً من أهل الذمة من جبل لبنان بعد أن ثبت من بعضهم التجسس لحساب الروم واللاحاق بهم . فكتب إليه ينكر عليه ، ومما جاء في رسالته هذه : « . . . وقد كان من إجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ممت قتلت بعضهم ورددت باقيهم إلى قراهم ماقد علمت . فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وحكم الله تعالى : ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ ثم يقول له في رسالته : فإنهم ليسوا بعبيد فتكون في تحويلهم من بلد إلى بلد في سعة ، ولكنهم أحرار أهل ذمة »^(٦٧) .

والحق أن الإمام الأوزاعي ضرب المثل الرائع في دفاع الفقهاء عن أهل الذمة بالرغم من اختلافهم معه في الدين ، وستبقى عبارات (وحكم الله « ألا تزر وازرة وزر أخرى » . . . فإنهم ليسوا بعبيد . . . ولكنهم أحرار أهل ذمة)

مفخرة من مفاخر التاريخ الإسلامي قلما نجد لها نظيراً في دساتير العالم الحديث النظرية فضلاً عن العملية .

والتزمام الإسلام بالمحافظة على أهل الذمة لايقف عند حد حمايتهم من الاعتداءات الداخلية من قبل المواطنين أو من قبل موظفي الدولة ، بل يمتد إلى حمايتهم من أي عدوان خارجي قد يتعرضون له وحدهم ، ولهذا رد أبو عبيدة ابن الجراح الجزية التي استوفوها من بعض قرى أهل الذمة في الشام لما غلب على ظنه عدم قدرته على حمايتهم لاحتمال عودة الروم ومهاجمتهم لهذه القرى . وأمر آخر وهو : إذا ما وقع الذميون أسرى بيد العدو فعلى الدولة الإسلامية استنقاذهم ولو بدفع الفداء عنهم من بيت المال . قال الفقيه الكبير الليث بن سعد فقيه مصر : « أرى أن يفدوهم من بيت المال ويقرون على ذمتهم »^(٦٨) ، وقد شاع بين الفقهاء القول المشهور في الذميين : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » ، و « من كانت له ذمتنا فدمه كدمننا »^(٦٩) .

ومن الوقائع العملية التي تثبت حقهم في الحماية ، أن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - حين تغلب التتار على الشام - وكان قائدهم قد أظهر الإسلام - وأسروا جماعة من المسلمين وأهل الذمة ، ذهب إلى قائدهم « غازان » وكلمه في إطلاق سراح الأسرى ، فأطلق أسرى المسلمين ، ومنع أسرى أهل الذمة ، فأبى الرجوع إلا بافتكاك أسرى أهل الذمة وحصل له ما أراد حيث قال : « غازان » لشيخ الإسلام : لكن هنا نصارى أخذناهم من القدس . فهؤلاء لا يطلقون فرد عليه شيخ الإسلام : بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا ؛ فإننا نفتكهم ، ولاندع أسيراً لا من أهل الملة ، ولا من أهل الذمة »^(٧) .

ويشارك المستأمنون أهل الذمة معظم الحقوق التي لهم ما داموا في دار

الإسلام فهم بمنزلة أهل الذمة إلا فيما استثنى ، إذ يجمعهم اسم «المعاهدون» ،
فلهم من الحماية ورعاية الحقوق ما للذمين فيجب حمايتهم من كل عدو
يقصدهم ومنع أي ضرر يتوجه إليهم من الداخل أو الخارج . وقد ألحقهم
الفقهاء بأهل الذمة يقول الإمام السرخسي في شرح السير : « ولو أن قوماً من
أهل الحرب لهم منعة دخلوا دارنا بأمان فشرطوا علينا أن نمنعهم مما نمنع منه
المسلمين وأهل الذمة ، فعلينا الوفاء بهذا الشرط » ، وذكر أنه : « لو أغار أهل
الحرب على دار الإسلام وأسروا المستأمنين فإنه يلزم أهل دار الإسلام
استنقاذهم من أيدي الذين قهروهم ، كما يجب ذلك للمسلمين وأهل
الذمة »^(٧١) ، بل وذهب إلى أبعد من ذلك بحيث لو تطلب الأمر إنقاذ حياة
مسلم عند العدو وفكه من الأسر بناءً على طلبهم أو هددوا بتعريض ابن البلد
للخطر فإنه لا يجوز للمسلمين فعل ذلك . حيث يقول : « لا يجوز مفاداة
المستأمن بالأسير المسلم ولو طلب أهل الحرب ذلك ، ولا تسليمه إلى أهل
الحرب ولا إلى أهل دولته ، ولو هددوا بقتالنا إذا لم نسلمه إليهم ، لأنه في
حماية دار الإسلام وأمانها ، وينبغي توفير الأمان له حتى يرد إلى مأمنه ،
واعتبر تسليمه في كل ماسبق عذراً لا رخصة فيه »^(٧٢) .

وأساس ذلك كله قوله تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره
حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾^(٧٣) ، يقول صاحب أحكام القرآن في
معنى الآية : « يدل على أن على الإمام حفظ الحربي المستجير وحياطته ،
ومنع الناس من تناوله بشر »^(٧٤) ، ورغم قسوة غير المسلمين اليوم في
معاملتهم للمسلمين في بعض البلاد غير الإسلامية ومنعهم من ممارسة أبسط
حقوقهم ، فلا ينبغي أن يحمل ذلك البعض منا إلى أن يدعو أو يعمل على
معاملة غير المسلمين في بلادنا بمثل مايعامل به المسلمون في تلك البلاد تجاوباً
مع سياسة المعاملة بالمثل .

فليس ذلك من العدل ولا من الوفاء في الإسلام ، فالقاعدة في الإسلام تقوم على عدم الظلم : ﴿ وألا تزر وازرة زر أخرى ﴾ فغير المسلمين في بلاد الإسلام قد دخلوا في أمان المسلمين وثبتت لهم حقوق وواجبات بموجب هذا الأمان فيجب رعايتها وحفظها كما تقدم مهما كانت الظروف والأحوال .

ب - حق الحركة والتنقل والاجتماع داخل حدود الدولة :

ويحق لغير المسلمين التنقل في داخل الدولة الإسلامية من غير أن يتعرض لهم أحد بحجز أو عقاب عدا الحرم المكي فلا يجوز دخولهم إياه كما في قول جمهور الفقهاء ، كما لهم الحق في السكنى والإقامة في أي بلد شاءوا إلا بلاد الحجاز ، كذلك في قول جمهور الفقهاء ، لكن إذا كان هناك مفسدة في تنقلهم فلولي الأمر أن يضع من القيود ما يدرأها^(٧٥) .

أما الاجتماع والتقاء بعضهم بعضاً فهو حق لهم كغيرهم ، فيلتقون بحسب عوائدهم وتقاليدهم ، سواء في بيوتهم أو مدارسهم أو معابدهم أو في أعيادهم أو ما إلى ذلك .

ولا يمتنعون من شيء من ذلك إلا إن كان فيه ضرر واضح على الدولة أو على المجتمع .

ج - حق المأوى والسكن وحرمة :

ومن حقوق غير المسلمين أيضاً وجود سكن يأوون إليه وهم آمنون كغيرهم من المسلمين ، ولا يجوز دخول مساكنهم إلا بإذن أهلها ، ولا التلصص عليهم فيها ولا اقتحامها بلا مسوغ شرعي ما داموا محافظين على القواعد الشرعية المرعية ، لأن مسكن الإنسان موضع أسراره ، ومحل حياته الخاصة مع أسرته وفيه أمواله ، فلا ينبغي الاعتداء عليها ، لأن ذلك اعتداء على الشخص نفسه

وقد دل على ذلك عموم الأدلة الواردة في ذلك ، ومنها قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ﴾^(٧٦) .

وقوله ﷺ : (من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفتأوا عينه)^(٧٧) ، فالبيوت في الآية والحديث عامة تشمل مساكن المسلمين ومن في حكمهم ولم يرد ما يخصه من جهة الشرع

د - عدم حبس المعاهد أو توقيفه أو معاقبته إلا بمقتضى الشرع :

فإلحاق شيء من ذلك به فيه أضرار عليه وعلى مصالحه وفيه جناية عليه بغير حق ، وفيه عدوان : ﴿ والله لا يحب المعتدين ﴾^(٧٨) ، كما أن فيه ظلم والله عز وجل قد حرم الظلم مطلقاً سواء للمسلم أو غير المسلم ، والرسول ﷺ يقول : (من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه)^(٧٩) ، وقوله ﷺ : (من آذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خمسه خصمه يوم القيامة)^(٨٠) .

ومن القواعد الشرعية : « أنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص الشرع » ، وتقتضي النصوص والقواعد الشرعية أنه لا يجوز القبض أو الحبس أو المعاقبة إلا بأمر يستوجب ذلك .

٢ - الحقوق الاقتصادية والوظيفية وكفالة بيت المال :

أ - الحقوق الاقتصادية :

لأهل الذمة ومن في حكمهم في دار الإسلام حرية العمل ومباشرة النشاط الاقتصادي الذي يرغبون فيه ومزاولة العمل الذي يريدونه ، وحق التملك

والكسب بشرط ألا يخالفوا أحكام الشريعة الإسلامية ، فهم كالمسلمين في أحكام المعاملات وسائر التصرفات ، ويدخل في الحق الاقتصادي : التمتع بمرافق الدولة العامة كوسائل المواصلات ، والاتصالات ، والماء ، والكهرباء ونحوها إذا التزموا بما عليهم من الواجبات كالجزية والخراج والعشور فلا يجوز أخذ شيء من أموالهم غير الجزية وما صولحوا عليه كالضيافة وتعشير المال ونحوهما ، وأما الزيادة على ذلك فكما يقول الإمام أبو عبيد - رحمه الله : « ما علمنا أحداً رخص فيها في قديم الدهر ولا حديثه »^(٨١) ، وقد سار الوضع على رعاية حقوق أهل الذمة في هذا الجانب كغيره من الجوانب طوال فترة الحكم الإسلامي حتى صار منهم أصحاب الصنائع التي تدر أرباحاً وفيرة كما كان منهم الصيارفة والأطباء وأصحاب الضياع^(٨٢) .

ب - الحقوق الوظيفية :

قبل الدخول في الحديث عن هذا الحق نذكر نظرة الإسلام إلى الوظائف العامة . فالإسلام يعتبر الوظيفة تكليف تكلف به الدولة الفرد إذا كان أهلاً لها فهي بالتالي أمانة عظيمة ومسؤولية كبيرة ، فلا تسند إلا للكفاء الناصح ، فهي بالتالي ليست حقاً ولا تشريفاً ولا مكافأة بل عبئاً وتكليفاً .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : « دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي فقال أحد الرجلين : يا رسول الله : أمّرنا على بعض ما ولّك الله عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال : (إنا والله لانولي على هذا العمل أحداً سألناه ، ولا أحداً حرص عليه)^(٨٣) . وفي الصحيحين أيضاً عن عبدالرحمن بن سمرة قال : قال لي رسول الله ﷺ : (يا عبدالرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها)^(٨٤) .

ففي هذين الحدين دلالة ظاهرة على أنه لا ينبغي للإنسان أن يطلب العمل والولاية، وفيهما دلالة صريحة أن تولي الوظائف العامة ليس حقاً للفرد، إذ لو كانت حقاً له لما كان طلب الوظيفة أو الولاية سبباً لمنع طالبيها منها، لأن صاحب الحق لا يمنع من حقه إذا طلبه أو طالب به أو حرص عليه^(٨٥).

ويجوز الاستثناء من هذه القاعدة على من يجد في نفسه الكفاية ويتعين عليه العمل، وبعض الوظائف العامة لا يجوز أن يتولاها إلا مسلم لاشتراط الإسلام فيها أو لأن طبيعتها تتطلب ذلك. أما الوظائف التي ليس فيها خصوصية فيجوز للذمي توليها بشرط أمن جانبه وأن لا يكون فيها نسلط على المسلمين.

وقد درج الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من العلماء على جواز إسناد بعض الوظائف لأهل الذمة ماداموا أهل ثقة وكفاية، وفي هذا تسامح وتساهل مع المخالفين في الدين لا يوجد له نظير في القديم ولا في الحديث وقد اعترف به مؤرخو الغرب أمثال: آدم متز وغيره^(٨٦).

ولا يشارك المستأمنون أهل الذمة في حق تولي الوظائف العامة لأنهم أجانب ولا يتمتعون بجنسية الدولة الإسلامية، كما أن للدولة أن تقيد حرية المستأمن بنوع من العمل، أو أن تحظر عليهم ذلك بخلاف أهل الذمة، الذين صارت لهم جنسية أهل البلد كما لهم حق التمتع بالحقوق المشروعة وفق الضوابط الشرعية.

وللعلماء خلاف طويل في جواز إسناد الأعمال والوظائف العامة لغير المسلمين حيث ذهب الكثيرون إلى منعه وتحريمه، لئلا تكون لهم ولاية وعلو وسلطة على المسلمين، وذهب بعض منهم إلى القول بجوازه، واشترط

آخرون لجوازه اختفاء العداوة والبغضاء والحق ، وهو مافعله الخلفاء والحكام والأمرء الذي أدخلوا غير المسلمين في بطانتهم وأسندوا إليهم بعض الوظائف والأعمال في الدولة الإسلامية وهو الراجح إذا دعت الحاجة إليه وفق الضوابط الشرعية وفي الأمور التي لا يشترط فيها الإسلام .

ج - كفالة بيت المال للذمي :

والى جانب ذلك يتمتع الذمي بكفالة الدولة الإسلامية له عند العجز أو الفقر أو الشيخوخة حيث وجد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- شيخاً يهودياً يسأل الصدقة ، فسأله عن ذلك ، فأجاب بأنها الحاجة والسن ، فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله وأعطاه شيئاً ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له : « انظر هذا وأمثاله فو الله ما انصفناه إن أكلنا شيبته ثم نخذه عند الهرم »^(٨٧)

وكتب خالد إلى أهل الحيرة : « وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام^(٨٨) ، وهذا الأمر الذي هو كفالة أهل الذمة وسد حاجتهم أمر محل إجماع الصحابة ومن بعدهم ومما يؤكد ذلك أن عمر بن الخطاب عند مقدمه إلى الشام مر بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من بيت المال وأن يجرى عليهم القوت »^(٨٩) .

وعمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - كان يتحرى أوضاع أهل الذمة ، ويأمر ولاته بالتحري عن المحتاجين منهم حيث كتب إلى عامله على البصرة عدي بن أرطاة : « أما بعد . . وانظر من قبلك من أهل الذمة من قد كبرت

سنه ، وضعت قوته ، وولت عنه المكاسب ، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه »^(٩) .

ومما سبق يمكن القول إن الدولة الإسلامية التزمت إعالة المحتاجين من أهل الذمة على أنه حق من حقوقهم وهذا الحق الذي هو إعالة الذمي من بيت المال لا يشمل المستأمنين بمطلق عقدهم ، لأنهم ليسوا من أهل دار الإسلام ، وإقامتهم فيها مؤقتة ، غير أنه لا يجوز إسلامهم إلى الهلاك لأن الإسلام يأمر بالإحسان وإعانة المحتاجين والرحمة بهم ، وليست هذه المعاني مقصورة على المسلم بل تشمل كل حي كما يدل عليه قوله ﷺ : (في كل كبد رطبة أجر)^(٩١) ، فضلاً عما في الإحسان إلى المستأمن من تأثير بالغ في نفسه وتعريف له بمحاسن الإسلام .

٣ - الحقوق الدينية والفكرية :

ويندرج تحتها بقاء المعاهدين على عقيدتهم بحيث يتركون وما يدينون ، وحق التعلم والتعليم ، وحق إبداء الرأي . ويمكن توضيح ذلك كالآتي :

أ - فالمعاهد له حق البقاء على دينه وعقيدته ، ولا يكره على دخول الإسلام في قول عامة الفقهاء ، وذلك لأنه خضع لحكم الإسلام . وللمعاهدين إظهار شعائرهم الدينية في أمصارهم وأحيائهم الخاصة ومعابدهم وفي مواسم أعيادهم وغيرها . فقد قال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ ، وقد قرر الفقهاء ترك أهل الذمة وما يدينون .

ومما يدل على ذلك ما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى أهل اليمن : (أنه من كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفتن عنها وعليه الجزية)^(٩٢) .

وفي عهده لأهل نجران : (ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد ﷺ

على أموالهم وأنفسهم ، وأرضهم وملتهم ويبيعهم^(٩٣) .

وقد سار على هذا المنهج الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ومن بعدهم كما في عهد عمر رضي الله عنه إلى نصارى بني تغلب ، ونصارى القدس ، وخالد بن الوليد إلى أهل دمشق ، وحبيب بن مسلمة لأهل تفلis^(٩٤) ، وكلها شواهد ناطقة بأن لأهل الذمة ومن في حكمهم ممارسة عباداتهم وإظهار شعائهم في أمصارهم وأحيائهم الخاصة بهم ، وليس لأحد أن يتعرض لهم بمنع أو إكراه على غير ما يحبون ، مادام ذلك في نطاق الاعتقاد والعبادة وإظهار الشعائر ، دون أن يؤذوا المسلمين أو يتعرضوا لعقائدهم بالسوء أو ينتج عنه أمر يضر بالإسلام أو الدعوة إليه^(٩٥) .

وكما يجوز لهم البقاء على عقائدهم وإظهار شعائر دينهم كذلك لا يمنعون من بيع الخمر والخنزير والصليب وضرب الناقوس في قرية أو موضع ليس من أمصار المسلمين^(٩٦) .

ومما يلحق بحقوقهم الدينية بقاء معابدهم التي صولحوا على بقائها ولهم إعادة ما انهدم منها ورمه . وللعلماء في المسألة أقوال أجملها فيما يلي :

- ما أنشأ المسلمون من المدن والقرى ابتداءً وكذلك جزيرة العرب لا يجوز إحداث المعابد فيها ولا إقرار بقائها مطلقاً ، وذلك لنهي ﷺ عن ذلك .
- ما أقر من المعابد فيجوز إصلاحه وتجديده وإعادة ما انهدم منه على القول الراجح .

- ما فتحه المسلمون عنوة فلا يجوز الإحداث فيه مع جواز الإقرار للمعابد القائمة وبقائها على قول الجمهور .

أما ما فتح صلحاً فيكون بحسب الاتفاق^(٩٧) .

ب - حق التعلم والتعليم : ليس في نصوص الشريعة وقواعدها العامة ما يمنع غير المسلمين من قيام الذميين بالتعلم لدينهم وتعليمه لأولادهم إذ لا يمنعون من ذلك ولهم إنشاء المدارس الخاصة لذلك ، ولكن يمنعون من تعليم المسلمين تعاليم دينهم أو نشره بين المسلمين لما فيه من الضرر على الإسلام والمسلمين .

هذا في العلوم الشرعية ، أما العلوم الدنيوية فالأمر فيها واسع .

ج - حق إبداء الرأي : يحق للذميين ومن في حكمهم إبداء الرأي فيما يخص شؤونهم كما يحق لهم إبداء النصيحة لأي أحد من الناس ، أو إبداء وجهة نظر حول أمر من أمور الحياة الدنيا أو أمر من أمور دينهم هم ماداموا يريدون العدل والحقيقة وتحقيق المصلحة .

وهذا الحق والذي قبله مقيد بعدم إساءة استخدامه كأن يدعوا لدينهم بين أبناء المسلمين أو يقوموا بالتجوال في أنحاء العالم الإسلامي لحمل المسلمين على الردة عن الإسلام بحجة التعليم وإبداء الرأي ، فالردة جريمة في نظر الإسلام ولا يجوز المساهمة في وقوع الجريمة .

وكما أسلفنا فإن إبداء آرائهم مخصوص في شؤونهم الخاصة . وفيما لاعتلاقة له بالأمور الإسلامية ، وفي حدود القواعد الشرعية والمصالح الإسلامية ، فليس من حقهم الطعن في دين الإسلام ، أو شعائره أو نبيه ﷺ ، أو في سيرة الصحابة وعلماء الإسلام بحجة إبداء الرأي ، لأن ذلك كله مخالف للنظام العام ، ويمنع منه المسلمون فضلاً عن غير المسلمين .

٤ - الحقوق السياسية :

اختيار الحاكم في الإسلام يتم عن طريق أهل الحل والعقد ، وهم إذا تم

تعيينهم عن طريق الاختيار فيشترط فيهم مايشترط في الإمام نفسه . وحق اختيار الحاكم ونوابه ووزرائه وأمرائه من حق المسلمين أنفسهم ولم يرد أن أحداً من أهل الذمة اشترك في اختيار أحد من الخلفاء الراشدين . كما لم ينقل أن أهل الذمة أو واحداً منهم طالب بهذا الحق ، مما يدل على أن المفهوم لدى الجميع أن هذا الحق مقصور على المسلمين دون غيرهم .

إلا أنه يجوز لولي الأمر أن يستشير الذمّي في تعيين ذمي آخر في الوظائف المسموح بها لهم .

من ناحية أخرى فإن لغير المسلمين حق النصيحة أو المراقبة ، والمراد بهذا الحق مناصحة ولادة الأمر ومراقبة تصرفات الحاكم أو أحد ولاته . فهذا أمر مشروع وهو من حق الفرد لقوله ﷺ : (الدين النصيحة ، قيل لمن يارسول الله قال : الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)^(٩٨) ، فغير المسلمين لهم حق المناصحة ، فإذا رأى أحد منهم تصرفات غير سليمة فله أن يتقدم بها إلى المسؤولين .

٥ - ضمانات حماية تلك الحقوق :

عندما قررت الشريعة الإسلامية لغير المسلمين كل تلك الحقوق ، وكفلت لهم الحريات ، وزادت على ذلك بتأكيد الوصية بحسن معاملتهم ومعاشرتهم بالتي هي أحسن ، ضمنت لهم الوفاء بتنفيذ هذه الحقوق وتحقيق هذه الوصايا .

وهذا الكلام حق وصدق إذا نصرنا إلى الدساتير الأرضية والقوانين الوضعية التي تنص على المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات ثم تظل حبراً على ورق ، لغلبة الأهواء والعصبيات التي لم تستطع القوانين أن تنتصر

عليها ، لأن الشعب لا يشعر بقدسيته ، ولا يؤمن في قرارة نفسه بوجود الخضوع لها والانقياد لحكمها .

أما الشريعة الإسلامية فهي شريعة الله الذي لا تبديل لكلماته ولا جور في أحكامه ، ولا يتم الإيمان إلا بطاعته ، والرضا بحكمه لقوله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ ^(٩٩) .

فهذا ضمان الإيمان والعقيدة إذ يحرص كل مسلم يتمسك بأحكام دينه على تنفيذ أحكام هذه الشريعة ووصاياها ، ليرضي ربه وينال ثوابه ، لا يمنعه من ذلك عواطف ولا مصالح ، ولا مشاعر مودة أو عداوة لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ ^(١٠٠) .

وهناك ضمان آخر وهو رقابة المجتمع الإسلامي بما فيه من علماء ودعاة ومصلحين فهم حراس الشريعة وحمايتها ، فإذا قصر بعض الناس أو انحرف أو جار أو تعدى وجد في المجتمع المسلم من ينبهه ومن يردّه إلى الحق ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ، ويقف إلى جانب المظلوم المعتدى عليه ولو كان مخالفاً له في الدين كما مر معنا في موقف الإمام الأوزاعي من الوالي العباسي ، وغيره كثير . وأمثلة التاريخ وشواهد كثيرة في رعاية المسلمين لحقوق أهل الذمة وحمايتهم وإنصافهم ممن ظلمهم سواء كانوا من أفراد الرعية أو من الولاة والأمراء ، ومن أمثلتها : قصة شكوى أحد الرهبان في مصر إلى واليها أحمد بن طولون أحد قواده ، فأنصفه منه وقصة القبطي مع عمرو بن العاص - رضي الله عنه - وإنصاف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه له قصة مشهورة ، وكذلك قصة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مع النصراني الذي أخذ درعه لما سقط من بعيره أمام القاضي شريح ، وقضاؤه

بالدرع للنصراني لعدم وجود بينة لأمر المؤمنين على أنها له، مما دعا النصراني إلى الإسلام قائلاً: أما أنا أشهد أن هذه أحكام أنبياء ! أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقضي لي عليه ! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، الدرع درعك يا أمير المؤمنين. اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين ، فخرجت من بعيرك الأورق . فقال علي رضي الله عنه أما إذا أسلمت فهي لك ^(١) ، وهي قصة تغني عن كل تعليق وتكفي عن كل شاهد .

ثانياً : الحقوق الخاصة :

نقصد بالحقوق الخاصة تلك التي تنشأ من علاقات الأفراد فيما بينهم ، سواء كانت علاقات عائلية أم مالية ، فمن الحقوق العائلية حق الزواج والطلاق ونحوهما ، ومن الحقوق المالية حق التملك ، ومباشرة سائر التصرفات المشروعة على أعيان أملاكهم ، أو مع غيرهم من الأشخاص دائنين كانوا أو مدينين ^(٢) .

فغير المسلمين كالمسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين في كل الحقوق الخاصة التي لا يشترط فيها الإسلام ويتساوى في ذلك الذمي والمستأمن .

وقد أشار ابن القيم - رحمه الله - إلى صحة أنكحة غير المسلمين وثبوت آثارها .

وأشار أيضاً إلى جواز توارث أهل الدين الواحد ولو اختلفت أوطانهم ودولهم ^(٣) .

وخلاصة القول أن لغير المسلمين من الحقوق الخاصة ما يناظر حقوق المسلمين إلا ما كان الإسلام شرطاً في جوازه - كما أسلفنا - فيتميز به المسلمون عن غيرهم، ولذلك جاز لغير المسلمين بيع الخمر والخنزير بحسب معتقدهم فيها، ويمنع من ذلك المسلمون .

واجبات غير المسلمين في الإسلام

إذا كان غير المسلمين في البلاد الإسلامية لهم حقوق فمن طبائع الأشياء أن يكون عليهم واجبات يؤدونها للمسلمين ، ولعل من أبرزها :

- ١ - الالتزام بدفع الجزية .
- ٢ - الخضوع لأحكام الإسلام .
- ٣ - ترك ما فيه ضرر على المسلمين .
- ٤ - الالتزام بأنظمة البلاد ومراعاة الآداب ، وعدم جرح شعور المسلمين .
- ٥ - عدم إظهار المنكرات .

ويمكن شرح ذلك كالآتي :

١ - الالتزام بدفع الجزية :

يقترن عقد الذمة في الغالب بدفع الجزية من البالغ العاقل الذكر الحر القادر على دفعها مرة كل سنة ثم يلحق به نساؤه وأولاده دون أن يدفعوا شيئاً وذلك مقابل حمايته وأسرته من الاعتداء ومقابل الدفاع عن البلاد حيث لا يجب عليه ذلك ، كما يجب عليه أن يدفع ضريبة على أمواله التجارية وهي التي يسميها الفقهاء بالعشور وكذلك الخراج على الأرض الخراجية .

فالجزية إذاً مبلغ ضئيل من المال يدفعه الذمي كل سنة للدولة في مقابل حمايته والدفاع عنه كما أسلفنا ، ومقابل مشاركته في المصالح العامة ، والاستفادة من المرافق العامة ، وهي رمز الولاء للدولة والالتزام الأحكام المطبقة فيها ، وهي في مقابل الزكاة التي تؤخذ من المسلمين فالمسلم مطالب بدفع الزكاة والجهاد والدفاع عن البلاد والذمي لا يلزم بشيء من ذلك .

فالجزية رمز للطاعة من جهة ، ومظهر للعدالة الاجتماعية بين المواطنين من جهة أخرى^(٤١) .

يقول ابن القيم - رحمه الله - : « فإن الجزية أثبتت له الأمان على نفسه وأهله وماله في المقام والسفر »^(٥١) .

ويجوز عقد الذمة دون دفع الجزية كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع نصارى بني تغلب ، حيث أخذها منهم باسم الصدقة مع تضعيفها ، وبشروط أخرى^(٦١) ، وإذا شارك الذمي بأعباء القتال وانخرط في صفوف الجيش مع المسلمين وشارك في الخدمة العسكرية فلا تؤخذ منه الجزية ، كما ترد الجزية إلى أصحابها إذا تعذر القيام بحمايتهم كما فعله أبو عبيدة - رضي الله عنه - وغيره في حمص وعلى حدود الروم^(٧١) .

٢ - الخضوع لأحكام الإسلام :

ويدخل تحته المعاملات المدنية ، والجنائية بحيث تسري عليهم أحكام الإسلام لما لهذه الأحكام من ارتباط وثيق بالمجتمع وأمنه بما فيه من مسلمين وغيرهم .

ولذلك قرر فقهاء الإسلام أن معاملات غير المسلمين يجب أن تخضع لأحكام الشريعة ، صحةً ، وفساداً ، وبطلاناً ، لأن المعاملات أساس النظام المدني والاقتصادي في المجتمع ، ولكونها تقوم على تبادل المنافع بين أفرادها ، ولا يمكن أن يعزل غير المسلمين عن المجتمع الذي يعيشون فيه ، وأسواقه وأنشطته المختلفة ، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمقصد عام من مقاصد الشريعة ، وهو بتحقيق الحاجيات التي من شأنها أن تيسر سبل الحياة وترفع الحرج عن الناس ، ولو فرضنا قيام نظام خاص بغير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، لزم من ذلك قيام دولة داخل الدولة وهذا ينافي الاندماج والولاء للدولة التي التزمت بتحقيق أمنهم وأمانهم^(٨١) .

ويستثنى من سريان أحكام الإسلام عليهم في باب المعاملات جواز تبايعهم بالخمر والخنزير ما لم يكن أحد أطراف المعاملة مسلماً ، أو كان تعاملهم بها مجاهرة في أمصار المسلمين .

أما في جانب الأحكام الجنائية : فإنه يلزم غير المسلمين الامتناع عن جرائم القتل والزنا والسرقة والقتل والحراقة ، ونحوها ، لأنها تمس أمن المجتمع مباشرة . . . وهي تتناقض مع الضرورات التي جاءت الشريعة لصيانتها ، وفعلهم لها مخالف لمقتضى عقد الذمة وعقد الأمان ويعود عليه بالنقض .

وعقد الذمة الأصل فيه أنه لمصلحة من يعقد له وأخذ الجزية منهم ليس لرغبة المسلمين فيها أو حاجتهم إليها أو لطمع منهم في ذلك كما لاحظنا في تطبيقاتها ، بل دعوة أهل الذمة إلى الإسلام ، ليخالطوا المسلمين ، فيتأملوا في محاسن الإسلام وشرائعه ، وينظروا فيها ، فيجدوها مؤسسة على ماتحملة العقول ، وتقبله ، فيدعوهم ذلك إلى الإسلام فيرغبون فيه ، فكأن عقد الذمة لرجاء الإسلام^(١٠٩) .

وهكذا نرى أن عقد الذمة وطلب الجزية تحت أي اسم كانت هو أحد وسائل الدعوة لنشر الإسلام ، وتبليغ الدعوة ، وإنقاذ الناس من الضلال والانحراف والفساد ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

وهذا فيما مضى وفيما سيأتي - إن شاء الله - إذا عادت الغلبة والشوكة للمسلمين . أما في العصر الحاضر ، فلم يبق عقد الذمة موجوداً بصورته القديمة التي تحدث عنها الفقهاء وقعدوا لها ، حيث اختلفت الأسس والأنظمة التي تنظم علاقات الدول مع بعضها ، وعلاقة الدولة مع المواطنين القاطنين في أرضها بمختلف فئاتهم .

وإذا أردنا أن نطبق عقد الذمة في عصرنا الحاضر فلا بد من التفريق في أحكامه بين حالتين :

الحالة الأولى : تطبيقه في العلاقات الدولية وفي ظل القانون الدولي في وقتنا الحاضر حيث لم يبق مجال لتطبيق عقد الذمة ودفع الجزية لعدم تعارف الدول عليه حالياً وزوال استعماله في التعامل الدولي ، حيث الالتزام بمبدأ المعاملة بالمثل ، وفي هذه الحالة يتطور عقد الذمة بما يتناسب مع الأنظمة العالمية بدون دفع الجزية ، وهذا جائز شرعاً ، فيجوز لولي الأمر أن يعقد اتفاقات ومعاهدات وعقوداً تحقق المصالح العامة للمسلمين ، ومركزهم المناسب في المجتمع الدولي ، بما لا يتعارض مع أحكام الإسلام .

الحالة الثانية : تطبيق عقد الذمة ودفع الجزية في الأنظمة والقوانين الداخلية على المواطنين القاطنين في أرض الدولة ، فهنا لا نجد غضاظة من تطبيقه مع الاختلاف في الألفاظ والمصطلحات ، لأن عقد الذمة تنظيم داخلي لفئة من المواطنين ، ويتضمن دفع ضريبة معينة على فئة من الناس ، ويقابلها التزامات أخرى على بقية الفئات ، وهذا لا غبار عليه وقد جرى به العرف في أنظمة الدول قديماً وحديثاً فللدولة أن تشرع من الأنظمة ما يناسبها ويحقق مصالحها وتفرض القيود التي تراها ^(١١) .

٣ - ترك مافيه ضرر على المسلمين :

يجب على غير المسلمين أن يتركوا من الأقوال والأفعال مافيه ضرر على المسلمين ويشمل عدة أمور ذكر منها ابن قدامة ^(١٢) :

- أ - الاجتماع على قتال المسلمين .
- ب - الزنا بالمرأة المسلمة أو إصابتها باسم النكاح .

ج - فتنه المسلم عن دينه أو دعوة الناس إلى دينهم وترغيبهم فيه فإنه كما قال ابن القيم -رحمه الله-: « أولى الأشياء أن ينتقض العهد به ، فإنه حراب الله ورسوله باللسان ، وقد يكون أعظم من الحرب باليد»^(١١٣) .

د - قتل المسلم ، وقطع الطريق أو التجسس لحساب العدو أو إيواء جاسوس الأعداء .

هـ - معاونة أعداء الإسلام بدلاتهم على عورات المسلمين أو مكاتبتهم بذلك .

و - ويلحق بذلك إيذاء المسلمين بأي وجه كان كالضرب أو السب أو الإهانة ونحو ذلك .

٤ - الالتزام بأنظمة البلاد ، وعدم جرح شعور المسلمين :

فعلى غير المسلمين أن يمتنعوا عما يُعد إخلالاً بالنظام العام للدولة الإسلامية وذلك بعدم التعرض لأمر الدين وأحكامه بالنقد أو السخرية أو الاستهزاء ، أو الإخلال بأمن البلد ، أو نشر الشائعات ، أو التحريض على الفوضى ، أو دعم الإرهاب أو المنظمات المشبوهة المعادية للدين وأمن البلد ، أو تبني أنشطة تسيء إلى الإسلام أو فيها جرح لمشاعر المسلمين ، أو إيذاء لله ورسوله أو أحد الأنبياء أو فيها طعن في كتاب الله أو تحريف فيه . كما عليهم أن يمتنعوا عما فيه إخلال بآداب الإسلام وأخلاقه من الفحش في اللباس أو التعري في الأماكن العامة أو ممارسة بعض المحرمات في مجامع المسلمين أو أمام أنظارهم .

٥ - عدم إظهار المنكرات :

لا يجوز لغير المسلمين إظهار المنكرات الجائزة حسب معتقدهم بين المسلمين ، كإظهار بيع الخمر والخنازير في بلاد المسلمين أو إدخالها فيها على

وجه الشهرة والظهور أو شربها أو أكلها بين المسلمين .

كما لا يجوز لهم إظهار منكر يعتقدون حرمة كالفواحش ونحوها وكذلك أكل الربا لأنه محرم في ديانتهم كما هو محرم في ديننا لقوله تعالى: ﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه﴾ . قال أبو يوسف: « ولا يمكن المستأمنون من مبايعة الخمر والخنزير، أو المبايعة بالربا وما أشبه ذلك في دار الإسلام، لأن حكمه حكم الإسلام وأهله ولا يحل أن يبايع في دار الإسلام ما حرم الله »^(١١٢).

كذلك يمنعون من إحداث البيع والكنائس وأماكن العبادة في الأماكن التي تقدمت الإشارة إلى عدم جواز الإحداث فيها .

كما يمنعون من الإعلان بعبادتهم وفحشهم للمسلمين ، بل يسروها لئلا يؤذوا مشاعر المسلمين ، أو يتأثر بهم رعايا الناس ، ولا يجوز لهم استيطان الحجاز ، ويحرم عليهم دخول حرم مكة ، كما تقدمت الإشارة إليه .

• • • • •

الختامة

وهكذا نصل في نهاية البحث إلى نتائج من أبرزها :

- ١ - أن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي نوعان : أهل ذمة وهؤلاء لهم الإقامة الدائمة في دار الإسلام ولهم حق التمتع بجنسيتها لقاء جزية يؤدونها بدل حمايتهم ، وأهل أمان ويطلق عليهم لفظ «المستأمنون» . وعرفنا مفهوم هذه المصطلحات كل في موضعه من البحث .
- ٢ - يثبت لأهل الذمة على الخصوص من الحقوق مايقرب من المسلمين وجوب حمايتهم من كل عدو يقصدهم من الداخل أو الخارج ، كما يثبت لهم وللمستأمنين حق العصمة في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وحق السفر إلا إلى مكة والإقامة حيث شاءوا إلا الحجاز ، كما يثبت لهم حق التمتع بحريتهم الفكرية والعقدية وشعائهم الدينية ، دون أن يحدثوا بذلك فتنة في المجتمع أو يعرضوه لذلك ، كما يثبت لهم حق العمل ومزاولة الأنشطة التجارية والاقتصادية وغير ذلك من التصرفات المشروعة ماداموا في دار الإسلام .
- ٣ - يحظر على أهل الذمة مايحظر على المسلمين في المجتمع الإسلامي من الأفعال والأقوال ، ويجب عليهم الالتزام بالواجبات المقررة ، كما يلزمون بالعقوبات المقررة على كل فعل أو تصرف اعتبر جريمة .
- ٤ - ظهور سماحة الإسلام ورحمته وحببه الخير لجميع الناس من خلال مظهر لنا في أسس العلاقة ومقاصدها بغير المسلمين وأن الإسلام بلغ من التسامح مع غير المسلمين غايته ، كما بلغ حفظ الحقوق ورعايتها أعلى درجات الكمال .

الهوامش

- ١ - سورة المائدة ، الآية : ٦٧ .
- ٢ - سورة الأعراف ، الآية : ١٥٨ .
- ٣ - انظر: لسان العرب ١١٤١/٢ ، والمفردات في غريب القرآن، ص ٣٨٦ ، والقاموس ٥٣١/٣ .
- ٤ - المفردات ص : ١٢٦ ، ولسان العرب ص : ٦٨٠ .
- ٥ - سورة يس ، الآية : ٧ .
- ٦ - انظر : أحكام الذميين والمستأمنين ، ص : ٧٦ .
- ٧ - القاموس المحيط ص ٥٧٤/٤ ، والمفردات ص ٥١٢ .
- ٨ - التعريفات للجرجاني ، ص : ٢٢٢ .
- ٩ - القاموس المحيط ص ٦٨١ ، ولسان العرب ص ١٥٤/٣ ، والمفردات ص ٤١٠ .
- ١٠ - راجع مفهوم الأقليات :
- أ - الأقليات بين العروبة والإسلام ، ص : ٩ .
- ب - الأقليات الإسلامية في العالم ص : ٥ .
- ج - الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة ص ٣٣٢ .
- ١١ - انظر: القاموس المحيط . ج ٤ ، ص ١١٥ ، ومقاييس اللغة ص ٣٤٦/٢ ، والنهاية في غريب الحديث ١٦٢/٢ .
- ١٢ - أخرجه البخاري في الصحيح ١/٢٢٠ ، وكذلك مسلم ص ١٤٣/٩ ،

- وأبو داود ١/٤٦٩ ، والترمذي ٦/٣٢٤ ، والنسائي ٨/١٨ ، وابن
ماجة ٢/٨٩٥ في السنن والإمام أحمد في المسند ١/٨١ .
- ١٣- كشف القناع ص : ٧٠٤ ، ج ١ .
- ١٤- الأحكام السلطانية ص : ١٦٢ .
- ١٥- المرجع السابق ، ص ١٦٢ ، ولتخريج الحديث انظر : تخريج الهامش
رقم (١٢) .
- ١٦- القاموس الفقهي ، ص : ١٣٨ .
- ١٧- انظر : أحكام الذميين والمستأمنين ص : ٣١ .
- ١٨- أخرجه أبو داود في السنن ٣/٢٣١ ، والبيهقي كذلك في السنن ٩/٢٠٥ .
- ١٩- لسان العرب ص ١/١٤١ .
- ٢٠- سورة التوبة ، الآية : ٦ .
- ٢١- انظر : فقه الاحتساب على غير المسلمين ، ص : ١٤ .
- ٢٢- أحكام أهل الذمة ١/٣٣٦ ، ومجموعة بحوث فقهية ص : ٧٥ .
- ٢٣- ترتيب القاموس ، ص : ٣/٣٣٥ .
- ٢٤- المفردات ، ص : ٣٥٠ .
- ٢٥- سورة الإسراء ، الآية : ٣٤ .
- ٢٦- المرجع السابق الصفحة نفسها .
- ٢٧- المغني ص ٨/٣٦٨ ، .
- ٢٨- سورة الإسراء ، الآية : ٧٠ .

- ٢٩- تفسير القرآن العظيم ص ٣/٥١ .
- ٣٠- تفسير أبي السعود ٥/١٨٦ .
- ٣١- أخرجه البخاري في كتاب التيمم (باب ٦) ، ومسلم في كتاب المساجد (الحديث رقم : ٣١٢) .
- ٣٢- سورة المائدة ، الآية : ٢٨١ .
- ٣٣- سورة المائدة ، الآية : ١ .
- ٣٤- سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .
- ٣٥- سورة الممتحنة ، الآيات : ٨-٩ .
- ٣٦- البخاري في الهبة (٢٨ ، ٢) ، وفي الجزية (٢٨ ، ٢) ، ومسلم في الزكاة (١٥ ، ١١) .
- ٣٧- سورة الزخرف ، الآية : ٢٦ .
- ٣٨- سورة البقرة ، الآية : ١٥٦ .
- ٣٩- انظر : فقه الاحتساب على غير المسلمين ، ص : ٣٢ .
- ٤٠- سورة المائدة ، الآية : ٦٧ .
- ٤١- أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء (الباب : ٥٠)، والإمام أحمد (١٥٦/٢)، والترمذي في كتاب العلم (باب ١٣) عن عبد الله بن عمر .
- ٤٢- سورة الصف ، الآية : ٩ ، والتوبة : ٢٣ .
- ٤٣- سورة فصلت ، الآية : ٣٣ .
- ٤٤- أخرجه مسلم في كتاب العلم (حديث رقم : ١٦) ، والترمذي كذلك في (كتاب العلم : باب ١٥) .

- ٤٥- أخرجه البخاري في كتاب الجهاد (باب : ١٠٢) .
- ٤٦- أخرجه البخاري والإمام أحمد عن عبدالله بن عمر كما تقدم، انظر ص: ١٧ .
- ٤٧- أخرجه الترمذي في كتاب العلم : باب ٧ ، وأبو داود في كتاب العلم : باب ١٠ ، والإمام أحمد ٤٣٧/١ ، عن زيد بن ثابت .
- ٤٨- رواه السيوطي في الجامع الصغير ، ج ٣ ، ص ١٢٤ ، وقال عنه الألباني حديث حسن كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة ص ١/١٦٨ حديث رقم ٤٢٧ .
- ٤٩- أخرجه التبريزي في المشكاة في كتاب الآداب (باب الشفقة والرحمة على الخلق) (ج/٣ ص ١٣٩٢) ، وقد ضعفه الإمام النووي وغيره راجع : (إسماعيل العجلوني : كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ط ٣ ١٤٠٨هـ ، ج ١ ، ص : ٣٨١) .
- ٥٠- سورة الأنفال ، الآية : ٨ .
- ٥١- سورة التوبة ، الآية : ٢٩ .
- ٥٢- سورة الرعد ، الآية : ١١ .
- ٥٣- انظر: المحلى لابن حزم ١٢٥/١٢٦/٨ ، والمغني لابن قدامة ١/٥٦٧ .
- ٥٤- سورة المائدة ، الآية : ١ .
- ٥٥- سورة النحل ، الآية : ٩١ .
- ٥٦- أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب ١٧٤ .
- ٥٧- مسند الإمام أحمد ٨٩/٤ ، وأبو داود في الأئمة ٣/٣٥٦ .

- ٥٨- انظر : كتاب الخراج لأبي يوسف ، ص ٧٢٠ .
- ٥٩- انظر : الخراج ليحيى بن آدم ، ص : ٧٤ .
- ٦٠- سنن الدارقطني ص ٢/٣٥٠ ، والمغني لابن قدامة ١٠/٦٢٣ .
- ٦١- كتاب الأموال لأبي عبيد ، ص ٥٤ .
- ٦٢- الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٤٧ .
- ٦٣- كتاب الخراج لأبي يوسف ص ١٢٤ - ١٢٥ .
- ٦٤- المغني ص ٨/٥٣٥ .
- ٦٥- الأحكام السلطانية : ١٤٣ .
- ٦٦- الفروق ٣/١٤ .
- ٦٧- الأموال لأبي عبيد ص ١٧٠ - ١٧١ ، وتاريخ البلاذري ص ٢٢٢ .
- ٦٨- الأموال لأبي عبيد ص ١٢٧ ، ومجموعة بحوث فقهية لعبدالكريم زيدان ص : ٧١ .
- ٦٩- المصدر السابق ، ص : ٧٠ .
- ٧٠- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٢٨/٦١٩ .
- ٧١- شرح السير ٥/١٨٥٨/١٨٥٧ .
- ٧٢- المصدر السابق ١٦١٢ - ١٦١٧ .
- ٧٣- سورة التوبة ، الآية : ٦ .
- ٧٤- أحكام القرآن للجصاص ، ص ٤/٢٧٣ .

- ٧٥- انظر : الجامع للقرطبي ٨/١٠٤ ، والمغني لابن قدامة ٨/٥٢٩ ،
ومراتب الإجماع لابن حزم ، ص : ١٢٢ .
- ٧٦- سورة النور ، الآية : ٢٧ - ٢٨ .
- ٧٧- أخرجه مسلم في كتاب الآداب ، باب تحريم النظر في بيت غيره .
- ٧٨- سورة البقرة ، الآية : ١٩٠ .
- ٧٩- سنن أبي داود ج٢ ، ص ٢٥٥ ، والبيهقي في السنن ٩/٢٠٥ .
- ٨٠- الجامع الصغير ، ج٢ ، ص : ٥٤٧ ، وقال إسناده حسن .
- ٨١- الأموال لأبي عبيد ص ١٧٠ .
- ٨٢- انظر أهل الذمة في الإسلام تأليف أ.س ترتون ، ترجمة حسن حبش ،
ط١٩٤٩م ، ص : ١٦٩ .
- ٨٣- أخرجه البخاري في كتاب الأحكام حديث رقم (٧١٤٩) ، ومسلم
في الإمارة واللفظ له حديث رقم : ١٤ .
- ٨٤- انظر : تخريج الحديث السابق .
- ٨٥- انظر : أحكام الذميين والمستأمنين ، ص : ٧٨ .
- ٨٦- انظر : أحكام الذميين والمستأمنين ، ص : ٨١ .
- ٨٧- كتاب الخراج ، ص : ١٤٤ .
- ٨٨- الخراج لأبي يوسف ، ص : ١٤٤ .
- ٨٩- تاريخ البلاذري ، ص : ١٧٧ .
- ٩٠- الأموال لأبي عبيد ، ص : ٥٧ .

- ٩١- أخرجه البخاري في كتاب المسافات (باب : ٩) ، وأخرجه مسلم في كتاب السلام (باب : ١٥٣) ، وأبو داود في كتاب الجهاد (باب : ٤٤) .
- ٩٢- الأموال لأبي عبيد ، ص : ٢١٣ .
- ٩٣- كتاب الخراج ، ص : ٧٢ .
- ٩٤- أحكام أهل الذمة لابن القيم ، ص ١١٦ / ٢ ومابعدا .
- ٩٥- انظر : معاملة غير المسلمين في الإسلام ، ص ٢١٧ / ١ .
- ٩٦- البدائع للكاساني ، ص ٣٣٦ / ٩ .
- ٩٧- أحكام أهل الذمة ، ١٣٢ / ٢ .
- ٩٨- أخرجه مسلم (١ / ٥٢) ، أبو داود رقم (٤٩٤٤) ، والنسائي (٢ / ١٨٦) .
- ٩٩- سورة الأحزاب ، الآية : ٣٦ .
- ١٠٠- سورة النساء ، الآية : ١٣٥ .
- ١٠١- البداية والنهاية لابن كثير ، ص ٥٠٤ / ٨ .
- ١٠٢- أحكام الذميين والمستأمنين ، ص : ١٣٠ .
- ١٠٣- أحكام أهل الذمة ، ص : ٤٤٢ - ٤٤٤ / ٢ .
- ١٠٤- الحكومة الإسلامية، ص : ١٠٠ ، والمجتمع الإنساني، ص : ١٩٧ .
- ١٠٥ - أحكام أهل الذمة ، ص : ١٥٧ .
- ١٠٦- المرجع السابق ، ص : ٧٥ ، والأموال ، ص : ٣٩ .
- ١٠٧- أحكام الذميين والمستأمنين ، ص : ١٥٧ ، والخراج ، ص : ١٣٩ .

- ١٠٨- أحكام الذميين والمستأمنين ، ص : ٢٠٩ .
- ١٠٩- انظر : بدائع الصنائع للكاساني ، ص : ٩/٤٣٢٩ .
- ١١٠- انظر : النظم الإسلامية ، ص: ٣٦٤ ، ومعاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، ص : ١٢٦ .
- ١١١- انظر : المغني ١/٦١٨ .
- ١١٢- أحكام أهل الذمة ، ص : ١٦٠ .
- ١١٣- أحكام الذميين والمستأمنين ، ص : ٢٠٩ .

• • • • •

المراجع

- القرآن الكريم .
- أبو العباس ، أحمد بن إدريس المشهور بالقرافي (د.ت) ، الفروق ، دار المعرفة ، بيروت .
- أبو بكر ، علي بن أحمد بن يحيى بن جابر (د.ت) ، تاريخ البلاذري ، المسمى فتوح البلدان ، مكتبة النهضة المصرية .
- أبو عبدالله ، محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ، (١٤١٠هـ) ، المغني ، دار هجر ، القاهرة .
- أبو عبدالله ، محمد بن أبو بكر ابن قيم الجوزية ، (١٤١٥هـ) ، أحكام أهل الذمة ، تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى .
- أبو عبيد ، القاسم بن سلام ، (١٩٧٢م) ، الأموال ، طبعة دار الفكر ، القاهرة ، الطبعة الثانية .
- أبو محمد ، علي بن أحمد ، (١٣٩٦هـ) ، مراتب الإجماع ، مكتبة القدس .
- أبو محمد ، علي بن حزم ، (د.ت) ، المحلى ، تحقيق : حسن طلبة ، مكتبة الجمهورية ، مصر .
- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم ، (١٣٨٢هـ) ، الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة .
- أحمد بن حنبل ، (١٤١٣هـ) ، المسند ، الناشر ، مؤسسة الرسالة .

- أحمد عبدالحليم بن تيمية ، (١٣٩٨هـ) ، الفتاوي ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى .
- أحمد بن علي الرازي ، (د.ت) ، المشهور بالخصاص - أحكام القرآن ، الناشر دار المصحف ، القاهرة .
- أحمد بن فارس ، (د.ت) ، معجم مقاييس اللغة ، دار الكتب العلمية .
- أحمد بن الحسين البيهقي ، (١٣٥٥هـ) ، السنن الكبرى ، الطبعة الأولى .
- أحمد بن شعيب النسائي ، (د.ت) ، سنن النسائي ، طبعة دار الدعوة .
- أحمد بن محمد الحوفي ، (د.ت) ، سماحة الإسلام ، مكتبة نهضة مصر .
- إسماعيل بن عمر بن كثير :
 - (د.ت) تفسير القرآن العظيم ، طبعة دار الفكر ، بيروت .
 - البداية والنهاية ، الطبعة الثانية .
- بحوث ، المجمع الملكي ، (١٩٨٩م) ، عمان ، معاملة غير المسلمين في الإسلام .
- ترتون ، أ.س ، (د.ت) ، أهل الذمة في الإسلام ، ترجمة حسن حبش ، بيروت .
- جلال الدين السيوطي ، (١٤٠١هـ) ، الجامع الصغير ، الناشر دار الفكر ، بيروت .

- الحسين بن محمد ، المعروف بالراغب الأصفهاني ، (د.ت) ،
المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة ، بيروت .
- سليمان بن أحمد الطبراني ، (١٩٧٩ م) ، معجم الطبراني ، تحقيق :
حمدي السلفي ، الدار العربية ، بغداد ، الطبعة الأولى .
- سليمان بن الأشعث السجستاني ، (د.ت) ، سنن أبي داود ، طبعة
دار الدعوة .
- سليمان الحقييل ، (١٤١٤ هـ) ، حقوق الإنسان في الإسلام ، الطبعة
الأولى .
- صبحي الصالح ، (١٣٨٥ هـ) ، النظم الإسلامية ، دار العلم
للملايين ، بيروت: الطبعة الأولى .
- الطاهر أحمد الرازي ، (١٩٨٠ م) ، ترتيب القاموس ، الدار العربية
للكتاب، الطبعة الثالثة .
- عبدالله بن إبراهيم الطريقي ، (١٤١٦ هـ) ، فقه الاحتساب على غير
المسلمين ، طبعة دار المسلم .
- عبدالكريم زيدان :
- (١٣٩٦ هـ) أحكام الذميين والمستأمنين ، الطبعة الثانية ، طبع دار الرسالة .
- (١٣٩٦ هـ) مجموع بحوث فقهية ، الناشر ، مكتبة القدس .
- عبدالوهاب أحمد عبدالواسع ، (١٤١٤ هـ) ، الأمة الإسلامية
وقضاياها المعاصرة ، الطبعة الأولى ، طبع دار الطائر ، الرياض .
- عبدالكريم النملة ، (١٤١٤ هـ) ، الإمام في مسألة تكليف الكفار
بفروع الإسلام ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى .

- علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، (د.ت) ، الأحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية .
- علي بن محمد أبو الحسن الجرجاني (١٣٥٧هـ) ، التعريفات ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .
- علاء الدين ، أبو بكر بن مسعود الكاساني ، (د.ت) ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، مطبعة الإمام بالقاهرة ، الناشر زكريا علي يوسف .
- مجد الدين بن المبارك بن محمد الجزري ، (د.ت) ، النهاية في غريب الحديث ، المكتبة الإسلامية .
- مجد الدين الفيروز أبادي ، (١٣٥٧هـ) ، القاموس المحيط ، مطبعة دار المأمون ، الطبعة الرابعة .
- محمد بن أحمد القرطبي ، (د.ت) ، الجامع لأحكام القرآن ، الناشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- محمد بن إسماعيل البخاري ، (١٩٧٩م) ، الجامع الصحيح ، المكتبة الإسلامية ، اسطنبول .
- محمد بن الحسن الشيباني ، (١٩٧١م) ، كتاب السير الكبير ، وشرحه لمحمد بن أحمد بن سهل ، تحقيق : صلاح الدين المنجد .
- محمد أبو زهرة ، (د.ت) ، المجتمع الإنساني ، دار الفكر ، بيروت .
- محمد بن علي ضناوي ، (١٤١٣هـ) ، الأقليات الإسلامية في العالم ، الطبعة الأولى ، طبع دار الريان ، بيروت .

- محمد بن عيسى الترمذي ، (د.ت) ، سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، تحقيق أحمد محمد شاكر .
- محمد فؤاد عبد الباقي ، (١٣٧٨هـ) ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مطابع الشعب .
- محمد السماك ، (١٩٩٠م) ، الأقليات بين العروبة والإسلام ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى .
- محمد بن يزيد القزويني ، (د.ت) ، سنن ابن ماجه ، طبع دار الدعوة .
- مسلم بن الحجاج القشيري ، (د.ت) ، الجامع الصحيح ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- منصور بن إدريس ، (١٣١٩هـ) ، كشف القناع عن متن الإقناع ، المطبعة الشرقية ، مصر القديمة الأولى .
- المودودي ، أبو الأعلى ، (١٣٩٧هـ) ، الحكومة الإسلامية ، الناشر المختار الإسلامي ، الطبعة الأولى .
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، (١٤٠٦هـ) ، الأقليات المسلمة في العالم الإسلامي .
- يوسف القرضاوي ، (١٣٩٧هـ) ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

• • • • •

الأقليات المسلمة في قارة آسيا

الأستاذ / سيد عبد المجيد بكر

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٧٥	فهرس الموضوعات
٧٧	مدخل إلى جغرافية القارة
٨٦	محاوور انتشار الإسلام في القارة
٩١	الأقلية المسلمة في الهند :
٩٣	- مدخل إلى جغرافية الهند
١٠٣	- انتشار الإسلام
١٠٨	- الفتوحات والدول الإسلامية
١٢٣	- توزيع المسلمين
١٣٣	- التعليم الإسلامي
١٤١	- المؤسسات والهيئات الإسلامية :
١٤٥	- المساجد والآثار الإسلامية
١٥١	- التحديات والمطالب
١٥٩	- الأقلية المسلمة في الصين الشعبية :
١٦١	- مدخل إلى جغرافية الصين
١٦٩	- النشاط الاقتصادي والموارد الطبيعية
١٧١	- انتشار الإسلام
١٧٨	- أصول المسلمين
٢٠١	- أعداد المسلمين
٢٠٨	- توزيع المسلمين
٢١٢	- النشاط الاقتصادي والعادات
٢١٩	- التعليم الإسلامي

الصفحة	الموضوع
٢٢٤	- الجمعيات الإسلامية والمساجد
٢٢٨	- التحديات والمطالب
٢٣٣	الأقلية المسلمة في الفيليبين
٢٣٥	مدخل إلى جغرافية الفيليبين
٢٤٢	انتشار الإسلام
٢٥٤	الخصائص الديموجرافية للمسلمين
٢٦٢	التعليم الإسلامي
٢٦٩	الجمعيات الإسلامية والمساجد
٢٧٣	الأقلية المسلمة في روسيا الاتحادية
٢٧٥	مدخل إلى جغرافية روسيا الاتحادية
٢٨٥	انتشار الإسلام
٣٠٥	التركيب العرقي للمسلمين
٣٠٨	توزيع المسلمين حسب الأقاليم الجغرافية
٣٣٨	الإدارات الدينية
٣٣٩	التعليم الإسلامي
٣٤١	المساجد
٣٤٢	خاتمة
٣٤٥	المراجع
٣٥٢	فهرس الأشكال
٣٥٣	فهرس الجداول

مدخل إلى جغرافية القارة

الملامح العامة :

آسيا اسم قديم أطلقه الإغريق على الأراضي التي تقع إلى الشرق من موطنهم في البلقان (Philip, 1991, vol. 14, 158) . فلقد أطلق الإغريق كلمة (ASU) على الأراضي الواقعة شرق بحر إيجه ، وتعني عندهم أرض الشرق أو مشرق الشمس ، (الزوكة ، ١٩٨٦ م ، ١٧) ، وقارة آسيا تمثل حوالي ٣٠٪ من مساحة اليابس ، حيث تبلغ مساحتها (٤٤٠٠٠.٠٠٠ كيلو متر مربع) ، لذا تعتبر أكبر القارات مساحة واتساعاً . ويشغل المحيط الهادي حدها الشرقي بما في ذلك مجموعات الجزر المتناثرة في شقيها ، وجنوبيها الشرقي . أما حدها الغربي ، فيساير السفوح الشرقية لجمال أورال ويستجه نحو الجنوب الغربي حتى شمال بحر فزونين ، ويصل إلى نهر "كاما" أحد روافد نهر الفولجا ، ثم يسير الحد الغربي إلى بحر أزوف ، شمال شرق البحر الأسود . بعد ذلك يتجه إلى سواحل آسيا الصغرى ، ثم الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، ويتجه جنوباً ليضم برزخ السويس ، ثم سواحل شبه الجزيرة العربية . أما حدها الشمالي ، فيطل على المحيط المتجمد ، قرب دائرة العرض ٨٥ شمالاً . وأما حدها الجنوبي ، فيشرف على لقاء المحيطين الهادي والهندي ، قرب دائرة عرض ١٠ جنوباً (Philip, 1991, vol. 14, 151) .

تصدر آسيا قارات العالم من حيث ارتفاع السطح باستثناء قارة أنتاركتيكا ، وكذلك من حيث تعدد القمم الجبلية . وتشغل آسيا فلكياً حوالي ٩٢ دائرة عرضية بين الشمال والجنوب ، كما تضم حوالي ١٤٥ خط طول . وبذلك تكون أوسع القارات امتداداً واتساعاً . وبآسيا أعمق أجزاء اليابس بالنسبة لمستوى سطح البحر ، فعمق البحر الميت حوالي ٤٠٠ متر ، تحت مستوى سطح البحر ، كما بها أعلى قمة جبلية على سطح اليابس (إفرست ٨٨٤٨ متر) . وقرب ساحل آسيا الشرقي ، يوجد أعمق خندق محيطي (ماريانا ١١٢٢٢ كيلو متر) تحت مستوى سطح البحر . وفي آسيا أكثر بقاع اليابس المعمور برودة ، ففي منطقة فرخويانسك أقصى شمال

شرقي روسيا، سجلت أدنى درجة حرارة تحت الصفر . (الزوكة ، ١٩٨٦م ، ٢٦ - ٢٧) .

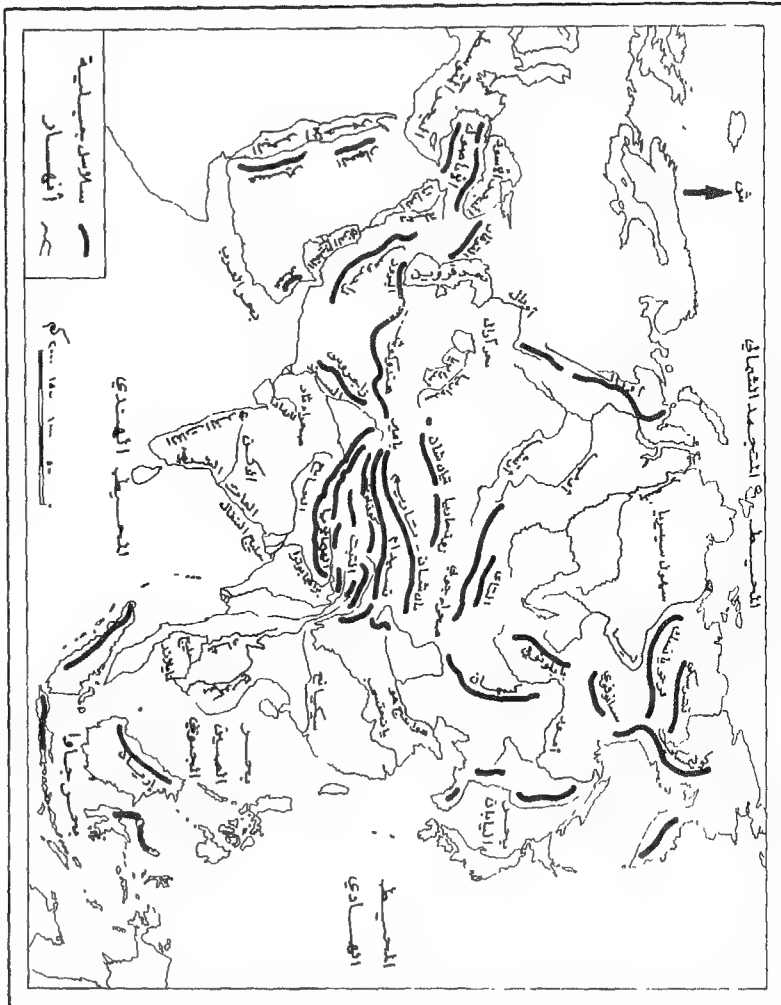
وتتضمن آسيا في هيكلها مجموعات كبيرة من الجزر في المحيطين الهادي في الشرق والمحيط الهندي في الجنوب ، كما تجمع العديد من أشباه الجزر شمالا وشرقا وجنوبا . ولقد وفر امتداد آسيا وعظم اتساعها كل أنواع الأقاليم المناخية ، وما يتبعها من الأقاليم الحيوية النباتية والحيوانية . وتشمل القارة إقليم المناخ القطبي في أقصى الشمال ، ثم تندرج الأقاليم المناخية حتى تصل إلى الإقليم الاستوائي في أقصى الجنوب (Philip, 1991, vol. 14, 157) .

مظاهر السطح:

تنقسم أراضي القارة حسب تنوع مظاهر سطحها إلى ما يلي (شكل رقم ١) :

أولاً: الأراضي المنخفضة الشمالية ، وتشكل مثلثاً ضخماً يتسع في الشمال على شاطئ المحيط المتجمد الشمالي . وهذه ليست سهلاً مستوياً تمام الاستواء . ففي الشمال الشرقي ، تتقطع بسلاسل من الجبال بينما تأخذ في الوسط شكل هضبة . وفي الغرب ، تظهر الأراضي على شكل سهل فسيح ، تفصله عن السهل الأوروبي جبال أورال . والجزء الأكبر من هذه السهول ينصرف نحو المحيط المتجمد الشمالي ، حيث أنهار أوب وينسي ولينا (موسى والحمادي ، د.ت ، ١٩١ - ١٩٢) .

ثانياً: مرتفعات وهضاب وسط آسيا: تشغل هذه المنطقة أكثر من خمس القارة، وهي متنوعة السطح ، تعرضت لعوامل تكسونية وتحتانية في فترات مختلفة، وتتكون من الهضاب والأحواض التي تحفها الجبال . ومعظم مرتفعات هذا القسم التوائية حديثة . وإذا أخذنا عقدة بامير كمركز، نجد أنها تتشعب إلى جبال الهيمالايا الشاهقة الارتفاع نحو الجنوب الشرقي، وجبال كن لن نحو الشرق ، وجبال تيان شان نحو الشمال الشرقي، وإلى الشمال الغربي جبال آلاي وهيسار ،



المسارسل الجبالية والأفهار الرئيسية في وقارة آسيا
شكل (١)

والى الجنوب الغربي هندكوش، وتمتد غربا إلى جبال البرز ، وتستمر إلى عقدة أرمينيا ثم جبال بنطس . كمات تمتد جبال كلجيت وسليمان أيضا نحو الجنوب الغربي، ثم جبال زاجروس حتى عقدة أرمينيا ثم جبال طروس جنوبي هضبة الأناضول . أما الهضاب والأحواض المحصورة بين هذه السلاسل الجبلية الوسطى، فهي هضبة التبت وحوض تسيدام وحوض تاريم وحوض زونجاريا، ثم جوبي شمال التاي . أما هضاب غربي آسيا ، فأبرزها هضبة إيران وهضبة آسيا الصغرى وهضبة شبه الجزيرة العربية (صادق، ١٩٧٠م ، ٥ - ٧) .

ثالثا : الهضاب القديمة تتمثل في هضبة شبه الجزيرة العربية بحافتها الغربية المرتفعة حيث جبال البحر الأحمر ، وهضبة الدكن بحافتها المتمثلة في جبال غات الشرقية وغات الغربية وهضبة يوننان وهضبة الهند الصينية في الجنوب الشرقي (موسى والحمادي ، د.ت ، ١٩٨) .

رابعا: أودية الأنهار الكبرى: مجموعة من الأنهار تندرج ضمن أهم الأنهار في العالم ، وتنقسم إلى أربع مجموعات رئيسة:

١ - مجموعة الأنهار الشمالية وتشمل أنهار سيبيريا في شمالي القارة وتنصرف إلى المحيط المتجمد الشمالي ، وفي الشمال الشرقي نهر أمور (عامور) وينصرف إلى المحيط الهادي .

٢ - مجموعة الأنهار الشرقية وتضم أنهار الصين ، ومنها هوانج هو (النهر الأصفر) ، ويانجتسي كيانج ، وتنصرف إلى المحيط الهادي .

٣ - مجموعة الأنهار الجنوبية ، وتضم أنهار شبه جزيرة الهند الصينية وشبه جزيرة الهند - الباكستانية ، وتشمل أنهار ميكونج إيراوادي وسلوين وبراهمايترا والجانج والسند، وتنصرف إلى المحيط الهندي .

٤ - مجموعة الأنهار الجنوبية الغربية ، أبرزها دجلة والفرات وروافدهما ، ويتجهان إلى الخليج العربي (الزوكة ، ١٩٨٦م ، ١١٩ - ١٢١) .

المناخ:

يتأثر مناخ آسيا بالعديد من العوامل ، منها موقعها الفلكي والمساحة الشاسعة للقارة وأشكال السطح ، لاسيما المرتفعات الوسطى التي تفصل بين شمالي القارة وجنوبيها . وكذلك يتأثر المناخ بنطاقات الضغط المختلفة الداخلية والخارجية ، ونتيجة لمساحة آسيا الشاسعة ، تختلف درجات الحرارة ، وتظهر المتناقضات في الأحوال الحرارية في فصل الشتاء . ففي فرخويانسك شمال شرقي سيبيريا ، سجلت معدلات حرارة أقل من درجة الصفر المئوي ، بينما في المناطق المدارية سُجلت درجات حرارة (٢٠ درجة مئوية) في بعض المناطق ، و (٢٥ درجة مئوية) في المناطق الاستوائية ، وفي فصل الصيف ، توجد أعلى متوسطات درجات حرارة (٣٠ درجة مئوية) في غربي آسيا وفي صحراء ثار وصحراء تكلا ماكان ، ويرتفع خط درجة الحرارة المتساوي (٢٠ درجة مئوية) إلى دائرة العرض (٥٠ شمالاً) ، وينخفض خط الحرارة المتساوي (٢٠ درجة مئوية) نحو الجنوب قرب شواطئ المحيط الهادي . وعلى السواحل الشمالية لآسيا فتنخفض الحرارة إلى دون (١٠ درجات مئوية) (Philip, 1991, vol. 14, 173) .

ويختلف موسم المطر من جهة إلى أخرى ، كذلك تختلف كميات المطر السنوية، فتتلقى مناطق جنوبي ، وجنوب شرقي آسيا معظم أمطارها في فصل الصيف ، بينما تتلقى مناطق غربي وجنوب غربي آسيا أمطارها في فصل الشتاء . وتسبب الرياح الموسمية الصيفية هطول أمطار على جنوبي وجنوب شرقي آسيا . ويبلغ أقصى معدل سنوي للأمطار في المناطق الاستوائية في جنوبي وشرقي آسيا ، التي تتلقى أمطاراً في معظم الفصول . ومن المناطق التي تتلقى أمطاراً غزيرة مرتفعات غات الغربية ودلتا نهر الجانج ، وجبال أسام وشبه جزيرة الملايو وجنوب شرقي الصين وجزر أندونيسيا وجزر اليابان . وتقل الأمطار في الصحراء العربية وصحراء إيران وراجبوتانا (ثار) وصحاري وسط آسيا (موسى والحمادي ، د.ت ، ٢٠٦) .

- وتتضمن القارة معظم أنماط الأقاليم المناخية ، حيث يوجد .
- ١ - النمط الاستوائي : يسود أقصى جنوب القارة ، ويضم النمط الاستوائي الجزري . وهو يتسم بارتفاع الحرارة ، وغزارة الأمطار . ويتمثل الغطاء النباتي السائد في الغابات الاستوائية (صادق ، ١٩٧٠م ، ٢١) .
 - ٢ - النمط الموسمي : يتمثل في جنوبي وجنوب شرقي آسيا ، يتحول إلى النمط الموسمي المعتدل في جنوبي الصين ، وتسقط معظم أمطاره صيفاً . وتنقسم السنة إلى ٣ فصول ، أشدها حرارة الفصل الجاف الذي يسبق الفصل المطير ويتمثل الغطاء النباتي في النمط الموسمي (Philip, 1991, vol. 14, 175) .
 - ٣ - النمط الصحراوي : يشمل صحاري شبه الجزيرة العربية وراجبوتانا (ثأر) وأدنى حوض السند . ويعتبر الإقليم من أعلى مناطق العالم حرارة (في الصيف) ، وأمطاره شحيحة (صادق ، ١٩٧٠م ، ٢١) .
 - ٤ - نمط الصحاري المعتدلة : يندرج تحت هذا المسمى عدة أنواع ، منها نمط بارد في التبت ، كذلك صحراء جوبي وحوض التاريم ، كما يشمل صحاري إيران والتركستان ، وأمطاره قليلة ، ويميل إلى البرودة في الشتاء ، وينصف بالفروق الحرارية الكبيرة .
 - ٥ - النمط المعتدل الدفيء : يشمل النطاق الواقع بين دائرتي عرض ٣٠ و ٤٠ شمالاً ، وينقسم إلى نطاقين . نطاق غربي على سواحل البحر المتوسط وهو حار جاف في الصيف ، معتدل مطير في الشتاء ، ونطاق شرقي القارة في جنوب ووسط الصين ، أمطاره معظم شهور السنة (صادق ، ١٩٧٠م ، ١٣٨) .
 - ٦ - النمط المعتدل البارد : يسود شمالي الصين ، ووسط اليابان ، وجنوب

منشوريا ويتسم بالشتاء البارد ، والصيف الدفء تنشر فيه الغابات النفضية والصنوبرية .

٧ - النمط المعتدل القاري : يسود وسط آسيا ، ويوصف بارتفاع مدى التغير الفصلي .

٨ - النمط البارد : يوجد وسط وشمالى منشوريا ، وشمالى اليابان ، والمعدل الحرارى لا يزيد على ١٠ م ، وهو يتصف بالبرودة الشديدة فى الشتاء وتنتشر به الغابات الصنوبرية (الزوكة ، ١٩٨٦م ، ١٣٩) .

٩ - النمط القطبي : يتمثل في أقصى المناطق الشمالية من القارة ، ويتصف بالشتاء الطويل والبرودة القارصة والصيف القصير الذي ترتفع الحرارة فيه قليلاً ، ويتعرض لرياح شديدة البرودة ، والنبات السائد هو التندرا (الزوكة) ، (١٩٨٦م ، ١٤٠) .

السكان :

بلغ عدد سكان آسيا في سنة ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) حوالي (٣٤٠٣ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة) . وبلغت حصة المسلمين من سكان آسيا حوالي ٢٨٪ (٩٦٨ مليون نسمة) وحوالي ثلثي عدد المسلمين في العالم . ويمثل سكان القارة حوالي ٦٠ر٤٪ من جملة سكان العالم (1995, u.n.) . وأغلب السكان يتجمعون في آسيا الموسمية ، حيث يعتبر هذا الإقليم من أعظم أقاليم العالم اكتظاظا بالسكان ، وتعتبر آسيا موطن الأعراق البشرية الرئيسة ومهد الإسلام ، ومهبط الديانات السماوية ، غير أن الهجرة وسياسة التهجير الإجباري ، أدت إلى اختلال الأعراق ، وأثرت في البنية البشرية للقارة ، خصوصا في المناطق التي خضعت للاستعمار الروسي ، ويمكن أن نميز الأعراق الرئيسة التالية :

١ - العناصر المغولية : تنتشر في النطاقات الباردة وفي الأجزاء الوسطى والشمالية

من آسيا وبخاصة في منغوليا ، كما تظهر الصفات المغولية بين العديد من الشعوب ، كالصينيين الشماليين واليابانيين والكوريين ، كما تظهر في سيبيريا (موسى ، سابق ، ٢٢١) . ولقد انتشر الإسلام بين مغول وسط وشمال آسيا وغربي الصين ، وفي الهند حيث نشأت دولة المغول ، وحكمت معظم شبه القارة الهندية الباكستانية لأكثر من ثلاثة قرون .

٢ - العناصر الملايوية : توجد في القسم الجنوبي من الصين ، والهند الصينية ، والفلبين ، وأندونيسيا والملايو (الزوكة ، ١٩٨٦ م ، ١٦٩) ويتنشر الإسلام بين الشعوب الملايوية في ماليزيا وأندونيسيا وجزر المحيط الهادي .

٣ - العناصر التركية : تنتشر في غربي آسيا ووسطها ، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات فرعية ، وإلى العديد من المجموعات الثانوية ، ومن أبرزها المجموعة الغربية ، وتشمل التركمان والآثراك في إيران وتركيا ، وسكان التركستان . والمجموعة الثانية ، توجد في الوسط ، حيث المناطق الجبلية ، ومنهم القرغيز ، أما المجموعة الثالثة ، ففي الشرق (الزوكة ، ١٩٨٦ م ، ١٧١) والإسلام دين الغالبية العظمى من الشعوب التركية .

٤ - العناصر القوقازية : تنقسم إلى مجموعتين ، مجموعة جنوب غربي آسيا ، حيث سلالة البحر المتوسط ، السلالة الإيرانية ، والسلالة الأرمنية . وينتمي العرب إلى سلالة البحر المتوسط والإسلام دين الغالبية العظمى من هذه المجموعة . والمجموعة الثانية هي مجموعة شبه القارة الهندية الباكستانية ، ويشكل هؤلاء معظم سكان الهند والباكستان وبنجلاديش ويتحدثون اللغات (الهندو - أوروبية) وينتشر الإسلام بين هذه المجموعة في الباكستان وبنجلاديش ، وبين الأقليات المسلمة بالهند ، وفي شبه القارة مجموعة أخرى تختلف عن المجموعة السابقة وهي المعروفة بالسلالة الدرافيدية في جنوبي الهند (الزوكة ، د.ت ، ١٧١ ، ١٧٢) .

٥ - عناصر أخرى : بالإضافة إلى العناصر السابقة ، ثمة عناصر أخرى مثل :
نتسي "Nentsi" ونجاناساني "Nganasani" ، ويعيشون في الأجزاء القطبية
من القارة ، والإينو "Ainu" الذين يقطنون شمالي اليابان وجزيرة سخالين ،
وهم من العناصر القديمة بالإضافة إلى الميلانيزيون والبولينيزيون
والأفزام والميكرونيزيون ، وهذه الجماعات تعيش في جزر المحيط الهادي
(الزوكة ، د.ت ، ٧٣) (أبو العينين ، ١٩٧٩ م ، ٥٥٠ - ٥٥٢) .
والإسلام ينتشر بين جميع الأعراق في آسيا ، ولا يميز بين عرق وآخر .

التوزيع الجغرافي للكثافة البشرية :

في آسيا أقاليم مرتفعة الكثافة السكانية تتركز في جنوبي وشرقي آسيا ، حيث
أكثف مناطق العالم سكاناً . وهناك مناطق متوسطة الكثافة ، مثل هضبة الدكن
شمال غربي الهند ، وجهات متفرقة في الهند الصينية وشمالي وجنوبي الصين ،
وتوجد مناطق منخفضة الكثافة ، مثل بعض المناطق المدارية في جنوب شرقي
آسيا ومناطق الاستبس وبعض الأقاليم الباردة في شمالي القارة والأقاليم الحدية
والمناطق المعقدة التضاريس . كما توجد مناطق نادرة السكان ، مثل صحاري
المناطق الحارة والصحاري الجليدية والأقاليم الجبلية (الزوكة ، د.ت ، ١٨٣ -
١٨٥) .

• • • • •

محاوّر انتشار الإسلام في القارة

المحاوّر البحرية :

لقد سلك الإسلام في وصوله إلى جنوبي آسيا وجنوبها الشرقي محاوّر بحرية (شكل رقم ٢) إذ عبر من الجنوب الغربي للقارة "كمركز إرسال" إلى الهند والملايو "كمراكز استقبال". وتركّز في بؤر مشعة لاسيما في "الملايو". فإذا كان المسلمون قد أوصلوا الإسلام إلى الملايو التي أصبحت مركزاً للإشعاع، فإن الملاويين والإندونيسيين حملوا مشعل الدعوة إلى باقي جزر شرقي آسيا، ثم إلى الصين والفيليين، وأدى التجار المسلمون دوراً مهماً في انتشار الدعوة.

المحاوّر البرية :

لقد سلك الإسلام محاوّر برية أساسية، تفرعت عنها أخرى فرعية؛ فلقد نشر العرب الإسلام فيما يعرف الآن بالعالم العربي، وبنوا دعوة الحق إلى آفاق أبعد من ذلك، حيث أوصلوا مشعل الإسلام إلى فارس ووسط آسيا، وذلك عبر محور شرقي رئيس، ووصلوا به إلى مراكز مشعة ثانوية، تولت دفع الإسلام إلى آفاق مكانية أبعد. ثم تحملت مسؤولية الدعوة شعوب مسلمة أخرى (حمدان، ١٩٧١م، ٥٢).

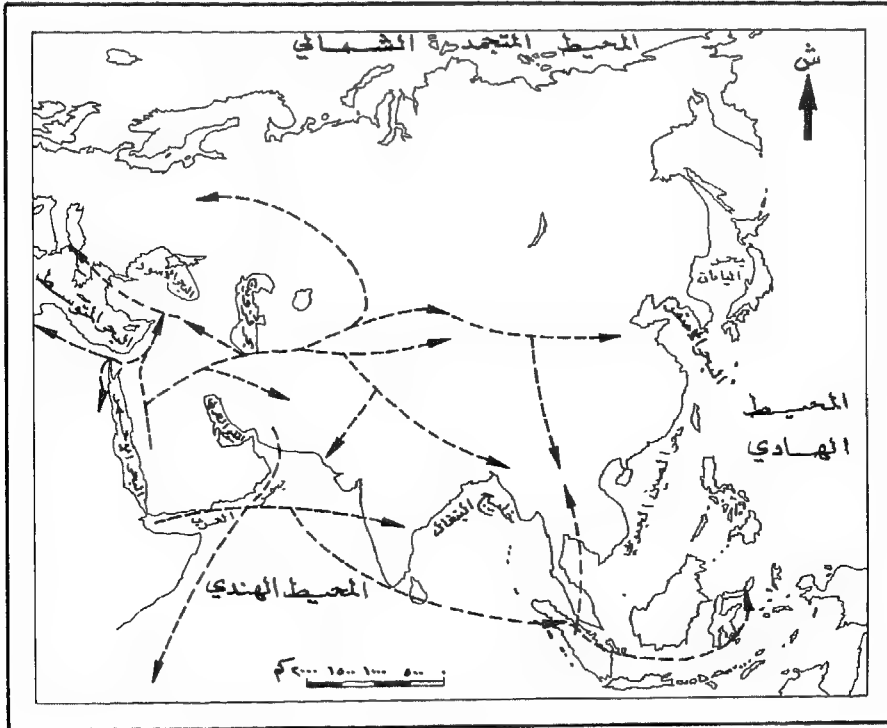
وحمل الإسلام عبر محور شرقي عبّر به أرض فارس حتى وصل إلى ممر خيبر وإلى شبه القارة الهندية الباكستانية، وكان العرب نواة البداية. ثم عبر الإسلام إليها من وسط آسيا في موجتين، الأولى تركية- أفغانية، استمرت من أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) في تتابع إلى منتصف القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي). ثم جاء دور الموجة الثانية، حيث مكّن المغول الإسلام من شبه القارة الهندية الباكستانية في الفترة من منتصف القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) إلى القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي). ولم يتوقف الانتشار إلا عندما جاء الاستعمار الأوروبي إلى المنطقة (Philip, 1991, vol. 14, 230) وعرقل حركة انتشار الإسلام، ولم يواصل

هذا المحور حركته إلى شبه جزيرة الهند الصينية لأسباب جغرافية طبيعية بحتة، حيث يتحول كوع جبال الهيمالايا في هذه المنطقة من محور عربي- تشرقي إلى محور جنوبي- شمالي، ويقوم كحائط شاهق شديد الوعورة، ويشارك في هذا الكثافة النباتية المتمثلة في الغابات، لهذا أوقفت هذه العوائق تقدم هذا المحور نحو الشرق، بحيث اعتمد وصول الإسلام إلى جنوب شرقي آسيا على المحور البحري (حمدان، ١٩٧١م، ٤٣)

لقد خرجت من المحور البري الرئيس السابق محاور فرعية انبثقت من بؤرة ثانوية تكونت في وسط آسيا، حيث خرج محور آخر إلى سهول التركستان شرق بحر الخزر - على شكل قوس عظيم، يطوي ما وراء النهرين (سيحون - وجيحون) متجها إلى حوض نهر الفولجا وتخوم البحر الأسود، وأصبح محورا من محاور انتشار الإسلام في شرقي أوروبا. ومن البؤرة السابقة التي خرج منها محور التركستان، خرج أيضا المحور الصيني وتفرغ إلى شعبتين، واحدة شمالية عبر ممر "زونجاريا" والآخرى إلى "طورفان" حيث سلك طريق الحرير التجاري إلى الصين، ثم تلتقي الشعبتان شمال غربي الصين. وظهر أخيراً محور غربي آخر عكس الاتجاه الشرقي، حيث نقل الأتراك العثمانيون الإسلام إلى آسيا الصغرى ثم أوروبا (حمدان، ١٩٧١م، ٥٥ - ٥٧) وهكذا حملت هذه المحاور مشعل الإسلام إلى أنحاء القارة الآسيوية.

إن محصلة ما سبق هي وجود هذا العدد الكبير من الدول الإسلامية في آسيا، والتي تضم أكثر من ٦٦٨ مليون مسلم (١٩٩٤م). وهي تتوزع على أقاليم غربي وجنوب غربي، وشرقي وجنوب شرقي آسيا، ثم وسطها هذه المنظومة من الدول الإسلامية بآسيا، نتجت كثمار لجهود عظيمة قام بها السلف الصالح من المسلمين، الذين حملوا مشعل الإسلام إلى جميع أنحاء آسيا، التي تعد من أكبر القارات مساحة وسكانا، حيث غطى الإسلام فيها مساحات شاسعة، ليس لأي دين سماوي آخر نظير لها.

وخارج حدود الدول الإسلامية، ينتشر المسلمون في بقية الدول الآسيوية ولكن بنسب قليلة من إجمالي عدد سكانها، وذلك كما توضع بيانات الجدول رقم (١).



شكل (٢) محاور إنتشار الاسلام في قارة آسيا

المصدر: صبرات، جمال، العالم الاسلامي المعاصر، ١٩٧١م

Templar Book, New World Atlas, Templer Company, London, 1992.

جدول رقم (١) الأقليات المسلمة في بعض الدول الآسيوية غير الإسلامية (١٩٩٤م)

الدولة	عدد السكان	نسبة المسلمين	عدد المسلمين
بورما "ميانمار"	٤٤ر٠٠٠ر٠٠٠	١٥٪	٦ر٦٠٠ر٠٠٠
تايلاند	٥٩ر٠٠٠ر٠٠٠	١٤ر٨٪	٨ر٧٣٢ر٠٠٠
سريلانكا	١٧ر٨٠٠ر٠٠٠	٩ر٥٪	١ر٦٩١ر٠٠٠
سنغافورة	٢ر٩٠٠ر٠٠٠	١٥٪	٤٣٥ر٠٠٠
كوريا الجنوبية	٤٤ر٦٠٠ر٠٠٠	١٢ر٠٪	٥ر٣٥٢
كمبوديا	٩ر٥٠٠ر٠٠٠	٢٪	١٩٠ر٠٠٠
اليابان	١٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠	٠ر٦٪	٧٥ر٠٠٠
نيبال	١٩ر٦٠٠ر٠٠٠	٤ر٣٪	٨٤٢ر٨٠٠
الهند	٩٢ر٨٠٠٠ر٠٠٠	١٤٪	١٢٩ر٩٢ر٠٠٠
الصين	١ر٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠	١٠٪	١٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠
الفيلين	٦٧ر٠٠٠ر٠٠٠	١٩ر٤٪	١٢ر٩٩٨ر٠٠٠
روسيا الاتحادية	١٤٧ر٠٠٠ر٠٠٠	١١٪	١٦ر١٧٠ر٠٠٠
المجموع	٢ر٦٦٤ر٤٠٠ر٠٠٠		٢٩٧ر٦٥٩ر١٥٢

المصدر .

- اعتمد الباحث في حساب عدد المسلمين على النسب المثوية الواردة في المصادر التالية:
- الحداد ، السيد (١٩٨٥م) : المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى ، عالم المعرفة ، القاهرة.
- السمرائي ، صالح (١٩٩٠م) . عن المسلمين في اليابان ، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالملكة العربية السعودية ، جدة .
- بكر ، سيد عبد المجيد : الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالملكة العربية السعودية ، جدة .
- غلاب ، محمد السيد وآخرون (١٩٧٩م) . البلدان والأقليات المسلمة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .
- Europa Publication Limited (1996), The Europa World Year-Book, Vol. 1 & Vol. II
- The Korean Muslim Federation (1977), Facts About Islam in Korean, Seoul

ورغم أنه لا توجد دولة آسيوية تخلو من المسلمين ، إلا أن الدول التي وردت في الجدول رقم (١) هي التي يتمثل فيها المسلمون بنسب تذكر .

ويستفاد من بيانات هذا الجدول ، أن كلاً من الهند والصين وروسيا والفيلبين على التوالي ، تعد من أكبر الدول الآسيوية غير الإسلامية من حيث عدد المسلمين ، أما عن نسبة المسلمين إلى إجمالي عدد سكان هذه الدول ، فتأتي الفيلبين على رأسها جميعاً ، حيث يمثل المسلمون فيها أكثر من ١٩٪ من إجمالي عدد سكانها ، ويللي الفيلبين كل من تايلاند والهند وروسيا والصين على التوالي .

ولأن مجال البحث لا يتسع لبحث حالة الأقليات المسلمة في كل الدول المشار إليها ، فستقتصر الدراسة على الدول التي تضم أكثر الأقليات المسلمة عدداً ، وهي : الهند والصين وروسيا والفيلبين .

• • • • •

الأقلية المسلمة في الهند

مدخل إلى جغرافية الهند

الملامح العامة :

سابعة دول العالم مساحة والثانية سكانا ، وتعرف في اللغة الهندية باسم "بهارات فارشا" ، وهي تتكون من اتحاد مجموعة من الولايات والأراضي التابعة لها، تبلغ مساحتها حوالي (٣٢٨٧٧٨٢ كيلو متر مربع) . وتمتد أرضها بين دائرتي عرض ٨° ، ١٥° - ٣٣° شمالا وخطي طول ٥° - ٦٨° ، ٢٥° - ٩٧° شرقا ويحدها من الشمال الصين ومملكة نيبال وبوتان . ومن الشمال الغربي الباكستان . ومن الشرق ميانمار (بورما سابقا) وبنجلاديش . ويقع خليج البنغال في شرقها ، وبحر العرب في غربها، وتشرف برأس كومورين "Comorin" وخليج منار على المحيط الهندي . وتتبعها جزر أندمان ونكوبار في خليج البنغال ، وجزر لاكشاد ويب (Lakshad weep) في بحر العرب .

وبلغ عدد سكان الهند في تعداد عام ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٢٢٢ر٣٢٤ر٨٤٤ نسمة (Europa(A), 1993, 293) ، وفي تقدير سنة ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) حوالي ٩٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة (Europa(B), 1996, 1540) .

وعاصمة الاتحاد الهندي هي نيودلهي، ويبلغ عدد سكانها سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٧ر٢ ملايين نسمة . وأما أكبر مدن الهند، فهي بومبي (٩ر٩ ملايين نسمة)، بومبي الكبرى (١٢ر٥ مليون نسمة) وكلكتا (٤ر٤ ملايين نسمة)، وكلكتا الكبرى (٩ر١٠ ملايين نسمة)، يضاف إلى هذا العديد من المدن المليونية (Europa (A.), 1993, 293) .

التضاريس :

تعد الهند أكبر الوحدات السياسية في شبه القارة الهندية الباكستانية مساحة،

لذا تصور لنا تضاريسها أبرز معالم الجغرافيا الطبيعية لشبه القارة . وبصفة عامة تنقسم ملامحها التضاريسية إلى ثلاثة أقسام تضاريسية كبرى هي :

١ - المرتفعات الشمالية : تتكون من جبال الهيمالايا التي تمتد على شكل قوس ، ويقدر طولها بحوالي (٢٥٠٠ كم) ، وتضم أعلى قمم العالم الجبلية ، وهي قمة إفرست (٨٨٤٨ متر) في نيبال . والهيمالايا من الأقاليم الجبلية المعقدة التضاريس ، وتمتد من جامو وكشمير غربا عبر نيبال إلى أسام شرقا ، ومن شلالاتها المتدفقة ، تنبع معظم أنهار شبه القارة الهندية - الباكستانية . ويكاد يفصل هذا الحائط الجبلي العظيم الهند عن التبت وباقي آسيا (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٢١٨) . ولقد وصل الإسلام إلى هذه الجبال ، واستقر في جامو كشمير .

٢ - السهول الشمالية : تمتد من شمالي الهند وحتى قاعدة مثلث الدكن جنوبا ، وتتكون من سهل الجانح والخوض الأدنى من براهماپترا . وتشكل هذه السهول أخصب أراضي الهند الزراعية ، وتضم أكثر مناطق التجمع البشري بالهند ، ويجري عبر هذه السهول نهر الجانج وروافده العديدة ، ومن أهمها جومنا وجوجرا ، ونهر السند وروافده ، وأهمها جالوم وشيناب ورافي وبياس وسوتاج ، فضلا عن نهر برهماپترا ، الذي ينبع من هضبة التبت ويصب جنوبا في خليج البنغال (سكل رقم ٣) . وفي السهول الشمالية ، نشأت معظم الدول الإسلامي التي حكمت الهند .

٣ - هضبة الدكن : مثلثة الشكل تشغل الأراضي الواقعة جنوبي السهول الشمالية ، ويفصل بينهما العديد من الجبال . وتظهر على الحواف الشرقية للدكن مرتفعات الغات الشرقية ، وعلى الحواف الغربية مرتفعات الغات الغربية ، وتفصل جبال الغات الغربية عن بحر العرب سهول هضبة . كذلك

يفصل الغات الشرقية عن خليج البنغال سهل ساحلي . وتنصرف معظم مياه هضبة الدكن شرقا نحو خليج البنغال . بواسطة أنهار مهاندى وجودافرى وكرشينا وكوفرى ، بينما لا ينصرف غرباً سوى نهري نادابادا وباتى . ولقد استقر الرعيل الأول من الدعاة المسلمين بموانئ السهول الساحلية للدكن .

المناخ :

تقع شبه القارة الهندية - الباكستانية في نطاق المناخ الموسمي ، إلا أن درجة الحرارة ومواسم سقوط الأمطار تختلف من مكان إلى آخر ويحكم المناخ نظام الرياح الموسمية المظيرة . وتشير مصلحة الأرصاد الهندية إلى أربعة فصول هي : الفصل البارد نسبياً من ديسمبر إلى مارس ، الفصل الحار من إبريل إلى مايو ، الفصل المطير من يونيو إلى سبتمبر ، فصل عودة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية من أكتوبر إلى نوفمبر . وفي الفصل البارد ، تنخفض الحرارة في الشمال ، وترتفع كلما اتجهنا إلى الجنوب ، وتسجل أعلى درجات الحرارة في شهري إبريل ومايو . ويختلف طول الفصل المطير من مكان إلى آخر حسب الموقع الفلكي ، ونظام التضاريس (أبو العينين ، ١٩٧٩ م ، ٢٢٥) .

هذا وتختلف الحرارة باختلاف المناطق ، سمتهما في ذلك سمة الأمطار . فأعلى متوسط لدرجات الحرارة سُجل في منطقة تاميل نادو (٢٥ر٥ درجة مئوية) وفي نيودلهي (٢٦ درجة مئوية) وفي مدراس (٢٩ درجة مئوية) وفي بومبي (٢٨ درجة مئوية) . وأقل درجات حرارة سجلت فوق مرتفعات الهيمالايا (Philip, 1991, vol. 21, 3) .

الغطاء النباتي :

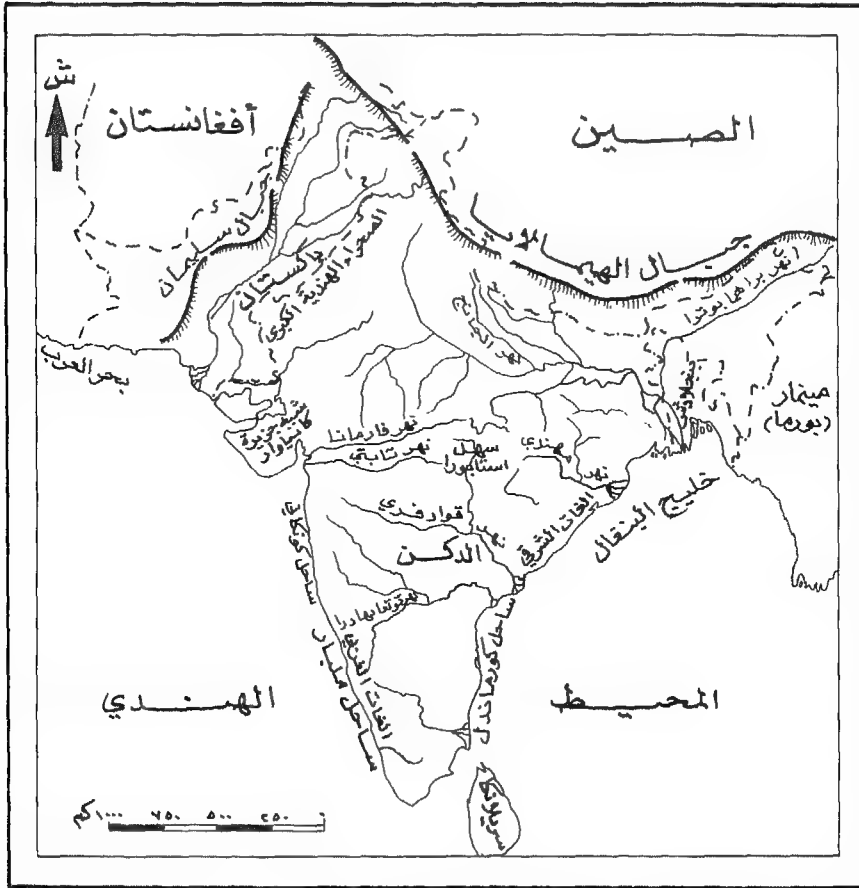
نستطيع أن نتبين عدة أقاليم نباتية ممثلة في : (١) المناطق غزيرة الأمطار حيث

توجد غابات دائمة الخضرة ، خصوصا في المناطق المرتفعة المواجهة لهبوب الرياح المطيرة على السواحل المواجهة لجبال الغات الغربية وعلى أراضي أسام وشرقي البنغال والسفوح الجنوبية للهملايا . هذه المناطق ، تنتج أنواعاً جيدة من الأخشاب الصلبة ، لاسيما في الجنوب وعلى سفوح الغات الغربية ، (٢) تنتشر الغابات الموسمية في المناطق التي تزيد أمطارها على (١٠٠٠ ملم) ، حيث أشجار الساج (التيك) خصوصا فوق هضبة الدكن ، يضاف إليها أشجار السال والصندل ، (٣) في المناطق الجافة وشبه الجافة، تنمو الشجيرات الشوكية والحشائش، (٤) ويختلف الغطاء النباتي فوق الجبال فوق الجبال تبعا للموقع الفلكي ، ووفقا للارتفاع (Philip, 1991, vol. 21, 4) .

السكان :

تشير تقديرات عام ١٩٩٥م إلى أن عدد سكان الهند يبلغ ٩٣٦ر٥٤٥ر٨١٤ نسمة ، وهذا العدد يمثل ٢٧ر٥٪ من إجمالي عدد سكان قارة آسيا ، الذي يقدر بنحو ٣٤٠٣ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة . ويمثل المسلمون ١٤٪ من إجمالي عدد سكان الهند ، وهم بذلك يأتون في المرتبة الثانية بعد الهندوس الذين يشكلون ٨٠٪ من إجمالي السكان (Famighett, 1996, 772) .

وتتألف الهند من مجموعات لغوية عديدة ، حيث تعرضت على مدى تاريخها الطويل إلى عدة غزوات أتت بالعديد من الهجرات . فقد وفدت إلى الهند خلال المراحل الأولى من تعميرها عناصر بشرية قديمة ، عرفت باسم (ما قبل الدرافيديين Pre Davidian) ، ومنها أيضا عناصر يطلق عليها ما قبل الأستراليين الأصليين ، استقرت في مناطق العزلة ، ثم وفدت إليها العناصر الدرافيدية ، التي تتميز بالبشرة السوداء ، واستقرت في جنوب الدكن . ثم وفدت العناصر الآرية من الشمال الغربي، وهذه تنتمي إلى العناصر "الهندو - أوروبية" ، وتتركز هذه العناصر في



شكل (٣) أنهار شبه القارة الهندية

المصدر:

An Historical Atlas of Islam, 1981

القطاع الشمالي الغربي . ووفدت العناصر المغولية عبر ممرات الهيمالايا ، وهي تنتشر في مناطق متفرقة في بوتان وأسام ، ثم وفدت عناصر مغولية أخرى أثناء حكم المغول الإسلامي للهند (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٢٠٨).

تعتبر الهند متحفا لغويا ، فأثناء الاحتلال البريطاني ، استطاع السير جورج جريرسون "George Grierson" إحصاء ٧٢٣ لغة ولهجة بالهند ، غير أن حكومة الهند تعترف بعدد (١٥) لغة إقليمية . ويمكن اختصار هذه اللغات إلى أربع عائلات لغوية رئيسة ، هي عائلة اللغات الدرافيدية ، وعائلة اللغات الهندو - آرية ، وعائلة اللغات الصينو - تبتية ، ثم عائلة اللغات الاسترو - آسيوية ، وأغلب السكان يتحدثون لغات العائلة الدرافيدية ، والعائلة الهندو - آرية (Philip, 1991, vol. 21, 10) ، (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٢١٠) .

وعندما اتسع نفوذ الإسلام بالهند ، استخدمت اللغة الفارسية خصوصا في شمال الهند ، وذلك من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وما بعده ، لاسيما أيام حكم أباطرة المغول ، وأصبحت اللغة الشعبية في شمالي الهند ، وتأثرت بها اللغات المحلية ، مثل الهندوستانية ، والتي تطورت إلى لغتين الهندية التي تأثرت بالسنسكريتية ، والأردية التي تأثرت بالفارسية والتركية وبعض الكلمات العربية ، ثم تأثرت هذه اللغات بالإنجليزية في عهد الاستعمار البريطاني . ولقد استخدمت الأردية الحروف العربية في كتابتها . أما الهندية ، فتستخدم حروف تعرف بالدفنجرارية Devanagari . وبعد الاستقلال تقرر أن تكون اللغة الهندية هي اللغة العامة في الهند ، كما أن الإنجليزية تعد أيضاً لغة رسمية (Philip, 1991, vol. 21, 10) (النمر ، ١٩٩١م ، ٢١ - ٢٢) .

الموارد :

تتميز الهند بتنوع مواردها الطبيعية من المعادن والخامات الحيوية من الموارد الغابية والزراعية والحيوانية ، وذلك على النحو التالي :

١ - الخامات المعدنية : تتنوع موارد الهند من الثروة المعدنية والطاقة ، وأبرزها الفحم ، الذي يعد المصدر الأول للطاقة بالهند ، ويكفي الاستهلاك المحلي لعدة سنوات مقبلة . حيث إن هناك احتياطياً كبيراً في مناطق مختلفة . وبلغ إنتاجها من الفحم سنة ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) حوالي ٢٥٤ر٥ مليون طن . وتشتهر الهند بوفرة خام الحديد ، ولهذا تعتبر من الدول المهمة في تصدير الفحم . وبلغ إنتاجها من الحديد سنة ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) حوالي ٦٠ر٧ مليون طن ، كذلك يتوافر خام المنجنيز . والهند فقيرة بصفة عامة في الموارد البترولية والغاز (Europa (Philip,1991,vol.21,13),1996,vol.11,1542 (B)

٢ - الموارد الحيوية : تشغل الزراعة حوالي نصف مساحة الهند ، وأهم المحاصيل (عام ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) الأرز ٨١ر٢ مليون طن والقمح ٦٥ر٢ مليون طن . وبلغت جملة الإنتاج من الحبوب الغذائية ١٧٧ر٤ مليون طن . كما بلغ الإنتاج من البذور الزيتية ٢٢ر٣ مليون طن ، ومن القطن ١١ر٧ مليون بالة ، ومن الجوت ٨ر٢ مليون بالة ، ومن الشاي ٧٣٧ ألف طن ، ومن قصب السكر الخام ٢٥٩ مليون طن ، وقد بلغت نسبة العاملين في الزراعة ٦٧٪ من إجمالي القوى العاملة عام ١٩٩٠ م .

وتشغل المراعي العشبية مساحة لا بأس بها من الهند . ورغم هذه الإمكانيات ، تعاني الثروة الحيوانية العديد من المشاكل التي تنعكس على الإنتاج ، أبرزها استخدام الأساليب التقليدية ، والتعاليم الدينية خصوصاً عند

الهندوس . وبلغت الثروة الحيوانية عام ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) حوالي ١٩٢ مليون رأس من الماشية ، ٤٤ مليون رأس من الأغنام ، ١١٨ مليون رأس من الماعز . وبلغت جملة الصيد البحري والنهري ٤١ مليون طن (Europa (B), 1996, vol. 11, 1541).

وتشغل الغابات حوالي ٢٠٪ من مساحة الهند ، وحوالي ٧٥٪ من هذه المساحة تمتلكها الدولة أو تدخل في نطاق المحميات . ومن أنواع الأشجار ذات القيمة الاقتصادية ، التيك أو "الساج" ، "البامبو" . وقدرت منظمة الفاو إنتاج الهند من كتل الخشب في سنة ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) بحوالي ٢٧٤ مليون متر مكعب (Philip, 1993, 1295) (Europa (A), 1991, vol. 21, 13).

الصناعة :

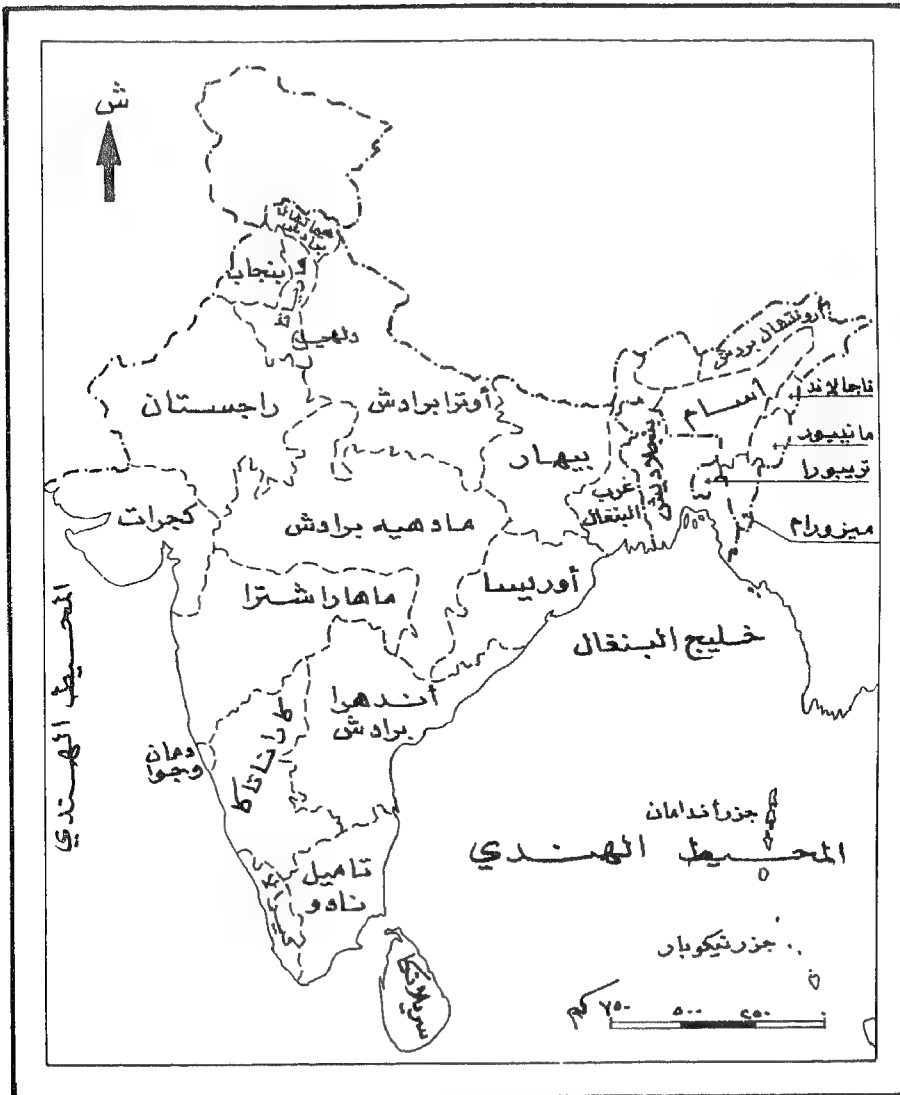
تقدمت الصناعة في الهند بعد الحرب العالمية الثانية ، وأهم الصناعات في سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) : المنسوجات القطنية ١٣ر٤ مليار متر ، الجوت ١ر٤ مليون طن ، السكر ١١ر٨ مليون طن ، المخصبات ٩ ملايين طن ، ومنتجات البترول ٤٨ر٨ مليون طن . وبلغت قيمة الصادرات في سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٣٢٥٥ تريليون روبية ، والواردات ٤٣١٩ تريليون روبية (Europa (A), 1993, 297).

نظام الحكم والأقسام الإدارية :

الهند جمهورية ديمقراطية ، تسمى جمهورية الهند ، أو اتحاد الهند ، أو الاتحاد الهندي . صدر دستورها بعد الاستقلال في عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) . وتعتبر أول جمهورية تنضم لعصبة الكومنولث . وتتولى حكومة الاتحاد الدفاع ، والشؤون

الخارجية ، والنقل والمواصلات ، وإصدار العملة ، والقضاء في الأمور العليا ،
بينما تتولى الولايات أمور الشرطة ، والشؤون الصحية ، والتعليم ، ومختلف
الشؤون المحلية . وتنقسم البلاد إلى ٢٥ ولاية (شكل رقم ٤) ، هذا خلاف
الممتلكات ، حيث توجد سبع مناطق من الممتلكات التابعة لها تتمثل في جزر
اندمان ونيكوبار ، شنديجارا ، ودادرا ، ونجارها فيل ، دمان وديو ، لاكاديف،
فضلا عن العاصمة نوبدهي (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٢١٢ ، Philip, 1991, vol. 21, 18) .

• • • • •



شكل (٤) الولايات الهندية

المصدر:

An Historical Atlas of South Asia, 1993.

انتشار الإسلام

كان العرب على صلات تجارية بالهند قبل الإسلام ، وذلك في رحلاتهم بين موانئ غربي الهند والخليج العربي وبين موانئ جنوبي شبه الجزيرة العربية ، خصوصا صلاتهم بساحلي مليبار وكيرالا . وقيل إنها كانت منذ عهد النبي سليمان عليه السلام . ولذلك حينما انتشر الإسلام في شبه جزيرة العرب ، حمل التجار العرب والمسلمون من الحضارة وغيرهم الإسلام إلى موانئ الهند منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، واستقروا على سواحلها الغربية بأعداد كبيرة ، وتزوجوا من هنديات ، واجتهدوا في نشر الإسلام بين الهنود في الموانئ المطلة على بحر العرب (ثقافة الهند ، ١٩٦٢م) . وكذلك اتجه الإسلام إلى الهند عبر محور بري ، تخللته فتوح المسلمين في شمالي الهند ، ولهذا أخذ الإسلام في الوصول إلى الهند عبر محورين بحري وبري . وذلك على النحو التالي (شكل رقم ٥) :

١ - المحور البحري :

كان العرب يقومون بالوساطة التجارية عن طريق نقل التجارة بين بلاد الشام في حوض البحر المتوسط وبين الإقليم الموسمي جنوبي آسيا ، لاسيما الهند ، فكانت سفنهم تحمل التجارة من الخليج العربي والبحر الأحمر إلى موانئ السند وساحلي مليبار وكيرالا . وقد عرف العرب كيرالا قبل الإسلام واستقرت جاليات عربية بموانئ هذا الساحل ، فكونوا فرسة بشرية ، ثم نقلوا الإسلام إلى هذه المناطق ، وبنوا المساجد والمدارس الإسلامية ، ونشطوا في بث الدعوة عبر موانئ غربي الهند . وفي بحث نشره د. تاراشند في مجلة (ثقافة الهند ، ١٩٥٠م ، مارس) ، ذكر الباحث العديد من الأمثلة على استقرار الجاليات العربية المسلمة بموانئ ساحل مليبار ، وأشار إلى أن هذا النشاط في بث دعوة الإسلام بدأ من القرن الثامن

الميلادي، وشهد بهذا الرحالة المسلمون الذين زاروا الهند فيما بعد ، أمثال
المسعودي الذي زار الهند في عام ٣٠٤هـ (٩١٦م) ، ووجد حوالي عشرة آلاف
مسلم في سي مور (شول)، وأشار إلى هذا أيضا أبو دلف المهلهل ، وابن سعيد
(النمر ، ١٩٩١م ، ٦٧ - ٦٨) ، وتدل هذه الروايات على وصول مبكر للدعوة
الإسلامية .

لقد كان هناك طريق بحري بين الهند والخليج العربي ، وآخر بينها وبين البحر
الأحمر ، ويتحد هذان الطريقان مع طريق الصين البحري عبر المحيط الهندي ،
وكانت أبرز موانئ الهند التي يصلها الطريقان ، والتي استقرت فيها أسر عربية
هي موانئ : كمباي في ولاية كوجرات ، وديو ، وسورات ، ودمان ، وشول ،
وكانور وقليقوط في ولاية كيرالا ، فضلا عن جوا وكانت هذه الموانئ تتعامل
تجاريا مع موانئ هرمز وسيراف وقيس والأبلة والبصرة على الخليج العربي ، هذا
فضلا عن مسقط وعدن. وقيل إن الجالية العربية كانت تشكل حوالي خمس سكان
هذه الموانئ. وقد ثبت المسلمون من العرب والفرس أقدامهم بهذه الموانئ منذ زمن
بعيد، ونشروا الإسلام بين الأهالي، وكذلك اللغة العربية، كما كان ميناء قاليقوط
أبرز هذه الموانئ، واشتهر بتجارة التوابل والأحجار الكريمة ، ومنها كان يذهب
المسلمون إلى موانئ الصين. وقد زار قاليقوط البحار الصيني المسلم (ماهون) في
القرن ١٥م ووصفها في رحلاته. وسكن العرب ميناء كمباي أعظم موانئ الهند
قديما في تجارة التوابل، وكانت السفن العربية تصلها محملة بالخيول ومنتجات
حوض البحر المتوسط، وتعود محملة بالتوابل والخشب والبخور والكشمير
والأحجار الكريمة. وكانت ديو مخرج إقليم كجرات، وقد سكنتها جاليات
مسلمة من العرب والفرس، وكان يصلها حوالي ٢٤ ألف تاجر سنويا، (فهمي،
١٩٧٣م، ١٦١ - ١٦٦).

كذلك كان وضع ميناء جوا - في ولاية جوا حالياً - حيث كانت تصلها سفن جدة وزيلع وعدن وهرمز ، وسكنتها حاليات عربية وفارسية وصينية . ولأهميتها التجارية ، احتلها البرتغال بعد معركة ديو البحرية (٩١٥هـ / ١٥٠٩م) ، وتحولت التجارة إلى رأس الرجاء الصالح ، بعد أن مكثت تحت سيطرة العالم الإسلام حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي (فهيمى ، ١٩٧٣م ، ١٧١) . وهكذا نشط هذا المحور البحري في نشر الإسلام على السواحل العربية لشبه القارة الهندية الباكستانية سلماً عن طريق التجار والحجاج . ونشطت الدعوة الإسلامية تحت جناح السلم ، وتمركزت جاليات عربية وفارسية في العديد من موانئ الساحل الغربي للهند والجزر القريبة منه ، وكان للدعاة تأثير كبير في نشر الإسلام بهذه المنطقة ، وأورد توماس قصة إسلام أحد ملوك مليار على يد شرف بن مالك وأخيه ورفاقهما (توماس ، ١٩٧٠م ، ٢٨٥) . وعندما شظهر البرتغاليون أمام الساحل الغربي في معركة ميناء شو عام ٩١٤هـ (٥٠٨م) ، وحدث تعاون بين الملوك المحليين والأسطول المملوكي . ولكن بعد هزيمة الأسطول المملوكي في معركة ديو البحرية سنة ٩١٥هـ (٥٠٩م) ، تأكد النفوذ البرتغالي في المحيط الهندي (فهيمى ، ١٩٧٣م ، ١٧٢) .

٢ - المحور البري :

وصل الإسلام عبر هذا المحور إلى شمال غربي الهند ، حيث قدم إليها من وسط آسيا بواسطة الفتوح الإسلامية والدعاة ، وتأثر بالعناصر التركية والفارسية ، ولكن أحداث الانتشار الأولى قامت على جهود المسلمين الأوائل . فلقد بدأ التمهيد بفتوح السند أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ذلك أن عثمان بن أبي العاص الثقفي حاكم البحرين وعمان أرسل أخاه (الحكم) على رأس جيش إلى (تانه) على ساحل الهند . كما أرسل أخاه المغيرة بن أبي العاص إلى

خور "الديبل" غربي دلتا نهر السند، فكان هذا أول بعث عسكري إلى الهند. وفي خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أرسل الحارث بن مرة العبدي إلى السند فأغار على أطرافها. وفي خلافة معاوية، غزا المهلب الهند فوصل إلى (بته) و"لاهور". في عهده أيضا، سار عبدالله بن سواد العبدي إلى القيطقان في القطاع الجبلي غربي حوض السند، ثم أرسل زياد بن أبيه سنان سلمة الهذلي لفتح مكران ففتحها. وجعل سنان ولاية الشعر (السند) ولاية قائمة بذاتها، وجعل عليها راشد ابن عمر، فغزا "الميد" جنوبي غربي السند، وامتدت الفتوحات إلى البوقان غربي السند (مؤنس، ١٩٧٠م، ١٣١، ١٣٢).

• • • • •

الفتوحات والدول الإسلامية

فتح السند : كانت الغزوات السابقة على هوامش حوض السند ، ولكن التوغل الفعلي داخل السند بدأ أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق ، فأرسل محمد بن القاسم لفتح السند ، فتقدم إلى الديبل وأزال منها البوذية ، وتحول أهلها إلى الإسلام فبنى بها المساجد ، وأسكن فيها ٤٠٠٠ مسلم ، ثم فتح (قند) شمالي دلتا السند ، ثم "داور" شمال قند ، وأنشأ المسلمون مدينة المنصورة شمال شرقي دلتا السند ، ثم فتح "الملتان" في الخوض الأوسط من السند ، وهكذا أكمل محمد بن القاسم فتوح السند وبسطت غزواته سلطان العرب على مجرى السند الأعلى والبنجاب الأسفل ، ثم عُزل محمد بن القاسم من ولاية السند ، فعاد أهله إلى شق عصا الطاعة وعدم الخضوع للدولة الإسلامية ، واضطربت الأمور في أواخر دولة بني أمية (مؤنس . ١٩٨٧ م ، ٢٣٥) ، (الششتناوي ، ١٩٣٣ م ، ح ٤ ، ٢٠) .

ولقد مرت فترة توقف فيها هذا المحور البري عن التوغل في صميم شبه القارة الهندية الباكستانية ، ثم عادت الأمور سيرتها الأولى .

فتوح محمود الغزنوي : نشط هذا المحور مرة أخرى بزعمارة تركية قامت في مرحلة ضعف الدولة العباسية . وكانت بداية نشاطه في عهد سبكتكين مؤسس الدولة الغزنوية ٣٦٦هـ - ٣٨٧هـ (٩٧٧م - ٩٩٧م) (النمر ، ١٩٩١ م ، ٢٨١) ، فاستولى على بلاد المسيد الواقعة بين إقليم مكران ودلتا نهر السند ، وهزم التحالف الهندي الذي قاده الملك الهندوسي "جبال" ، وسار إلى لغان وبيشاور ، التي جعلها عاصمة لولاية استحدثها . وخلفه ابنه محمود الغزنوي ، الذي واصل فتوحاته في شمالي الهند، حتى أصبح من عظماء الفاتحين في تاريخ الإسلام ، فاستولى على بلاد الغور وأدخلهم في الإسلام وأرسل إليهم الأئمة والدعاة . وفي

كل ناحية فتحها ، كان يزيل المذاهب الخارجة على مذهب السنة والجماعة ، وأسهم بدور إيجابي في الفتح ، حتى مد حدود دولة الإسلام في الشرق ، فشملت شمالي الهند ، وقام بحوالي ٢٠ غزوة في الفترة ٣٩١ - ٤١٨ هـ (١٠٠١م - ١٠٢٧م) ، وأسس في البنجاب القسم الشرقي من مملكته (الساداتي ، ١٩٧٠م ، ٧٩) (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ٣٥) .

لقد أخذت فتوحات محمود طابع الجهاد الإسلامي ، وفي هذه المرحلة كان المسلمون يتراجعون في الأندلس في الغرب ويتقدمون في الشرق . ومن المناطق التي وصلها ، الملتان على رافد السند (دجلهم) . وهزم محمود تحالف ملوك الهندوس واستولى على قلعتهم في "بيهيمنكر" على سفوح جبال الهيمالايا ، ودخل إقليم الرجبوت في طاعته ، وهم مجموعة من الراجات كانوا يحكمون بعض الإمارات شمالي الهند ، وبدأ الإسلام الصحيح يسيطر على شمالي الهند . كما فتح كشمير (٤٠٨ هـ / ١٠١٧م) فتحوّل إلى الإسلام . وفتح إقليم الكجرات ، ووصل الإسلام إلى سمناات في شبه جزيرة كيشياوار ، وأكمل إجتياح السند والبنغال (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ٢٣٥) ، (الساداتي ، ١٩٧٠م ، ٩٠) .

ولقد تولى الحكم بعد محمود الغزنوي حكام ضعاف ، فسقطت الدولة الغزنوية ، تحت ضربات السلاجقة . وتعتبر الدولة الغزنوية من أكبر الدول الإسلامية التي مدت مملكة الإسلام نحو الشرق .

دولة الغوريين في الهند : حلت دولة الغوريين محل الدولة الغزنوية حيث كانت نشأتها في المنطقة المحصورة بين غزنة وهرات . ولقد نمت قوتها العسكرية سريعا في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وأسس دولتهم محمد الغوري (غياث الدين) ، وغزا شمالي الهند ، وقاد هذا الغزو معه قائده قطب الدين أيبك . وانتصر محمد الغوري على التحالف الهندوسي في معركة تراوري

"Taraori" شمال غربي دهلي ، مما أدى إلى فتح الطريق إلى دهلي التي استولى عليها الغوريون . ومنذ ذلك التاريخ ، أصبحت عاصمة للدول الإسلامية في الهند ، وظلت تحتفظ باسمها "دهلي" حتى حولها الإنجليز إلى "دهلي" . وواصل الغوريون فتوحاتهم في حوض الجانج الأعلى ، ومد الغوريون نفوذ الدولة الإسلامية إلى البنغال في عهد شهاب الدين الغوري ، الذي تولى الحكم بعد غياث الدين ، وامتدت دولتهم من السند غربا إلى البنغال شرقا (Philip, 1991, vol. 21, 50, 51) ، (النمر ، ١٩٩١م ، ١٠٠ - ١٠٣) .

دولة المماليك في الهند : لقد تلى الفترة السابقة فترة أخرى جاء فيها دور دولة المماليك ، التي أسسها قطب الدين أيك (٦٠٢هـ - ٦٠٧هـ / ١٢٠٦م - ١٢١٠م) ، وخلفه شمس الدين التمش (٦١٧هـ - ٦٣٣هـ / ١٢١١م - ١٢٣٥م) ، الذي أمضى ربع قرن في حروب لاستتباب أمن مملكة الإسلام ، ثم جاء من بعده سلاطين ضعاف . وفي أواخر حكم أسرة التمش ، ظهرت جماعة الأربعين من المماليك الذين كانوا يتلاعبون بالحكم ، فانتقل الحكم إلى أسرة غياث الدين بلبن "Balban" (٦٦٥هـ - ٦٨٥هـ / ١٢٦٦م - ١٢٨٦م) وقضى على جماعة الأربعين .

وفي أواخر حكم أسرة التمش ، بدأ غزو المغول يلوح في الأفق واستطاع بلبن أن يقضي على ثورة البنغال ، وبذل جهوداً في تعمير البلاد ، واضطربت الأمور من بعده بسبب الخلافات والتنافس على العرش (الساداتي ، د ت ، ١٢٦ - ١٢٧) (Philip, 1991, vol. 21, 51, 52) .

دولة الخلاجيين : جاء دور الخلاجيون لتولي الحكم في الهند بعد ضعف حكم أسرة بلبن ، حيث تولى جلال الدين خلجي الحكم خلال الفترة (٦٨٩ - ٦٩٥هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٦م) ، ولكن لم يدم حكمه طويلاً . وجاء من بعده ابن أخيه علاء الدين الخلاجي (٦٩٦ - ٧١٦هـ / ١٢٩٦ - ١٣١٧م) ، الذي صد غارة المنول

على دهلي . ، اتسعت دولة الإسلام في عهده ، فضم الدكن ، واستعاد الكجرات والرجابوت ، ووصلت حدود دولة الإسلام إلى مناطق لم تكن وصلتها من قبل . ولقد ظهر في عهده مجموعة من علماء الدين ، مثل نظام الدين البدايوني ، واجتهد في بث الدعوة الإسلامية ، وتولى الحكم بعض أولاده ولكنهم كانوا على درجة كبيرة من الضعف والفساد ، ثم إنتقل الحكم إلى أسرة تغلق (النمر ، ٩٩١م ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠) (Philip, 1991, vol. 21, 53) .

وأبرز ماتم من أعمال علاء الدين الخلجي ، اتساع دولة الإسلام في الهند وكثرة العلماء الذين نشروا الإسلام ولكن في نهاية حكم الخلجيين ، اغتصب أحد قواده (خسرو) الحكم وهو مسلم من أصل هندوسي بالكجرات ، فقتل الأمراء وانتهك الحرمات ، بهدف إحياء الديانة الهندوسية ، فقضى عليه ملك تغلق أحد قادة الخلجيين .

دولة آل تغلق : تولى ملك تغلق الحكم باسم غياث الدين تغلق (٧٢١ - ٧٢٥هـ / ١٣٢١ - ١٣٢٥م) ، فأسس الأسرة التغلقية التي حكمت الهند حوالي (١٠٠ سنة) ، واسترد الأقاليم التي انفصلت عن سلطان دهلي ، واجتهد في إحياء تعاليم الإسلام . وتولى مقاليد الأمور من بعده ابنه محمد تغلق (٧٢٥ - ٧٥٢ / ١٣٢٥ - ١٣٥١م) . وقد زار الهند في هذه الفترة الرحالة ابن بطوطة . وعاش في الهند ٨ سنوات تولى خلالها قضاء مدينة دهلي . وكان السلطان محمد تغلق محبا للعلوم والفنون ، وأغدق الكثير على العلماء . ولقد كان عهده قمة عهد سلاطين دهلي . وكانت الدولة في الفترة من ٧٢٥هـ (١٣٢٥م) إلى ٧٥٢هـ (١٣١٥م) تتكون من ٢٣ مقاطعة ، وهذا أقصى امتداد جغرافي لها في عهده . وبعد سنة ٧٥٢هـ (١٣٥١م) ، انفصل جنوبي الهند ، بينما سادت المقاطعات الشمالية الاضطرابات . وهاجم المغول دولته حتى وصلوا إلى أبواب دهلي ، فاضطر أن يدفع لهم أموالا كثيرة حتى ارتدوا عن البلاد . ونقل محمد تغلق العاصمة إلى ديوكر

(دولت آباد) . وخلف فيروز شاه ابن عمه محمد، فقام بالعديد من الإصلاحات، فأكثر من بناء المساجد والمدارس وحفر الترع، وصرف معاشاً للمقعدين والعاجزين، وألغى ديون المزارعين، فعم اليسر والرخاء والعدل بين الناس، وأنشأ ديوان الخبرات لمساعدة الناس في الزواج، والعلاج، وبلغ عدد دور الشفاء ١٠٠ مشفى، كانت تقدم العلاج والدواء مجاناً وتشدد مع الملحددين والمذاهب الخارجة، وباشر الدعوة للإسلام الصحيح، وكان يعفي من الضرائب كل من يعتنق الإسلام (الساداتي، د.ت ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦٢)، (النمر، ١٩٩١م، ١٣٥ ، ١٣٨)، (Philip, 1991, vol. 21, 53) .

حكم السادات : بعد أن انفرط عقد دولة آل تغلق ، سار خضر خان إلى دهلي واستولى عليها في سنة ٨١٧هـ (١٤١٤م) ، وأسس أسرة حكمت حتى سنة ٨٥٨هـ (١٤٥١م) ، وعرفت هذه الفترة بحكم السادات . وكانت فترة مليئة بالفتن، وتقلص فيها نفوذ دهلي واستقلت إمارات كثيرة ، وهيمن عصر من التفكك وظهرت إمارات مستقلة ، وعرفت هذه الفترة بعصر أمراء الطوائف .

دولة المغول : انتهى حكم أسرة لودهي التي خلفت حكم السادات باستيلاء المغول على دهلي بقيادة بابر وأسس دولة المغول في الهند سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٦م) وبدأ عهد جديد لدولة حكمت الهند من سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٦م) إلى ١٢٧٣هـ (١٨٥٧م) ، أي ماينيف على ثلاثة قرون ، حكمت الدولة الإسلامية فيها معظم شبه القارة الهندية - الباكستانية ، خصوصاً في عهد السلطان محمد أكبر . ففي عهده ، احتلت دولة الهند الإسلامية مكانة عالية بين الدول الآسيوية والأوروبية ، وأصبحت واحدة من أقوى وأغنى دول العالم ، وسعت كل من البرتغال وبريطانيا وفرنسا وهولندا لكسب صداقة الدولة الإسلامية بالهند ، (مؤنس، ١٩٨٧م، ٢٥٧) (Philip, 1991, vol. 21, 63) .

ولقد بدأت دولة المغول في عهد مؤسسها بابر ، فوحّد شمالي الهند بالغزو أو

التحالف ، وذلك كما فعل مع بقايا السلودهيين بعد أن خاض معهم حرباً انتهكت قواهم، ثم انتصر على الراجبوتين الهندوس في معركة قنوة في سنة ٩٣٣هـ (١٥٢٧م) وكان انتصاراً حاسماً ، وبذلك شملت دولته كل شمالي الهند ، وتولى الحكم من بعده ابنه همايون (٩٣٧هـ - ١٥٣٠م) (نوار ، ١٩٩١م ، ٥١٥) ، (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ١٢٥٧) .

إن أهم مرحلة في تاريخ توسع دولة المغول الإسلامية في الهند هي تلك التي حكم فيها جلال الدين محمد أكبر بن همايون في الفترة ٩٦٣ و ١٠١٤هـ (١٥٥٦ - ١٦٠٥م) فلقد بلغت دولة المغول الإسلامية في عهده أقصى توسع بلغته في عهد حاكم مسلم، وبلغت ذروتها من حيث الاتساع والقوة والحضارة والرخاء ، وحقق ذلك في حكم دام قرابة نصف قرن . غير أن الدعوة الإسلامية واجهت أخطر منعرج في تاريخ دولة المغول الإسلامية بالهند ، وهذا المنعرج الخطير جاء نتيجة تخطيط أكبر في أمور الدين وهذا عرق مسار الدعوة الإسلامية بالهند نتيجة ماسماه أكبر "بالدين الإلهي" ، الذي اشغل به حتى أواخر أيامه، فأنحرف عن جادة الصواب، ولم يوفق فيما كان يدعو إليه . ورغم أن عصره كان عصر نهضة وازدهار، إلا أنه كان عصر نكسة دينية . (نوار ، ١٩٩٧م ، ٥١٦ ، ٥٢٠) ، (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ٢٥٨) .

وفي عهد أكبر ، بدأت اللغة الأردية المكونة من الهندية والفارسية والتركية والعربية تبرز إلى الوجود ، وكانت الفارسية لغة الإدارة والعلوم ، والعربية لغة الدين . وقد خلف أكبر على عرش المغول ابنه سليم الذي لقب بجهانكير ، فحكم في الفترة ١٠١٤ - ١٠٣٧هـ (١٦٠٥ - ١٦٢٧م) ، ولم يزد في مساحة الهند إلا قليلاً، ولكنه تمكن من الحفاظ على الدولة التي تركها والده ، وألغى فكرة "الدين الإلهي" الذي ابتدعه "أكبر" . وفي عهده ، ظهر الصراع الأوروبي على الهند (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ٢٥٨) (النمر ، ١٩٩١م ، ٢٤١) .

تولى الحكم بعد جهانكير ابنه شاه جيهان من سنة (١٠٣٧هـ - ١٦٢٧م) حتى ١٠٦٨هـ (١٦٥٧م) واستطاع الحفاظ على الدولة ، وحارب البرتغاليين وانتصر عليهم سنة (١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م) ، وكانوا قد أسرفوا في ظلم الهنود ، واشتغلوا بتجارة الرقيق ، فحرر ١٠ آلاف هندي أعدهم البرتغاليون للبيع . ومن أبرز آثار شاه جيهان، القعلة الحمراء ومسجد اللؤلؤة داخل القلعة والمسجد الجامع في دهلي ومقبرة تاج محل في أكر . وتولى الحكم من بعده ابنه أبو المظفر محيي الدين أورنكزيب عالم كير في الفترة ١٠٦٨ - ١١١٩هـ (١٦٥٨ - ١٧٠٧م)، حيث حكم حوالي ٥١ سنة، وأمضى معظم سنوات حكمه في إقرار السلم في أنحاء السلطنة ، وسمح للبريطانيين بإقامة مركز لهم عند قرية كلكتا ، التي أصبحت فيما بعد عاصمة الامبراطورية البريطانية في الهند قبل انتقالها إلى دهلي ، ولقد قضى أورنكزيب على العديد من الثورات ، منها ثورة فقراء الهنود (جماعة ستنامي) ، وثورة الرجبات ، وانتصر على "المراهتا" على الساحل الغربي ، واستولى على مملكتي بيجابور وكولكنده في الجنوب وكان أورنكزيب آخر الأباطرة العظام في دولة المغول بالهند ، وخلفه ابنه شاه عالم (بهادور شاه) الأول (١١١٨هـ - ١١٢٣هـ / ١٧٠٧م - ١٧١١م) (مؤسس ، ١٩٨٧م ، ٢٥٨) (النمر ، ١٩٩١م ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣) .

تولى الحكم بعد بهادور شاه ملوك ضعاف ، تعرضت في عهودهم الدولة المغولية لغزو خارجي قام به نادر شاه ملك الدولة الإيرانية ، وفي هذه المرحلة عمت الفوضى وتقدم البريطانيون في البنغال ، وفرضوا سيطرتهم على ملوك دهلي من آل تيمور ، وعينوا للسلطين رواتب سنوية ، فأصبحوا ملوكاً دون ممالك ، وكان آخر ملوك دولة المغول المسلمة بالهند بهادور شاه الثاني ، (النمر ، ١٩٩١م ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٤) .

ولقد كانت نهاية آخر ملوك المغول مأساة دامية . ففي أواخر أيامه ، قامت ثورة

عارمة ضد البريطانيين شارك فيها المسلمون والهندوس ، واخنار القادة بهادور شاه قائدا أعلى للثورة رغم سنه المتقدم ، فكان مجرد رمز فلما هزم الثوار قبض البريطانيون على الملك في مقبرة همايون هو وأولاده وزوجته وساقوهم إلى دلهي مقيدين في ذلة وإنكسار ، وقتلوا من أولاد الملك ثلاثة ، وقطعوا رؤوسهم ووضعوها في وعاء على مائدة الملك ، فلما كشف الغطاء وجد رؤوس أبنائه ، وقد غطيت وجوههم بالدم ، ثم أخذ البريطانيون هذه الرؤوس وعلقوها على بوابة خوني دروازه (بوابه الدم) في دلهي ، وهكذا كانت نهاية بهادور شاه الثاني آخر أباطرة المغول الذين حكموا الهند أكثر من ثلاثة قرون ، وحاكموا الملك المسن الضعيف في سنة ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م) ، وقضت المحكمة بإعدامه ، ثم استبدل الحكم بالنفي إلى رانجون في بورما وظل هناك حتى توفي في سنة ١٢٧٩هـ (١٨٦٢م) . وهكذا انطفأ آخر مصباح في الأسرة التيمورية التي أسست أعظم ممالك المسلمين بالهند والتي اسمر حكمها حوالي ٣٣٢ سنة . وفي نوفمبر ١٨٥٨م ، تم في عهد ملكة بريطانيا (فيكتوريا) نقل حكم الهند من شركة الهند الشرقية إلى الحكومة البريطانية مباشرة ، وتم تعيين لورد "كايننك" أول حاكم عام بريطاني على الهند مكافأة له على المجازر التي ارتكبها في الهند . وظلت تحت عبء الاستعمار البريطاني منذ ذلك التاريخ حتى الاستقلال سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٧م) أي حوالي ٩٠ سنة (النمر ، ١٩٩١م ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣) ، (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ٢٦٠) .

جهود الدعاة في نشر الإسلام :

أما عن دور الدعاة في انتشار الإسلام في ظل السلام ، فلقد أشار إلى ذلك لين بول "Lane Poale" في كتابه (Medieval India ، ص ٤) ، حيث قال : "إن الإسلام ببساطته يلائم العقلية الهندية أكثر من النصرانية ، وأن الحكومة الإسلامية مهما يكن من عيوبها كانت أفضل الحكومات التي عرفتها الهند ، وقد أدى هذا بالسكان إلى الدخول في هذا الدين وطاعة أصحابه " . وهكذا لم تكن

الفتوحات والغزوات والحروب التي خضها المسلمون ، هي التي ساعدت على انتشار الإسلام وحدها أو طموح فريق من أهل البلاد للحصول على المناصب في الدول الإسلامية بالهند إنما كان العامل الأول في انتشار الإسلام في هذه البلاد ، ودخول الكثير من أهلها فيه هو ما لمسوه من المساواة التامة بين أهل الإسلام ، وانعدام نظام الطبقات الذي كان يعاني منه الهنود . وإن كان المحور الشمالي قد شهد حروباً وغزوات للهند استغرقت قروناً ، إلا أن أغلب السلاطين تركوا للناس حرية اختيار الدين ، وفرضوا الجزية على من ظل على دينه ، باستثناء قلة من السلاطين المسلمين الذين استخدموا الشدة مع الوثنيين . فلقد حل تاريخ ملوك الهند المسلمين من المغول وغيرهم بالذين تركوا الناس على مللهم واكتفوا بالجزية ، ولولا هذا ما عاشت الهندوسية أو البوذية أو السيخية ، وغيرها من الملل والنحل طيلة الحكم الإسلامي للهند .

ولقد بذل بعض السلاطين جهوداً سلمية في نشر الإسلام . وهناك العديد من الأمثلة ، فالسلطان محمد الغوري بذل جهداً سلمياً في نشر الإسلام بين شعب الجكهري "Ghakkard" ، وهو شعب متبربر يسكن المقاطعات الجبلية شمالي البنجاب . اعتنق الإسلام . وذكر ابن بطويع (٧٠٤/٧٧٩هـ) - الذي مكث في الهند ٨ سنوات - أن سلاطين الخلجيين شجعوا الناس على الدخول في الإسلام ، فسئوا عادة تقديم الشخص الذي يعتنق الإسلام إلى السلطان ، فكان يكسوه كسوة حسنة ويعطيه قلادة وأساور من ذهب . كما أعلن السلطان فيروز شاه تغلق فيما كتبه عن تاريخ حياته . لقد شجعت رعاياي الكفار على اعتناق الدين الإسلامي واعتنق الهندوس الإسلام ذرافات ووجدانا . وقال الأسقف لوفري "Lefory" : إن الإسلام لم ينتصر فحسب في هذه المعركة ، بل غدا البلسم الشافي الذي سرى في شريان الحياة والفكر في بلاد الهند العليا (توماس ، ١٩٧٠م ، ٢٩٠) .

ولقد نقل المحور البحري الذي أدخل الإسلام إلى جنوبي الهند عبر التجارة مع سواحلها ، الدعوة في ظل السلام ، فارتكزت على ما بذله هؤلاء من جهد في نشر الدعوة الإسلامية في ظل السلام بجهود الدعاة الذين تعاملوا مع سكان جنوبي الهند، وتجاوز الأمر هذا إلى هجرة عناصر عربية وفارسية مسلمة استقرت في جنوبي الهند. وقد شجع ملوك هذه المناطق الجماعات المسلمة التي هاجرت إليها على الاستقرار، وقد قابل ابن بطوطة العديد من الدعاة المسلمين في جنوبي الهند على ساحل مليبار. وفي القرن الخامس عشر الميلادي ، كان المسلمون يشكلون خمس سكان مليبار، ولولا قدوم البرتغاليين إلى جنوبي الهند ، لتحول كل أهالي هذا الساحل إلى الإسلام. ويحفل التاريخ الإسلامي بالعديد من الدعاة الذين وصلوا إلى جنوبي الهند ونشروا الإسلام بين سكانه (توماس، ١٩٧٠م، ٢٩٩ / ٣٠٠).

لقد ظل انتشار الإسلام في جنوبي الهند في معظم الأحوال ينتشر سلمياً ، ذلك أن الإسلام خلّص الطبقات المستضعفة من استغلال نظام الطبقات في الهندوسية. كما أن الإسلام وصل إلى جزر خليج البنغال عن طريق التجار والدعاة. ومن الدعاة الذين وصلوا هذه الجزر ، يوسف شمس الدين ومباملايكا . وفي الدكن أمثلة عديدة من الدعاة الذين نشروا الإسلام في هذه المناطق. وشهدت الفترة ٧٥٨ - ٨٦٦ هـ (١٣٤٧ - ١٤٩٠ م) ، قدوم دعاة عرب من ذوي الغنى واليسر يلتمسون القيام برحلات دعوية لأجل الدعوة إلى الإسلام . وهناك أمثلة أخرى تدل على انتشار الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة في مناطق الملتان والسند والكجرات والبنغال حيث وجد دعاة المسلمين ترحيباً عظيماً. وفي بيهار، اعتنقت الإسلام قبائل عديدة بسبب عدالة الإسلام ومساواته بين الناس، وكونه مثلاً أعلى للأخوة الإنسانية. ومن الدعاة في البنغال جلال الدين التبريزي، وكان تلميذاً لشهاب الدين السهروردي الداعية الإسلامي، كذلك كثر عدد الدعاة في إقليم راجبوتانا (توماس، ١٩٧٠م، ٢٩٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ، King Abdul Aziz Univ, 1984, v11, No. 2, 134).

ظهر في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) نشاط في الدعوة الإسلامية فكان يعتنق الإسلام سنويا عشرات الآلاف من الهنود . وعندما تغلغل نفوذ شركة الهند الشرقية البريطانية ، وأخذت تهيمن على مقاليد الأمور في الهند ، تصدى لهذه الهيمنة العديد من العلماء المسلمين الأوفياء لدينهم ، برز منهم في نهاية القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) وأوائل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) شاه ولي الله الدهلوي ، كعالم مسلم اجتهد في التدريس ، فأعطاه السلطان محمد شاه بناءً كبيراً ليصبح مدرسة (دار العلوم) فدرس فيها شاه ولي الله ، وخرج جيلاً من الدعاة . وكان قد عاصر تسعة من سلاطين الدولة المغولية بالهند ، فعاصر الدولة وهي تحتضر ، فركز شاه ولي الله جهاده في التدريس ، فكان صاحب مدرسة لها أثرها في تطوير الفكر في الهند ، وتوفي سنة (١١٧٦هـ - ١٧٦٣م) بعد أن كَوّن مدرسة من أولاده وتلاميذه ، استكملوا رسالته في الدعوة الإسلامية وتحرير الهند من رق الاستعمار البريطاني ، الذي استفحل أمره حتى أعلن مندوب شركة الهند البريطانية سنة ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) مقولته الشهيرة : " أن الخلق لله ، والملك للملك ، والحكم للشركة " فهب شاه عبدالعزيز ولي الله ١١٥٩ - ١٢٤٠هـ (١٧٤٦ - ١٨٢٤م) يدعو للجهاد في سبيل إبقاء الحكم الإسلامي بالهند ، فأصدر عدة فتاوي تحض على الجهاد ، كذلك ترجمت معاني القرآن إلى اللغة الأردية (النمر ، ١٩٩١م ، ٤١٣ - ٤١٦) (Hohn, 1995, vol 2, 189) .

مقاومة نفوذ السيخ والبريطانيين :

لقد انتشرت أفكار المدرسة التي أسسها شاه ولي الله وأتباعه من بعده والتي تحض على تعاليم الإسلام الصحيح ومقاومة الاستعمار البريطاني ، انتشرت مبادئها في مختلف أنحاء الهند ، وتجاوز دور العلماء النصيح والإرشاد والتوعية الإسلامية إلى دور تكوين الجيوش والجهاد ضد أعداء الإسلام . ومن أمثلة هؤلاء سيد أحمد

(باريلوي) "Barelwi" ١١٩٥هـ (١٧٨٠م) - ١٢٤٩هـ (١٨٣١م) أحد تلاميذ مدرسة ولي الله الذي هب لمقاومة ظلم السيخ للمسلمين بزعامة ملكهم رانجيف سينغ "Ranjif Singh" وبذل سيد أحمد جهوداً ممتازة في تصحيح مفهوم الإسلام ، كما قاتل السيخ في البنجاب ، واستشهد في إحدى المعارك ومعه إسماعيل الدهلوي في سنة ١٢٤٦هـ (١٨٣١م) وعرفا بالشهيدتين . وانتشرت دعوتهما في شمالي الهند (النمر ، ١٩٩١م ، ٤١٩ - ٤٢٠) . لقد كان لهذا الفكر أثر كبير في الدعوة الإسلامية وتطهير العقيدة من المعوقات . كما كان لهذه المدرسة الأثر الأكبر في مقاومة أعداء المسلمين من البريطانيين والسيخ ، وشملت هذه الدعوة شمالي الهند وبنغال ، وكان هذا تمهيداً لثورة عارمة ضد الاحتلال البريطاني .

الهندوس في ظل الحكم الإسلامي :

بعد أن غمرت حضارة المغول الإسلامية البلاد، وأصبح للهند كيان سياسي دولي، شهدت الهند علاقات طيبة بين المسلمين والهندوس، رغم الاختلافات الدينية. وشغل الهندوس في ظل حكم المغول مناصب سامية في الدولة . وقدم الإسلام نموذجاً عملياً في القضاء على التفرقة العنصرية والتمييز الطبقي ، ولقد شهد بهذا رئيس وزراء الهند الأسبق جواهر لال نهرو ، حيث قال . إن دخول الإسلام قد ساهم في كشف الفساد في أوساط المجتمع الهندوسي الذي خربته الطائفية والطبقية، حيث قدم الإسلام نظرية الأخوة الإسلامية وأثر بذلك على الهندوس .

الثورة في الهند ضد الاستعمار :

ظهر تنافس الدول الأوروبية على احتلال مراكز من سواحل الهند ، فنافست هولندا البرتغال في الشرق ، وكونت شركة الهند الهولندية (١٠١١هـ / ١٦٠٢م)،

واستولى الهولنديون على باتافيا "Batavia" في جزيرة جاوا . ثم دخل البريطانيون الحلبة فكونوا شركة الهند الشرقية البريطانية ، فسعت لنيل موطن قدم على ساحل الهند ، فأنشأت مركزاً لها في سورات "Surat" سنة ١٠٢١هـ (١٦١٢م) ، ثم حصلت على مركز آخر في البنغال ، تمثل في هوغالي "Hagly" سنة ١٠٤٩هـ (١٦٣٩م) ، وسعت لنيل مراكز أخرى في بمبي سنة ١٠٧٢هـ (١٦٦١م) . ثم دخلت فرنسا حلبة السباق الاستعماري فكونت شركة الهند الشرفية الفرنسية (١٠٧٥هـ/١٦٦٤م) ، فاشتد الصراع على استعمار الهند (النمر ، ١٩٩١م ، ٣٣٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥) (Philip, 1991, vol. 21, 77 - 79) .

لقد أخذت شركة الهند الشرقية البريطانية في احتلال مراكز أخرى بالهند ، وذلك خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ونتج عن هذه الأطماع التوتر في العلاقة بين الشركة ودولة المغول بالهند ، ونشبت حروب بينهما ، ومن أبرزها معركة بلاسي سنة ١١٧١هـ (١٧٥٧م) ، وانتصرت فيها الشركة على قوات الامبراطور المغولي ، وفتح لها هذا الباب التوسع في البنغال وبيهار وأوريسا ، وأخذت تتدخل في شؤون الحكم خصوصاً في الفترة ١١٧٤ - ١٢٧٣هـ (١٧٦٠ - ١٨٥٦م) ، وأصبح سلاطين المغول تحت سيطرة الشركة . ثم تكتشفت مطامع البريطانيين بعد أن استولت على المناطق الإسلامية والهندوسية ، وكانت محنة المسلمين في ظل حكم الشركة أشد قسوة ، خاصة بعد أن أخذت الشركة جانب الهندوس ، وأطلقوا أيديهم للعمل ضد المسلمين ، لسوموهم العذاب ، فلقد نجح البريطانيون في الاستيلاء على الهند برجال الهندوس وأموالهم ، بل استولت على الهند بجنود ثلاثة أرباعهم من الهندوس ، وكان السيخ والمراهتا أكثر الهنود قسوة على المسلمين ، ووقعت مذابح عديدة راح ضحيتها آلاف من المسلمين ، فكانت حملة شرسة أراد البريطانيون بها تحويل ما يمكن تحويله من المسلمين عن دينهم ، فعطلوا التعليم الإسلامي ، واستولوا على الأوقاف ، وفتحوا أبواب التعليم على

النظم البريطانية للهندوس ، ومنتطت حركات التنصير بتمويل من التركة . وهكذا أصبح المسلمون في أوضاع سيئة (83 - 81, vol. 21, Philip, 1991) (نوار ، ١٩٩١م ، ٥٥٠ - ٥٥٥) .

لقد أدت الأحداث السابقة إلى ظهور المصلحين من علماء الدين الإسلامي بالهند، فعملوا على توعية الناس وترسيخ الدين في قلوبهم ، وحثهم على التكاتف ضد قوى الإبادة التي سيطرت على الساحة ممثلة في البريطانيين والسيخ، فزاد السخط بعامة على البريطانيين والسيخ الذين انضموا إليهم من التحدي ضد المسلمين . وأيقن المسلمون والهندوس أن قبضة البريطانيين أخذت تشتد حول أعناقهم وتزلزل عقائدهم . وقد عبر عن هذه الحالة المتدنية بعض البريطانيين ومن بينهم القاضي "ميكلم لويتس" أحد القضاة البريطانيين في مدراس، فقال : "نحن أذلنا الذوات من أهل الهند ، ومسحنا قانون وراثتهم ، وغيرنا قواعد الأعياد وعقود الزواج ، وجعلنا شعائرهم سخرية ، وأخذنا أوقاف المساجد وخرينا البلاد بالسلب والنهب والقتل ، وفرضنا الضرائب الباهظة ، وهكذا أصبحت أنهار الثروة في الهند تصب في لندن ، حتى أصبحت الهند جسماً بلا روح ، وأصبحت البلاد بالقحط والمجاعات، ومات الملايين جوعاً" . وأما في النواحي الدينية ، فلقد فتح البريطانيون الأبواب أمام بعثات التنصير ، وكان المنصرون يتقاضون رواتبهم من الشركة ، وامتدت يد البريطانيين إلى عقائد الناس فأفسدتها، وسخرت منها ، وقضوا على حكم إسلامي دام أكثر من ثمانية قرون ، وفتح البريطانيون مدارس التنصير ، بينما أغلقت مدارس المسلمين بمصادرة الأوقاف الإسلامية وأبطلوا العمل بالشرعية وعزلوا القضاة (النمر ، ١٩٩١م ، ٣٨٣ ، ٣٩٠ ، ٣٩٧ ، ٤٠١) .

أسباب ثورة المسلمين ضد البريطانيين :

لقد لخص هنتر "W.W.Henter" أسباب الثورة في الهند في كتابه "مسلمو الهند" الذي نشر سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) فيما يلي : (١) أغلق البريطانيون على سكان الهند أبواب المعيشة الطيبة ، (٢) قضوا على التعليم الإسلامي ، (٣) عطلوا

القضاء بعزلهم القضاة ، (٤) عرقلوا قيام المسلمين بواجباتهم الدينية ، (٥) صادروا الأوقاف . وعلق على ذلك بقوله " إن المسلمين صادقون في اتهاماتهم " ، ولقد زاد البريطانيون من لهيب المشاعر عندما أُنذروا ملك الهند الشرعي بهادور شاه ، المسن القابع في قلعته ، بأنه سيكون آخر ملوك المغول المسلمين بالهند ، وسوف تكون القلة ثكنة للجيش البريطاني . كذلك زاد من لهيب مشاعر المسلمين والهندوس أمر الضباط البريطانيين لجنودهم من المسلمين والهندوس بإزالة شحم الخنازير والأبقار الذي كان يغلف (الخراطيش) بأسنانهم ، وفي هذا احتقار لمشاعر المسلمين والهندوس الدينية ، فكان هذا العمل احتقاراً للمشاعر الدينية عند الطرفين . مما ألهب المشاعر خصوصاً بعد محاكمة الجنود الذين رفضوا إطاعة الأوامر (النمر ، ١٩٩١ م ، ٤٢٦ ، ٤٢٧) (Philip, 1991 , vol. 21, 91) .

وهكذا بدأت الثورة ضد البريطانيين ، وانتهت بالفشل وإعلان الهند مستعمرة بريطانية في سنة ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م) .

• • • • •

توزيع المسلمين

يستفاد من الجدول رقم (٢) والشكل رقم (٦) ، أن المسلمين ينتشرون في جميع الولايات والأقاليم الهندية ، غير أن عددهم أو نسبتهم تختلف من منطقة إلى أخرى . فعلى سبيل المثال ، تختص ولايات أوتر برادش وغربي البنغال وبيهار بنسبة ٥٠٪ من إجمالي عدد مسلمي الهند عام ١٤١١هـ (١٩٩١م) . ويلاحظ أن هذه الولايات الثلاث تتركز في حوض السند الذي كان يعرف قديماً بهندستان . وإذا تتبعنا توزيع المسلمين بالهند حسب الولايات والأقاليم ، نجد أن أهمها جميعاً من حيث عدد المسلمين هي :

١ - ولاية أوتربرادش :

نوجد في أقصى شمالي الهند ، وتشغل حيزاً كبيراً من حوض نهر الجانج . وبلغ عدد المسلمين في هذه الولاية حسب التعداد الرسمي لحكومة الهند في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي (١٧ر٢ مليون نسمة) ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي (٢٤ مليون نسمة) ، لذا تعتبر الأولى من حيث عدد المسلمين بين الولايات الهندية . ويتركز المسلمون بنسب عالية في أربع نواح إدارية من الولاية ، هي : مراد آباد "Morad abad" وساهارانبور "Saharanpour" وبيجنور "Bijnor" ورامبور "Rampur" . ويشكل المسلمون النسب التالية حسب ترتيب النواحي السابقة : ٣٨.٠٦٪ ، و٣١.٥٧٪ ، و٣٩.٤٥٪ ، و٤٧.٢٢٪ . وتضم أوتربرادش أكبر عدد من سكان الولايات الهندية فسكانها حسب تعداد سنة ١٩٩١م حوالي (١٣٩ مليون نسمة) ، فتشغل المركز الأول بين الولايات الهندية ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ١٥ر٥٪ فأصبحت ١٧ر٣٪ في سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) ، وتضم حوالي خمس عدد المسلمين بالهند.

٢ - ولاية غربي البنغال :

توجد في القطاع الشرقي من الهند ، في غرب جمهورية بنجلاديش ، وضمن ولايات الشمال . وحسب التعداد السابق (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ، وصل عدد المسلمين بهذه الولاية حوالي ١١٨ مليون نسمة ، وفي تعداد سنة (١٤١١هـ / ١٩٩١م) ١٦ مليون نسمة ، وتشغل المركز الثاني بالنسبة لعدد المسلمين بالولايات الهندية . ويشكل المسلمون أغلبية السكان في ٦ نواح من الولاية . هي : مرشد آباد "Murshidabad" ومالدا "Malda" وغربي ديناوبور "West Dinajpur" ويوروبهو "Birbhum" وبارجاناس "Parganas" وناديا "Nadia" ، ونسبهم بين سكان هذه النواحي ٥٨٧٪ ، ٤٥٣٪ ، ٣٥٨٪ ، ٣١٪ ، و ٢٣٩٪ على التوالي . وبصفة عامة ، يتركز المسلمون على ضفتي نهر هوجلبي "Hoogli" على حدود بنجلاديش . وتأتي ولاية غربي البنغال في المرتبة الثالثة من حيث نسبة المسلمين بين سكان الولايات الهندية ، حيث بلغت نسبة المسلمين بين سكانها سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٢١٥٪ ، وفي سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) وصلت نسبتهم ٢٣٦٪ .

٣ - ولاية بيهار :

ضمن ولايات شمالي الهند ، وإحدى ولايات حوض الجانج ، وتحتل المركز الثالث من حيث حجم عدد المسلمين بالولايات الهندية ، فلقد وصل عددهم حسب تعداد ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٩٨ مليون نسمة ، وفي تعداد نسبة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ١٢٧ مليون نسمة . ويتركز المسلمون في نواحي بورنيه "Purnia" ، حيث شكلوا في تعداد ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٤١٦٪ بين سكانها . وقد انقسمت هذه الناحية إلى ثلاث نواح في سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) ، منها ناحية كيشنجانج "Kishanganj" ، التي تعتبر ثالثة أعلى النواحي من حيث التركيز العددي للمسلمين في الهند (٦٤٧٥٪ بين سكانها) . ومن بعدها تأتي مرشد آباد في غربي البنغال ومالابورام في كيرالا . وكذلك يتركز المسلمون بنسب عالية في نواحي باتنا

جدول رقم (٢)
المسلمون في الولايات والأقاليم الهندية حسب تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م)

الولايات والأقاليم	إجمالي السكان	نسبة المسلمين (%)	عدد المسلمين (نسمة)
اندهرا برادش	٦٦,٥٠٨,٠٠٨	٨,٩١	٥,٩٢٥,٨٦٣
بيهار	٨٦,٣٧٤,٤٦٥	١٤,٨١	١٢,٧٩٢,٠٥٨
كجرات	٤١,٣٠٩,٥٨٢	٨,٧٣	٣,٦٠٦,٣٢٦
هاريانا	١٦,٤٦٣,٦٤٨	٤,٦٤	٧٦٣,٩١٣
هيماتشال پردش	٥١٧,٠٨٧٧	١,٧٢	٨٨,٩٣٩
كراناكا	٤٤,٩٧٧,٢٠١	١١,٦٤	٥,٢٣٥,٣٦٤
كيرالا	٢٩,٠٩٨,٥١٨	٢٣,٣٣	٦,٧٨٨,٦٨٤
مدهيه پردش	٦٦,١٨١,١٧٠	٤,٩٦	٣,٢٨٢,٨٠٠
ماهاراشترا	٧٨,٩٣٧,١٨٧	٩,٦٦	٧,٦٢٥,٣٣٢
ماتيبور	١٨,٣٧١,٤٩	٧,٢٧	١,٣٣,٥٦٠
مجلايا	١٧٧,٤٧٧,٨	٣,٤٦	٦١,٤٠٧
ناجالاند	١٢,٠٩٥,٤٦	١,٧١	٢٠,٦٨٣
أوريسا	٣١,٦٥٩,٧٣٦	١,٨٢	٥٧٦,٢٠٧
بنجاب	٢٠,٢٨١,٩٦٩	١,١٨	٢٣٩,٣٢٧
راجستان	٤٤,٠٠٥,٩٩٠	٨,٠١	٣,٥٢٤,٨٧٩
سيكيم	٤٠,٦٤٥,٧	٩٥	٣,٨٦١
جوا	١١,٦٩٧,٩٣	٥,٢٥	٦١,٤١٤
تاميل نادو	٥٥,٨٥٨,٩٤٦	٥,٤٧	٣,٠٥٥,٤٨٤
تريبورا	٢٧,٥٧٢,٠٥	٧,١٣	١,٩٦,٥٨٨

الولايات والأقاليم	إجمالي السكان	نسبة المسلمين (/.)	عدد المسلمين (نسمة)
أوتبرادش	١٣٩١١٢٢٨٧	١٧ر٣٣	٢٤١٠٨ر١٥٩
غربي البنغال	٦٨٠٧٧٨٣٦	٢٣ر٦١	١٦٠٧٣ر١٧٧
اندمان ونيكوبار	٢٨٠٦٦١	٧ر٦٧	٢١ر٥٢٦
ارونشال بردش	٨٦٤٥٥٨	١ر٣٨	١١ر٩٣٠
شاتديجارا	٦٤٢٠١٥	٢ر٧٢	١٧ر٤٦٣
ددرواونجارهافيل	١٣٨٤٧٧	٢ر٤١	٣ر٣٣٧
دلهي	٩٤٢٠٦٤٤	٩ر٤٤	٨٨٩ر٣٠٨
دمانوديو	١٠١٥٨٦	٨ر٩١	٩ر٠٥١
لاكشاد ويب	٥١٧٠٧	٩٤ر٣١	٤٨ر٧٦٤
ميزورام	٦٨٩٧٥٦	٦٦ر	٤ر٥٥٢
بوند يشيرى	٨٠٧٧٨٥	٦ر٥٤	٥٢ر٨٢٩
آسام	٢٢٤١٤٣٢٢	٢٨ر٤٣	٦٣٧٢ر٣٩١
المجموع	٨٣٨٠٥٨٣ر٨٥٩		١٠١ر٥٩٥٩١٧٦

المصادر :

- Muslim India, (April 1997, Neq Delhi, India .
- Rudrance (1992) , News Weekly. vol. xxvii, no. 24, 5 - 11 April.
- Europa Publication Limited (1993) . The Far East and Australia.
- Famighelti, R, (1996) , The Wold Almanac and Book of Facts .

بكر ، سيد عبدالمجيد ، ١٩٨٨ م . الأقليات المسلمة في أستراليا وآسيا ، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ، جدة .

شکل (۶) نسبیة المسلمین إلى اجمالی سکان الولايات والأقالیم الهندیة (۱۹۹۱ء / ۱۴۱۱ھ)



ونالاندا "Nalanda" وأورانج أباد وبوهجبور "Bhojpur" وروهتاس "Rohtas" ومونجير "Munger" ورانشي "Ranchi" وجُملا "Gumla" وسينجهبوم "Singhbhum" ، وترتيب ولاية بيهار السادسة من حيث نسبة المسلمين بين سكان الولايات الهندية ، وبلغت نسبة المسلمين بين سكانها سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) ١٤ر٣٪ ، فأصبحت سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) ١٤ر٣٪ .

٤ - ولاية ماهاراشترا :

تشغل المركز الرابع من حيث حصة أعداد المسلمين في الولايات الهندية ، وتوجد في القطاع الغربي من هضبة الدكن . وبلغ عدد المسلمين بها في تعداد سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) ٥ر٨ ملايين نسمة ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) ٧ر٦ ملايين نسمة . ويشكل المسلمون أكثر من ١٠٪ من سكان ٩ نواح بهذه الولاية ، منها مدينة بمبي وجالجاون "Jalgaon" وأوران أباد "Auranabad" وباربهاني "Parbhani" ونانديد "Nanded" ، وعثمان آباد "Osmanabad" وبولدنا "Buldana" وأمر فاتي "Amravati" ، وهي تعتبر من أقدم المناطق التي وصلها الإسلام مبكراً عبر المحور البحري ، وتعد ماهاراشترا الثامنة من حيث نسبة المسلمين في الولايات الهندية ، حيث بلغت نسبة المسلمين بين سكانها في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٩ر٢٪ ، وفي سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٩ر٦٪ .

٥ - ولاية كيرالا :

تأتي في المرتبة الخامسة من حيث عدد المسلمين بالولايات الهندية ، حيث بلغ عدد المسلمين بها في تعداد سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٥ر٤ ملايين نسمة ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٦ر٧ ملايين نسمة ، وهي توجد في أقصى جنوب غربي الدكن . وتبلغ نسبة المسلمين قرابة ٢٣٪ بين سكان الولاية .

التي تعتبر من أكثر المناطق ارتفاعاً في الكثافة السكانية بالهند . ويتجمع عدد كبير من المسلمين في القطاع الشمالي من ساحل مليبار . ومن أكثر النواحي التي يتجمع بها المسلمون بالولاية، ناحية مالابورام "Malappuram" (حوالي ٦٥ر٥٪ من سكانها). وناحية كوزهيكودي "Kozhikode" (حوالي ٣٣ر٩٪) ، وناحية كتنانور (٢٥ر٧٪) وناحية ويماد "Waymad" (حوالي ٢٤ر٦٪) . وتشتهر هذه الولاية بوجود المسلمين من ألوپلا "Mopla" ولهم ذكر في تاريخ المنطقة ، وجاء ترتيب كيرالا الرابعة من حيث نسبة المسلمين في الولايات الهندية، فكانت نسبتهم بين سكانها في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٢١ر٢٥٪، بينما وصلت في سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) إلى ٢٣ر٢٪.

٦ - ولاية اندهر برادش :

تشغل المرتبة السابعة من حيث عدد المسلمين بالهند ، وتوجد في القطاع الجنوبي الشرقي من الدكن . وبلغ عدد المسلمين بها في تعداد سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٤ر٥ ملايين نسمة ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٥ر٩ ملايين نسمة ، وأكثر تجمعات المسلمين توجد في ناحية حيدر آباد (حوالي ٢٧٪ من السكان) ، وتبلغ نسبة المسلمين في ناحية كورنول "Kurnool" حوالي ١٧٪ من سكانها ، كما تصل نسبة المسلمين أكثر من ٥٪ من سكان خمس نواح بالولاية، وتشغل اندهر برادش المرتبة العاشرة من حيث نسبة المسلمين في الولايات الهندية، حيث بلغت نسبة المسلمين بين سكانها في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٨ر٤٧٪ وفي سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٨ر٩٪ .

٧ - ولاية آسام :

تعتبر إحدى الولايات السبعة في شمال شرقي الهند ، وقدرت حصة المسلمين

بين سكانها بحوالي ٢٤٪ وقدر عددهم في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) بحوالي ٤٥ ملايين نسمة (Muslim India, March, 1985) ، وعددهم في سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) بحوالي ٦٣ ملايين نسمة ، ويتركز المسلمون في ناحية جاولبارا "Gaolpara" فتصل نسبتهم حوالي ٤٢٪ ، وتم تقسيمها إلى أربع نواح ، وأعلى نسبة تجمع للمسلمين في هذه النواحي الأربع ، توجد في ناحية دهبري "Dhubri" كما يشكل المسلمون حوالي ٤٪ من سكان ناحية كاشار "Cachar" جنوبي الولاية ، وكذلك يشكل المسلمون حوالي ٤٠٪ من سكان ناحية ناجون "Nagaon" . وجدير بالذكر ، أن النواحي سالف الذكر تم تقسيمها إلى نواح أصغر نتيجة للاضطرابات التي حدثت في آسام في الآونة الأخيرة ، وما تزال الولاية مصدراً للصراعات الطائفية ، وتأتي ولاية آسام الثانية من حيث نسبة المسلمين بين سكان الولايات الهندية ، والسادسة من حيث عدد المسلمين فرغم ما نعانيه من مشاكل ، تصاعد نسبة المسلمين بها ، حيث كانت تمثل سنة ١٣٧١هـ (١٩٥١م) حوالي ٢٢٦٪ ، وفي سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م) حوالي ٢٤٪ ، وفي سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٢٨٤٪ .

٨ - ولاية كارناتاكا :

توجد جنوب غربي الدكن ، وبلغ عدد المسلمين في هذه الولاية في تعداد سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٤ ملايين نسمة ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) ، وصل عدد المسلمين إلى حوالي ٥ ملايين نسمة ، ويشكل المسلمون من ٥٪ إلى ١٠٪ في ثمان نواح من الولاية ، وأكثر من ١٠٪ في ١٠ نواح ، وحوالي ١٩٪ من سكان ناحية بيدار "Bidar" وحوالي ١٨٪ من ناحية جولبارجا "Gulbarga" وتحتل كارناتاكا المرتبة السابعة من حيث نسبة المسلمين بين سكانها ، فكانت هذه النسبة في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ١١.٥٪ فأصبحت في سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ١١.٦٪ .

٩ - ولاية كجرات :

توجد غربي الهند ، ولقد بلغ عدد المسلمين في هذه الولاية في تعداد سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٢٩ مليوني نسمة ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٣٦ ملايين نسمة . وتقدر نسبة المسلمين في ناحية كاشه "Kachh" بحوالي ١٩٪ من جملة سكانها ، وحوالي ١٦٪ من سكان ناحية باروتش "Baruch" وحوالي ١٢٪ من سكان ناحية جامنكار "Jamnagar" ، وأكثر من ١١٪ من سكان أحمد آباد ، وتشغل ولاية كجرات المرتبة الثانية عشرة من حيث نسبة المسلمين بين سكان الولايات الهندية ، فكانت نسبتهم بين سكانها سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٨٥٣٪ وفي سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٨٧٪ ، والمرتبة التاسعة من حيث عدد المسلمين .

١٠ - ولاية تاميل نادو :

توجد في أقصى جنوب شرقي الدكن ، وقدر عدد المسلمين بها في إحصاء سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) بحوالي ٢٥ مليوني نسمة . وفي إحصاء سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) وصل عدد المسلمين إلى ٣ ملايين نسمة ووصلت نسبتهم ٥٤٪ وشغلت بهذا الرقم المرتبة السابعة عشرة من حيث عدد المسلمين في الولايات الهندية ، وتصل حصة المسلمين أكثر من ١٠٪ من جملة السكان في بعض النواحي ، وأقل نسبة للمسلمين بهذه الولاية في نواحي سالم "Salem" ، وبيريار "Periyar" .

١١ - ولاية مدهية براديش :

توجد شمالي الدكن ، وتعتبر أكبر الولايات الهندية مساحة ، بلغ عدد المسلمين بها في تعداد سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٢٥ مليوني مسلم ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٣٣ ملايين نسمة ، وتصل نسبة المسلمين أكثر من

١٠٪ في نواح راتلام "Ratlam" ، ويوجاين "Uijain" ، وإندوري "Indore" وناحية شرق نيمار "Nimar" ، وأكثر عدد من المسلمين في ناحية بهوبال ، وبلغت نسبة المسلمين سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٩٦٫٤٪ .

١٢ - ولاية راجستان :

ثانية الولايات الهندسة مساحة ، توجد شمال غربي الهند ، وبلغ عدد المسلمين في إحصاء سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) حوالي ٢٤٩ مليوني نسمة ، وفي تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) حوالي ٣٥ ملايين نسمة ، وتزيد نسبة المسلمين على ١٠٪ من سكان الولاية في نواح بيكانير "Bikaner" وسيكار "Sikar" ، وجودهبور "Jodhpur" ، ونجاور "Nagaur" وبارمير "Barmer" ، وأعلى نسبة للمسلمين في جايسالمير "Jaisalmer" حيث تصل نسبتهم إلى ٢٣٫١٪ بين سكان هذه الناحية ، وأكبر عدد من المسلمين في الولاية يوجد في ناحية جايبور "Jaipur" ، حيث وصل عددهم في سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) قرابة ربع مليون نسمة ، رغم أن نسبتهم بين سكان الناحية حوالي ٧٪ ، وهي بهذه النسبة تحتل المرتبة الثالثة عشرة بين الولايات والأقاليم في تعداد سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) .

• • • • •

التعليم الإسلامي

طبقا لنظام التعليم العام في الهند ، تبدأ الابتدائية من سن ٦ سنوات إلى ١١ سنة ، وهذه المرحلة مجانية في جميع أنحاء الهند ، ويبدأ التعليم المتوسط من سن ١١ سنة إلى ١٤ سنة ؛ وهي مرحلة مجانية في معظم الولايات الهندية . كما تبدأ المرحلة الثانوية من ١٤ سنة إلى ١٧ سنة ، وهي أيضا مجانية ، ويواجه التعليم مشاكل عديدة، منها زيادة الأعداد، وتدني المستوى وتعدد اللغات .

وتتحمل حكومات الولايات الهندية بالتعاون مع حكومة الاتحاد الهندي الجانب الأكبر من مسؤولية التعليم حتى مرحلة التعليم العالي ، كما أن الحكومة الاتحادية تدير بعض الجامعات ، مثل جامعة عليكرة الإسلامية في عليكرة ، وجامعة باناراس الهندية في فاراناسي "Varanasi" وجامعة فيزفا "Visva" بهاراتي في سانتينيكيتان "Santiniketan" ، وجامعة جواهر لال نهرو في نيودلهي ، وجامعة حيدر أباد في حيدر أباد، وجامعة التلال الشمالية الشرقية في شيلونج. ويدير المكتب المركزي الاستشاري سياسة التعليم في الهند ، ويتشكل من أربع لجان تسوس التعليم المتوسط والثانوي والجامعي والاجتماعي (Philip, 1991, vol. 21, 19) .

ورغم الجهود الكبيرة المبذولة في مجال التعليم ، إلا أن نسبة الأمية في الهند وصلت إلى ٤٨٪ من مجموع السكان سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) (Esposito, 1995, vol. 1, 415) .

ويقوم التعليم الإسلامي في الهند على الجهود الذاتية التي تبذلها الهيئات والجمعيات والمؤسسات الخيرية الإسلامية ، كما تسهم الأوقاف بنصيب وافر في ذلك .

لقد بدأ التعليم الإسلامي غداة انتشار الإسلام ، وبجهود حكومات إسلامية مستقرة ، مثل الدولة الإسلامية الغزنوية والدولة الغورية في أواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، فأنشأ الغوريون المدارس الابتدائية ، ومنها على سبيل المثال مدرسة شهاب الدين الغوري ، التي شيدها قطب الدين أيبك بجوار المسجد الجامع في دلهي في مستهل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) . وعلى غرارها أنشئت المدارس الإسلامية في مناطق عديدة من الهند . كذلك انتشرت المدارس الإسلامية في عهد دولة المماليك بالهند ، فأنشأ السلطان شمس الدين التمشي المدرسة الناصرية في دلهي سنة ٦٣٥هـ (١٢٣٧م) ، وكذلك المدرسة الفيروزية في دلهي أيضا . وانشرت مدارس عديدة في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية بالهند في هذه الفترة (Radiance, 1992, xxvii,24) .

توالى عملية إنشاء المدارس في عهد الدولة الحلاجية في أوائل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وطيلة القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، وتم إنشاء أكثر من ١٠٠٠ مدرسة إسلامية في هذه الفترة . ولقد زار الرحالة ابن بطوطة الهند في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ومارس التعليم بمدارس دهلي ، وأشار إلى أن عدد المدارس بإحدى مدن الهند (هناور) ١٣ مدرسة للبنات ، ٢٣ مدرسة للبنين ، كما كتب عن المدرسة الفيروزية (اللواتي ، ١٩٨٥م ، ٦٧) . واستمرت عملية إنشاء المدارس طيلة عهود الدول الإسلامية بالهند . ولقد سبقت الإشارة إلى حالة التعليم في عهد الدولة المغولية عندما نشط العديد من علماء المسلمين في النهوض بالتعليم الإسلامي ، وبرز منهم شاه ولي الله ، فأنشأ المدرسة الرحمانية في دلهي ، التي على غرارها تم إنشاء العديد من المدارس الإسلامية ، وتابع رسالته تلاميذه ، فاهتم بالتعليم نظام الدين وغيره من علماء المسلمين .

التعليم الإسلامي في عهد الاحتلال البريطاني :

عندما سيطر الاحتلال البريطاني أغلق العديد من المدارس الإسلامية ، بينما ساهم في افتتاح مئات المدارس التصيرية (Radiance, 1992, xxvii, 24) وعندما زحف الاحتلال البريطاني إلى حوض الجانج ، نشط البريطانيون في غلق المدارس الإسلامية ولم يبق في دلهي غير مدرستين ، المدرسة الرحمانية ومدرسة نظام الدين .

ونشطت بريطانيا في نسر التعليم حسب النظام البريطاني وباللغة الإنجليزية ، وأضافت اللغة العربية ذراً للرماد في العيون ، . وساعد الاحتلال البريطاني على نشر وتمويل مدارس التنصير ، فأصبحت هنالك شبكة من هذه المدارس في أنحاء مختلفة، في قاليقوت والبنجاب ، ودلهي ، وحلت العلوم الغربية محل العلوم الإسلامية ، واللغة الإنجليزية محل اللغة الفارسية والعربية ، ولهذا ساد السخط العام . ثم توالى الأحداث ، فكانت ثورة سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٧م) ، وفي هذه المحنة أنست "دار العلوم" (ديوبند لحماية العلوم الإسلامية . ومدارس الفقه في دار النظام ، ثم توالى افتتاح المدارس والجامعات بجهود ذاتية، (Radiance, 1992, xxvii, 24) .

مراحل التعليم الإسلامي ومؤسساته :

كانت لغات التعليم حينئذ الفارسية وأحياناً العربية (أو السنسكريتية) ، وينقسم التعليم الإسلامي بصفة عامة إلى مراحل : المرحلة الأولى (الابتدائية) ودعاتها (الكتاب) أو المسجد ، حيث ينلقى صبيان المسلمين دروس تحفيظ القرآن الكريم ومبادئ الإسلام، بالإضافة إلى تعليم القراءة والكتابة ودراسة العلوم الحديثة . ثم تأتي المرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية . وقد بذل المسلمون من خلال جهودهم

الذاتية الكثير لنشر التعليم المتوسط والجامعي بين أبناء المسلمين وتطويره . ففي الهند، أكثر من ٢٥٠٠ مدرسة ومعهد وجامعة إسلامية تنتشر في جميع أنحاء الولايات الهندية وهذه نماذج من المدارس العليا والجامعات الإسلامية الهندية

١ - جامعة عليكرة : توجد في مدينة عليكرة في غرب أوتربرادش جنوب دلهي . بدأ تأسيسها في سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٥م) على يد "السير" سيد أحمد طاف، وبدأت بكلية إسلامية عصرية ، ثم تطورت إلى جامعة ، وازدهرت في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي ، خصوصا بعد أن تحولت إلى جامعة في سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) ، وتضم حاليا ١٠ كليات ، و ٦٦ قسما دراسياً ، وفيها أكثر من ١٥ ألف من الطلاب والطالبات وأصبحت مؤسسة علمية عالمية عصرية ، والدراسة بها باللغة الإنجليزية والأردية والعربية ، وتشتمل الدراسة على : العلوم والطب والهندسة إلى جانب الدراسات الإسلامية والعربية (Radiance, 1992, xxvii, 24) (Esposite, 1995, vol. 4, 74) .

٢ - الجامعة المليه الإسلامية : توجد في نيودلهي ، وتأسست في سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) ، وهي تضم عدة مدارس عليا ومدرسة متوسطة ومدرسة ثانوية . كما تضم كلية : العلوم الإنسانية واللغات ، العلوم الاجتماعية، العلوم الطبية، الهندسة التكنولوجية ، ومعهد الدراسات الإسلامية (Radiance, 1992, xxvii, 24) .

٣ - الجامعة العثمانية : توجد في حيدر أباد ، في ولاية اندهر برادش تأسست في سنة ١٣٢٧هـ (١٩١٨م) على يد عثمان علي خان ، وأخذت اسمه فيما بعد . وتضم ٧ كليات داخل الحرم الجامعي و ١٢ كلية خارجه ، وبها حوالي ٢٤٢٠ طالبا، و ١١٤ طالبة، وتمارس تعليم الفنون والعلوم، والعلوم الاجتماعية والطبية والهندسة والحقوق .

٤ - جامعة همدرود : توجد في دلهي وقد أنستت في سنة ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م)، وتضم كلية للصيدلة ، وكلية لتاريخ الطب والأبحاث الطبية ، وكلية الدراسات الإسلامية والإنسانية ، وكلية العلوم ومدرسة للتمريض .

٥ - دار العلوم "ديوباند" : أسسها مجموعة من علماء الدين الإسلامي في سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) ، وكانت أول الأمر مدرسة ثانوية تهتم بدراسة الحديث ، وبنهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، أسست مجموعة من المدارس . وتصدر دار العلوم مجلتين ، هما مجلة العلوم وتصدر باللغة الأردية ، والثانية دعوة الحق وتصدر باللغة العربية (Esposito, 1995, vol. 2, 191) (بكر، ١٩٨٨م، ٢٣٦) .

٦ - دار العلوم في لكنو : تتبع ندوة العلماء ، وتصدر العديد من الدوريات، مثل مجلة الرائد باللغة العربية ، والبعث الإسلامي بالعربية أيضا .

٧ - الكليات الإسلامية في (كيرالا) : توجد مجموعة من الكليات الإسلامية في ولاية كيرالا، وهي أقرب ما تكون إلى المدارس العليا . ويصل عددها إلى حوالي ٥٥ كلية إسلامية موزعة عبر الولاية ، وتمارس التعليم في عدة اختصاصات، منها كليات لتعليم اللغة العربية مثل مدينة العلوم - أنوار الإسلام (للبنات)، ودار العلوم ، وكلية الأنصار العربية ، والكلية العربية السلفية، وكلية دار النحاة العربية ، وكلية نُصرة الإسلام ، وكلية لجنة الإرشاد العربية، هذا إلى جانب الكليات المتخصصة في الدراسات الإسلامية .

٨ - جمعية الأمين التعليمية في بانجالور : تمارس هذه الجمعية التعليم الإسلامي عن طريق عدد من المدارس العليا هذا إلى جانب تخصصات مختلفة منها كلية الأمين لفنون والعلوم في بانجالور ، وكلية الأمين للصيدلة في بانجالور ، ومعهد الأمين للتدريب الفني (مسائي) ، وكلية غوشيا الهندسية ، فضلا عن العديد

من التخصصات . وتدير الجمعية بالإضافة إلى ما سبق حوالي ٨ مؤسسات تعليمية أخرى وعدداً من المعاهد ، منها كلية متوسطة، وأخرى جامعية للنساء ، وكلية علمية متوسطة للرجال ، وأخرى فنية ، وكذلك ثلاث مدارس أولية للأطفال ، ومدرستين ثانويتين للأولاد (Muslim India, August, 1984) .

ولقد اهتمت كليات وجامعات شمالي الهند بالعلوم الإسلامية واللغات والتاريخ أكثر من اهتمامها بالتعليم المهني وعلى العكس ، كان اهتمام المعاهد العلمية والجامعات في جنوبي الهند منصبا على التعليم الفني والحرفي ، وظهرت كليات عديدة في القطاع الجنوبي من الهند ، ثم كلية فاروق في قاليقوت ، التي افتتحت بعد الاستقلال في كيرالا ، والكلية العثمانية في كورنول ، وكلية جمال محمد في تربشي ، ثم كلية الهداية . وفي ولاية تاميل نادو حوالي ٩ كليات إسلامية ، منها كلتان للهندسة . كما انتشرت الكليات في جنوبي كيرالا وحيدر أباد وكارناتاكا ، وفي ولاية ماهارا شترا . كما عيّنت هذه النهضة التعليمية بتعليم البنات إلى آخر المستوى الجامعي ، وخرّجت هذه الكليات الأطباء والصيادلة والمهندسين والمحامين والمحاسبين ورجال الأعمال ، وحصيلة هذا أصبح في القطاع الجنوبي من الهند ١٠ كليات هندسة ، كلتان للطب ، ٣ كليات للصيدلة ، ٤ كليات للحقوق ، كلتان للمدرسين ، ومعاهد فنية وتدريبية (Radiance, 1992) . xxviii 24)

وهناك مجموعة من المعاهد والكليات في غربي الهند ، حيث توجد دار العلوم الأشرفية في مدينة ناندير (بمبي) ، والجامعة الحسنية في راندير ، والجامعة العربية الإسلامية في سورت .

ورغم هذه النهضة السريعة في التعليم الإسلامي ، إلا أن هناك عقبات تعترض مسيرة هذا التعليم بالهند ، منها :

- ١ - تدني دخول المسلمين في المناطق الحضرية ، حيث بنتج عنه انخفاض دخل الأسر ، مما يدفع هذه الأسر إلى تشغيل الأطفال تحت سن ١٢ سنة للمعاونة ، وهذا يحرم الأطفال من التعليم في المرحلة الابتدائية .
 - ٢ - عدم اعتراف الدولة بالعديد من المؤسسات التعليمية الإسلامية ، وهذا يحرمها من المساعدات المالية .
 - ٣ - يشكل المسلمون في المناطق الحضرية نسبة أعلى من المعدل العام في الهند ، لهذا ينبغي مراعاة ذلك في توزيع النسب في المعاهد التعليمية .
 - ٤ - يواجه أبناء المسلمين القادمين من الريف إلى المؤسسات التعليمية في المدن ، العديد من الصعوبات في الحصول على السكن والإعاشة المناسبين
 - ٥ - عندما تتلقى المؤسسات التعليمية مساعدات حكومية ، يكون هذا مقابل التدخل في مناهج وبرامج التعليم الإسلامي .
- وهناك عدة اقتراحات لرفع مستوى التعليم الإسلامي في الهند ، لعل من أهمها ما يلي (1) (The American The Loyical Lib. Ass.,, 1993, vol. xiv, no. 1) .
- ١ - الترويج لزيادة التعليم الإجباري بين أبناء المسلمين ، وذلك بزيادة شبكة المدارس الابتدائية .
 - ٢ - العمل على خفض نسبة التسرب بين أبناء المسلمين في المرحلة الأولى ، وذلك في المناطق المتدنية الدخل أو مناطق الفقر .
 - ٣ - التوسع في التعليم المهني ، وذلك بتعليم نسبة من أبناء المسلمين بعض الحرف ، مثل صناعة السجاد ، وأعمال ورش إصلاح السيارات ، وغيرها من الحرف .

- ٤ - إتاحة الفرص لأبناء المسلمين القادمين من الريف لمواصلة تعليمهم ، وذلك بتقديم المساعدات في السكن والإعاشة .
- ٥ - تحقيق العدالة بمراعاة حصة أبناء المسلمين في التعليم المهني الحكومي ، وإنشاء كليات للتعليم المهني في المناطق الإسلامية .
- ٦ - العمل على نشر التعليم المهني في شمالي الهند أسوة بنشاط هذا النوع من التعليم في جنوبي الهند .
- ٧ - التوسع في تعليم اللغة العربية .
- ٨ - تعميم الدراسات الإسلامية في مختلف المجالات والمراحل الدراسية ، وذلك بنشر الكتب والمطبوعات عن التاريخ الإسلامي والعلوم الإسلامية والمواد الشرعية .
- ٩ - إنشاء دراسات لبنات المسلمين حول التربية الإسلامية والعلوم المنزلية .
- ١٠ - إنشاء معاهد للبحث في مجالات التعليم الإسلامي بتعليم اللغات والآداب والثقافة .
- ١١ - تعديل مناهج التعليم الإسلامي ، وذلك بعقد المؤتمرات حول تنظيم وارتقاء هذا التعليم .

• • • • •

المؤسسات والهيئات الإسلامية

يوجد بالهند العديد من المؤسسات والهيئات الإسلامية، وبلغ عددها أكثر من ٤٠٠ هيئة ومؤسسة إسلامية، وتسبب هذا في إثارة العديد من المشكلات، مما أدى إلى تفتيت وحدة المسلمين ، وأضعف من كيانهم، مما حرم المسلمين من مظلة تحميهم وتحافظ على هويتهم الإسلامية ومن أمثلة الهيئات والجمعيات والمؤسسات الإسلامية ما يلي:

١ - لجنة الأحوال الشرعية لعموم مسلمي الهند (A. I. M. P. L. B):

بدأ تشكيلها باجتماع عقد بمدينة ديوباند في سنة ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) برئاسة قاري محمد طياي ، ثم عقدت اجتماعات في مناطق عديدة بالهند ، منها اجتماع حيدر آباد في سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) واجتماع راتسي في سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) ، وأنجالور في سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) ، ثم توالى الاجتماعات ، وكان أول رئيس لها قاري محمد طياي ، وبعد وفاته ، رأسها مفتي عتيق الرحمن ، ثم الشيخ سيد أبو الحسن الندوي . ومهمة هذه اللجنة ، حماية الأحوال الشرعية لمسلمي الهند ، وتقوية الجهود للدفاع عنها ، ومنع التدخل المباشر وغير المباشر فيها . ومقر اللجنة في باتنا في ولاية بيهار (Radiance, 1992, xx vii, 24)

٢ - مجلس المشاورات الإسلامي لعموم الهند (A. I. M. M. M.):

تشكل في سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) ليجمع بين مختلف مدارس الفكر الإسلامي والجمعيات والهيئات الإسلامية ، ولتقوية وتوحيد الأمة الإسلامية بالهند وحل مشاكلها والنضال لمواجهة الموقف العام للمسلمين بها ، ويضم المجلس أكثر من ١٢ هيئة وجمعية ، منها جماعة الهند الإسلامية ، ورابطة اتحاد مسلمي الهند، وجماعة علماء الهند الملي ، ومجلس عموم مسلمي الهند، وغيرها من الجمعيات والهيئات

الإسلامية . ومقر المجلس في دلهي (Muslim India, November, 1984) .

٣ - الجماعة الإسلامية بالهند (J. I. H) . حركة إسلامية معروفة ، وتعتبر من أقوى وأوسع الهيئات الإسلامية بالهند . تشكلت سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م) في مدينة الله آباد، حيث شكلها من تبقى من أعضاء الجماعة الإسلامية التي تكونت في سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) وحلت بعد استقلال الهند، وتكوين باكستان . تعاقب على رئاستها العديد من علماء الهند، منهم الشيخ سيد أبو الأعلى المودودي والشيخ أبو الليث الندوي والشيخ محمد سراج الحسن . وتبني الجماعة عدة مبادئ، منها اتخاذ القرآن الكريم والسنة قاعدة لنشاطها الإسلامي، والدعوة إلى الإسلام، والقيام بالخدمات الاجتماعية، ولهذا أنشأت ١٦٧ مركزاً لجمع الزكاة ، ٨٨ مركزاً صحياً، ٣ مزارع، ١٧ مركزاً للصناعات الخفيفة، ١٠ معاهد فنية، وعدة مكاتب (Esposito, 1995, (Radiance, 1992, xxvii, 24), vol. 2 , 326) .

٤ - جمعية علماء الهند (J. U. H): شكلها مفتي كفاية الله في سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) في دلهي ، وتبنت عدم التعاون مع سلطات الاستعمار البريطاني ، وقبض البريطانيون على العديد من علمائها في سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) . ونادت بالاستقلال في سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م)، وتعاقب على رئاستها الكثير من علماء المسلمين بالهند ، وقاومت حركة الاسنيلاء على المسجد البابري ، ورفعت الأمر إلى القضاء الهندي ، وقدمت العديد من الوثائق حول قضية هذا المسجد ، وتعمل على نشر الدعوة الإسلامية ، واسترجاع أولئك الذين ضلوا الطريق من مسلمي راجستان ، وإفتحت حوالي ٩٠ كُتّاباً في ولاية راجستان وحدها . وتبني الجماعة عدة مبادئ ، منها تأمين المساجد للمسلمين في مناطق عديدة ، والنضال من أجل حقوق المسلمين في التعليم ، وتحصيل الثقافة ، وحقوق المواطنة، كذلك إصلاح التعليم ، وإنشاء المعاهد الإسلامية . والعمل على نشر

العلوم العربية والإسلامية (Esposito, 1995, (Radiance, 1992, xxvii, 24), vol. 2 , 192).

٥ - رابطة اتحاد مسلمي الهند (I. U. M. L.): تَكَوَّت في سنة ١٣٦٨هـ (١٩٨٤م) على إثر اجتماع عقد في مدينة مدراس ، وتنت الايديولوجية الإسلامية ووحدة الأمة الإسلامية في الهند ، والحفاظ على الثقافة الدينية ، والمطالبة بحقوق التعليم والحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأبناء الأمة الإسلامية بالهند ، والأقليات الأخرى . قد تعاقب على رئاستها العديد من علماء الهند . وفي البداية ، ركَّز الرابطة نشاطها في الولايات الهندية الجنوبية ، ثم مارست نشاطها في ١٢ ولاية في شمالي الهند ، منها آسام وغربي البنغال وبيهار واطربرادش وراحتستان ومهاراشترا واندھرا برادش ، وكذلك في دلهي وبونديشيري ولاكشادويب (Esposito, 1995, vol. 2 , 193), (Radiance, 1992, xxvii, 24).

٦ - مجلس عموم الهند "التعمير الملي" تشكل في سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) في جدر آباد برئاسة سيد خليل الرحمن حسيني ، كمنظمة تعمل على غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الشباب . ولذلك فهو كهيئة شبابية ، فام بمساعدة الطلاب الفقراء على إكمال تعليمهم ، ومقاومة الشيوعية والمبادئ الهدامة في ولاية اندھرا برادش ، وركز المجلس على توفير الإمكانيات لتعليم أبناء المسلمين بنين وبنات . ولتحقق ذلك ، أنشأ المدارس في المساجد والأماكن الأخرى . كذلك اهتم المجلس بتنمية الأحوال الاقتصادية للمسلمين (Radiance, 1992, xxvii, 24).

٧ - منظمة الطلاب المسلمين الهنود (S. I. O.). أكبر المنظمات الطلابية الإسلامية بالهند ، وهي تعمل تحت إشراف الجماعة الإسلامية بالهند ، تَكَوَّت في سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) ، ولها نشاط متنوع في مجال التعليم ، وتضم أكثر من ٣٠ ألف طالب .

٨ - الحركة الطلابية الإسلامية بالهند (S. I. M.): تكونت في سنة ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) في مدينة عليكرة ، وضمت عدة منظمات طلابية وشبابية أخرى وتنبعث مبادئها من القرآن الكريم والسنة ، وتعمل على تعميق المفاهيم الإسلامية الدينية من خلال المعلومات المتعمقة عن الإسلام والاهتمام بالعقيدة في تدريس الإسلام والعبادات ، وبناء الشخصية الإسلامية ، وتقوية روح الجهاد .

• • • • •

المساجد والآثار الإسلامية

واكبت حركة بناء المساجد انتشار الدعوة الإسلامية وصاحبت الفتوح الإسلامية لهذا نشطت حركة إقامة بيوت الله مع انتشار الإسلام على سواحل غربي الهند ووصول الدعوة الإسلامية إلى داخل شبه القارة الهندية - الباكستانية . كما صاحبت حركة إقامة المساجد الفتوح الإسلامية في حوض السند ، وتوغلت معها نحو حوض الجانج في الشرق وهضبة الدكن في الجنوب ، ولما استقر الإسلام في ربوع شبه القارة الهندية - الباكستانية اتسعت عملية بناء المساجد ، وتفنن سلاطين الهند في بناء وزخرفة المساجد . ولا تزال المساجد العريقة بالهند تشهد بروعة الحضارة الإسلامية . وبالهند آلاف المساجد المنتشرة عبر الولايات والأقاليم ، واتخذت كمدارس لتعليم أبناء المسلمين تعاليم الإسلام وشريعته ، وبث العلوم الإسلامية في نفوس أبناء الأمة الإسلامية . الجدول رقم (٣) .

ولقد أثرت الحضارة الإسلامية الهند بالكثير من الآثار المعمارية الرائعة . فإلى جانب المساجد التاريخية ، توجد آثار ذائعة الصيت ممثلة في القلاع والقصور . وأبرز الآثار الإسلامية تاج محل الذي بناه السلطان شاه جيهان ، وموضعه خارج مدينة أجرا على شاطئ نهر جُمنّا ، تلکم التحفة الفنية الرائعة التي لا نظير لها ، والتي تنطق برقي الفن ويُعد أحد عجائب الدنيا السبع . ومن أبرز القلاع الإسلامية بالهند ، القلعة الحمراء ومدينة الفتح بسكري والتي بناها السلطان أكبر لتكون عاصمة جديدة ، وشيد بها دواوين الحكومة وقصرًا للسلطان (آرامكو ، ١٩٨٨م) ، ومن أشهر المساجد الإسلامية الأثرية مسجد ينسب إلى عهد السلطان علاء الدين الخلجي في رامسورام "Rameswaram" في جزيرة بمبان "Pamban" ، كذلك مسجد السلطان قطب الدين أيك في دلهي .

ولقد اهتم سلاطين دولة المغول المسلمة بالهند بالعمارة بصفة عامة ، وعمارة المساجد بصفة خاصة ، فضلاً عن إنشاء القصور والقلاع . ومن أبرز أعمالهم ، المسجد الجامع في نيودلهي ، ومسجد اللؤلؤة بالقلعة الحمراء ، وتاج محل . ويعتبر

المسجد الجامع في نيودلهي أفخم مسجد بناه سلطان بالهند . وهناك العديد من المساجد الأثرية، منها زينة المساجد وقد قامت ببنائه ابنة السلطان أورانكزيب (الساداتي، ١٩٧٠م، ١٦٧)

وقد درج الهندوس والشيخ على مهاجمة المساجد بالهند، منذ انهيار دولة المغول الإسلامية، ورسوخ أقدام الاحتلال البريطاني بالهند . فقد زاد هذا الاحتلال من توسعة شقة الخلافات بين المسلمين والهندوس، واتضح هذا من الخطاب الذي ألقاه (ب.ن. باندي) محافظ ولاية أوريسا أمام البرلمان المركزي الهندي في شهر يوليو ١٩٧٧م، فقد ذكر أن المؤرخين البريطانيين قاموا بتأليف كتب حاولوا فيها تحريض الهندوس والمسلمين ضد بعضهم البعض . ويوضح هذا أيضا من خطاب وجهه سكرتير الحكومة (وود) إلى اللورد "ايلكن" في ٣ مارس سنة ١٨٢٢م، قال فيه : "إننا حافظنا على سيطرتنا على الهند بإضرار نار العداء بين المسلمين والهندوس، فينبغي استمرار هذه السياسة، وبذل الجهود لكي لا تتحقق بينهم الوحدة" . وجاء في خطاب مماثل وجهه جورج فرانسيسي همثن إلى اللورد كرزن في مارس ١٨٨٦م "إن علينا أن نقسم الهند إلى قسمين تختلف أفكارهما، لذا ينبغي أن نقوم بتدريس الكتب التي توسع هوة الخلاف بين أهل هذه البلاد" . (العالم الإسلامي، ١١ شعبان، ١٤١١هـ)

هكذا زادت هوة الخلاف بين الهندوس والمسلمين، وأخذت أحداث العنف والعدوان الهندوسي مأخذاً خطيراً، وغت روح تدمير ممتلكات المسلمين ومساجدهم . وأبرز ما يثير عواطف المسلمين، الاعتداء على المساجد، والحرمان، وظهرت هذه التحديات في أعقاب تقسيم شبه القارة الهندية . ففي غربي الهند، هاجم الهندوس المساجد وأحرقوا القرى بمساجدها وسكانها، واغتصبوا الكثير من المساجد واحتلوا مساجد كثيرة في الولايات الهندية، خصوصا في ولايتي البنجاب وهاريانا (العالم الإسلامي، ربيع الأول، ١٤١٥هـ) .

جدول رقم (٣) عدد المساجد وتوزيعها حسب الولايات والأقاليم الهندية ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)

م	الولاية/الإقليم	عدد المساجد	ملحوظات
١	أندھرا برادش	١٠	جميعها أثرية فيما عدا ٣ مساجد مستخدمة للصلاة
٢	أسام	١	في نلال راجماتي وهو مستخدم للصلاة
٣	بيھار	٣	مستخدمة للصلاة
٤	مدينة نيودلهي	٢٩	جميعها أثرية فيما عدا ٦ مساجد فقط مستخدمة للصلاة، ومن بينها مسجد السلطان شرشاه والمسجد الجامع الذي يعتبر من أفخم مساجد الهند، وقد بناه السلطان شاه جيهان بني سنة ١٠٥٠هـ (١٦٤٠م)، ومعظم هذه المساجد في المناطق الأثرية الإسلامية بنيودلهي
٥	جوا ودمان وديو	٢	يستخدمان للصلاة منهما المسجد القديم.
٦	كجرات	٤٤	منها ٣٢ مسجداً مستخدماً للصلاة، ومن بينها ١٩ مسجداً في مدينة احمد آباد وحدها، ومنها مسجد احمد شاه والمسجد الجامع ومسجد مالك علام ومسجد قطب شاه
٧	ھاريانا	٥	جميعها أثرية غير مستخدمة للصلاة، منها مسجد السلطان ھمايون
٨	ھيماتشال برادش	١	في قلعة كاخرا بمدينة كاخجرا
٩	جامو وكشير	٤	منها ٣ مساجد مستخدمة للصلاة، كمسجد حمدان شاه في سرينجار

م	الولاية/ الإقليم	عدد المساجد	ملحوظات
١٠	كارانانكا	٣٧	منها ٢١ مسجداً مستخدماً للصلاة، وفي مدينة بيجاپور وحدها ٢٨ مسجداً من جملة مساجد هذه الولاية.
١١	مدهية برادش	٢١	منها ٥ مساجد مستخدمة للصلاة، ومن جملة مساجدها ٩ مساجد في مدينة ماندو.
١٢	ماهاراشترا	١١	من بينها ١٠ مساجد مستخدمة للصلاة، منها ٣ مساجد في مدينة احمد ناجار، بينما يقع مسجد السلطان محمد تغلق في خان بور.
١٣	بنجاب	٢	يستخدمان للصلاة
١٤	راجاستان	٢	يستخدمان للصلاة، منهما مسجد الجمعة
١٥	ناميل نادو	٧	منها ٤ مساجد مستخدمة للصلاة، ومنها مسجد داخل قلعة التلال
١٦	أوتر برادش	٧٠	منها ٥٩ مسجداً مستخدماً للصلاة، وتضم الولاية أكبر عدد من المساجد التاريخية بالهند، وفي مدينة أجرا وحدها ١٤ مسجداً، وفي مدينة لوكنو ١٤ مسجداً، وفي جاونبور ٧ مساجد، وفي مدينة فتح بور ٥ مساجد ومن مساجد هذه الولاية مسجد جهانجير، ومسجد الشيخ برهان، ومسجد السلطان همايون
١٧	غربي البنغال	١٥	لايستخدم منها للصلاة إلا مسجداً، ومن مساجد الولاية مسجد مرشد خان، وهناك ٧ مساجد في مدينة جاور.

المصدر :

- Muslim India, December, 1984

وقد بلغت قمة هذه الأحداث المؤلمة في تدمير التراث الإسلامي بهدم المسجد
البابري، الذي بناه السلطان بابر في "أيوديسا" في سنة ٩٣٥هـ (١٥٢٨م) ، وظل

المسجد يؤدي وظيفته دون أدنى تغيير ، حتى جاء الاحتلال البريطاني ، وواصل سياسته في إثارة الخلافات بين المسلمين والهندوس وحاول المؤرخون البريطانيون إثارة موضوع المسجد البابري ، لإثارة الخلافات بين الطرفين ، فجاء في تقرير (إسكندر كستهم) عن أيوديا في كتابه عن الهند سنة ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م) فقال : (مدينة أيوديا بادت بأكملها بعد عام ٨٣٠هـ (١٤٢٦م) ، أي قبل ظهور دولة المغول الإسلامية بالهند ، والتي أسسها السلطان بابر بأكثر من قرن) ، ثم أضاف إسكندر ، (ثم عمرت ظنামه ، وبنى بها حوالي ٣٦٠ معبدًا لم يبق منها غير ٦٠ معبدًا ، وكان نصف المدينة خربا قبل سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) . ثم اتهم إسكندر ، كعادة البريطانيين ، المسلمين بهدم المعابد الهندوسة فقال : (بنيت المعابد الجديدة مكان المعابد القديمة التي هدمها المسلمون ، ثم أضاف : ومعبد مولدراما يقوم وسط المدينة) . هذا ماجاء في تقرير إسكندر ، فلم يذكر أن معبد راما بني عليه المسجد البابري فكان المسجد موجوداً والمعبد موجوداً ، ولكن الهندوس استندوا إلى هذا الدليل الباطل . ولكي تكتمل حلقة البريطانيين في استشارة الخلافات ، أصدرت الحكومة البريطانية قاموساً جغرافياً لمدينة فيز آباد سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) ضمن أموراً عديدة تثير الخلافات . وفي سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨١م) ، أعد (و. و. هنتري) قاموساً جغرافياً للهند جاء فيه : (أن المساجد التي بناها بابر وأورنكزيب كانت قرب معابد الهندوس) (العالم الإسلامي ، ١١ شعبان ، ١٤١١هـ) .

هذه أبرز الأدلة التاريخية التي اعتمد عليها الهندوس في موضوع المسجد البابري ، وفي صخب الأحداث أعد أربعة من كبار المؤرخين في الهند تقريراً ، أكدوا فيه أن المسجد البابري بني في موضعه ، وأن هذا الموضع لا صلة له بموضع معبد راما "اله الهندوس" في أيوديا ، ووقع التقرير كل من البروفيسور ر. س . شارمابهان من جامعة كوركشيد ، وأطهر على أستاذ التاريخ ، والبروفيسور د. ن .

جها من جامعة دلهي : (العالم الإسلامي ، ١٣ ربيع الثاني ، ١٤١٢هـ)

بدأت الأحداث الخاصة بالمسجد البابري تتجه إلى العنف ، ففي سنة ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) ، تكوّن المجلس الهندي العالمي بزعامة (أشوكا سنجل) وتعاون مع حزب (بهارا جاناتا باديشاد B. J. P.) ضد الوجود الإسلامي بالهند ، وأثيرت مشكلة المسجد البابري ، فتبنى المجلس الهندي العالمي سياسة هدم المسجد البابري ، وبناء معبد "مولد راما" . وقد أثار هذا الاتجاه أحداث العنف التي راح ضحيتها آلاف المسلمين . وبالمقابل ، تكوّنت لجنة إسلامية لمقاومة هذا التحدي ، وأخذت في عرض المسألة على المحكمة الهندية العليا . وقد أثارت هذه الأحداث مشاعر الغضب في العالم الإسلامي ، فطالب المجلس الأعلى للمساجد في مكة المكرمة في دورته رقم (١٧) بتشكيل لجنة باسم المسجد البابري . وتصاعدت عنف الهندوس ، وتم هدم المسجد البابري في ٦/١٢/١٩٩٢ م . وقد وعدت حكومة الهند بإعادة بناء المسجد ثم تراجع عن هذا . وما زال موضوع المسجد معروضا على الصعيدين الهندي والإسلامي (Esposito, 1995, vol. 2, 192) .

• • • • •

التحديات والمطالب

تتمثل التحديات ضد المسلمين بالهند في التمييز العنصري الذي يمارسه الهندوس والسيخ، وهذا ميراث ناشئ عن الأوضاع الطائفية والعنف المخطط له مسبقاً، فهو أشد أنواع الاضطهاد صراوة ، ووسيلته هدم المساحد وقتل المسلمين وإحراق بيوتهم، وممتلكاتهم ونهب متاجرهم لإضعاف اقتصادياتهم ، وغايته إرغامهم على الهجرة، أو الكف عن المطالبة بحقوقهم وإضعاف شخصيتهم وكيانهم الإسلامي. وهذا التحدى موروث عن الاحتلال البريطاني، وينستر تحت أردية مختلفة وهي:

١ - التحديات البريطانية :

بدأت التحديات أثناء الاحتلال البريطاني للهند ، حيث أسهم البريطانيون في إشعال نيرانها بانحيازهم إلى جانب الهندوس والسيخ ضد المسلمين ، وقام كيان الاحتلال البريطاني على أنقاض الحكم الإسلامي بالهند ، وأراق الكثير من الدماء، ومعركة بلاسي في البنغال سنة ١١٧٠هـ (١٨٥٧م) أكبر دليل على ذلك (النمر، ١٩٩١م ، ٣٤٨) وقررت معركة "بكسر" سنة ١١٧٧هـ (١٧٦٤م) في بهار مصير دولة المغول الإسلامية بالهند (الساداتي ، ١٩٧٠م ، ٢١٩)

وبلغت التحديات ذروتها في سنة ١٢٨٤هـ (١٨٥٧م) بقيام ثورة المسلمين في الهند ضد الاحتلال البريطاني . وعلى أثر فشل الثورة ، أعلن اللورد ألبرو حاكم الهند العام " أن العنصر الإسلامي في الهند هو عدو بريطانيا الأصيل ، وأن السياسة البريطانية في الهند يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوسية إليها لتستعين بها في القضاء على هذا الخطر الذي يتهدد وجود بريطانيا في هذه البلاد" (الساداتي ، ١٩٧٠م ، ج٢ ، ٢٣٨) . وبنيت سياسة الاحتلال البريطاني على هذا الأساس ، فأقصوا المسلمين عن وظائفهم في الدولة ، واجتهدوا في تقويض كل

أوضاع المسلمين الاقتصادية والثقافية ، وأحلوا الهندوس محلهم في الوظائف ، وأصدروا قوانين الملكية الزراعية ، التي أباحت للأوروبيين حق احتلال الأراضي ، واستولوا على أوقاف المساجد والضياع ، فانتقلت أغلب الأراضي التي كان يملكها المسلمون إلى أيدي الأوروبيين وجباة الضرائب من الهندوس ، وتحول ملاك الأراضي من المسلمين إلى أجراء . ولم يكتف البريطانيون بهذا ، بل طفقوا يزيفون تاريخ الحكم الإسلامي بالهند ، ثم انطلقوا يدعون الهندوس إلى إحياء تاريخهم القديم لإثارة الحقد على المسلمين ، وأغلقت المدارس الإسلامية والمحاكم الشرعية . وهكذا حقق البريطانيون البقاء في حكم الهند مدة طويلة ، ووجهوا ضربة اقتصادية لشل اقتصاديات المسلمين ، وهكذا بدأت التحديات منذ أن بسطت شركة الهند الشرقية البريطانية نفوذها على الهند .

كان هدف البريطانيين القضاء على التعليم الإسلامي الديني ، وذلك منذ أن فرضت شركة الهند الشرقية البريطانية نفوذها على الهند ، ذلك بتنشيط عمل الإرساليات ، فقد استقدمت شركة الهند الشرقية البريطانية المنصرين ، واعتمدت عليهم في العمل لصالح الاستعمار بالهند ، وقدموا إليهم شتى التسهيلات ، ومنها دفع المرتبات لأعضاء هذه الإرساليات من أموال الهند . ونشط المنصرون في مسخ الأديان بالهند ، ففتحوا مدارس الإرساليات للبنين والبنات ، التي كانت الوظائف المحدودة التي تركها البريطانيون للهنود لا تعتمد إلا بشهادات تمنحها هذه المدارس ، وشهد بهذا اللورد ماکولي الذي وضع أنظمة التعليم الجديد بالهند في رسالة لوالده ، كما شهد بهذا مونييه وليامز العالم البريطاني ، حيث قال عن الهنود : " انهم بدأوا يهملون لغاتهم ، ويزدرون آدابهم وفلسفتهم ودينهم من غير أن يكسبوا شيئاً من صفات الأوروبيين (النمر ، ١٩٩١م ، ٤٠١) . ونجح البريطانيون في إضعاف الحماس الديني عند المسلمين ، وقربوا الهندوس من سلطانهم ، وبثوا فيهم

روح العداء للمسلمين لتفرقة الشعب الهندي ، وغرس بذور الشقاق بين المسلمين والهندوس . وظلت هذه التفرقة سائدة أيام الاحتلال ، حيث توالى أحداث الشغب التي زكاهها البريطانيون ، وأخذت شكل صراع دام بين المسلمين والهندوس ، وبين المسلمين والسيخ وأصبح المسلمون قاسما مشتركاً بين الطرفين .

٢ - التحديات الهندوسية :

استولى الهندوس في أعقاب الاستقلال مباشرة على الكثير من الزوايا والمساجد التي خلت من المسلمين بسبب هجرتهم الإجبارية ، حيث هاجر حوالي ١٠ ملايين مسلم إلى الباكستان ، وقتل حوالي مليون ، وحولت المساجد إلى معابد ومتاجر ومساكن هندوسية (Esposito, 1995, vol. 2, 194) وكانت ذروة هذه التحديات ، هدم المسجد البابري . وتستغل الأحزاب الهندوسية هذه النعرة ، وتزكيتها وسائل الإعلام الهندوسية ، وتحاول تشويه الشريعة الإسلامية ، واستغلت بعض قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين لهذه الغاية . وكون الهندوس منظمات هندوكية متطرفة لتصفية وجود المسلمين بالهند ، ومنها منظمة (شينوسينا) التي قادت حملة هدم المسجد البابري . والمشكلة الأكثر خطورة ، تتمثل في التعليم الوثني في المدارس الحكومية ، والمفروض إجبارياً على التلاميذ (العالم الإسلامي ، ١ جمادى الآخرة ، ١٤١٧هـ) .

ويستند تحدي الهندوس للمسلمين على عدة عوامل ، منها (العالم الإسلامي ،

١٢ شعبان ، ١٤١٧هـ) :

أ - بذور الشقاق التي غرسها الاحتلال البريطاني ، عندما قرب الهندوس واستبعد المسلمين .

ب - نبذ ومحاربة المسلمين الهنود لنظام الشرك السائد في الهند .

- ج - الإقبال على اعتناق الإسلام من جانب الطبقات الخاضعة للهندوس .
- د - شعور الهندوس بالإحباط نتيجة تأثير الحضارة الإسلامية التي تحمل المبادئ السامية للعدل والمساواة والتوحيد .
- هـ - فشل محاولات تغيير أوضاع المسلمين لتبني العادات والتقاليد الهندوسية .
- ولكي تحقق الجمعيات الهندوسية الجديدة أهدافها التي فشلت في تحقيقها ، تبنت سياسة جديدة أبرزها : اختيار الطبقة الفاشية من بينهم للسيطرة على المجتمع الهندي ، وثبتت نظام الطبقات ، وسيطرة طبقة البراهما ، وانتهاك مبدأ المساواة ، وتركيز مقاليد الأمور في يد الطبقة العليا من الهندوس ، وفرض الفكر الهندوسي بالقوة ، وإثارة الرعب بين المسلمين وغيرهم .

٣ - التحديات الاقتصادية :

نتيجة لأحداث التدمير والشغب التي يشنها الهندوس والسيخ وغيرهم من الأحزاب والجماعات المتطرفة تدهورت أحوال المسلمين الاقتصادية ، بسبب حرق وتدمير ممتلكاتهم . فحوالي ٧٠٪ من المسلمين يعيشون في مستوى معيشي يصل إلى ما دون مستوى الفقر ، وتشارك في هذا التدني عوامل أخرى ، منها ارتفاع نسبة الأمية بين المسلمين خصوصا بين المسلمات ، وندرة التعليم المهني ، وضعف الإنتاج ، والظروف الصحية السيئة ، وانتشار البطالة . كما تشارك في هذه ، الفقرة العنصرية السائدة في المناصب الحكومية ، فيميز الهندوس في الاختيار الوظيفي ، أو الدراسات العليا ، ولا تزيد حصة المسلمين عن ١٪ بينما نسبهم بين سكان الهند حوالي ١٤٪ . ويواجه المسلمون صعوبات وعراقيل شتى تضعها الحكومة في الحصول على تراخيص وتصاريح للصناعة أو التجارية (العالم الإسلامي ، ١٧ محرم ، ١٤١٧هـ) .

وهناك بعض الحلول لرفع مستوى دخول الأسر المسلمة بالهند ، نذكر منها ، التعاون بين المسلمين لزيادة الإنتاج والتوسع في الأعمال التجارية ومساهمة أثرياء المسلمين في هذا المجال ، وتنظيم الإنتاج ، ومشاركة الهيئات والمؤسسات الإسلامية في هذه التنمية الاقتصادية ، فالإنتاج هو أفضل وسائل محاربة الفقر ، والجهاد ضده يقضي التعاون على الصعيدين المحلي والعام ، والتضامن لتقديم الحلول المناسبة ، ولخروج المسلمين من دائرة الفقر . فمثلا ، يمكن تشجيع الأفراد على العمل بالتجارة المنقلة وذلك بامتلاك دراجات يعرضون عليها تجارتهم والتجوال بها في الأحياء ، كما يمكن حث الأفراد على الإدخار مهما كان ضئيلا ، واستثماره . كذلك يجب على المؤسسات المالية الإسلامية ، مثل البنوك ، والشركات الإسلامية ، حث المسلمين على كسر الحواجز بينهم وبين الأسواق التجارية (Radiance, 1992, xxvii, 24) .

٤ - الاعتداء على قانون الأحوال الشرعية للمسلمين :

إن قوانين الأحوال الشرعية للمسلمين ، والمستمدة من الشريعة الإسلامية ، هي الضمان الوحيد للاحتفاظ بالشخصية الإسلامية في الهند . ففي السنوات الأخيرة ، شنت الصحافة ووسائل الإعلام الهندية والمنظمات الهندوسية المتطرفة حملات شرسة ضد قوانين الأحوال الشرعية الإسلامية ، وطالبت بإلغائها ، وشهد المجلس الأعلى للبرلمان الهندي مناقشات حادة حول هذا الموضوع ، واقترح بعض أعضاء المجلس أن يصدر قانون مدني موحد يُفرض على جميع سكان الهند ، وشاركت المحكمة العليا بالهند في هذه الحملة . واستنكر الزعماء المسلمون هذا الاقتراح ، لأنه اعتداء على حقوق المسلمين ومقدساتهم التي يكفلها الدستور الهندي ، وطالب الشيخ أبو الحسن الندوي الحكومة بالكف عن مناقشة مشروع هذا القانون ، لأنه سوف يؤدي إلى الاضطرابات وسفك الدماء البشرية ، فالمطلوب الإخاء والتوادد بين

المواطنين وليس قانونا يؤدي إلى الفتن. وطالب الحكومة أن تتخلى عن كل ما يمس حقوق المسلمين، وطالبت جمعية العلماء لعموم ولاية كيرالا الحكومة الهندية، بالكف عن وضع يدها على الأحوال الشرعية للمسلمين (العالم الإسلامي، رمضان، ١٤١٧هـ).

لقد طبق السلاطين المسلمون أثناء حكمهم للهند الشريعة الإسلامية طيلة حكم دام حوالي ثمانية قرون ، ولم يفرضوا على غير المسلمين شريعتهم . ولكن ألغت سلطات الاحتلال البريطاني أثناء حكم الهند العمل بقوانين الشريعة الإسلامية ، ماعدا قوانين الأحوال الشرعية للمسلمين ، فظل العمل بالشريعة الإسلامية ساري المفعول في قضايا المسلمين ، وأُعتمد قانون الأحوال الشرعية للمسلمين رسميا في سنة ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م). وفي سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣٩م)، سُنَّ قانون الطلاق حسب الشريعة الإسلامية ، وفي سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م) سنت حكومة الهند قانون الأوقاف الإسلامية (العالم الإسلامي ، رمضان ، ١٤١٧هـ) .

ويمكن إجمال أبرز التحديات التي تواجه مسلمي الهند والمتطلبات اللازمة لمواجهتها فيما يلي :

أولا : التحديات :

- ١ - ارتفاع نسبة الأمية بين المسلمين الهنود خصوصا بين النساء المسلمات .
- ٢ - الخلاف المتفشي بين الهيئات والمنظمات الإسلامية بالهند .
- ٣ - تعدد مناهج التعليم الإسلامي ، وتعدد لغات التعليم .
- ٤ - تدهور الوضع الاقتصادي المعيشي عند الأغلبية الساحقة من المسلمين .
- ٥ - التعصب العنصري الهندوسي المدمر لكيان المسلمين بالهند .

- ٦ - الأفكار الهدامة المتفشية بين الطبقات الفقيرة .
- ٧ - ضعف تمويل العمل الإسلامي نتيجة تدني دخول المسلمين بالهند .
- ٨ - ضعف الوزن السياسي للمسلمين بالهند ، وتشتتهم بين الأحزاب الهندية
- ٩ - اتساع الفجوات بين الأقلية والأغلبية ، وبينها وبين السلطة التنفيذية .
- ١٠ - محاولة إلغاء قوانين الأحوال الشرعية للمسلمين المبنية على الشريعة الإسلامية .

ثانيا : المتطلبات :

- ١ - تنمية سبل الاتصال بين الأغلبية والأقلية في المجتمع الهندي ، وإقناع القيادات العليا في الهند لتنفيذ مواد الدستور الهندي الخاصة بالمسلمين ، وإزالة الشكوك عند الطرفين وإحلال الثقة المتبادلة .
- ٢ - تنقية المواد الدراسية من كتب التاريخ المضللة والتي تشوه تاريخ الإسلام بالهند .
- ٣ - إصلاح وسائل الإعلام لترتفع إلى مستوى الأحداث ، وجود إعلام إسلامي يتابع القضايا الإسلامية بمختلف اللغات .
- ٤ - تربية الشباب المسلم تربية إسلامية وتنمية الوعي بقضايا المسلمين .
- ٥ - تمثيل المسلمين في الجهاز الإداري في الولايات الهندية والحكومة المركزية ، بما يتفق مع نسبتهم بين سكان الهند .
- ٦ - إيجاد منصة سياسية ناطقة باسم المسلمين الهنود .
- ٧ - القضاء على المحاولات التي تنال من الشخصية الإسلامية ، خصوصا تلك التي تحاول إلغاء قوانين الأحوال الشرعية للمسلمين .

- ٨ - تنشيط دور المنظمات النسائية الإسلامية في محاربة الأمية .
- ٩ - إichاد قنوات اتصال بين المثقفين المسلمين بالهند .
- ١٠ - التوعية الدينية .
- ١١ - تنشيط الداعيات المسلمات لتنمية الوعي الديني عند المرأة المسلمة بالهند .
- ١٢ - تشكيل هيئات شبابية إسلامية لمقاومة تغلغل نفوذ المنظمات غير الإسلامية بين الطلاب المسلمين .
- ١٣ - محاولة تقديم حلول للمشكلات الاقتصادية التي تتفشى بين المسلمين الهنود .
- ١٤ - تنمية جسور الاتصال بالعالم الإسلامي ، وتبني قضايا المسلمين الهنود في المحافل الدولية .

• • • • •

الأقلية المسلمة في الصين الشعبية

مدخل إلى جغرافية الصين

الملامح العامة :

تقع شرقي آسيا ، وتحدها منغوليا الشعبية من الشمال ، وروسيا الاتحادية وكوريا الشمالية من الشمال الشرقي ، ونطل بسواحلها الشرقية على البحر الأصفر وبحر الصين الشرقي ، وتشرف سواحلها الجنوبية الشرقية على بحر الصين الجنوبي ، وتشترك حدودها في الجنوب مع كل من فيتنام ولاوس وميانمار (بورما) والهند وبتوتان ونيبال، كما تشترك حدودها الغربية مع كل من الباكستان وأفغانستان وروسيا الاتحادية.

وتبلغ مساحة الصين الشعبية حوالي (٩٦ ملايين كيلو متر مربع) ، وتعتبر أكبر أقطار قارة آسيا مساحة ، وأكثر دول العالم سكانا ، حيث قدر سكانها في سنة ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) بحوالي ٩٧٢٦٨ر٢٠٣٠١ نسمة (Famighetti, 1996, 752) وفي تعداد سنة ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) كانوا ١١٣٣٠٠٠ مليون نسمة . وتضم أرضها ٣٠ وحدة إدارية ، تشمل ٢٢ مقاطعة ، ٥ أقاليم ذاتية الحكم ، ٣ بلديات والعاصمة بكين "بجين" ٧ ملايين نسمة ، وأكبر مدنها شنغهاي ٧٨ ملايين نسمة (Europa(B), 1992, vol.1,7) (Philip, 1991, vol. 16, 36)

• • • • •

التضاريس

تضم أرض الصين ثلاثة أقاليم تضاريسية رئيسة ، حيث تشمل

١ - الإقليم الجنوبي الغربي . ويتكون من هضبة التبت ومتوسط الارتفاع (٤٠٦٠ متراً) ، ويشمل الإقليم بعض المرتفعات في الشرق والجنوب ، والقسم الأوسط من هضبة التبت الذي يزيد ارتفاعه على (٥٠٠٠ متر) ، ويسمى هذا القطاع سقف العالم ، حيث توجد قمم جبلية تصل بين (٧٠٠ - ٨٠٠٠ متر) . وبصفة عامة ، يضم الإقليم هضبة التبت وحوض تسيدام والأراضي المرتفعة في يونان وقويتشو (Philp, 1991, vol. 3, 221&vol. 16, 45) .

٢ - الإقليم الشمالي الغربي : يمتد من حدود أفغانستان غرباً عبر الصين إلى حدودها مع منغوليا الشعبية في الشمال الشرقي ، ويجمع مظاهر تضاريسية مختلفة ، ومن أبرز معالمه جبال تيان شان (٤٠٠٠ - ٤٥٠٠ متر) ، التي تفصل بين حوض تاريم (٥٥٠٠ كيلومتر مربع) ، وصحراء تكلا - ماكان في الجنوب ، وهي واحدة من أكثر صحاري العالم قحولة ، وحوض رونجباريا في الشمال الذي ، يقع بين جبال تيان شان في الجنوب وجبال التاي في الشمال . وفي شمال الإقليم ، تقع هضبة منغوليا ، وفي جنوبها صحراء جوبي .

٣ - الإقليم الشرقي : يشمل معظم الأراضي المنخفضة ، وبعض المرتفعات المتناثرة خلالها ، وقلما يزيد الارتفاع عن (٤٥٠ متراً) ، كما يجمع الأراضي السهلية في الشمال الشرقي ، وسهول شمالي الصين والتي تضم مساحة تقدر بحوالي ٧٠٠٠ كيلومتر مربع . وفي جنوبي الإقليم يقع حوض شزوان ، وتقدر مساحته بحوالي (٢٠٠٠ كيلومتر مربع) ، ويشغل أعالي نهري يانغتسي ويندمج فيه من ناحية الشمال سهل يانغتسي الأوسط ، وكذلك الأدنى (دلتا كانتون) . وهكذا يضم الإقليم ١٠ أقسام فرعية هي : سهل منشوريا ، جبال

شانج باي ، سهل الصين الشمالي ، معظم هضبة اللويس ، تلال شاندويج جبال تسينلنج ، حوص شزوان ، الجبال الجنوبية الشرقية سهول يانغتسي الوسطي والدنيا ، وجبال نان . والقسم الشمالي من الصين يوجد ضمن حزام الزلازل ، لذلك يتعرض لهزات أرضية عنيفة أحيانا . (Philip, 1991, vol. 3, 221 & vo.; 16, 46)

وتضم الصين أنهاراً عديدة (شكل رقم ٧) ما بين أنهار كبرى وأخرى صغرى ، يقدر عددها بالآلاف وتبلغ طوال أنهار الصين حوالي ٢٢٦٨٠٠ كم ، ويبلغ تصريفها أكثر من ٢٦٠٠٠٠ مليوني متر مكعب ، ولهذا تصدر الصين دول العالم في توليد الطاقة الكهربائية (٦٣٠ مليون كيلو واط / ساعة) . وتنصرف أنهار الصين خارجياً إلى المحيط الهادي أو المحيط القطبي الشمال (ارتش) أو إلى المحيط الهندي . وكبرى أنهار الصين تتجه من الغرب إلى الشرق إلى المحيط الهادي ، أو من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي إلى المحيط الهندي . وأهم أنهار الصين نهر يانغتسي أو شانج شانج (٦٣٠٠ كم) ، ثالث أنهار العالم ، يليه نهر هوانج هو أو "النهر الأصفر" (٥٤٦٤ كم) ، ثم نهر سيكيانج (٢١٩٧ كم) وهذه تصب في المحيط الهادي . وهناك مجموعة من الأنهار الكبرى في الصين تتجه نحو الجنوب إلى المحيط الهندي حيث مصابها بينما منابعها في الصين ، مثل ميكونج وسلوين وبراهمايترا وهناك أنهار داخلية التصريف ، من أبرزها نهر تاريم (٢١٣٧ كم) في إقليم شنجيانج ، ويتعرض النطاق الشرقي في الصين لحدوث فيضانات مدمره أحيانا ، خصوصا في حوض النهر الأصفر . (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٤٨٢) (Chung, 1981, 90) (Philip , 1991, vol. 3n221) - 94)

وثمة قناة صناعية طويلة تربط بين خمسة من أنهار الصين الكبرى . وتبدأ هذه القناة التي بلغ طولها ١٧٩٠ كم من بكين شمالاً إلى كيآنجسو "Kiangsu" على بحر الصين الشرقي .

المناخ

كان لموقع الصين في شرقي قارة آسيا وعلى شواطئ المحيط الهادي أن تأثر مناخها بالكتل الهوائية التي تنشأ فوقهما . ففي فصل الشتاء ، يتأثر مناخ الصين بالكتل الباردة القادمة من سيبيريا والتي تتميز بشدة البرودة والجفاف . أما في فصل الصيف ، فيتأثر مناخ القسم الشرقي من الصين بالكتل المدارية البحرية القادمة من المحيط الهادي والتي تؤدي إلى سقوط الأمطار وتلطيف الحرارة .

كما تتنوع الظروف المناخية في الصين بسبب اتساع رقعتها المترامية الأطراف ، وتنوع التضاريس ، وبصفة عامة تخضع أرض الصين الأصلية (الصين الداخلية) للمناخ الموسمي ، أما الأراضي التي يطلق عليها الصين (الخارجية) فتعتبر قارية المناخ بوجه عام ، وتسقط الأمطار الغزيرة على الساحل الشرقي ، وتقل نحو الداخل باتجاه الغرب . وفي فصل الشتاء ، تتدنى درجات الحرارة ، وتهب الرياح الموسمية الشتوية الغربية . وفي فصل الصيف ، ترتفع درجات الحرارة في الجنوب الشرقي ، وتنخفض في الداخل على المرتفعات ، وتكون الأحواض الصحراوية في الغرب أشد حرارة ، كما تحدث الفوارق في فصل الصيف . وأغزر مناطق الصين أمطاراً ، المنطقة المرتفعة الجنوبية الشرقية ، حيث يصل المعدل السنوي إلى (٢٠٠٠ ملم) ، وتقل نحو الغرب . ففي الوسط ، يتراوح المعدل السنوي ٧٥٠ و ١٠٠٠ ملم ، وفي شمال غربي الصين ، يتراوح المعدل بين ٢٥٠ و ٥٠٠ ملم (أبو العينين، ١٩٧٩م ، ٤٨٣ - ٤٨٦) .

ووفقاً لتنوع التضاريس وظروف الموقع الجغرافي والأحوال المناخية ، يمكن تقسيم الصين إلى ثلاثة أقاليم مناخية رئيسة (أبو العينين، ١٩٧٩م ، ٤٨٦ - ٤٩١) ، (Philip, vol. 3, 221) .

١ - إقليم مناخ شمالي الصين : يشمل القسم الشمالي من البلاد ، وحوض نهر هوانج هو . وهذا الإقليم بارد في فصل الشتاء ، فمتوسط حرارة يناير أقل من

الصفير المثوي ، كما يتعرض لهبوب رياح شديدة البرودة . وفي فصل الصيف ، ترتفع الحرارة . فمتوسط شهر يوليو في بكين (٢٥ درجة مئوية) . وتسقط أمطاره في فصل الصيف .

٢ - إقليم مناخ وسط الصين : يشمل الحوص الأدنى والأوسط لنهر يانغتسي . وهذا بارد في الشتاء ولو أن درجة الحرارة تكون فوق درجة التجمد ، وترتفع حرارته في فصل الصيف ، ليصل المعدل إلى (٢٦٧ درجة مئوية) . ويتراوح متوسط كميات الأمطار بين ٧٥٠ ، ١٠٠٠ ملم ، تسقط معظمها في الصيف ، وتكون أغزر على السواحل وتسببها الرياح الموسمية الجنوبية الشرقية ، وتختلف معدلات الأمطار باختلاف أجزاء الإقليم

٣ - إقليم مناخ جنوبي الصين : يضم القسم الجنوبي والجنوبي الشرقي إلى الجنوب من سلاسل جبال ووي شان و نان لينج ، وجنوب شرقي هضبة يونان . ومناخه شبيه بالمناخ الموسمي المداري الرطب ، إلا أن الشتاء بارد نسبياً . وتسقط الأمطار في معظم شهور السنة وتزداد في الصيف ، وتسببها الرياح الموسمية الجنوبية الشرقية ، ومتوسط الأمطار بين ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ ملم .

الغطاء النباتي :

تقتصر مناطق الغابات حالياً على السفوح الجبلية لمرتفعات نان شان ونان لينج (صنوبر وشربين) ، وتسين لينج والسلاسل الجبلية الوسطى ، التي تمتد عبر أقاليم شزوان وهونان وهوبي . وتنوع الغابات حسب تنوع الأقاليم المناخية ونطاقات التربة . كما تنتشر أنواع متعددة من الحشائش في معظم أنحاء الصين . ويغطي النبات الطبيعي أقل من عُشر مساحة الصين ، التي استطاعت بإعادة التشجير أن تزيد المساحة إلى حوالي سبعة مساحات البلاد ، وتنمو غابات المانجروف قرب سواحل بحر الصين الجنوبي . (أبو العينين ، ١٩٧٩ م ، ٤٩٠) (Philip, 1991, vol. 3, 293) .

سكان الصين :

في سنة ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) ، قدرت هيئة الأمم المتحدة عدد سكان الصين بحوالي ١١٦٩ مليون نسمة ، وفي سنة ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) ، قُدر هذا العدد بحوالي ١٢٠٣٠٩٧٠٠٠ نسمة . ويتكون السكان من عدد كبير من الأعراق ، أكبرها الهان "Han" ، الذين يشكلون ٩٣٪ من مجموع السكان ، أما النسبة الباقية فهي تنتمي إلى ٥٥ مجموعة عرقية ، أبرزها الزهوانج "Zhuang" والمانشو "Manchu" والهوي "Hui" والمياو "Miao" والويغور "Uyгур" ، والي "Yi" والمنغول "mongolian" والتبتيون "Thbetan" والشوانج "Chuang" . ويعتنق الإسلام عشرة أعراق ، ممثلة في الهوي "Hui" والويغور والقازاك "Kazakh" والدونغشيانج "Dongxiang" والقرغيز "Kyrgyz" وأسالار "Salar" والتاجيك "Tajik" والأوزبك "Bonan" والبونان والتتار "Tatar" (Esposito, 1995, vol. 2, 276) & (Famighetti, 1996, 272) (Europa (A), 1993, 200).

أوسع اللغات الصينية انتشاراً الماندرين "Mandarin" وهي اللغة الرسمية . ولقد استخدم الصينيون الورق في كتابتها قبل الميلاد بحوالي ١٠٠ سنة ، وإلى جانبها مجموعات لغوية ، منها اللغات الصينية - التبتية "Sino-Tibetan" والألتية "Altic" والهندية - الأوروبية "Indo-European" والنمساوية - الآسيوية "Austro-Asiatic" . وإلى جانب اللغة الرسمية ، يتحدث المسلمون من قوميات الويغور والقازاك والقرغيز والأوزبك والتتار اللغة التركية . كما يتحدث المسلمون من قوميات الدونغشيانج والسالار والبونان اللغة المنغولية - التركية في بعض المناطق . ويتحدث التاجية اللغة الهندية - الفارسية "Indo-Persian" ، ويصق الهوي أو الخوي مسلمون صينيون ،

وهذا تضليل لأنهم مواطنون صينيون بحكم القانون والمواطنة ، ويتحدثون لهجات محلية إلى جانب اللغة الرسمية . والهوي أقرب إلى الهان من أي قومية مسلمة أخرى ، ويتحدث أغلبهم لغة الماندرين . وهذا الأمر ينطبق على التبتيين والمغوليين والتاي . والديانات المنتشرة في الصين هي: الكونفوشيوسية والطوطمية والإسلام والنصرانية (Fizgerled & George, 1948, 19) (Esposito, 1995, vol. 2, 276) .

• • • • •

النشاط الاقتصادي والموارد الطبيعية

تتمثل أهم الأنشطة الاقتصادية في الزراعة والتعدين والصناعة وتعتبر الزراعة من أبرز هذه الأنشطة في الصين ، حيث يعمل بها عدد كبير من الصينيين ، فعدد العاملين في الحرف الزراعية والغابية والصيد ، قدروا في سنة ١٤١١هـ (١٩٩٠م) بحوالي ٣٤١٧ مليون نسمة . وأهم الغلات الزراعية الأرض ، وقدر إنتاجه في سنة ١٤١١هـ (١٩٩٠م) بحوالي ١٨٩٣ مليون طن ، والقمح ٩٨٢ مليون طن ، والذرة ٩٦٨ مليون طن ، وفول الصويا ١١ مليون طن ، والبطاطس ٣٣ مليون طن ، وقصب السكر الخام ٥٧٦ مليون طن ، والبنجر السكر (خام) ١٤٥ مليون طن ، وبذور القطن ٩ ملايين طن ، والقطن ٤٥ ملايين طن ، والشاي (المعلب) ٥٤٠ ألف طن . وقدرت الثروة الحيوانية في سنة ١٤١٢هـ (١٩٩٢م) بنحو ١٠٢ مليون رأس ، من الأبقار والجاموس ١١١ مليون رأس من الأغنام ، ٩٧٢ مليون رأس من الماعز . وبلغ إنتاج الصين من الأسماك ١١٢ مليون طن . وبلغت جملة إنتاج الأخشاب ٢٧٧ مليون متر مكعب (Europa(A), 1993, 202) .

وبلغ احتياطي سنة ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) من خام الحديد ٣٥٪ من الاحتياطي العالمي ، وحوالي ٢٪ من خام النحاس والرصاص والزنك ، وتوجد كميات كبيرة من رواسب الأنتمون والكروم والكوبلت والتنجستين ، وقدر الاحتياطي من خام البترول بحوالي ٢٦ مليار طن ، وهذا يشكل ٣٪ من الاحتياطي العالمي . وبلغ احتياطي الفحم ١١٪ من الاحتياطي العالمي . ويضاف إلى هذا ، الزئبق والذهب والفوسفات والكبريت والقصدير والمغنسيوم والبوكسيت (Philip, 1991, vol. 3,229) .

وتنتشر الصناعة في معظم أنحاء الصين بعد أن تطورت تطورا كبيرا . وكانت الصناعة قبل الحرب العالمية الثانية تتركز في مدن كانتون وشنغهاي ونانكين وهنكاو

تسينجتاو ودابرين ، ولكنها اتسعت بعد الحرب العالمية الثانية ، فانتشرت في أقاليم متعددة ، منها إقليم شمالي الصين ، ومن أبرز مراكزه الصناعية بكين وتيانجين ، ثم إقليم شمال غربي الصين ، ومن أبرز مراكزه الصناعية سيان ولانتشو ، وإقليم شرقي الصين في الحوض الأدنى لنهر يانغتسي ، وأبرز مراكزه شنغهاي ، ثم إقليم وسط الصين في الحوض الأوسط لنهر يانغتسي ، وأبرز مراكزه الصناعية وهان ، ثم إقليم جنوبي الصين ، وأهم مراكزه كانتون ، وأخيراً جنوب غربي الصين ، ويشمل إقليم شزوان وإقليم يونان الصناعيان . وتشمل الصناعة أنواعاً متعددة ، منها صناعات قائمة على المواد الزراعية والغاية والحيوانية والأسماء . مثل صناعة السكر وزيت النخيل وتعليب الشاي والأسماء واللحوم والخضراوات والفاكهة . ومن الصناعات المهمة صناعة المنسوجات القطنية والصوفية والحريية والصناعات المعدنية لحديد الصلب والصناعات الكيماوية والبنرولية والمخصبات وصناعة الآلات الزراعية ووسائل النقل ، والصناعات الإليكترونية وغيرها (أبو العينين ، ١٩٧٩م ، ٥١١) (Famighetti, 1996, 752) .

• • • • •

انتشار الإسلام

لقد سلك الإسلام إلى الصين محوريين ، محور بحري وآخر بري وذلك على النحو التالي :

١ - المحور البحري :

دخل الإسلام إلى الصين من جنوبها الشرقي متتبعا حركة التجارة المزدهرة في كانتون خانقو، التي اطلق عليها المسلمون باب الصين . وقد كتب عنها وعن أحوال المسلمين فيها (سليمان) التاجر العراقي سنة ١٣٧هـ (٨٥١م) وأبو زيد السيرا في الذي عاش في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) واتصلت البعثات التجارية الإسلامية العربية والفارسية بموانئ جنوبي الصين ، ووصل الإسلام أول الأمر إلى المقاطعات الساحلية الجنوبية في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وكثر عدد المسلمين في الفترة من القرن الأول الهجري إلى القرن الرابع الهجري (السابع - العاشر الميلاديين) ، وقوي مركزهم في مدينة كانتون ، كما ظهرت في مدن تشوانتشو (الزيتون) وهانج تشو . وفي سنة ١٤٣هـ (٧٦٠م) ، ذكرت أخبار مذبحة للتجار المسلمين في هانج تشو شمال مدينة تشوانتشو ، وقد بُني مسجد كانتون الأتري في هذه الفترة. ولقد استقر التجار المسلمون في هذه الموانئ وكونوا مجتمعات مسلمة منذ القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، وزار ابن بطوطة الرحالة المغربي المشهور المنطقة في القرن الثامن الهجري (٧٤٣هـ/١٣٤٢م) ، ونحدث عن أحوال المسلمين في مدينة الخنساء (هانجتشو)، وذلك بعد زيارة سليمان وأبو زيد التاجران المسلمان بحوالي ٥ قرون. (السنتاوى، ١٩٣٣، ٤٦٦ - ٤٦٨)، (فهيمي، ١٩٧٣م، ١٦٤)، (حي، د ت، ١٧ - ١٩).

وهكذا وجد جالية مسلمة من العرب والفرس في كانتون وتشوانتشو ، وهانجتشو، ففي هذه الموانئ الواقعة جنوبي وجنوب شرقي الصين منذ القرن الأول

الهجري (السابع الميلادي) ، وجدت جاليات مسلمة ، عملت بالتجارة وبنت المساجد . ولقد أسندت السلطات الصينية رئاسة الجمارك إلى بعض التجار المسلمين (شكل ٨) . (حي ، د.ت ، ١٧ - ٢٠) ، (شكل رقم ٨) .

بخصوص قدم هذا المحور البحري ، أشارت السجلات التاريخية الصينية "تاريخ تانج القديم" إلى حدوث اضطرابات سنة ١٤٣هـ (٧٦٠م) في مدينة هانجتشو ضد المسلمين ، وهذا الحادث يثبت الوصول المبكر للمسلمين وإستقرارهم بهذه المناطق قبل نهاية النصف الأول من القرن الهجري الثاني (القرن الثامن الميلادي) . وقد ولى عليهم الامبراطور قاضياً مسلماً . وجاء في أحداث سنة ٢٦٥هـ (٨٧٨م) ، وقوع مذبحة للبحارة العرب والفرس والتجار الأجانب في أحداث مدينة هانجتشو ، وهذا دليل آخر على تزايد الوجود الإسلامي في الصين في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . ومن المهتمين بآثار المسلمين في موانئ جنوب الصين ، عالم الآثار الصيني البرفسور (تشونج وي جي) ومساعدته (تشونج جنج هوى) ويعملان في شعبة الآثار القديمة بقسم التاريخ بجامعة (شيامن) ، ولهما اهتمام بالآثار الإسلامية حول مدينة تشوانتشو كذلك اهتما بآثار تاجر مسلم ثري من أصل عربي "ابو شوقنج" ، الذي عينته السلطات الصينية مديراً للجمارك وعاش في مدينة تشوانتشو واشتغلت أسرته في تجارة العطور . وقد أثبتت الدراسات الأثرية التي قام بها تشوانج وجوداً إسلامياً قديماً بهذه المنطقة ، ممثلاً في الآثار التي عثر عليها ، ومنها مسجد يعود إلى سنة ١٠٠هـ (١٠٠٩م) (حي ، د.ت ، ٢١) (بناء الصين ، ٨٠ - ١٩٨٣م ، ١٣٢) .

تعتبر المنطقة المحيطة بمدينة تشوانتشو منطقة تجمع فيها المسلمون من العرب والفرس من قديم ، وتكاثرت ذرية هؤلاء في القطاع الجنوبي الشرقي من البلاد . ويضاف لما سبق ، منطقة أخرى من ناحية تشلي جنوب مدينة

تشوانتشو بحوالي ٢٠ كم ، تقع على شاطئ البحر ويقيم بها أكثر من ١٦٠٠٠ مسلم من سلالة أسرة شمس الدين (سيد أجل) . وقد عثر على شاهد قبر في سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) مكتوب عليه اسم المتوفي وهو أمير سيد أجل طغا بن سيد أجل عمر . وتاريخ الوفاة سنة ٧٠٢هـ (١٣٠٢م) . وفي ناحية بايتشي في المنطقة الساحلية المقابلة لميناء هود خارج مدينة تشوانتشو يوجد أكثر من ١٠٠٠٠ مسلم من سلالة العرب أو الفرس ، يعيشون في قرى تسمى قرى قوة . ولقب (قوة و ابو) من الألقاب العربية . وحول مدينة تشوانتشو يعيش أكثر من ٣٠ ألف مسلم من أصول عربية . وكانت الرحلة من الخليج العربي إلى الصين تستغرق ٦ شهور أو ١٢٠ يوماً دون توقف (بناء الصين ، ١٩٨٣م ، ١٣٢ - ١٣٥) (هويدي ، ١٩٨١م ، ١٦٦) .

٢ - المحور البري :

جاء هذا المحور بالإسلام إلى غربي الصين ، حيث وصلت الفتوح الإسلامية إلى الحدود الغربية للتركستان الشرقية قرب نهاية القرن الهجري الأول (السابع الميلادي) ، حينما وصل قتيبة بن مسلم الباهلي إلى كاشغر على حدود الإمبراطورية الصينية وأرسل رسلاً إلى إمبراطور الصين سنة ٩٥هـ (٧١٣م) ، ودعم طريق الحرير التجاري القديم بين الصين ووسط آسيا هذا الانتشار . وكانت منطقة التركستان الشرقية ووسط آسيا جهة احتكاك بين الصينيين والمسلمين وسادت علاقات ود وتعاون . ولقد زاد انتشار الإسلام وصول المسلمين إلى أرض الصين عبر المحور البري في القرنين الرابع والخامس الهجريين (العاشر والحادي عشر الميلاديين) ، حيث هاجرت شعوب مسلمة إلى غربي وشمال غربي الصين ، ولجأ أحد أمراء بخارى في سنة ٤٦٣هـ (١٠٧٠م) ومعه ٥٣٠٠ جندي مسلم إلى شمال الصين (توماس ، ١٩٧٠م ، ٣٣٢ ، ٣٣٣) (Brice, 1981, 15) .

زاد وصول المسلمين إلى الصين في عهد المغول "أسرة يوان" ، فاستوطنوا مناطق عديدة . وعيّن المغول العديد من المسلمين في المناصب العليا بالدولة ، واستعانوا بالويغور الشرقيين في إدارة شؤون الدولة . وتشير السجلات الصينية إلى أكثر من ١٠٠ اسم من المسلمين عينوا في وظائف كبيرة . وأضيفت إلى الأعراف المسلمة السابقة من العرب والفرس ، أعراف جديدة من المغول والترك ، واستطاع المسلمون من خلال مناصبهم خدمة الإسلام والمسلمين ، ومن هؤلاء السيد شمس الدين بن عمر (سيد آجل) ، الذي شغل مناصب عديدة ، منها حكم مقاطعات شينوان وشانشي وقانسو . وعندما أصبحت يونان مقاطعة صينية ، عين قبلاي خان سيد آجل حاكماً عليها في سنة ٦٧١هـ (١٢٧٢م) ، فجاء بأعداد كبيرة من المسلمين إلى هذه المقاطعة وعمرّها وبنى بها المساجد ، وبذلك أسهم في نشر الإسلام بها ، فهاجرت إلى المقاطعة أعداد كبيرة من المسلمين ومن الهان ، وأصبح سكان مدن بأكملها مسلمين مثل تاليغو في يونان . وعيّن (قبلاي خان) ثمانية حكام مقاطعات من المسلمين في سنة ٦٧٨هـ (١٢٧٩م) ، من جملة ١٢ مقاطعة . وفي سنة ٦٧٨هـ (١٢٧٩م) ، تم خضوع الصين كاملة لحكم المغول ، ولقد أسلم أمير مغولي وأسلم معه ١٥٠ ألف من جنوده في مقاطعة قانشو في سنة ٦٥٤هـ (١٢٩٥م) ، واستطاع أحد أحفاد (سيد آجل) وهو بايان فنتشان بن نصير الدين أن يحصل من امبراطور الصين سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٥م) على اعترافه بأن الدين الإسلامي هو الدين الحق الخالص . وظل الإسلام يحمل هذا الاسم حتى القرن العشرين الميلادي . كما أن عهد قبلاي يعتبر أزهى عصور انتشار الإسلام والمسلمين في الصين . وفي عهد دولة المغول ، شغل المسلمون عدة مناصب علمية في الطب والفلك والعلوم الأخرى ، ونشطت حركة الترجمة من العربية إلى الصينية (توماس ، ١٩٧٠م ، ٣٣١ - ٣٣٥) ، (عبدالحليم ، د. ت ، ٣٥٩ - ٣٦١) (Espoaito, 1995, vol. 2,276) .

لقد كثرت هجرة الشعوب الإسلامية التي ولجت أبواب الصين من الغرب والشمال الغربي ، مثل الأوزبك والتتار . وفي عهد أسرة مينغ (٧٧٠ - ١٠٥٤هـ . ١٣٦٨ - ١٦٤٤م) ، أصبح الاسم الشائع للمسلمين (هوي هوي) وأمر أباطرة الصين بترجمة الكتب العربية إلى اللغة الصينية ، وعينوا مسلمين في مناصب عالية ، منهم القائد (تشانج يو تشونج) ، والحاج جهان "جنهو" أكبر بحار تفتخر به الصين ، والذي قام بعدة رحلات بحرية ، زار خلالها الخليج العربي وعدن ، ومكة المكرمة وأدى فريضة الحج في الفترة بين (٨١٨ - ٨٣٧هـ / ١٤٠٥ - ١٤٣٣م) . وكانت لدولة مينج علاقات طيبة بجيرانهم في الغرب ، ولقد عرض أحد أمراء التيموريين وهو الشاه بهادر سنة ٨١٥هـ (١٤١٢م) الإسلام على امبراطور الصين ، وذلك من خلال رسالة مطوّلة أرسلها مع سفير الصين . ولقد وصلت هجرة إسلامية إلى قانسو في سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٥م) ، قادمة من التركستان . وبعد انتهاء حكم أباطرة دولة مينج في الصين سنة ١٠٥٤هـ (١٦٤٤م) ، تكونت دولة شنج (المانشو) في الفترة (١٠٥٤ - ١٣٤٤هـ / ١٦٤٤ - ١٩١١م) ، وواجه المسلمون الكثير من التحديات ، ولهذا تعتبر فترة ثورات ضد ظلم حكم المنتشوريين أو المانشو (حي ، د.ت ، ٣٤ - ٣٦) .

هذه أبرز ملامح المحور البري الذي ساهم في انتشار الإسلام وجاء به من الغرب ، والذي ثبت الوجود الإسلامي غربي الصين ، وشمالها الغربي . وهكذا ولج الإسلام إلى الصين عبر المحورين البحري والبري ، وزاد عدد المسلمين في الصين . وقد أوجت هذه الزيادة لبعض المغرضين تضخيم الأمور ، فلقد ذكر (أنولد توماس) في كتابه الدعوة إلى الإسلام أن الكاتب الروسي فاسيليف (Vasillev. V) (P.) مؤلف كتاب انتشار عقيدة الإسلام في الصين ، المطبوع في بيترسبرج سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) ، تكهن بأن الإسلام سيصبح الدين القومي في الصين . وعلق

أنولد على ذلك " بأنه مضت مدة طويلة ولم تتحقق هذه النبوءة المرعجة (في رأيه). والواقع أن أسباب عدم سرعة انتشار الدعوة الإسلامية وتوسعها في الصين قد تعود إلي الموقف النفسي الرافض لأي فكر قادم من الخارج أو أي دين غريب في الصين . وقد أدى هذا الموقف إلى عزل المسلمين وحصارهم في مناطق محدودة كما ساعد على ذلك ، جهل كثير من المسلمين الصينيين بقواعد الإسلام وتقصيرهم في نشر الدعوة .

• • • • •

أصول المسلمين

ينقسم مسلمو الصين عرقياً إلى شعبين كبيرين ، هما الترك والصينيون أو الشعوب التركية والشعوب الصينية . والترك جيران قدماء للصينيين من الناحية الغربية ، حيث اشتغلوا بالتجارة ونقل السلع الصينية من الحرير وغيره إلى غربي آسيا ، لذلك اختلطوا بالصينيين (الشتناوي ، ١٩٣٣م ، ج٤ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠) . وينتشر الإسلام بين عشر أعراق من ٥٥ عرقاً تعيش في الصين . وهذه الأعراق تشمل الهوي (الخوي) "Hui" والويغور "Uygur" والقازاك "Kazakh" والدونغشيانج "Dongxiang" والقرغيز "Kyrgyz" وأسالار "Salar" والتاجيك "Tajik" والأوزبك "Uzbek" والبونان "Bonan" والتار "Tatar" . (تشولنج ، ١٩٨٨م ، ١) (Esposite, 1995, vol. 2, 276) .

المسلمون الهوي أو الخوي Hui :

أحد الأعراق الصينية ذات التاريخ الطويل . ففي تاريخهم تذكر بعض الروايات الصينية ، أنه في عهد أسرة تانج الملكية في الصين (٦١٨ - ٩١٧م) كان يعيش في المنطقة الشاسعة الممتدة إلى الغرب من شينجيانج "التركستان الشرفية" وإلى غربي تسونغلينج ، في هذا القطاع ، عاش قوم أطلق عليهم "هوي هه" ، وعاشوا من قبل في سهل موباي بالصين . ومعظم هؤلاء اعتنقوا الإسلام قبل القرن الثالث عشر الميلادي ، وعاد منهم عدد غير قليل إلى الصين في عهد حكم أسره "يوان المغولية" (١٢٠٦ - ١٣٦٨م) ، ، ولذلك أطلق عليهم الصينيون اسم الهوي هه (أي العائدون) . وقد استقر هؤلاء بعد نسريحتهم من جيش المغول في مناطق عديدة ، وتكوّن منهم أسلاف الهوي ، . "هذه هي الرواية الصينية" . والهوي سنيون ، ويطلق عليهم هوي هوي "Hui Hui" أو هوي هوي منزو "Minzu" ، أي شعب الهوي هوي أو هوي زو أوخوي زو "Huizu" اختصاراً لهوي منزو ،

وقد يطلق عليهم أحياناً "الهوي المؤمنون" . وفي العهد الجمهوري اعتبرت الحكومة "الهوي" شعباً من الخمس شعوب الكبرى بالصين . (تسولينغ ، ١٩٨٨م ، ٩) (Weeks, 1984, 332) . وفي العهد الشيوعي ، قسمت الصين إدارياً إلى ١٠٧ منطقة ذاتية الحكم ، على ٣ مستويات ، هي ٥ أقاليم ذاتية الحكم ، ٢٢ ولاية ، و ٣ بلديات و ٢٠٠ محافظة . وخصص من مجموعها ١٢ وحدة للهوي ، ينتشرون في ٩٧٪ من محافظات الصين ، ويمثلهم ٦٥ عضواً في المجلس الشعبي الصيني ، كذلك يمثلهم العديد من الأعضاء في مجالس المقاطعات والمحافظات والبلديات (King Abdul Aziz Univ., 1990, Vol. 11, no 2) .

ويعتبر الهوي أكبر الأعراق المسلمة في الصين ، ويتشرون في معظم مقاطعات الصين ، وأقاليم الحكم الذاتي ، وفي وهونج كونج . فلقد سلك مسلمو يوان من الهوي طرق التجارة عبر هذه المناطق جنوب شرقي آسيا ، بل كانوا يسلكونها للحج قبل استخدام السفن التجارية . كما هاجر إليها المسلمون بعد أحداث ثورة ١٨٧٣م . وفي الصين ، يعيش أغلبهم في مقاطعات نينغشيا وقانسو وخنان وخبي وشاندونج وشينجيانج "التركستان الشرقية" وتشينغهاي ، كذلك في العديد من مدن وأقاليم الصين .

وتشير بعض التقديرات إلى أن عدد الهوي بلغ ٨٧ ملايين نسمة عام ١٤١٠هـ (١٩٩٠م)، وربما كان هذا العدد أقل من الواقع بكثير (بناء الصين، ٨٠ - ١٩٨٣م، ٣٦، ٣٧، ٧٥، ٧٧) ، (تسولينغ، ١٩٨٨م، ٢٧ - ٣٠) (King Abdul Aziz Univ., 1986, vol. 7, no. 2) .

وينتشر الهوي في سهول الصين الوسطى في مقاطعة خنان على المجرى الأوسط والأدنى للنهر الأصفر ، ولهم وجود في كل مدن وقرى هذه المقاطعة ، ويمارس بعضهم التجارة . ونتيجة لانتشار الإسلام بينهم وكثرة عددهم ، أطلق

الصينيون على الدين الإسلامي دين الهوي أو الخوي وعلي كل مسلم في الصين هوي هوي . ولقد وصل الإسلام إلى هذه المنطقة منذ ثمانية قرون . ففي مقاطعة خنان مسجد قديم يقال إنه أنشئ في عهد حكم أسرة تانج وبها أيضا مسجد آخر يطلق عليه المسجد الكبير الشرقي ، وتم ترميمه في عهد أسرة متخ في سنة ٨٠٠هـ (١٤٠٧هـ) وفي مقاطعة خنان ٣٤٤ مسجداً ، وفي مدينة تشنغتشو - حاضرة المقاطعة . معهد إسلامي (بناء الصين ، ٨٠ - ١٩٨٣ م ، ٣٧) . ولقد ورد بدائرة المعارف الإسلامية (ج ١٥/٢) أن عدد المسلمين في مقاطعة خنان وحدها أكثر من ٢٦٠ ألف نسمة ، وفي مدينة تشنغتشو أكثر من ١٠ آلاف مسلم ، ويعود هذا التقدير إلى منتصف القرن العشرين الميلادي .

أما عن الهوي في مقاطعة نينغشيا ، فقد أنشئت هذه المقاطعة في سنة ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م) شمال غربي الصين ، كإقليم ذاتي الحكم لقومية الهوي ، وبلغ تقدير عدد سكانها في سنة ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) حوالي ٨٥ ملايين نسمة ، يشكل الهوي بينهم حوالي ٣٢٪ ، أي حوالي ٢ مليوني نسمة ، وهي بذلك تعتبر أكثر مقاطعات الصين من حيث عدد الهوي . وكان في نينغشيا حوالي ٤٢٠٠ مسجد ، وأنشئ بها معهد إسلامي ، وعدة جمعيات إسلامية ، منها جمعية دراسة الإسلام . وحاضرة نينغشيا هي مدينة ينتشوان ، ومن المؤسف أن المسلمين فيها ينقسمون إلى فرق . وفي عهد جنكيزخان ، زاد عدد المسلمين بالمنطقة ، حيث رابط فيها جيش إسلامي من مختلف القوميات ، واستوطن الجنود المنطقة ، وتأسست جمعية إسلامية بها في سنة ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) . وفي العاصمة ينتشوان ٧٤ مسجداً ، وأنشئ بها مركز إسلامي في سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) يضم مسجداً ومعهداً ومكتبة ومتحفاً إسلامياً . وجاء في تقدير سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٦م) أنه في منطقة نينغشيا أكثر من ١٨٠٠ مسجد ، ٣٩٠٠ طالب يتلقون العلم في المساجد

(بناء الصين ، ٨٠ - ١٩٨٣م ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٩٩) ، (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٢٧ ، ٣٠) ، (Weeks, 1984, 332) .

ويوجد مسلمون من الهوي في مقاطعة "Hopeh" هويه في شمالي الصين ، ووصلها الإسلام عن طريق التجار المسلمين من عرب و فرس وترك ، وصلوها بواسطة طريق الحرير المشهور عبر التاريخ . وفي محافظة دينغشيان مسجد يقال إنه بني في عهد اسرة تانغ الملكية وأعيد ترميمه في سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) ، ولقد كتب هذا التاريخ على نصب حجري بالمسجد . وتأسست محافظتان للحكم الذاتي للهوي في مقاطعة هويه في كل من دشانغ ومنغستون ، ولقد أغلقت الثورة الثقافية حوالي ٧٠٠ مسجد في مقاطعة هويه ، وتعرض الأئمة إلى التنكيل ، ومنعت كل الأنشطة الدينية وأحرفت الكتب (بناء الصين ، ١٩٨٣م ، ٨٢) ، (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٢٥) .

وفي مقاطعة شينغهاي شمال غربي الصين ، يتركز مسلمون من الهوي في مدينة شينينغ عاصمة المقاطعة . وبالمدينة أكثر من ٦٠ ألف مسلم . بل في أحد الأحياء حوالي ٥٠ ألف مسلم من الهوي ، وبهذا الحي حوالي ١٠ مساجد . وتعيش معهم أعراق مسلمة أخرى من الدونغشيانغ ، والسالار والقازاك ، ولكن الأغلبية من مسلمي الهوي ، وتأسست محافظتان للحكم الذاتي للهوي بالمقاطعة في هوالونغ ومنيوان . وفي مدينة شينينغ مسجد قديم بني سنة ٧٨٢هـ (١٣٨٠م) وتبلغ مساحته حوالي ١٢٠ ألف متر مربع . (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٣٠) ، (بناء الصين ، ١٩٨٣م ، ١١٤) .

أما مقاطعة قانسو شمال غربي الصين ، فهي تعتبر أكثر مناطق تجمعات المسلمين بالصين ، وأغلب المسلمين فيها من الهوي ، وتعيش معهم أعراق مسلمة أخرى ، وعاصمة المقاطعة مدينة لانتشو . وأبرز مدن تجمعات المسلمين بالمقاطعة

مدينة لينشيا (ختشو) ، ولقد انتقل إليها النشاط الأكاديمي الإسلامي من مدينة شنآن (تشانغان) بسبب قمع السلطات أثناء حكم أسرة تشينغ الملكية للمسلمين بمدينة تشانغان ، وأصبحت لينشيا من أكبر مناطق تجمعات المسلمين ، ويذكر المسلمون فيها أن الإسلام وصل إليهم في عهد أسرة نانغ الملكية ، وذلك لأن طريق الحرير الذي سلكه المسلمون كان يمر بها ثم نزع إليها عدد كبير من المسلمين في عهد أسرة مينغ الملكية (٧٧٠ - ١٠٥٤ هـ / ١٣١٨ - ١٦٣٣ م) ، وامتزجت هذه العناصر المسلمة وتكونت منها أعراق الهوي والدونغشيانغ والسالار والبونان ، وذلك حسب الروايات الصينية . ويشكل المسلمون أكثر من ٦٠٪ من سكان لينشيا (بناء الصين ، ٨٠ - ١٩٨٣ م ١٠٤ ١٠٨) ، (تشولينغ ، ١٩٨٨ م ، ٢٥) .

ولقد بلغ عدد المساجد في "لينشيا" في الخمسينات من القرن الميلادي الحالي حوالي ١٩٤٤ مسجداً ، ووصل عدد علماء الإسلام إلى ٥٥٠٠ ، وهذا ناتج من كثرة المسلمين وكثرة العلماء . وتكثر المذاهب الإسلامية في لينشيا ، نتيجة أن المنطقة كانت مركزاً عسكرياً في عهد أسرتي يوان وتشينغ ، كما أن خصوبة أراضي المنطقة جذبت السكان إليها ، كما وصلها عدد كبير من الدعاة المسلمين . وفي لينشيا اليوم حوالي ١٨٠٠ مسجد . (بناء الصين ، ١٩٨٣ م ، ١٠٤ - ١٠٨) .

وفي مقاطعة يوننان بجنوب غربي الصين توجد أعداد كبيرة من المسلمين ، لاسيما من الهوي ، يقدر عددهم بأكثر من مليون مسلم . وفي المقاطعة أكثر من ٧٠٠ مسجد ، وينتشر المسلمون في معظم أنحاء يوننان ، في ٦٣٠ كمينة و ١٢٠ محافظة و ٩ بلديات ، وعاصمة المقاطعة مدينة كونيغ ، التي يوجد بها حسب التقديرات الصينية أكثر من ٣٠ ألف مسلم . وفي ولاية تشاوتونغ حوالي مائة ألف مسلم من الهوي ، ويتمركزون في محافظتي تشاوتونغ ولوديان . وفي ولاية (تشاوتونغ) ما يزيد على مائة ألف مسلم يتمركزون في محافظات "وشيان" ، دالي

وريوآن . وفي يونفجيان ١٨ قرية ، سكانها من الهوي ، وفي كل قرية مسجد ، وفي ولاية هونفخه أكثر من ٤٠ ألف من أبناء الهوي ، وفي شاديان أكثر من ثمانية آلاف من الهوي وبها سبعة مساجد . وفي محافظة لوقونغ عدد من الهوي ، ويقال أن أسلافهم كانوا أحلافاً لشمس الدين (سيد آجل) . وكذلك يوجد الآلاف من أبناء الهوي في محافظتي ونشان ويويشي . (بناء الصين ، ١٩٨٣م ، ١٠٠ ، ١٠٢) ، (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٢٦) .

هذا وتنتشر الهوي في معظم أرض الصين ، بل هناك هجرات إلى خارج الصين ، جنوب شرقي آسيا وتايوان ، حيث وصلها الهوي في هجرتين ، كانت الأولى في القرن السابع عشر الميلادي وخرجت من مقاطعات سواحل الصين الجنوبية الشرقية ، وخرجت الهجرة الثانية عندما استولى الشيوعيون على الحكم ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) ، وقدر عدد المهاجرين من الهوي بعشرين ألف مسلم حسب الروايات الصينية ، واستقروا في المدن بتايوان ، والحالية المسلمة في تايوان محل تقدير السلطات والشعب ، ولقد ذكر في دائرة المعارف الإسلامية أن عدد المسلمين في يونان أكثر من مليون نسمة ، وفي موضع آخر ، ذكرت أن تيرسان قدرهم بحوالي ٤ ملايين نسمة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي . وهكذا تتفاوت التقديرات . وعموماً يشكل الهوي المسلمون حوالي نصف عدد المسلمين في الصين ، ففي تعدد سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) ، قدر عدد الهوي بحوالي ٧٣ ملايين وبلغ عدد المسلمين ١٤٦ مليون نسمة . وفي منتصف عام ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) ، وبلغ عدد المسلمين من الهوي ٨٦ ملايين نسمة (السنستاي ، ١٩٣٣م ، ج٥ ، ٢ ، ٣) (Weeks, 1984, 335) .

المسلمون الويغور "Uighur" :

يعيشون في إقليم التركستان الشرقية ، ويسمى أحيانا التركستان الصينية ،

ويطلق عليه رسمياً في الصين شينجيانج . وهو إقليم شاسع يشكل حوالي سدس مساحة الصين ، فمساحته ١٦٦ مليون كيلو متر مربع . وقدر عدد الميغور في سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) بحوالي ٦ ملايين ، وفي سنة ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) بحوالي ٧٢ ملايين نسمة ، وهناك عدد قليل من الويغور في أوزبكستان ، وقرغيزيا . "والتقدير السابق أقل من الواقع في الصين" . وإقليم شينجيانغ ذاتي الحكم للويغور ، ومعظم الويغور يعيشون في مناطق كورله واكسو وكاشغر وخيتان على أطراف حوض التاريم . ويعيش الويغور أيضاً في المدن الكبرى والمتوسطة في شمال الإقليم ، مثل أورواموتشي ويانينغ وهامي وترفان وشانسان وتوكسون . والويغور من الشعوب التركية ، بل هم أكبر قومية تركية عرقية بالصين ، وينحدرون من ذرية دينلينغ . ولقد عاشوا في شمال الصين وشمالها الغربي منذ القرن الثالث قبل الميلاد . ولقد أسس الأتراك مملكة لهم بمروج "موباى" منتصف القرن السادس الميلادي ، وتوجهت هذه القبائل في أواسط القرن الثامن الميلادي ، وأسست مملكة عرفت عند الصينيين بمملكة "هوي هه" ، واعترف بها أباطرة الصين في عهد أسرة تانغ (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٣١ ، ٣٢) (Weeks, 1984, 830) .

ويعتبر عهد مملكة (هوي هه) من أهم عهود تطور الويغور (١٣١ - ٢٢٥هـ / ٧٤٤ - ٨٤٠م) ، حيث أقام الويغور في عهدها محطات تجارية على طريق الحرير ، وكان يتم تبادل السلع الصينية بالخيول ، وتوافد الكثير منهم إلى داخل الصين ، وأقاموا في مدنها بقصد التجارة . وكذلك كان هناك تجمع للويغور على سفوح جبال تيان شان وجبال ترافان وكونلن وعلى أطراف صحراء لوب نور ، ثم ضعفت مملكة هوي هه لأسباب ، منها القحط الذي أصابها والغارات الخارجية ، فهاجر الويغور نحو الغرب حتى وصلوا إلى منطقة التركستان الشرقية (شينجيانج) ونشروا نفوذهم على قاوتسانج وخيتان وكاشغر ، وكونوا مملكة لهم عرفت بمملكة الخواقين

أو الخانات ، ودخل الإسلام إلى هذه المملكة في عهد خاراخان ، وكانت كاشغر عاصمتها وعمل الملك صدوق بقرخان على نشر الإسلام بينهم في القرن العاشر الميلادي والقرون التالية له ، بل انتقل إلى داخل الصين عبر المحور الغربي ، خصوصاً في عهد دولة المغول (يوان) (٦٠٣ - ٧٧٠ هـ / ١٢٠٦ - ١٣٦٨ م) (تولينغ، ١٩٨٨ م ، ٣٢ ، ٣٣) (Weeks, 1984, 832) .

ولقد تركت ثقافة الويغور بصمات واضحة على الثقافة الصينية ، استخدم الويغور اللغة التركية القديمة وأطلق عليها الصينيون لغة (هوي هه) وتطورت هذه اللغة في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) واتخذت الحروف العربية أبجدية لها ولقد وضع العالم محمود الكاشغري كتاب المعجم الكبير للغة التركية في القرن الحادي عشر الميلادي بالحروف العربية والذي يعتبر من أهم مراجع الشعوب التركية. ومن أهم الكتب التركية الويغورية التي وضعت في هذه الفترة ، كتاب (حكمة السعادة والبركة) ، الذي وضعه يوسف هاس حاجب ، وبعد انتشار الإسلام بينهم، تغيرت أشكال الفنون والثقافة عندهم لتساير تعاليم الإسلام ، فطور فن الزخرفة وظهر في عمارة المساجد ، مثل مسجد أيتكار والمسجد الجامع في كوتسه ، كما تجلّى فن العمارة أيضاً في منارات المساجد ، وطور الويغور نظاماً دقيقة للري والزراعة ، فأدخلوا زراعة القطن . ومن أبرز مشروعات الري ، آبار كالرجينج ، في منطقة ترفان ، وأقاموا العديد من مشروعات الري الأخرى ، وشقوا أكثر من ١٨٠ ألف كم من قنوات الري ، وعمروا حوالي ١٥٠٠ بئر من آبار كالرجينج ، وذكرت دائرة المعارف الإسلامية ، بأن أسلاف الويغور هم : التاغزغز " ، وأن الويغور صبغوا التركستان الصينية بالصبغة التركية . ولقد اعتبر العرب أن بلاد كاشغر وما إلى شرقها من بلاد تعتبر أصقاعاً تركية ، ويلقب حكامهم بـ (الفاغان) ، ولغتهم من أرومة اللغات التركية ، ولهم لسان يتخاطبون

به فيما بينهم ، وتنتمي لغتهم التركية إلى المجموعة التركية (الألتية) (الشنتاوي ، ١٩٣٣م ، ج ٥ ، ٨) .

يوجد في إقليم شينجيانج خمس مدن كبرى رئيسة ، منها أورومتشي العاصمة وتكتب أحيانا ولومتشي "Wulumuchk" ، وتعتبر من أهم المراكز الزراعية بحوض زونجيا ، كما أنها مركز مهم لتطوير الصناعة ، ومدينة كاراماي "Karamai" أو "Kolaamai" في حوض الجنوبية لحوض زونجياريا ، وهي الأخرى مركز زراعي متميز . ومدينة (إيننج كولاجا Kulaja) قرب الحدود الصينية الروسية ، وهي مركز الصناعات الغذائية ، ثم (كاشغر). أكبر مدن حوض التاريم ، وهي مركز عريق في الصناعة التقليدية علاوة على كونها مدينة تاريخية عريقة . وفي إقليم شينجيانج حوالي ٤٠ عرقاً ، ولكن أغلبها للويغور . ومن القوميات المسلمة الأخرى الهوي ، والقازاك ، والأوزبك ، والتاجيك ، والتتار ، هذا إلى جانب الهان أكبر شعوب الأمة الصينية ، ولقد هجرت السلطات الصينية أعداداً كبيرة من الهان في الفترة (١٣٧٠ - ١٣٨٠هـ / ١٩٥٠ - ١٩٦٠م) إلى شينجيانج لتحل محل نسبة تفوق الويغور العددية ، فوضعت خطة على مراحل . ففي المرحلة الأولى (١٤١٢ - ١٤١٥هـ / ١٩٩٢م - ١٩٩٥م) ، يتم تهجير ٢ مليوني صيني ، وفي المرحلة الثانية يتم نقل ١٠٠ ألف جندي لتعزيز الأمن . وفي المرحلة الثالثة عام ١٤٢٠هـ (٢٠٠٣م) يتم توطين ٥ ملايين صيني في التركستان الشرقية ، ولذلك ارتفعت نسبة الصينيين فيها من ٦٧٪ (١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م) إلى ٣٧٪ سنة ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) ، وبالتالي انخفض نسبة المسلمين من أكثر من ٨٠٪ إلى حوالي ٥٦٪ . والويغور سنيون ، وانتشرب بينهم الصوفية خلال القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر الميلادية . (Philip, 1991, vol. 16, 214) .

المسلمون القازاك "Kazakhs".

يشكلون ثالث الأعراق من حيث عدد المسلمين في الصين ، ويأتي ترتيبهم بعد الهوي ، والويغور ويعيش القازاك في القطاع الشمالي من التركستان الشرقية "شينجيانج" على نهري إيلي ، وايرتيش بين جبال تيان شان وارتاي ، وجبال تار باخاراي والاي . وقدرت السلطات الصينية عددهم في سنة ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) بحوالي ١١ مليون نسمة ، ويتركز وجودهم في ولاية إيلي ذاتية الحكم للقازاك ، خصوصاً في مناطق إيلي وتاتشين وأرتاي ، وتوجد منهم جماعات في محافظات باركوك ، ومولاي ، وأورومتشي . كما توجد بعض الجماعات في مقاطعتي تشنغهاي، وقانسو . ويتحدث القازاك لغة تنتمي إلى أرومة اللغات التركية ، وكانوا يكتبونها بحروف عربية حتى سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣٠م) ويعود أصلهم إلى قبائل : ووسون ويوأتشيه . وسايزونج ، وكانوا يعيشون حياة البداوة في عهد أسرة تشين في الفترة (٢٢١ - ٢٥٧ ق.م) . وفي عهد أسرة هان (٢٠٦ ق.م - ٢٢٠م) تعرضوا لغزوات خارجية ، فهاجروا إلى الجزء الغربي من شينجيانج ، وكانت علاقتهم وثيقة بالبلات الصيني في عهد أسرة هان ، بل كانت علاقة مصاهرة بين ملك قبائل ووسون

والامبراطور ليوتسيه (١٥٦ ق.م - ٨٦م) . وقد هاجرت بعض عشائر (ووسون) إلى الغرب حتى وصلت إلى نهر سيرداريا ، وامتدت بوادي القازاك إلى الغرب من بحيرة يلخاش . ولقد استفاد القازاك من المحطات التجارية على طريق الحرير وذلك بالمقايضة بمنتجات مراعيهم (تشولينج، ١٩٨٨م، ٥٦ - ٥٧)، (Weeks, 1984, 394).

لقد كان القازاك رعاة خيول ، وساعدوا جنكيزخان في اكساح وسط آسيا في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، لذلك انتشروا في وسط آسيا .

فأغلبية القازاك في جمهورية قازاخستان الشعبية في وسط آسيا (حوالي ٨ ملايين نسمة)، وهناك أكثر من مليون منتشرون في جمهوريات وسط آسيا (السوفيتية سابقاً)، وفي الصين أكثر من مليون نسمة ، وما يزيد على ٧٠ ألف نسمة في جمهورية منغوليا الشعبية ، وحوالي ١٢٠ ألف نسمة في أفغانستان . وفي نهاية القرن العاشر الهجري (الخامس عشر الميلادي) وأوائل القرن الحادي عشر الهجري (السادس عشر الميلادي) كوّن القازاكيون اتحاداً أطلق عليه اتحاد الخانات ، بزعامة قاسم خان ، وامتد نفوذهم بين بحر قزوين شرقاً وبحيرة بلخاش غرباً ، ومن نهر سرداريا جنوباً إلى سيبيريا شمالاً ، ثم تفكك هذا الاتحاد في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، واستولت عليه روسيا القيصرية ، ولقد زاد انتشار الإسلام بينهم في القرن التاسع الهجري (السادس عشر الميلادي) . وفي الصين أصبح للقازاك ولاية إيلي ذاتية الحكم ، وتضم إيلي وتاتشين وارتاي في إقليم شنجيانج . وفي نينغشيا ، أصبح لهم محافظة مولاي ذاتية الحكم . والرعي حرفة أساسية عندهم ، ولقد تحوّل الكثير منهم إلى الزراعة (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٥٨) .

المسلمون الدونغشيانج "Dogxiang":

يعيشون في شمال وسط الصين مع أعراق مسلمة أخرى (البونان والسالار) ، ومعظمهم في محافظة دونغشيانج ذاتية الحكم في ولاية قانسو "Gonsu" والتي تشكلت سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) . يحدها نهر تاو "Tao" من الشرق ونهر داشيا "Daxia" والنهر الأصفر من الشمال ، كما توجد جماعة منهم في الجهة الشرقية من لينشيا "Linxia" وهيزهنج "Hezheng" في مقاطعة قاسو ، وفي مدينة لينشيا ، كما يتشرون في بعض المناطق الأخرى . ومنطقة دونغشيانج وعرة السطح . وكانوا يعرفون قبل عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) "بدونغشيانج الهوي" أو منغول الهوي هوي ، ويتحدثون واحدة من اللغات المنغولية ، وليس للغتهم حروف أبجدية ، لذا

كانوا يكتبونها بحروف عربية فيما يختص بالأمور الدينية ، بينما يستعملون اللغة الصينية في الرسميات ، ويستخدمون الآن الحروف اللاتينية . والروايات المتداولة بينهم تشير إلى أنهم من نسل الجنود المنغول الذين عسكروا في عهد جنكيزخان في إقليم هز هو "Hezhou" (الآن محافظة دونغشيانج) . ويبدو أن هذا قريب من الصواب ، فلقد أشارت السجلات التاريخية إلى أن جنكيزخان أقام معسكراً في هذه المنطقة ، واتسع انتشار الإسلام بينهم في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) (Weeks, 1984, 336) .

ويستقر معظم الدونغشيانج في محافظة دونغشيانج (٥٠٪) ، التي يتمتعون فيها بالحكم الذاتي ، وعاصمتها سونانيا وهي مدينة جبلية ، ويتنشر الباقي في ولاية لينشيا ، ومحافظة هوجينج وينغدينج وكانفلو . وقدرت المصادر الصينية عددهم بحوالي ثلث مليون نسمة . ويعمل البونغشيانج بالزراعة ، ومحاصيلهم الرئيسة القمح والبطاطس والشعير والذرة والبقول ، ويزاولون حرفاً أخرى ، مثل قطع الأخشاب والصيد والفحم الخشبي ، كما يشتغلون بالصناعات التقليدية . وزراعة الفاكهة والنباتات الطبية .

وفي سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤٠م) ، فدرت مساجدهم بحوالي ٥٩٥ مسجداً ، ٩ مدارس دينية ، ولقد ظهر بينهم عدد من المصلحين الدينيين مثل نوح ماوانغ ، في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي ، ولقد حجج إلى البقاع المقدسة ودرس الدين بالسعودية ، ثم عاد ليصلح من الشوائب التي دخلت عند الدونغشيانج ، ودعا إلى التمسك بالقرآن في الأمور الدينية . ومن المصلحين الدينيين (سونغ شان)، تلميذ نوح ماوانغ . (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٩٧ ، ٩٨) .

المسلمون القرغيز "Kirghiz"

لقد ورد أكثر من اسم للقرغيز في بعض كتب التاريخ الصينية ، فقد أطلق عليهم "قهاكون" و "جيانكون" في كتابي "شيجي" و "خانشو" المشهوران في تاريخ الصين . ولقد عاش أسلاف القرغيز في منطقة نهر ينسي الأعلى كما ذكرت دائرة المعارف الإسلامية وعاشوا في بلاد المغول ، وكان القرغيز من أبعد الشعوب التركية نحو الشمال الشرقي . وفي تقسيم محمود الكاشغري للشعوب التركية في معجمه ، وضع القرغيز ضمن الشعوب التركية الشمالية . وأمام الغزو الخارجي ، اضطر القرغيز إلى الهجرة في القرن الأول الميلادي نحو آسيا الوسطى وجبال تيان شان . ولقد أقام أسلاف القرغيز مملكة لهم في عهد أسرة نانغ في مروج موباي تدعى (شياجياس) وامتد نفوذها إلى أنشي (كوست اليوم) وبايدنغ (جيموسار اليوم) في منطقة شنجيانج ، وكان القرغيز يمارسون الرعي ، ونشأت علاقة بينهم وبين الصينيين في تبادل منتجاتهم (الشتناوي ، ١٩٣٣ م ، ج٥ ، ٤٤ - ٤٧) .

خضع من بقي من القرغيز في أعالي نهر ينسي لحكم المغول في القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) (١٣هـ / ١٣م - ٨هـ / ١٤م) ، وفي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) اتحدت القبائل القرغيزية في كيان واحد في منطقة جبال تيان شان ، وهاجر إليهم من تبقى من أسلافهم في أعالي نهر ينسي . وأغلب شعب القرغيز حالياً في جمهورية قرغيزيا بعد تفكك الاتحاد السوفيتي ، ويصل عددهم حوالي ٢٥ مليوني نسمة ، وحوالي ١٢٠ ألف نسمة في جمهورية أوزبكستان ، وأعداد قليلة في جمهوريتي تاجيك ، وقازاخستان ، وفي الصين أكثر من ١٢٠ ألف نسمة يعيشون في إقليم شنجيانج ، ويمتد وجودهم إلى جبال البامير ، ولهم في شنجيانج ولاية ذاتية الحكم هي "غزلسو" أو "كارلسو" ، وعاصمتها أتوشي . ويتشرون في أوشي واكسو واجيشا

وناشكوركقان (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٧١ ، ٧٢)

ويتحدث القرغيز لغة تركية تنتمي إلى أورمة اللغات التركية الشمالية الغربية ، وكانت حتى سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣٠م) تكتب بحروف عربية مثلها مثل لغة الأوربك وأغلب لغات الشعوب التركية ، وقد وصلهم الإسلام في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وأوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) (Eeeks, 1984, 405) .

· المسلمون السالار "Salars"

يعتبر السالار أكثر الأعراق المسلمة في الصين تحمساً للإسلام ، فقد شاركوا في كل انتفاضة للمسلمين ضد الظلم منذ القرن العاشر الهجري (السابع عشر الميلادي). وقدر عددهم في الثمانينات من القرن العشرين الميلادي بحوال ١٧٠ ألف نسمة ، ولقد جاوزوا الآن هذا العدد. ويعيش أغلب السالار في محافظة شونخوا "Zunhua" التي يتمتعون فيها بالحكم الذاتي ، وهي تقع في شرقي مقاطعة شنغهاي. والباقي موزعون في مجموعات صغيرة في محافظات هوالونغ وجيتستان وجيشي وفي ينشيا في ولاية قانسو وكذلك في بعض مناطق تشنغهاي ، وإقليم شينجيانج . ولقد تأسست محافظة شونخوا في سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م) . وهناك رأي يقول بأن السالار "Salar" تعود إلى قبيلة تركية تسمى "Salar" وقد أشار محمود الكاشغري في المعجم الكبير ، كما أشار إليها رشيد الدين في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، كذلك أبو الغازي في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي). وتشير إلى هذا أيضاً بعض الأساطير المتداولة بين السالار ، والتي تبين أن أسلافهم ينتسبون إلى القبائل التركية ، ولقد هاجر أسلافهم من سمرقند . ووصلوا إلى شونخوا حوالي سنة ٧٧٢هـ (١٣٧٠م) في عهد حكم دولة مينغ الصينية (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ١٠٠ ، ١٠١) (Weeks, 1984, 652) .

وتشير دائرة المعارف الإسلامية إلى أن السالار هاجروا من سمرقند ، ووصلوا إلى الضفة اليمنى لأعالي النهر الأصفر ، وصفاتهم الجسمانية تختلف عن صفات الصينين ، ولهم لغتهم المميزة كما أنهم أقرب شبها بترك التركستان الشرقية (شينجيانج) وهم مسلمون ، يوقرون علماء الدين الإسلامي ، وقد تأثروا بأحد الدعاة الذي عاش بينهم ويدعى "محمد أمين" .

ولغة السالار تتبع أرومة اللغات التركية الألتية ، وتضم حوالي ٧٪ من الكلمات العربية والفارسية . وقبل سنة ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) ، كان السالار يستطيعون قراءة القرآن الكريم (من المصحف) وكذلك بعض الكتب الدينية بالعربية . ويوجد مسجد في كل قرية من قرى السالار ، وفي محافظة السالار حوال ٧٤ مسجداً . وتعرض المسلمون السالار كغيرهم من المسلمين الصينيين لبطش (الثورة الثقافية) ، فأغلقت المساجد وكنل بعلماء الدين من الأئمة والوعاظ ويحتفظ السالار بنسخة مخطوطة قديمة من القرآن الكريم مكتوبة على الجلد . وتعتبر الزراعة حرفة أساسية وإلى جانبها تربية الماشية ، فمنطقتهم التقاء بين الزراعة والرعي . وهم ينتجون العديد من المحصولات الغذائية والفاكهة . (الشنتاوي ، ١٩٣٣م ، ج٥ ، ٨) .

المسلمون التاجيك "Tajik":

يعتبر التاجيك أنفسهم من الفرس "Fariswan" خصوصا في مناطق الحدود بين دول وسط آسيا . وتطلق كلمة تاجيك "Tajik" على المزارعين في الجبال في شرقي وشمال أفغانستان ، ويضم هذا مجموعة كبيرة من القبائل ، وهناك رأي يقول إن كلمة تاجيك تأتي من كلمة تاز "Taz" وتاي "Tai" وقد أطلقها الفاتحون العرب الأوائل . وجاء في دائرة المعارف الإسلامية ، أن هناك رسم أقدم هو "تازيك" كما كتبها محمود الكاشغري في المعجم الكبير . وطُرد التاجيك تدريجيا من السهول

إلى الجبال ، ويطلق الروس تاجيك على الشعوب الإيرانية في التركستان . أما انتساب كلمة تاجيك إلى التاج (غطاء الرأس) فلا تؤيده الشواهد التاريخية . ويتحدث التاجيك في وسط آسيا لغة تنتمي إلى اللغة (الهندو أوروبية) (الستناوي ، ١٩٣٣م ، ج ١٤ ، ٤٥٥) .

ويوجد من التاجيك حوالي ٣٥ ملايين نسمة في شمالي وشمال شرقي أفغانستان ، وأكثر من ٣١ ملايين نسمة في الجمهوريات التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي السابق . ولقد اعتنق التاجيك الإسلام في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) . ويعيش التاجيك في الصين في هضبة البامير حيث ترتفع الجبال لأكثر من ٥٠٠٠ متر ، وأغلبهم في محافظة :تاشكور قان" ذاتية الحكم للتاجيك ، شرقي البامير ، وتعتبر بوابة حدود الصين الغربية ، وإحدى محطات الطريق الفرعي الذي يربط كشمير بكاشغر . وكانت مدينة "تاشكور قان" التي يتجمع فيها الكثير من التاجيك ، حاضرة مملكة بولي القديمة ، وتغير أسمها في عهد المغول إلى "سالكور" ، وقد انتقل إليها التاجيك ، وتأثروا في الصين بثقافة الوبغور والقرغيز في نشأتهم الأولى ، ويرعى التاجيك بقر الياك المشهور بصوفه الطويل ، وتحملُ البرد ، ويعرف باسم سفينة الهضاب ، وكذلك يرعون الأغنام المعروفة بنوع (دونباش) ، ويزرعون مساحات صغيرة من الأرض حول مساكنهم بشعير الهضاب والبسلة وغيرها من المحصولات التي تتحمل البرد ، هذا إلى جانب قطع الأخشاب وزراعة بعض النباتات الطبية ، وصيد الحيوانات البرية فوق هضبة البامير . وتأسست محافظة تاشكور قان ذاتية الحكم للتاجيك في سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م) ، وسميت المحافظة باسم عاصمتها (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٧٤) .

المسلمون الأوزبك "Uzbek":

يعيشون في التركستان الشرقية (شينجيانج) و ينتشرون في معظم مدن

ومحافظات الإقليم وأكثر من نصفهم في مدن أومتشي واينينغ وكاشغر وتاتشين وشاتشه وبهتشين ، وأغلبهم يعمل بالتجارة والخدمات . ولقد زاولوا التجارة من قديم . وتعود التسمية إلى الملك أوزبك في عصر ازدهار مملكة المغول . وكانوا ضمن الاتحاد التركي المغولي في عهد قبيلة القرن الذهبي في أوائل القرن السابع الهجري (الرابع عشر الميلادي) . ولقد اعتنق الملك أوزبك الإسلام ونشره بين قومه . وفي أواخر القرن الثامن الهجري (الخامس عشر الميلادي) انتقل الأوزبكيون نحو الجنوب حتى وصلوا إلى بخاري وسمرقند وحيوه وأوركنج وطشقند في آسيا الوسطى ، وتحولوا من بدو إلى زراع . ووصل الأوزبكيون إلى إقليم التركستان الشرقية (شنجيانج) ، من آسيا الوسطى ، حيث اشتغلوا بنقل التجارة على طريق الحرير ، وتزايد عددهم واستمرت ممارستهم للتجارة مع أهل الصين . ولقد أثر الإسلام في حياة الأوزبك تأثيراً واضحاً (الشتناوي ، ١٩٣٣م ، ج٤ ، ٤٥٥) ، (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٨٨ ، ٨٩) .

والأوزبك في وسط آسيا يزدون على ١٦ مليون نسمة ويتكلم الأوزبك لغة تنتمي إلى أرومة اللغات التركية الشرقية ، ويأتي الأوزبك في المرتبة الثانية من حيث عدد المتحدثين بالتركية وذلك بعد أترك الأناضول . وكانت لغة الأوزبك تكتب بحروف عربية في جمهورية أوزبكستان ولكن الروس في سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤٠م) استبدلوا لغتهم بلغة الأوزبك . وما يزال المسنون من الأوزبك يستعملون الحروف العربية في رسائلهم الخاصة ، كذلك لا يزال الأوزبك في أفغانستان والصين يستعملون الحروف العربية في كتابة لغتهم . وحدث اضطهاد للمسلمين الأوزبك في عهد سيطرة الاتحاد السوفيتي ، وهذا أمر معروف في كل مناطق آسيا الوسطى ، كما حدث الاضطهاد نفسه للمسلمين في الصين أثناء ما يسمى بالثورة الثقافية فأغلقت المساجد وألقي بالأئمة في السجون وأحرفت الكتب ، وبعد زوال تلك

الفترة العصبية أعيد فتح المساجد وتوقف التحدي إلى حد ما (تسولينغ ، ١٩٨٨م ، ٨٧) (Weeks, 1984, 833, 834) .

المسلمون الباووان "Paoans" أو البونان "Bonans" .

يعيشون شمالي وسط مقاطعة قانسو في محافظة جبال جيشي دونغشيانج التابعة للينشيا ، ويشاركهم في هذه المحافظة مسلمون من السالار والدونغشيانج ، فالمحافظة ذاتية للأعراق الثلاثة (دونغشيانج ، وباوان وسالار) ، وبعضهم في ولاية تشنغهاي ، ولهم في هذه المحافظة قرى داودون "Dadun" وجامي "Canmei" غاأولي "Gaoli" ، ولهم ثلاث قرى في المنطقة نفسها على سفوح جبال جيشي قرب شاطئ النهر الأصفر تعرف بقرى باوان القديمة ، ومنهم جماعات تعيش في مقاطعة تشينغهاي في محافظة تونجرين "Tongrin" . وموطن الباووان الأصلي شونوها "Zunhua" وهي أيضاً موطن السالار والدونغشيانج ، وجاء الباووان إلى منطقة دونغشيانج على أثر خلاف بينهم وبين البوذيين في سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) حيث قرى باوان القديمة ، وكان أسلافهم من جنود المغول في جيش جنكيزخان ، قد أرسلوا إلى هذه المنطقة ، والتي تعرف اليوم بتونجرين "Tonfren" . وبعد سقوط دولة المغول سنة ٧٧٠هـ (١٣٨٦م) ، رحل معظم المغول ، وبقي الباووان ، وانتشر بينهم الإسلام ، ويقدر عددهم في الصين بأكثر من ١٢ ألف نسمة ، حسب التقديرات الصينية . وتنتمي لغتهم غير المكتوبة إلى اللغة المنغولية ، وتأثرت بلغات جيرانهم ، ففي مفرداتها حوالي ٤٦٪ من المنغولية . ويعمل الباووان في الزراعة ، ومن محصولاتهم القمح والشعير . كما يشتغلون بتربية الماشية ، فمنطقتهم تلتقي فيها الزراعة وتربية الماشية ، ويزاولون أعمالاً أخرى غير الزراعة ، كالصيد وقطع الأخشاب ، ويشتهر الباووان بصناعة السكاكين الذائعة الصيت . (تسولينغ ، ١٩٨٨م ، ٩٩) (Weeks, 1984, 167)

المسلمون التتار "Tatar" :

تكتب تاتار ، وتتر- وتتار . وقد أطلق هذا الاسم قبل الإسلام على الشعوب التركية وغير التركية ، وأطلقه الروس على شعوب إسلامية متعددة ، واليوم يطلق هذا الاسم على شعوب كثيرة . ولهذا يختلف مدلول اسم التتار باختلاف العصور . وارتبط اسمهم بالجيش المنغولي ، ومنهم تتار شبه جزيرة القرم ، وكان عددهم يزيد على نصف مليون نسمة ، وأرغمهم السوفيت على الهجرة إلى سيبيريا ووسط آسيا ، وفي أوزبكستان ، وهم مسلمون مثل تتار نهر الفولجا ، وهؤلاء يطلقون على أنفسهم "ترك" . ويقدر عدد التتار إجمالاً بأكثر من ٨ ملايين نسمة . وينتشر التتار في أكثر من ٣٠ منطقة في روسيا وأوكرانيا وحوض دونتسك ، وينتشر باقي التتار خارج روسيا في مناطق متعددة ، منها جمهورية الصين الشعبية ، حيث يعيشون في مدن إينينج وتاتشين وشاتسيه وأورموتشي ، وفي التركستان الشرقية . وبعضهم يقيم في المناطق الزراعية والرعية في جورجيا وخاباخ وتشيتاي (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٨٧) (Weekan 1984, 758)

ولقد ورد في الكتابات الأرخوانية التركية التي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ذكر طائفتين من قبائل التتار ، هما التتار الثلاثون والتتار التسع ، إلا أن اسم التتار في ذلك الوقت كان يطلق على فريق من المغول . وذكر أن هؤلاء التتار كانوا يعيشون في جنوب غرب بحيرة بيكال ، وقد صحبت بعض القبائل التتارية معها قبائل تركية في حركتها نحو الغرب . وجاء في أخبار الغزوات المغولية في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) أن الغزاة كانوا يعرفون في الصين والعالم الإسلامي وروسيا وغربي أوروبا باسم التتار ، وهكذا سمت عدة شعوب باسم التتار في الهندستان وجن والقرغيز وكلا (بولندا) والمجر والشام ومصر والمغرب . (الشتتاوي ، ١٩٣٣م ، ج٤ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧)

لقد هاجر التتار من آسيا الوسطى إلى التركستان الشرقية (سنجيانج) ، كما يروي ابن عربشاه ، حيث أن تيمور لذك أجبر فريقاً من التتار على الهجرة ، فوصلوا إلى كاشغر (كذلك جاء في دائرة المعارف الإسلامية) . أما المصادر الصينية ، فتشير إلى أن التتار تكونوا خلال فترة طويلة نتيجة اندماج بين البلغاريين والكيينشاكين والمغول . ففي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، أسس المغول مملكة كييتشاك في منطقة نهر فولجا ، وكان أهلها خليطاً من الشعوب سابقة الذكر ، ويعتبر هؤلاء أسلاف التتار . وفي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) سقطت مملكة كييتشاك خان ، وظهرت مملكة قازان خان التي ادعى أهلها أنهم تتار ، وهاجر التتار من منطقة الفولجا إلى سنجيانج قبل منتصف القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) بسبب الاضطهاد الروسي ، ثم استوطن المزيدي من التتار المنطقة الشمالية من التركستان الشرقية (سنجيانج) في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (الناسع عشر الميلادي) وكانوا من التجار وعلماء الدين ، وقد زاول معظمهم التجارة ، وأسسوا بعض المصانع التكميلية للدباغة وغسل الصوف وتصنيع المنتجات الزراعية ، وامتلكوا بعض الأراضي الزراعية ، ومارسوا تربية المواشي . واعتناقهم للإسلام ، ترك فيهم آثاراً واضحة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية . (الشنتاوي ، ١٩٣٣ م ، ٥٧٨) ، (تشولينغ ، ١٩٨٨ م ، ٨٩) .



الأقلية المسلمة في التبت شيزانغ "Xizang"

إقليم ذاتي الحكم لشعب التبت ، تبلغ مساحته حوالي ١٢ مليون كيلو متر مربع ، سكانه يزيدون على ٢ر٥ مليوني نسمة . ولقد وصل الإسلام إلى التبت عن طريق جيرانها ، فوصلها عن طريق التركستان الشرقية "شنجيانغ" ثم وصلها عن طريق كشمير . وذكرت الحكومات الصينية أن العرب كانوا أصدقاء لأهل التبت ، فكانت هناك صلات بين أحد ملوك التبت والعرب . ففي خلافة عمر بن عبدالعزيز، أرسل إلى خرسان (الجراح بن عبدالله) سليط بن عبدالله الحنفي إليهم لتعليمهم الإسلام وليفقههم في الدين . وكان المحور الأكثر فاعلية في نقل الإسلام إلى أهل التبت هو المحور القادم من كشمير جارتهم ، خصوصاً بعد خضوع شمالي الهند للنفوذ الإسلامي ، وأول غارة شنّها حاكم مسلم على التبت ، كانت بقيادة (محمد بختيار حلجي) حاكم البنغال . ثم تكررت الغزوات في القرن العاشر الهجري ، فغزاها مير مزيد بين سنتي (٩٣٠هـ - ٩٢٠هـ) ، وحيدر مرزا سنة ٩٥٥هـ ، وأصبح الإسلام منذ القرن العاشر الهجري قوة سياسية بالتبت ، خصوصاً في جنوب غربي التبت لمجاورته كشمير ، فأصبحت منطقتا لداخ وبلتسان أكثر مناطق التبت تأثراً بالإسلام، وظل الإسلام يحرز تقدماً في التبت حتى عهد الاحتلال البريطاني للهند، ووصلها الدعاة من كشمير ووسط آسيا (Europa (B) (1992, vol. 1, 200).

يتكون المسلمون في التبت من أبناء المهاجرين إليها ، ويطلق عليهم "الأرغونيين" ، وهم من آباء مسلمين وأمّهات تبتيات ، ومن التجار المسلمين الذين قدموا إليها من الصين . وعدد المسلمين في التبت قرابة ربع مليون نسمة ، رغم أن المصادر الصينية تقدرهم بعدة آلاف . ويقيم المسلمون في العاصمة "لاسا" ، وفي تشانغدر وديكاتسه ، قد بنيت المساجد في هذه المدن . وفي لاسا مسجد كبير ،

بني منذ ما ينيف على ثلاثة قرون . ويعمل معظم المسلمين في التجارة والخدمات الاجتماعية، وقليل منهم يتشغلون بالزراعة والرعي . وفي مدينة لاسا مدرسة إسلامية ملحقة بالمسجد الكبير، لتعليم أبناء المسلمين الدين الإسلامي . (بناء الصين، ٨٠ - ١٩٨٣ م ، ٨٨) .

مسلمون من أصول عربية :

يوجد في مدينة تشيوانتشو (الزيتون) في الجنوب الشرقي من الصين مسلمون من أصول عربية ، يعيشون في مقاطعة فوجيان ، وذكرها ابن بطوطة في رحلته إلى الصين (٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) ، ووصل إليها ماركوپولو قبله ، وأقام فيها العرب منذ ما ينيف على ألف عام ، شيدوا فيها المساجد ، وامتلكوا الأراضي الزراعية ومخازن التجارة ، وبقيت ذريتهم تناسل . وبالمدينة مسجد أثري يطلق عليه مسجد الصحاب جنوبي المدينة ، ويعيش حوله أكثر من ٦٠ أسرة من أصول عربية ، وهم يقيمون في هذا الموضع من عدة أجيال . وقد ذكر عالم الآثار الصيني البرفسور (تسونغ وي) أستاذ الآثار بجامعة شيامن ، أن بمدينة الزيتون آثاراً إسلامية ترجع إلى عهد أسرة سونغ أي إلى الفترة (٩٦٠م - ١٢٧٩م / ٣٥٠هـ - ٦٧٨هـ) . وفي يابتشى ٩ قرى يسكنها مسلمون من أصول عربية ، يزيد عددهم على ١٠٠٠٠ نسمة ، وأسماء عائلاتهم (قوة) أو (بو) . وسكان هذه القرى التسع يمارسون الزراعة والصيد وفي مدينة الزيتون (تشيوانتشو) والمناطق المحيطة بها ، يعيش ثلاثون ألف سمة من أصول عربية . (بناء الصين ، ٨٠ - ١٩٨٣ م ، ١٣١ - ١٣٣)

مسلمون من أصول فيليبينية :

ذكرت مصادر تاريخ أسرة تشينغ الملكية (كتاب تاريخ أسرة تشينغ) أخبار رحلة ملوك من جزيرة سولو (٨٢٠هـ / ١٤١٧م) وصلوا إلى بكين في زيارة ودية ، ورحب بهم الامبراطور الصيني تسوي ، وبعد زيارتهم اتجهوا إلى العودة نحو

بلادهم ، وتوفي أحدهم وهو الملك (الشرقي) في دتشو ، حيث دفن الملك ، وبقي في مدينة دتشو مجموعة من المرافقين للملك المتوفي . وبعد فترة طويلة ، منحت الأسر التي بقيت من الفليبيين لقب أسرة (ون وان) كمواطنين صينيين . ونشأت قرية بينج من ذرية هؤلاء ، ولقد انتقل العديد منهم إلى مناطق أخرى داخل الصين . وهناك مسجد أثري قديم بجوار مقبرة ملك سولو . (بناء الصين ، ٨٠ - ١٩٨٣ م ، ١٢٦ ، ١٢٧) .

المسلمون في شنغهاي :

وهي أكبر مدن الصين . وصلها الإسلام عن طريق التجار المسلمين من العرب والفرس في عهد أسرة تانغ الملكية في حوالي القرن الثالث الهجري فكان التجار المسلمون يتاجرون مع موانئ الصين الشرقية ، مثل قوانغتشو كانتون وتشوانتشو (الزيتون) ومنطقة فوجيان ، وربما وصلوا إلى شنغهاي . وفي عهد أسرة يوان ، تدفق عدد كبير من التجاري المسلمين على شنغهاي ، كذلك وصلها عدد كبير من المسلمين في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، وفي نهاية القرن الثالث عشر الميلادي ، زحف المغول على جنوب نهر يانغتسي ، وجاءوا بأعداد كبيرة من المسلمين ، وعين أحدهم ، وهو ناصر الدين ، في منصب مرموق ، وجاء مسلمون من الداخل من نانكين في هجرة إلى شنغهاي . وفي شنغهاي ، أكثر من ثلاثة آلاف مسلم ، وبها عدة مساجد ، وهم من أعراق مختلفة . (الشتناوي ، ١٩٣٣ م ، ج١٥) .



أعداد المسلمين

أثارت قضية أعداد المسلمين في الصين كثيراً من الجدل منذ بداية القرن العشرين الميلادي وحتى الوقت الراهن، وذلك لعدم وجود بيانات رسمية حول أعدادهم، ولهذا يجتهد الباحثون في محاولة الاقتراب من حقيقة عددهم (شكل رقم ٩). وحقيقة الأمر، أن مسألة أعداد المسلمين في أي قطر لم تغرق مثل هذا الوقت وهذا الجهد الذي استغرقته مسألة أعداد المسلمين الصينيين. فلقد أدلى العديد من الباحثين من مختلف المشارب والأهواء بالكثير من الآراء، التي يمكن تلخيص بعضها على النحو التالي:

١ - التقديرات الغربية:

قدر "تيرسانت" "M. de Thiersant" عدد المسلمين في الصين سنة (١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) بحوالي ٢٠ مليون نسمة. وكان تيرسانت قد عمل لفرنسا في الصين، وأمضى ١٨ سنة في دراسة أوضاع المسلمين فيها. أماكين "H.Keane" فقدر عددهم في مستهل القرن العشرين بحوالي ٣٠ مليون نسمة، بينما قدر كتاب "Statesman's Year-Book"، عدد سكان الصين في سنة ١٣١٨هـ (١٩١٠م) بحوالي ٤٢٦ مليون نسمة، فتكون نسبة المسلمين حوالي ٧.٠٤٪ من جملة سكان الصين. (حي، د. ت، ١٠٢). "Amercon, Theological Librery, vol. 1, no. 2, 1979"، وقدر عددهم "بروم هول" "Broom Hall" في السنة المذكورة بحوالي ٩٨ ملايين نسمة، وإستقى معلوماته من ٨٠٠ بعثة تنصير بالصين بالمراسلة، ولم ترد على رسائله إلا "٢٠٠" بعثة. وإذا اعتبرنا أن سكان الصين كانوا ٤٢٦ مليون نسمة في ذلك الوقت، تكون نسبة المسلمين بين سكانها حوالي ٢.٣٪. ولم يثر أي جدل على مسألة عدد المسلمين في الصين مثلما أثاره تقدير "بروم هول". وقدرت جريدة

"ريفيو دو موند" عدد المسلمين الصينيين في مقال نشره أحد الفرنسيين في أول فبراير ١٩٠٧م بحوالي ١٥ مليون نسمة . وذكرت مجلة "News Week" في العدد ٢٦ (١٩٧٩م) ، أن عدد المسلمين الصينيين سنة ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) ، كان حوالي ٦٤ر٨ مليون نسمة من جملة سكان الصين البالغ ٥٤٠ مليون نسمة ، أي (١٢٪) . كذلك قدرت عددهم "بربارا" "Barbara L. K." في سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) بحوالي ٢٠ مليون كحد أدنى و ٤٠ مليون كحد أقصى "Amercon, Theological Librerly, vol. 3,no. 2, 1981" .

٢ - التقديرات الصينية لعدد المسلمين (قبل الحكم الشيوعي) :

صدرت عدة تقديرات لعدد المسلمين في الصين قبل سنة ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) . ففي سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) ، ذكر رئيس البعثة الصينية بالأزهر لجريدة الأهرام أن عدد المسلمين في الصين ٥٠ مليون نسمة وذكر العقاد أن الصحف الأوروبية تلفت برقية من الجماعة الإسلامية بالصين أثناء حرب اليابان مع الصين تشير إلى أن هذه الجماعة تتكلم بلسان ٥٠ مليون من المسلمين (هويدي ، ١٩٨١م ، ١٦٥) . وفي سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) ، صدر كتابان باللغة الإنجليزية في الصين ، قدر أحدهما عدد المسلمين في الصين بين ١٥ و ٢٠ مليون نسمة ، بينما قدر الآخر عددهم بحوالي ٤٨ مليون نسمة ، كما ذكر أن عدد المساجد حوالي ٤٢٣٧١ مسجداً . وفي الطبعة الإنجليزية من كتاب الصين السنوي (١٣٦٠هـ / ١٩٤٠م) ، قدر عدد المسلمين الصينيين بحوالي ٤٨ مليون نسمة ، كما أصدرت حكومة الصين الوطنية كتاباً سنوياً آخر ذكر العدد نفسه ، كما أشار إلى أن عدد سكان الصين في سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤٩م) حوالي ٤٦٠ مليون نسمة . وذكر نائب وزير خارجية الصين قبل الحكم الشيوعي جورج يه ، أن عددهم بين ٤٨ مليون ، و ٣٠ مليون . وخلاصة القول ، أن عدد المسلمين الصينيين في الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي قدر بحوالي ٤٨ مليون نسمة ، وأن سكان الصين قدروا بحوالي ٤٦٠



شكل (٩) التوزيع النسبي للمسلمين حسب المقاطعات الصينية عام ٢١٩٩٤

مليون نسمة في الفترة نفسها ، وبذلك تكون نسبة المسلمين " ١٠.٤٪) . وفي أول إحصاء لسكان الصين تحت الحكم الشيوعي سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) ، قدر عدد المسلمين بنحو عشرة ملايين نسمة ، بينما بلغ إجمالي عدد السكان ٥٨٦ مليون نسمة (حي ، د.ت ، ١٠٢) ، vol. 1, no. 2, Amercon, Theological Library, " 1980 .

٣ - تقدير عدد المسلمين الصينيين في عهد الحكومة الشيوعية :

تحصي الحكومة الشيوعية السكان على أساس القوميات لا على أساس الأديان ، وهذا لا يظهر حقيقة الواقع العددي للمسلمين أو غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ، وقد أشرنا إلى أول إحصاء شيوعي والذي حدد نسبة المسلمين بحوالي ١.٧٪ سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) من سكان الصين ، وهو ما يخالف كل المصادر الغربية والإسلامية . وهذا يطرح سؤالاً ، لماذا جاء هذا التقدير منخفضاً بالنسبة للمسلمين ؟ ينحصر التفكير فيما يلي : (أ) الموقف العدائي من الشيوعيين ، ضد المسلمين ، ذلك أنهم ناصروا الحكومة الوطنية ضد الشيوعيين أثناء الحرب ، فخشي المسلمون إعلان دينهم في تعداد سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) خوفاً من الانتقام . (ب) سجل الكثير من المسلمين أنفسهم على أنهم من "الهان" ، الغالبية العظمى من سكان الصين ، وقد فعل هذا الكثير من المسلمين "الهوي" (الخوي) أكثر قومية عرقية إسلامية في الصين ، بل إن أبناء الهوي من الزوجات الهانيات يسجلون ضمن الهان "Weeks, 1984, 335". (ج) محاولة حكومة الصين الشيوعية التقليل من عدد المسلمين لتظهر ضالة حجمهم في المجتمع الصيني ، ويتضح هذا من حقيقة إخفاء العدد الحقيقي حتى الآن . وعلى أساس النسبة السابقة ، كان المسلمون في الصين سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) وحسب التعداد الذي ذكر أن عدد سكان الصين بلغ ١٠٠٨ مليون نسمة كانوا ١٧١ مليون مسلم . وفي سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) ،

بلغ عدد سكان الصين حوالي ١١٥٨ مليون نسمة ، وبذلك يكون عدد المسلمين حسب التقديرات الشيوعية سنة ١٤١١هـ حوالي ١٩٧ مليون نسمة. وهذا بعيد عن الحقيقة كل البعد "Euopa (B), 1993, vol. 1"

٤ - التقديرات الإسلامية "لعدد المسلمين الصينيين" :

أشار زعيم مسلم صيني يدعى عبدالرحمن ، كان قد زار القاهرة سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م)، إلى أن عدد المسلمين الصينيين حوالي ٣٤ مليون نسمة وكان يتر فليمنج "Peter Flemming" قدر سكان الصين سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) ، بحوالي ٣٥٠ مليون نسمة ، بينما قدر كتاب "Statesman's Year-Book" عدد سكان الصين في سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) حوالي ٤٢٦ مليون نسمة ، وحسب هذا التقدير ، تكون نسبة المسلمين بين سكان الصين حسب تقدير عبدالرحمن هي (٧٪). وعلى أساس أن عدد سكان الصين حوالي ٣٥٠ مليون نسمة ، تكون النسبة ١٢٪ ، وقد اعتمد معظم الباحثين المسلمين الرقم ٤٨ مليون نسمة في الأربعينات الميلادية ، وعلى هذا الأساس ، قدر الكتاني في كتابه "المسلمون في المعسكر الشيوعي" عددهم في سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) بحوالي ٧٧ مليون نسمة ، أي ١٠٥٪ من جملة سكان الصين ، واعتمد سيد خليل شيسي نسبة ١٢٪ لحصة المسلمين بن سكان الصين ، وقد استبعدنا التقديرات الإسلامية المبالغ فيها ، وكذلك التقديرات الغربية المبالغ فيها أيضاً من حيث الزيادة أو القلة .

نستخلص من العرض السابق أن تقدير (تيرسانت) لعدد المسلمين في الصين بحوالي ٢٠ مليون نسمة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي ، يعتبر مقبولا ، رغم أنه اتهم بالمبالغة من جانب البعض ، ولقد بنى تقديره على أساس دراسة استمرت في الصين لمدة ١٨ سنة . أما تقدير (بروم هول) لعدد المسلمين بحوالي ١٠ ملايين في سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) ، فيعتبر بعيداً عن واقع المسلمين

العديدي بالصين ، وإن كان قد نال قبولا عند البعض رغم ضعف مصادره .

ولقد استبعدنا تقدير سيد سليمان (مسلم صيني من مقاطعة يونان ، كان قد زار القاهرة في سنة ١٣١١هـ (١٨٩٤م) لعدد مسلمي الصين بحوالي ٧٠ مليون نسمة للمبالغة، بينما تقدير عبدالرحمن ، المشار إليه سابقا ، لعدد المسلمين في الصين بحوالي ٣٤ مليون نسمة يقترب من الحقيقة ، ويتفق مع تقدير (تيرسان) السابق ذكره، والفرق الزمني بينهما حوالي ربع قرن وكذلك يقترب من تقدير كين "Keen" (٣٠ مليون مسلم) ، وهو معاصر في الزمن لكل من بروم وعبدالرحمن وفي الفترة نفسها قدر فليمنج "Flemming" سكان الصين بحوالي ٣٥٠ مليون نسمة ، وقدرهم كتاب "Statesman's Year-Book" بحوالي ٤٢٦ مليون نسمة كما أسلفنا، فإذا أحصينا نسبة المسلمين بين سكان الصين حسب تقدير فليمنج لسكان الصين ، نجدها حسب تقدير "بروم" ٢٨٪ ، وحسب تقدير كين ٨٥٪. وحسب تقدير عبدالرحمن ٩٧٪ بهذا نجد تقدير كين وعبدالرحمن متقاربان ، فإذا أخذنا متوسطهما نجده ٩٪ ، أي أن المسلمين الصينيين كانوا يمثلون حوالي ٩٪ من سكان الصين في تلك الفترة.

وعندما نُقارن تقدير "فليمنج" لسكان الصين وهو ٣٥٠ مليون نسمة سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) بنتيجة الإحصاء الرسمي الذي أجرته حكومة الصين في سنة ١٣٢٨هـ (١٩٥٣م) وكانت نتيجة ٥٨٦ مليونا ، فتكون الزيادة حوالي ٢٣٦ مليونا، وهذه الزيادة في مدة ٤١ سنة (الإحصاء تم سنة ١٣٧١هـ (١٩٥١م) ولم يعلن إلا آخر سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) ، وإحصاء سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) وهو ١٠٠٨ ملايين نسمة والمدة الزمنية بينهما ٢٩ سنة نجدها حوالي ٤٢٢ مليون نسمة ، وبذلك تكون نسبتها حوالي ٦٧٪ ، وهذا يشير إلى أن تقدير سكان الصين في سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) بحوالي ٣٥٠ مليون نسمة كان رقماً مقبولا إذا أدخلنا في

الحسبان الكوارث والحروب التي مرت بها الصين خلال تلك الفترة . كما أنه نستبعد تقدير كتاب "Statesman's Year-Book" لسكان الصين حوالي سنة ١٩٢٦م مليون سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) ، لأنه لا يتفق مع إحصاء سنة ١٩١١م (١٩٥١م) ، فلا يمكن أن يزيد سكان الصين خلال ٤١ سنة حتى ١٦ مليون سنة أي بنسبة تقدر بحوالي ٣٧٥٪ .

وإذا تذكرنا أن تقدير عدد المسلمين الصينيين في الثلاثينيات زاد أربعينيات من هذا القرن الميلادي بلغ حوالي ٤٨ مليون نسمة ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك . نجد أن نسبة المسلمين إلى سكان الصين ٤٪ . ومقارنة هذه النسبة سنة ١٩٠٩ ، نجد إن الفارق بين النسبتين ليس كبيراً ، لهذا نخلص إلى أن نسبة المسلمين إلى سكان الصين تتراوح بين ٤٪ إلى ١٠٪ كحد أقصى و ٩٪ كحد أدنى . والمتوسط بينهما ٩٧٪ . لذلك سوف نعتمد نسبة ١٠٪ في التعامل مع هذه المسألة وبذلك يكون عدد المسلمين في سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) حوالي ٥٨ مليون نسمة . وفي إحصاء سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) يزيدون على ٦ ١ ملايين مسلم ، وفي سنة ١٤١١هـ (١٩٩١م) ، حيث وصل عدد سكان الصين إلى ١١٥٨ مليون نسمة ، فيقدر عدد المسلمين بحوالي ١١٥ مليون مسلم . وفي سنة ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) وصل عدد سكان الصين إلى حوالي ١٢٠٠ مليون نسمة ، وبذلك يتجاوز عددهم ١٢٠ مليون مسلم . ويلاحظ بصفة عامة ، أن هذه الأعداد لا تشمل المسلمين من أفراد القوات المسلحة .



توزيع المسلمين

سبقت الإشارة إلى التقسيم الإداري بالصين الشعبية ، حيث تنقسم البلاد إلى ٢٢ مقاطعة ، ٥ أقاليم ذاتية الحكم و ٣ بلديات . وتنقسم المقاطعات إلى ٢٠٠ ولاية و ٢٠٠٠ محافظة . وضمن هذا التقسيم ، أقاليم وولايات ومحافظة ذاتية الحكم للمسلمين . وفيما يلي عرض لتوزيع المسلمين حسب مناطق الحكم الذاتي (شكل رقم ١٠) .

أولا : المسلمون الهوي :

تتمثل مناطق الحكم الذاتي للمسلمين الهوي فيما يلي :

- ١ - إقليم نينغشيا في شمال غربي الصين .
- ٢ - ولاية لينشيا في مقاطعة قانسو شمال غربي الصين .
- ٣ - محافظة تشانغجاشوان في ولاية قانسو شمال غربي الصين .
- ٤ - ولاية تشانغجي بإقليم شينجيانج شمال غربي الصين .
- ٥ - محافظة ييتشي بإقليم شينجيانج شمال غربي الصين .
- ٦ - محافظة وينينج بمقاطعة قويتشو شرقي يونان جنوب غربي الصين وهي مخصصة للقوميات الثلاث : الهوي ، والويي ، والومياء .
- ٧ - محافظة دشانج في مقاطعة خبي شمال شرقي الصين .
- ٨ - محافظة منغستوم في مقاطعة خبي شمال شرقي الصين .
- ٩ - ولاية فوشيان بمقاطعة لياونينج شمال شرقي الصين .
- ١٠ - محافظة هوالونغ بمقاطعة تشنغهاي شمال غربي الصين .
- ١١ - محافظة منيان بمقاطعة تشنغهاي شمال غربي الصين .
- ١٢ - محافظة وشيان بمقاطعة يونان جنوب غربي الصين وهي مشتركة للهوي

والويي

ثانيا : المسلمون الويغور :

تمثل المنطقة المخصصة للحكم الذاتي للمسلمين الويغور في إقليم شينجيانج شمال غربي الصين .

ثالثا : المسلمون القازاك :

تمثل المناطق المخصصة لحكمهم الذاتي فيما يلي :

- ١ - ولاية إيلي في شينجيانج شمال غربي الصين .
- ٢ - محافظة باركول في إقليم شينجيانج شمال غربي الصين .
- ٣ - محافظة مولى في إقليم شينجيانج شمال غربي الصين .
- ٤ - محافظة أكساي بمقاطعة قانسو شمال غربي الصين .
- ٥ - ولاية هايشي بمقاطعة شمال غربي الصين ، وهي مشتركة بينهم وبين التبتيون والمغول .

رابعا : المسلمون الدونغشياي :

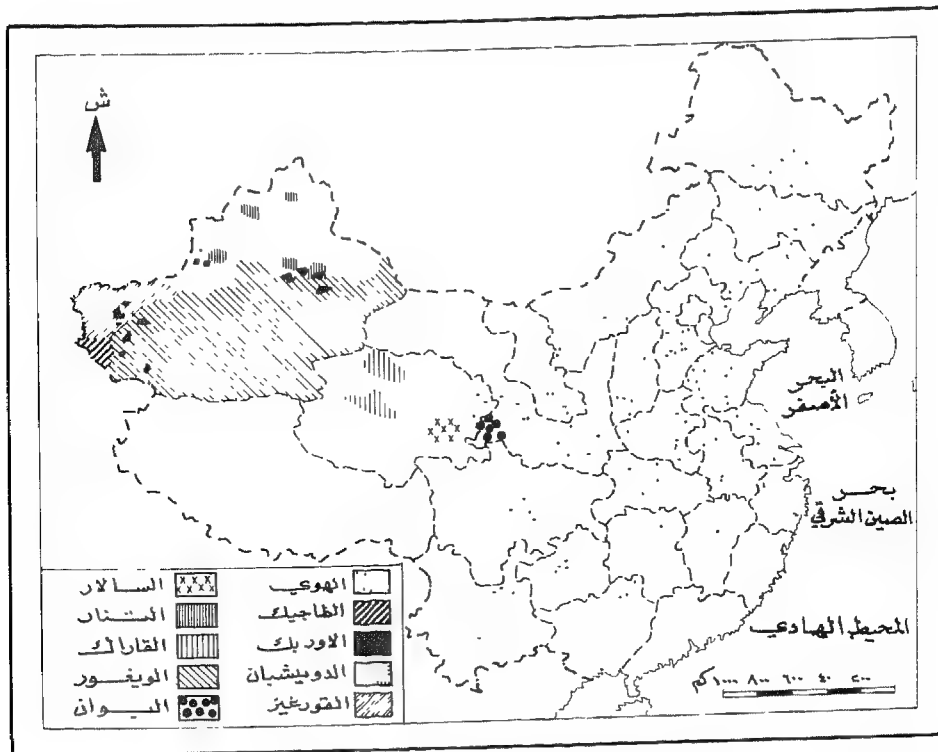
تمثل المنطقة المخصصة لحكمهم الذاتي في محافظة دونغشياي بمقاطعة قانسو، شمال غربي الصين .

خامسا : المسلمون القرغيز :

تمثل منطقة حكمهم الذاتي في ولاية تيزيلسو بمقاطعة تشنغهاي ، شمال غربي الصين .

سادسا : المسلمون السالار :

تمثل المنطقة المخصصة للحكم الذاتي للسالار في محافظة تشكوركقان بإقليم شينجيانج ، شمال غربي الصين .



شكل (١٠) توزيع القوميات المسلمة في الصين

المصدر

William C. Brice, An Historical Atlas of Islam, 1981

سابعاً : المسلمون التاجيك :

وهم يتمتعون بسلطة الحكم الذاتي في محافظة تشكورقان بإقليم سُينجيانج ، شمال غربي الصين .

ثامناً : ينتشر الأوزبك في مناطق متفرقة من إقليم سُينجيانج ، وكذلك المسلمون من التتار ينتشرون في الإقليم نفسه ، أما الباروان ، فيتشرون في مقاطعة قانسو وكذلك مقاطعة تشنغهاي .

وهكذا يتضح أن معظم الأقليات المسلمة بالصين تتركز في الشمالي الغربي والجنوب الغربي ، والشمال الشرقي وجنوبي الصين . فحوالي ٨٠٪ من المسلمين يعيشون في ٤ مقاطعات هي : شنغهاي وقانسو وشنشي ويونان ، وفي إقليمين يتمتعان بحكم ذاتي هما : نينغشيا وشينجيانج .



النشاط الاقتصادي والعادات

تختلف الأنشطة الاقتصادية من قومية إلى أخرى ، فلكل قومية عاداتها وتقاليدها التي تنعكس على أنشطتها الاقتصادية يضاف إلى هذا تحكم الظروف البيئية في إتاحة الفرص للنشاط الاقتصادي ، وكذلك التوزيع الجغرافي للأقليات المسلمة في الصين عبر مساحة شاسعة ، ووسط محيط بشري كبير . يضاف إلى هذا ، تدخل حكومة الصين في الأنشطة الاقتصادية ، ولهذا سوف تُستعرض هذه الأنشطة من خلال كل قومية مسلمة حسب الظروف المشار إليها .

١ - الويغور :

تحول الويغور من حياة البداوة إلى الزراعة بعد استقرارهم في إقليم التركستان الشرقية . وتوطنوا في الواحات وفي أحواض الأودية ، حيث تحضروا وشقوا القنوات ، فحولوا الصحراء إلى حقول زراعية ، وهم يزرعون الأرز والقمح والذرة والبقول والقطن والكتان والتبغ وشمام هامبي المشهور والبطيخ والكمثرى والعنب والتين . وقد اشتغل الويغور في الماضي بقوافل التجارة ، فطريق الحرير القديم يربطهم بالصين ووسط آسيا ، وحالياً لديهم بعض الصناعات ، وكان الويغور قبل الحكم الشيوعي يمتلكون المزارع والمصانع التقليدية الصغيرة ، ولكن بعد الحكم الشيوعي ، طبق نظام (الكميونات الزراعية) ، وهاجر إلى مناطق الويغور في التركستان الشرقية أعداد كبيرة من الصينيين (الهان) وغيرهم ، مما أثار في النسيج البشري بالمنطقة وبالتالي أثر على العادات والتقاليد . (تشولينغ ، ١٩٨٨ م ، ٥١)

"Weeks, 1984, 831"

ولقد غير الإسلام عادات وتقاليد الويغور ، فأصبحت متفقة مع تقاليد الإسلام في المأكل والملبس ، فطعامهم الرئيس من دقيق القمح والأرز . ومن طعامهم ما يعرف بالبور ، وتقدم هذه الأكلة في الأعياد . وهم لا يأكلون لحم الخنزير المنتشر

في الصين ، كذلك لا يشربون المسكرات ، وتحتل الفاكهة مقاماً مهماً في أكلاتهم أما المساكن ، فمعظمها مبني من اللبن والخشب ، وهي مسطحة السقوف ، ولكن في المناطق المطيرة أو في مناطق تساقط الثلوج في الشتاء تنحدر سقوفها ولقد ظهر الأسلوب الإسلامي في الفنون المعمارية ، وانعكس على عمارة المساجد ، وزخرفتها بالنقوش الجصية والخشبية ، وهذا واضح في مسجد أيتكار ، والمسجد الجامع في كوتسه ، كما انعكس أيضاً على صناعة السجاد ، وعلى ملابس الرجال والنساء . وبعد استيلاء الشيوعيين على الحكم ، حاولت الدولة تغيير عادات وتقاليد الويغور الإسلامية بالقوة تحت ما يسمى "بالإصلاح" ، ولكنها فشلت (حي، د. ت ، ١٦٤).

٢ - الهوي "الخوي" :

يشكل الهوي أكبر قومية إسلامية في الصين من حيث العدد ، والصفة الغالبة على نشاطهم الاقتصادي تتمثل في الزراعة ، فلقد أسهم أبناء الهوي في استصلاح الأراضي ، وبناء مشروعات الري ، وإقامة السدود على الأنهار من قديم ، فبنوا سد سونغهوا وسد يوتشي ، كما ساهموا في تطهير مجاري الأنهار ، بل ساهموا في توفير الري لمساحة ١٣ ألف هكتار ، ومدوا قنوات الري في مقاطعة نينغشيا ، ومعظم منتجاتهم من الأرز والقمح والذرة والقطن ، كذلك ينتجون عدة أنواع من الفاكهة . وشيد الهوي العديد من الصناعات التقليدية ، مثل صناعة العطور والمجوهرات ، وكانت لهم شهرة عريضة في صناعة المجوهرات وسيطروا على أسواقها في شنغهاي وبكين ونانكين ، ولهم كتاب مشهور في الوصفات الطبية يتألف من ٣٦ مجلداً ، منه ٤ أجزاء بجامع بكين . ومن بينهم علماء في الطب والفلك ، فقد اخترع علماء الهوي آلة ذات الحلق وآلة ذات السمات والمنزلة والاسطرلاب ، واشرفوا على المراصد الفلكية في عهد أسرة (مينغ) الحاكمة ،

ونقلوا كتب التقويم من العربية إلى الصينية ، بل من بينهم المعماري (إختيار الدين) الذي وضع تصميم مدينة دادو (بكين) . ووضعوا ونقلوا الكثير من الكتب الإسلامية، وكان منهم الملاح الصيني الشهير (تشنغ خه) ، الذي قام بسبع رحلات بحرية. ومعظم الهوي مثقفون ويعملون في المصانع والوظائف الحكومية وعلى علاقة طيبة بالقوميات الأخرى ، ويعمل العديد منهم في القطاعات المختلفة والتجارة (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤) (هويدي ، ١٩٨١م ، ٦٣)

ويحافظ الهوي أو "الحوي" على العادات والتقاليد الإسلامية ، فلا يأكلون لحم الخنزير ، بل حرموا على أنفسهم المناطق التي تربي فيها الجنازير والأدوات التي تستخدم في طهيها ، ولا يأكلون طعام المشركين ، ويدفنون موتاهم في مقابر إسلامية، ويحتفلون بالأعياد والمناسبات الإسلامية وتسمح لهم الدولة بالاحتفال بالعيدين ومولد الرسول ﷺ ، بل أعفتهم الدولة من قيود تحديد النسل ، ويتم الزواج باختيار الوالدين ، ويحترمون الآباء وكبار السن (توماس ، ١٩٧٠م ، ٣٤١) "Weeks, 1984, 334, 335" وأثر الإسلام قوي في عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية والثقافية ويلتزم المسلم من الهوي بأركان الإسلام الخمسة ، وقد تحولّ تحريم لحم الخنزير إلى عادة من عاداتهم . ويحتفلون إسلامياً بالزواج والولادة والجناز ، ومعظم طعامهم من دقيق القمح ودقيق الأرز . ويلبسون طاقية من ست قطع متساوية الاضلاع من القماش، وهي تشير إلى ستة عقائد: "الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره" . ومعظم مراكز الثقافة الإسلامية توجد في مناطق الهوي، ومن أبرزها لينشيا. والهوي نشطون في بناء المساجد والمؤسسات الإسلامية ولهم جهود في طباعة الكتب الإسلامية. (توشلينغ، ١٩٨٨م ، ٢٣ ، ٢٤).

٣ - القازاك :

ثالث قومية عرقية مسلمة من حيث العدد ، وهم يتبعون نظام العشائر البدوية ، ولهذا تأثيره على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية . ولقد استمر القازاك عدة قرون يعتمدون على الرعي كحرفة أولى ، ثم أضيفت له الزراعة ، وارتبط بهذا أيضاً الاقتصاد العائلي بالنسبة للألبان والجلود والصوف . وفي ولاية إيلي وحدها (ذاتية الحكم للقازاك) ٩ ملايين رأس من الماشية سنة ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤م) ، وأصبحت هناك أنواع مشهورة من الحيوانات تنسب إلى (إيلي) ، مثل حصان إيلي المشهور وخراف ارتاي وبقر شينجيانج ، وهكذا نجد للثروة الحيوانية أثر كبير في حياة القازاك . ويمارس القازاك الزراعة كحرفة مساندة للرعي . كما دخلت الصناعات الخفيفة إلى مناطق القازاك ولكن الصناعة تملكها الدولة ، وكذلك المزارع الجماعية . (تسولينغ ، ١٩٨٨م ، ٦٩) .

ويعتبر النظام الأبوي مسيطراً على التقاليد الاجتماعية ، ويستخدمون القانون العرفي فيما بينهم ، والمساس بحرية أي شخص من العشيرة مساس بحقوق العشيرة كلها . وعادة الزواج تكون بين عشائر أخرى لا تشترك في جد واحد . وطعام القازاك معظمه من الحليب ، والحبوب غذاء ثانوي عندهم . هم يقددون اللحوم ، والمشروب المفضل يتمثل في الشاي المخلوط بالحليب والملح . ويكرمون الضيوف والغرباء . وترتبط ملابسهم بظروف البيئة وحياة الرعي ، ففي الشتاء يلبسون ملابس من فرو الغنم ، وفي الصيف يلبسون ملابس فضفاضة . وتلبس المرأة في الشتاء لباساً طويلاً فوقه لباس محشو بالقطن ، وفي الصيف تلبس ثياباً طويلة مطرزة ، مندلية إلى العقب ومسكنهم في الربيع والصيف خيام لبادية يسهل حملها ، وفي الشتاء يسكنون بيوتاً من اللبن ، ويخرجون الزكاة من ثرونتهم الحيوانية . (تسولينغ ، ١٩٨٨م ، ٦٢) "Weeks, 1984, 92"

٤ - القرغيز والتاجيك :

يتبع القرغيز نظاماً عشائرياً ، فكل قبيلة تشمل عدة عشائر ويتبع النظام الأبوي في المجتمع ، ويتعاملون وفق نظام عرفي ، وكل عشيرة تتكون من عدة (أيائل) ، أي عائلات تشترك في علاقة الدم ، وكان هذا تنظيم التاجيك من قديم وهؤلاء يعيشون في بيئة جبلية يمارسون تربية المواشي في الأودية في هضاب البامير . ويربي القرغيز والتاجيك بقر "ألياك" طويل الشعر الذي يتحمل برد البامير ، وكذلك يربون بقر "بيانيو" كما يربون الأغنام والإبل والخيول ، ويتجولون بحيواناتهم على السفوح الجبلية في الربيع والصيف . أما في الشتاء ، فيعودون إلى الأودية ، ويستقرون في بيوت في القرى ويزرعون حولها قطعاً صغيرة بالشعير والبسلة والقمح والبقول والبطاطس والعديد من الفاكهة . وأصبح الاقتصاد مبني على الرعي والزراعة الخفيفة ، مساكنهم في موسم الرعي عبارة عن خيام لُبادية ، تناسب حياة الانتقال خلف المرعي . (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٧٥ ، ٨١) ، Weeks, 1984, 405, 740"

والطعام الرئيسي من اللحوم والألبان عند القوميتين ، ويتخذون من الأرز والقمح طعاماً ثانوياً . ويلبس الرجال قمصاناً فوقها جبة طويلة مفتوحة عند الصدر ، ولباس المرأة فستان فضفاض وقلنسوة مطرزة . هذا في الصيف ، أما في الشتاء ، فيلبسون أنواعاً من الملابس الثقيلة المصنوعة من صوف الغنم ، وللقرغيز أدبهم الشعبي في شكل ملاحم شعرية قصصية ، تحكي تاريخهم وتسمى "ماناس" ، ويحتفلون بالأعياد الدينية والقومية ، كما يحتفلون برأس السنة القمرية ، وعند اللقاء يبادر الصغير الكبير بالتحية .

٥ - الباوون والدونغشياغ والسالار :

يرتكز اقتصاد الباوون على زراعة القمح والشعير ، ويمثلان أهم محاصيل

عندهم ، وكذلك الدونغشيانج زراع ، وأبرز محاصيلهم البطاطس والقمح والشعير والذرة والبقول والأعلاف والسمسم والفاكهة ، ويعيشون في بيئة متشابهة في جبال جيشي . وإلى جانب الزراعة والرعي ، لديهم حرف ثانوية مثل صناعة الفضيات عند البوان ، ومن أشهرها صناعة السكاكين البوانية المشهورة في أنحاء الصين ، ولدي الدونغشيانج صناعة مولدات الكهرباء وأدوات الزراعة ومواد البناء والصناعات نفسها عند السالار . وكانت هذه الأنشطة الاقتصادية سائدة قبل الحكم الشيوعي ، والذي فرض نظام المزارع الجماعية ، والاقتصاد الموجه .

"Weeks, 1984, 168 - 238 - 653"

وترك الدين الإسلامي أثراً واضحاً عند هذه القوميات الثلاث في النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، فهم يحتفلون بالأعياد الإسلامية ، ويحافظون على تأدية الصلاة ، ولا يأكلون لحم الخنزير بل لا يأكلون طعام المشركين (الهان) ، وأكلهم من القمح والشعير والأرز والحنطة السوداء ، مساكنهم من اللبن والخشب ، ويرتبط أهل القرى بعلاقة الدم ، ويلبس الرجال من قومية الدونغشيانج الجلباب المفتوح من الجانب والخذاء الطويل ، ويلقون على أحزمهم الخناجر . أما النساء فيلبسن فساتين مطرزة بالزخارف ويستخدمن أغطية للرأس (برنس) تصل إلى الخصر .

(تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ١٠٨ ، ١٠٩) .

٦ - الأوزبك والتتار :

وصلوا إلى شنجانج (التركستان الشرقية) مع حركة التجارة ، ونقلها من الصين إلى آسيا الوسطى ، ولعبوا دوراً مهماً في تطوير الاقتصاد في شنجانج ، وأقاموا في معظم مدنها . وقد بنى اقتصادهم أول الأمر على التجارة الداخلية والخارجية ، وبعد أن ضعفت حركة التجارة بين الصين وآسيا الوسطى ، تحولوا إلى الزراعة ، ومارسوا حرفاً أخرى ، مثل الرعي ونسج الحرير والتطريز والتجارة في المدن ،

وأسسوا بعض الصناعات التكميلية مثل دباغة الجلود ، وصناعة الصوف ، وكان هذا قبل الحكم الشيوعي . (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٨٨ ، ٩٠) "Weeks, 1984, 653"

وهم لا يأكلون لحم الخنزير ، ولا يقربون الخمر ، وطعامهم الرئيس من الأرز ودقيق القمح واللحم ، وطعام المنسف خير الأطعمة لديهم . يرتدي الرجال من الأوزبك طواقي مطرزة من المخمل ، وترتدي المرأة طاقية مطرزة بألوان زاهية ، وتلف عنقها بمنديل . ويلبس الرجل قميصاً فوقه رداء طويل يصل إلى الركبتين ، وتلبس المرأة فستاناً فضفاضاً متعدد الطيات ، دون حزام في الصيف ، والأحذية طويلة سواء عند الرجل أو المرأة ويلبس الرجل من التتار قميصاً مخرم من الأمام ، وفوقه صدرية قصيرة سوداء ، وسروال طويل أسود . وكانت مساكنهم من اللبن ، مسقوفة بالخشب ، سمكة الجدران . (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٩٤)

وبصفة عامة ، يعمل معظم المسلمين الصينيين في حرفتي الزراعة والرعي (٨٠٪) ، وأكثر من (١٠٪) يعملون في التجارة والصناعة ، و (١٠٪) يعملون في الحرف التخصصية . "A. Theological Library, vol. 3, no. 2, 1981"



التعليم الإسلامي

تلعب الظروف العرقية في الصين دوراً مهماً في التعليم الديني ، فالدولة حالياً تعامل الأقليات على أسس قومية أكثر من معاملتها دينياً ، ولهذا يقوم التعليم الإسلامي في الصين على الجهود الذاتية . وقديماً مر التعليم الإسلامي في الصين بمراحل من الازدهار في بعض العصور ، ومراحل أخرى من الاضمحلال والكبت والمسخ ، بل والإبادة ، كما حدث بعد إعلان ما سمي بالثورة الثقافية عام ١٩٦٦م . ومن مراحل الازدهار ، تلك المرحلة التي تلت إعلان النظام الجمهوري عام ١٩١٢م ، خصوصاً في الفترة بين سنتي (١٣٤٤هـ - ١٣٥٩هـ / ١٩٢٥م - ١٩٤٠م) . "Esposito, 1995, vol. 1, 450"

وإذا تتبعنا تطور التعليم الإسلامي في الصين قديماً ، نجد أن تدريس الدين والعلوم الإسلامية نشأ وتطور في المساجد منذ أمد بعيد . ففي أواخر حكم أسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤م) ، وأوائل حكم أسرة تشينغ (١٦٤٤ - ١٩١١م) ، حيث اتبع نظام الأحياء الدينية . ووضع مشاهير العلماء المسلمين كتباً باللغة الصينية تسمى بالكتب الإسلامية الكلاسيكية القديمة ، وبدأ الأئمة يدرسون تلاميذهم هذه الكتب في المساجد . وكنتيجة لهذه الكتب الإسلامية التي وضعت باللغة الصينية ، هبت حماسة بالغة لدراسة تعاليم الإسلام ، وكان هناك عدد كبير من علماء المسلمين الصينيين يعرفون اللغة العربية والسغة الفارسية ، ويستوعبون القرآن الكريم والحديث الشريف . ومن أبرز علماء المسلمين في الصين في هذه الفترة "خوونغ تشو" ، الذي لقب بأستاذ الاساتذة ، فلقد ألحقت المدارس بالمساجد وأدخل التعليم الديني ضمن مسؤولية الأئمة . كما كان التعليم الإسلامي متطوراً في كثير من مدن الصين مثل ديداو "ليتتاو" ، وخنشو (لينشيا) ، وصارت الأخيرة مركزاً للنشاط العلمي الإسلامي، بسبب تركز المسلمين فيها ، ووصول الدعاة المسلمين إليها .

وتمتعت مدينة ختشو بسمعة عالمية عريضة . (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ١٧ ، ١٧)

وبخصوص لغة التعليم ، هناك لغتان (١) لغة البلاد الرسمية وهي اللغة الصينية (٢) لغة أخرى هي خليط من العربية والفارسية . كما توجد كتب كثيرة يستخدمها المسلمون في تعليم أولادهم وقد تكون مصحوبة بترجمة صينية ، أو غير مصحوبة . وهناك مصنفات ذات طابع تعليمي حصلت بعثة "دولون" على ٣٦ مصنفاً منها، كما حصل "بروم هول" على ٣ مصنفات . (الشتناوي ، ١٩٣٣م ، ج١٥ ، ١٨) ، (هريدي ، ١٩٨١م ، ٨٢) .

وبعد المرحلة السابقة، تطور التعليم الإسلامي عند قومية الهوي المسلمة شكلاً ومضموناً. فلقد وضع العالم "هونغ شون" نظاماً لتدريس العلوم الإسلامية في المساجد (١٥٢٢ - ١٥٩٧م)، وتم تطوير هذا النظام أيضاً حيث تبنى هذا النظام العالم "وانغ هاو ران" في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين الميلاديين، ولتحقيق هذه الغاية، أسس مدرسة اللغة العربية للمعلمين في مسجد نيوجيه في بكين، هذا بعد عودته من الحج. وإلى جانب العلوم الدينية، كانت تدرس اللغة العربية، ثم أعقب ذلك تأسيس مدارس ابتدائية إسلامية في بكين. وانتشرت مدارس هذا النمط حتى شملت ٤٠٠ مدرسة ابتدائية في أنحاء الصين، وإتبع منهجاً جديداً، فإلى جانب علوم الدين الإسلامي، كانت تدرس اللغة الصينية، وعلوم التاريخ والجغرافيا والحساب وغيرها. ولكي يحقق أبناء قومية الهوي هذه الغاية، تم إنشاء عدد من مدارس إعداد المعلمين، منها مدرسة "تشنغدو" في شنغهاي، ومدرسة "وانشيان" في مقاطعة سيثوان ووزونج، وقد أرسل بعض خريجي هذه المدارس إلى الأزهر، وكان من بينهم عبدالرحمن ناجون ومحمد مكين وناشيون. وهكذا أصبح هناك نظامان من التعليم الإسلامي، أولهما يتبع نظام تحفيظ القرآن الكريم والحديث الشريف في المساجد لصغر التلاميذ،

وثانيهما يتمثل في مدارس إعداد الأئمة والمعلمين. (تسولينغ، ١٩٨٨م، ٢ ، ٢١)، (بناء الصين ، ١٩٨٣م، ١١٢) .

يقوم التعليم الإسلامي على الجهود الذاتية للمسلمين في إنشاء المدارس التي تخدم ثلاث مراحل ، (١) مرحلة ابتدائية يقتصر التعليم فيها على المدارس القرآنية الملحققة بالمساجد ، يحفظ فيها التلاميذ قصار السور من القرآن الكريم ، ومبادئ اللغة العربية. (٢) مرحلة متوسطة يدرس الطلاب بعض العلوم الإسلامية ، مثل التفسير والحديث. (٣) مرحلة عالية يدرس فيها الطلاب علوم الفقه والتفسير والتوحيد وبعض العلوم الأخرى ، وهدفها تخريج دعاة وأئمة . ويصعب حصر المدارس الابتدائية لأنها منتشرة في معظم المساجد وكذلك وضع المرحلة المتوسطة ، أما المعاهد ومدارس إعداد المعلمين المسلمين وتخرج الأئمة فهي عديدة وتتركز الجمعية الإسلامية بالصين على سبعة معاهد موزعة في بكين وشنغهاي ونينغشيا ولا تزهو ، وإلى جانبها معهد في مقاطعة تشنغهاي وشينغ وبونان. كما تأسس مركز ثقافي إسلامي حديث في مدينة يانتشوان، حيث أكبر تجمع إسلامي في مقاطعة قانسو، ويضم المركز مسجداً جامعاً ومعهداً للعلوم الإسلامي ومكتبة إسلامية ومتحفاً إسلامياً. وتقدر مساحته بحوالي ٦٠ ألف متر مربع. وفي الماضي، كان بالصين -خصوصاً في التركستان الشرقية "تشنجيانج" - معاهد إسلامية في كل من كاشغر وقانسو وبكين. (بكر، ١٩٨٨م، ١١٥ - ١١٨) ، (تسولينغ، ١٩٨٨م، ٣٠).

الكتب الإسلامية :

ظهرت كتب إسلامية مترجمة إلى اللغة الصينية في أواخر حكم أسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٤٦٦م) ، منها تفسير حقائق دين الإسلام ، وكتب في الفقه الإسلامي، ومنها جامع تعاليم الإسلام ، ومنها الشريعة الإسلامية وسيرة النبي عليه

الصلاة والسلام (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٣٠) . ولقد برز العديد من العلماء في مقاطعة يونان منهم مازهو ومنهم ما ديشنغ ومالانيوان . ومن أبرز الشخصيات الإسلامية في هذه المرحلة ، العالم "وانغ جينغ تشاي" ، الذي أصدر مجلة نور الإسلام وترجم معاني القرآن ، وأصدر القاموس العربي الصيني ، وترجم كتاب العمدة أحد كتب الفقه المنتشرة في الصين . ويعتبر العالم "محمد تواضع" أول من جلب حروف الطباعة العربية إلى الصين ، وترجم إلى الصينية كتاب تاريخ التشريع الإسلامي ، وكتاب رسالة الإسلام في الصين . ومن الذين أنشروا حركة الترجمة للكتب الإسلامية في الصين ، العالم "ماليانغ غيون" ، والعالم "محمد مكين" ، والذي عمل استاذاً بجامعة بكين ، ومن مؤلفاته : موجز شرح القرآن الكريم ، ورسالة التوحيد ، وحقيقة دين الإسلام ، وسيف محمد عليه الصلاة والسلام . (هويدي ، ١٩٨١م ، ١٢٨ ، ١٢٩)

المدارس الإسلامية قبل الحكم الشيوعي :

مدرسة دار المعلمين تشندا كانت في بكين ، ولها تاريخ حافل في التعليم الإسلامي ، ثم المدرسة الإسلامية بشنغهاي ، ثم مدرسة تيهوا الثانوية بشنغهاي ، ثم مدرسة شمال الصين الغربي ببكين ، ثم كلية موشن بهانغ تشو ، ثم دار المعلمين بمدينة نينج هشيا ، ثم مدرسة الهلال للبنات في بكين . وكانت أبرز المدارس سالفة الذكر دار المعلمين ، وأصبحت هذه المدرسة أحد فروع معهد الصين الإسلامي بعد إستيلاء الشيوعيين على الحكم . (حي ، د.ت ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤)

ولقد أغلقت المعاهد والمدارس الإسلامية أثناء "الثورة الثقافية" وشمل هذا المساجد والأنشطة الإسلامية ، وزُجَّ بعلماء الدين في السجون ، وأحرقت الكتب الدينية . وبعد انتهاء هذه الفترة ، بدأت الأوضاع في التحسن ، فأعيد فتح بعض

المساجد ، وظهر اتصال بين المسلمين الصينيين والعالم الخارجي في الأونة الأخيرة ، فسمحت الدولة بزيارة بعض الوفود الإسلامية للصين . ففي سنة ١٩٨٣ م ، زار الصين وفد من رابطة العالم الإسلامي ، وهيئة الإغاثة الإسلامية ، وكذلك تمت زيارة أخرى في سنة ١٩٨٩ م ، وذلك للتعرف على أحوال المسلمين الصينيين . كما زارها وفد من منظمة المؤتمر الإسلامي ، ووفود أخرى من بعض الدول الإسلامية . كذلك أرسلت الجمعية الإسلامية الصينية وفوداً لزيارة بعض الدول الإسلامية ، ونتيجة لتحسن أوضاع المسلمين في الصين ، يعقد ملتقى إسلامي سوى في المقاطعات الخمس شمال غربي الصين منذ سنة ١٩٨٠ م . ولقد عقد الملتقى الإسلامي للدعوة في مدينة بكين في سنة ١٩٨٨ م ، ويعتبر عقد مثل هذا المؤتمر حدثاً مهماً في الصين منذ سيطرة الشيوعيين على الحكم . (تسولينغ ، ١٩٨٨ م ، ٥) .



الجمعيات الإسلامية والمساجد

أولاً : الجمعيات الإسلامية :

تعتمد على الجهود الذاتية للمسلمين ، شأنها في ذلك شأن المساجد والمدارس والمطبوعات الإسلامية ، وفيما يلي نماذج منها :

١ - جمعية التقدم الإسلامي : كانت من أبرز الجمعيات الإسلامية في الصين ، وكان مقرها في بكين ، ونشطت هذه الجمعية في بث تعاليم الإسلام ، حيث بلغ عدد فروعها حوالي ٣٠٠ فرع ، تأسست سنة ١٩١٢ م .

٢ - الجمعية الاتحادية لعموم الصين : أنشئت إبان الغزو الياباني للصين ، لذا نالت تأييد السلطات الصينية ، ولهذا عملت اليابان أثناء غزوها للصين على إيجاد تنظيم مضاد ، فكوّنت اتحاد المسلمين الصينيين . ولقد نشطت هذه الهيئات الإسلامية في توثيق صلة المسلمين الصينيين بالعالم الإسلامي وقد حلت هذه الجمعية .

٣ - جمعية الآداب الإسلامية بالصين : أنشئت على يد الحاج هلال الدين في سنة ١٩٢٥ م ، وكان مركزها في شنغهاي ، والحاج هلال من أشهر علماء المسلمين بالصين ، تلقى تعليمه بالأزهر ، زار عدة بلاد إسلامية ، وكان يجيد اللغتين العربية والأردية . وسعت هذه الجمعية إلى تبسيط فهم العقيدة الإسلامية والنهوض بالتعليم الإسلامي ، ومساندة الأعمال الخيرية ، وترجمة معاني القرآن الكريم ، وأصدرت مجلة شهرية ، كما خصصت بعض المنح الدراسية للطلاب المسلمين للدراسة في البلدان الإسلامية ، وأنشأت عدة مراكز تعليمية بالصين . (حي ، د. ت ، ١١١ ، ١١٢)

٤ - جمعية الصين الإسلامية : كونها الجنرال عمر باي تشونغ أحد قادة

الجيش الصيني الكبار لإنقاذ الوطن في سنة ١٩٣٨م ، وذلك لمحاربة الاحتلال الياباني عملاً ودعاية . وكان لها مركز في مدينة (تشونج كنج) ، ثم نُقل مقرها إلى بانكين ، بعد الانتصار على اليابان . وكان للجمعية ٣٣ مركزاً في المقاطعات ، و ٤٠٠ فرع في النواحي ، وحوالي ٩٠٠ مكتب محلي في جميع أنحاء الصين ، وانتقل مركزها بعد سنة ١٩٤٩م إلى تايبيه بتايوان . (حي ، د.ت ، ١٣٦) .

٥ - الجمعية الإسلامية في الصين : هيئة شكلتها الدولة ، تأسست في سنة (١٩٥٣م) في عهد "ماو" ومقرها في بكين ، وتقوم ببعض الأعمال الإسلامية ، وتعتبر جمعية شبه حكومية ولها فروع محلية في عدة مناطق بالصين وقد أصدرت عدة مجلات ، منها مجلة المنبه الإسلامي في يونان ، ومجلة نضارة الهلال في بكين ومجلة العلوم الإسلامية في كانتون ، وصدرت هذه المجلات في عهد الجمهورية قبل الحكم الشيوعي . (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ٤)

ثانياً : المساجد :

شيد المسلمون منذ أن استقر الرواد الأوائل منهم بالصين المساجد ، وأصبح المسجد مصدر إشعاع للأنشطة الدينية في المجتمع الإسلامي الصيني . وهناك العديد من المساجد العريقة التي بنيت منذ أن ظهر المجتمع الإسلامي بالصين ، منها مسجد الذكرى النبوية في مدينة تشنغتشو حاضرة مقاطعة خنان ، وكذلك مسجد كايفنغ الذي بني في عهد دولة تانغ (٦١٨م - ٩٠٧م) ، ومسجد التوعية في شيان (وهو لا يزال بحالة جيدة ومساحته ١٣ ألف متر مربع ، وعمره أكثر من ١٢ قرناً ، وشيان هذه هي إحدى عواصم الصين القديمة) ومسجد (تشينينغ جينغ) ، أي المسجد الطاهر في مدينة الزيتون ، يقال إنه بني في سنة ١٠١٠م ، وأعيد إصلاحه سنة ١٣١٠م ، ومسجد العنقاء هانغ تسو ، ومسجد دونغفوان في مدينة شينينغ حاضرة مقاطعة تشنغهاي . ومن أكبر المساجد ، مسجد أيتكار في شنجيانج

(التركستان الشرقية) . (الشتناوي، ١٩٣٣م ، ج٤ ، ١٤ ، ٤٩٦ ، تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ١٤ ، هويدي ، ١٩٨١م ، ٢٠٥) .

ولما كان للمسجد أهمية كبرى في حياة المسلمين الصينيين الدينية والاجتماعية والسياسية ، لذا وضع المسلمون للمساجد نظاماً إدارياً ، في أواخر حكم دولة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤م) وأوائل حكم دولة تشنغ . ويسمى هذا النظام (التوالي الثلاثي). فلكل مسجد ٣ من المسلمين يتولون شؤونه ، الأول الإمام أو الخطيب ويسمى (أنونغ)، والثاني مقيم الشعائر وينوب عن الإمام في غيابه ويسمى (أهونغ الثاني) ، والثالث المؤذن وتختلف تسميته باختلاف الأقاليم . أما القاضي ، فيشرف على الشؤون المدنية . وهناك مشرف على التعليم الإسلامي يتم تعيينه بالانتخاب ، وهو يشرف على ترميم المساجد وإصلاحاتها . (تشولينغ ، ١٩٨٨م ، ١٦ ، ١٧) .

وقد جاء في الكتاب الحكومي الإحصائي الذي صدر في عهد حكم الجمهوريين سنة ١٩٣٦م ، أن عدد المساجد ٤٢٣٧١ مسجداً موزعة على مقاطعات الصين . والمقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث ٦٥٧٠ مسجداً ، وفي مقاطعة يونان ٣٩٧١ مسجداً ، ومقاطعة قانسو ٣٨٩١ مسجداً ، ومقاطعة هيوبه ٢٩٤٢ مسجداً ، ومقاطعة هونان ٢٧٠٣ مسجداً ، وشنشي ٢٦١٧ مسجداً ، وشاندونج ٢٥١٣ مسجداً ، وشوان ٢٢٧٥ مسجداً ، وشنجيانج ٢٠٤٥ مسجداً ، وشانشي ١٩٣٠ مسجداً ، وأنهوي ١٥١٥ مسجداً ، وقيانسو ١٣٠٣ مسجداً ، وهيونان ٩٣٢ مسجداً ، والباقي موزع على المقاطعات الأخرى .

"A. Theological Libraru, vol , no. 2 , 1979& vol., 2, no. 1 , 1980"

وهكذا يتضح أن عدد المساجد بلغ رقماً قياسياً لم يبلغه في عهد الحكم الشيوعي، حيث تعطلت الشعائر الدينية ثم أعيد فتح المساجد بعد انتهاء ما يسمى بالثورة الثقافية ، ومع ذلك لم يصل عددها إلى ما وصلت إليه قبل الحكم

الشيوعي، حيث كان عددها حوالي ٢٣ ألف مسجد، وأصبح العامر منها يقدر بحوالي ٧٠٠٠ مسجد. (بكر، ١٩٨٨م، ١٢).

الأوقاف الإسلامية :

كان ينفق على المساجد من الأوقاف التي أوقفها أغنياء المسلمين عبر مختلف الأزمنة. حيث أوقفوا عليها العقارات والبيوت والمزارع. ويصرف من ريع تلك الأوقاف على المساجد والمدارس الإسلامية، يعيش من ريعها الطلاب فلما استولى الشيوعيون على الحكم، تمت مصادرة الأموال الخاصة والعامة بما في ذلك أوقاف المساجد، وأدى هذا إلى تشريد الطلاب والمدرسين والقائمين على المساجد سعياً وراء الرزق، والحالات المماثلة عديدة (حي، د.ت، ١٦٦، ١٦٧).

دور المساجد في حياة المسلمين الصينيين :

للمساجد دورها المهم في حياة المسلمين في الصين، فالأمر لا يقتصر على تأدية الصلاة، وإنما يتجاوزها إلى إبرام عقود الزواج، وإصدار وثائق الطلاق، وتجهيز موتى المسلمين والصلاة عليهم، والتعرف على أحوال المسلمين الاجتماعية ومشاكلهم وحلها، والتوفيق بين أفراد الأسر، وإصدار الفتاوى الشرعية، وإلى جانب هذا الإشراف على تعليم أبناء المسلمين دينياً. وهذه الرسالة تؤدي في ظروف قاسية، وتعتمد على الجهود الذاتية للمسلمين.



التحديات والمطالب

رغم أن المسلمين ساهموا بجهد كبير في تنمية الاقتصاد الصيني بروج التجارة الخارجية والداخلية من خلال التجارة عبر البحار، والتجارة عبر طريق الحرير القديم، وكذلك مساهماتهم في ترويض الأنهار وإقامة السدود ومشروعات الري في الصحاري الجافة. وكذلك مساهماتهم العلمية في الفلك والطب، والأدوية، وجهودهم في حركة الترجمة التي أثرت التراث الصيني، رغم هذه المساهمات، لم يسلم المسلمون من بطش السلطات الصينية في عصور مختلفة. ويمكن إعطاء بعض الأمثلة كالتالي:

١ - التحديات في عهد الأباطرة :

في فترة حكم أباطرة المانشو (دولة شينغ) عبر ما يزيد على ثلاثة قرون، وقعت اضطرابات عديدة راح ضحيتها مئات الآلاف من المسلمين، واندلعت اضطرابات ومظاهرات للمسلمين في شمال غربي الصين في سنة ١٠١٩ م. أما أبرز الثورات التي قام بها المسلمون لمقاومة ظلم دولة شينغ، وقعت في مقاطعتي قانسو شانشي سنة ١٦٤٦ م، وفي سنة ١٧٨١ م، تجددت ثورات المسلمين في لانشو وشيفانباو ومقاطعات قانسو ودوينغشيا وتشنغهاي. وتجددت الأحداث في سنة ١٧٨٣ م. وحدثت مذبحة شيفانباو، حيث قتل القائد الصيني "لي تزي يسو" آلاف المسلمين. وتكررت الأحداث مرة أخرى في قانسو سنة ١٨٢٠ م. وفي مقاطعة يونان، وقعت أحداث مماثلة استمرت ٢٧ سنة وحدثت خلالها ثلاث مذابح للمسلمين في السنوات ١٨٣٩ م، ١٨٤٧ م. وفي أثناء هذه المدة، تشكلت مملكة إسلامية في يونان بين سنتي ١٨٥٥ م، ١٨٧٣ م. ووقعت معظم هذه المذابح في تاليفو في يونان. (الشتاوي، ١٩٣٣ م، ج٤، ٤٦٩، و ج٥، ١٤، حي، د. ت. ٦٧ - ٦٨ - ٧٠) "A. Theological, Library, vol. 3, no. 2, 1981"

ولقد قاست منطقة التركستان الشرقية (شينجيانج) الكثير من الاضطهاد في عهد دولة شينغ (المانشو) ، فقامت انتفاضة الحوجات الإسلامية ضد الاحتلال الصيني ، ولم تسنطع الصين اخمادها إلا في سنة ١٧٥٥م ، ولم يستقر الاحتلال الصيني في التركستان الشرقية (شينجيانج). فبذل "مخدوم زاده" محاولات للاستقلال بالتركستان بين سنتي ١٨١٧ - ١٨٦١م ، واستعرت هذه الأحداث مدة طويلة ضد الاحتلال الصيني للإقليم ، وتلى ذلك مقاومة يعقوب بك ، واستقلاله بالتركستان الشرقية بين سنتي ١٨٦٥م و ١٨٧٧م ، ثم أصبحت التركستان الشرقية تحت الحكم الصيني المباشر بعد سقوط حكومة يعقوب بك . (حي ، د. ب ، ٧٣).

٢ - في عهد الحكم الجمهوري :

بعد انتهاء حكم المنشوريين ، جاء حكم جديد بزعامة سون يات سن "Sun Yat Sen" . ورغم الهدوء النسبي الذي ساد الأوساط الإسلامية في معظم أنحاء الصين ، إلا أن التركستان الشرقية لم تنعم بهذا الهدوء ، ف وقعت عدة انتفاضات في مناطق عديدة من التركستان الشرقية . وحاولت التركستان الاستقلال بزعامه خووجه نياز سنة ١٩٣٨م ، حيث أسس جمهورية التركستان الشرقية الإسلامية ، وقضى عليها بالتعاون الصيني الروسي . وتلى ذلك انتفاضة أخرى بقيادة عبدالله نياز سنة ١٩٣٧م ، ثم انتفاضة أخرى بقيادة عثمان باتور ، وأعلن قيام جمهورية التركستان الشرقية وقضت عليها الصين سنة ١٩٤٩م . ورغم هذا ، تعتبر فترة الحكم الجمهوري في الصين أفضل من فترة حكم المنشوريين بالنسبة للمسلمين ، بل ربما أفضل فترات الحكومات الصينية . ولقد أعلن مؤسس الحكم الجمهوري (سون يات سن) أن المسلمين شعب من الشعوب الخمسة التي تشكل الأمة الصينية ، ورمز لهم بنجمة من النجوم الخمسة التي تشكل علم الصين ، إلا أن الأمر لم يخل من

بعض الانتفاضات، فلقد أعلن القازاك تكوين جمهورية شرق التركستان في سنة ١٩٤٢م ، ولم تستمر غير سنة واحدة (حي ، د.ت ، ١٢٥ ، محمد ، ١٩٥٧م ، ٢٥ - ٢٦) .

٣ - في عهد الشيوعيين :

في عهد الحكم الشيوعي ، عادت أحوال المسلمين مرة ثانية إلى التردّي ، وهجّرت الحكومة أعداداً كبيرة من الهان والعناصر الأخرى إلى التركستان ، فانخفضت نسبة المسلمين من ٩٠٪ إلى أقل من ٦٥٪ وما تزال الهجرة مستمرة . فلقد تم وضع خطة لتهجير ٥ ملايين صيني إلى التركستان الشرقية (شنجيانج) . كذلك أخذت سياسة تهجير الصينيين من البوذيين إلى إقليم نينغشيا لتحد من نسبة المسلمين ، وترمي الخطة إلى تهجير أكثر من مليون صيني حتى عام ٢٠٠٢م . ومرت أسوأ فترة على المسلمين أثناء الثورة الثقافية ، وبعدها ساد هدوء نسبي ولكن الأمر لم يخل من بعض المظاهرات والانتفاضات . ففي سنة ١٩٨٦م . قام المسلمون بمظاهرات في أوروامشي في شنجيانج بسبب زيادة هجرة الهان ، وحدثت مظاهرات في نواح متفرقة من الصين ضد الكتب التي تهاجم الإسلام في سنة ١٩٨٩م ، وفي سنة ١٩٩٣م . وفي ابريل ١٩٩٦م ، حدثت مظاهرات في التركستان الشرقية "شنجيانج" ، حيث تظاهر الويغور ضد سياسة التهجير مطالبين باستقلال التركستان، وقبضت السلطات الصينية على (٥٠٠٠) من اليغور . وفي سبتمبر ١٩٩٦م ، تم القبض على (١٨٠) من علماء الدين . ولكن بصفة عامة أحوال المسلمين في الوقت الراهن أفضل من تلك التي كانت في عهد الثورة الثقافية. (الب ، ١٩٧٨م ، ٢ ، العالم الإسلامي ، محرم ، ١٤١٧هـ) "Esposito, 1995, vol. 2, 277" .

وعموماً فإن تحسين حال المسلمين في الصين في الوقت الحاضر يتطلب دعم

الدول الإسلامية في جوانب كثيرة أهمها :

- ١ - توفير منح دراسية للطلاب تتمثل فيها مناطق المسلمين في الصين .
- ٢ - وضع خطة دراسية لمنهج علمي مبني على احتياجات المسلمين الصينيين ،
والعناية بالتعليم الإسلامي والتعليم المهني .
- ٣ - القيام بمسح شامل للمساجد في الصين بهدف إعمار ما تمّ تخريبه .
- ٤ - الاهتمام بنشر الكتب الإسلامية مع ترجمتها للغات المحلية أو لغة الصين
الرسمية والعناية بتعليم اللغة العربية .
- ٥ - تنظيم قطاع الدعوة الإسلامية وتدعيمه بالدعاة الذين يجيدون اللغة
الصينية وإنشاء معاهد للدعاة داخل الصين لخدمة التوعية الإسلامية .
- ٦ - إجراء مصالحة وتوفيق بين الجماعات المتناحرة .
- ٧ - دعم صلات المسلمين بالعالم الإسلامي ، خصوصاً بالهيئات والمنظمات
الإسلامية العالمية .
- ٨ - الدعم المادي والثقافي للمسلمين داخل الصين .



٣ - الأقلية المسلمة في الفلبين

مدخل إلى جغرافية الفيليبين

الملامح العامة:

تعتبر الفيليبين أرخبيلًا يتكوّن من حوالي ٧١٠٠ جزيرة، يقع بين دائرتي عرض ٥° - ٢١° شمالاً ، وخطي طول ١٢٦° - ١٢٦°٤٥ شرقاً ، وتمتد جزرها حوالي (١٨٥٠ كم) من الجنوب إلى الشمال ، وحوالي (١١٢٥ كم) من الغرب إلى الشرق يلفها المحيط الهادي والبحار المتفرعة منه . ففي شرقها المحيط الهادي وفي جنوبها بحر سلبس ، وفي جنوبها الغربي بحر سولو ، وفي غربها بحر الصين الجنوبي (شكل رقم ١١). وتبلغ المساحة الإجمالية لجزر الفيليبين ٣٠٠.٠٠٠ كيلو متر مربع، وقد أطلق الأسبان عليها هذا الاسم نسبة إلى ملك أسبانيا فيليب الثاني، وأطلقت بعثة ماجلان على السكان "المور" ، ثم أصبحت الجزر مستعمرة أسبانية سنة ١٥٧٢م، وكانت تدار من المكسيك تحت مسمى أسبانيا الجديدة ، وحلت محلها الولايات المتحدة سنة ١٨٩٨م ، حتى استقلت سنة ١٩٤٦م "World Mark Pres, 1984, 288" "Philip, 1991, vol. 9, 382" .

بلغ عدد سكانها في تعداد سنة ١٩٩٠م ٦٠.٥٠٠.٠٠٠ نسمة، وفي تقديرات سنة ١٩٩٤م حوالي ٦٧ مليون نسمة. والعاصمة ما نيل، وعدد سكانها في سنة ١٩٩٠م حوالي ١٦.٠٠٠ نسمة. وأكبر مدنها كيزون ١٦.٠٠٠ نسمة.

وتنقسم الفيليبين إلى ١٢ إقليمًا إداريًا، يضم ٧٣ محافظة. وأبرز جزر الفيليبين لوزون (١٠٤٦.٠٠ كيلو متر مربع)، وتوجد في الشمال، ثم مينداناو (٩٤٦.٠٠ كيلو متر مربع) ، وتوجد في الجنوب ، ثم مجموعة جزر بحر شيان في الوسط ، وتشمل: جزر باناي ونجروس وسيبو وليتي وسمار وبهول . وتوجد جزر ميندورو جنوبي جزيرة لوزون ، وفي الغرب جزر ابالاوان وكالاميان . وأهم البحار الداخلية صولو وبهول وسيبوان وفيسان وتشترك الفيليبين في حدودها البحرية مع كل من

عبر في الشمال ، وماليريا في الجنوب الغربي ، واندونيسيا في الجنوب .

"Europa (B) , 1996 , vol 2

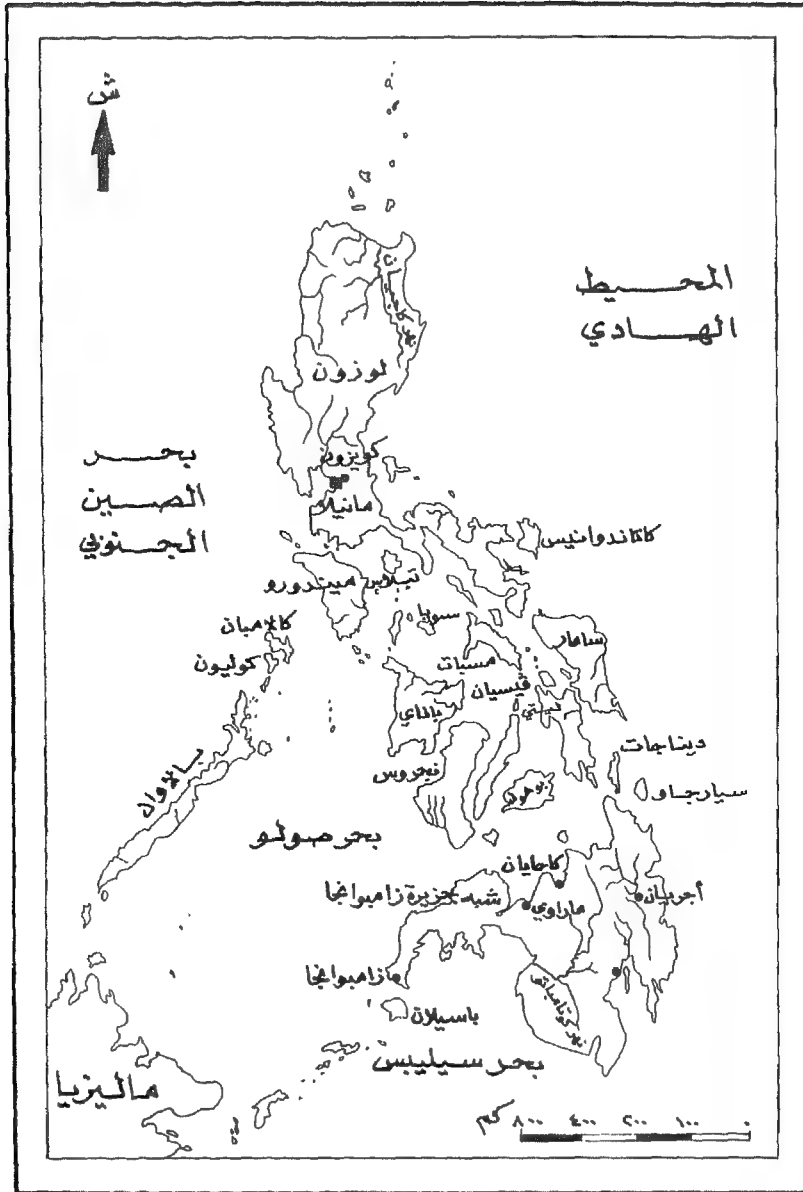
التضاريس

اربع الفيلين وعرة ، وتنوع مظاهرها التضاريسية ، حيث تجمع بين البراكين حادة ، والسلاسل الجبلية المتعددة ، والسهول الساحلية الضيقة . ومعظم أنهارها قصيرة . تتجه نحو الشمال . وتوجد سلاسل جبلية شمالي لوزون ، منها جبال سير ماديير في الشرق ، وجبال كورديليرا في الغرب ، ويفصل بينهما وادي نهر كاحيان خصب ، وتمتد هذه الجبال في الوسط ، حيث تفصل بين وادي نهر كاحيان وسهل وسط لورون الزراعي الخصب في الجنوب . وتقع مانايلا على حافته الجنوبية على خليج مانايلا . وتنصف جزيرة مينداناو بمظهر جبلي معقد ، حيث تسود مجموعة جبلية تتكوّن من خمسة جبال ، أبرزها جبل "أبو" ، حيث أعلى قمة في الفيلين (٢٩٥٤ مترا) ، كما تتميز سواحلها بكثرة الخلجان ، وأبرز أنهارها أحسان ومينداناو . ويسود المظهر الجبلي المعقد معظم الجزر الكبرى .

ويحاذر حرر الفيلين من الشرق خندق محيطي عظيم يعرف باسم مينداناو ، وهو يتد بطول الحزر عبر المحيط الهادي . وتوجد الجزر داخل الحزام الناري لهذا محيط . وهو ما يعرضها للهزات الأرضية والبراكين . (أبو العينين ، ١٩٧٩ م ،

٢٥٦





شكل (١١) أرخبيل جزر الفيليبين

المناخ

تتمي معظم أراضي الفيليين إلى الماح المداري البحري "الموسمي المعتدل" ، ماعدا المناطق "الجبلية المرتفعة" وتتسم الحرارة في الجزر بصفة عامة بالارتفاع ، والمعدل السنوي يتراوح بين ٢٦ - ٢٨ درجة مئوية . وتختلف كميات الأمطار وفصليتها باختلاف موقع الجزر ، وتهب عليها الرياح التجارية الشمالية الشرقية في الشتاء ، حيث تسقط الأمطار على السواحل الشرقية للجزر ، وتتراوح كميات الأمطار في هذا الفصل بين (٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ ملم) . كما تهب عليها الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في فصل الصيف ، وتسقط الأمطار على السواحل الغربية . وأغبر المناطق أمطاراً مرتفعات شمالي جزيرة لوزون ، وتهاجم الفيليين أعاصير التايفون العنيفة ، بين شهري ديسمبر ويونيو ، ويصل عدد هجماتها في بعض السنوات ٢٥ مرة ، وأفضل الفترات المناخية في الفيليين بين نوفمبر وفبراير .

"Philip, 1991, vol. 25 , 540"

الحياة النباتية والحيوانية :

تغطي الغابات معظم أرض الفيليين ، ويكون الغطاء الغابي كثيفاً على المرتفعات ، وقد أزيلت مساحات كبيرة من الغطاء النباتي ، ويوجد حوالي ١٠ آلاف نوع من النباتات ، وتنمو غابات المانجروف على السواحل ، بينما تسود الغابات شبه الاستوائية والموسمية في السهول والنوع السائد لاوان "Lauan" المهورجي الفيليني . كما تنمو أنواع ثمينة من الأشجار الصلبة واللينة . ولقد بلغ إنتاج الفيليين من الأخشاب في سنة ١٩٩٣ م ٣٩٥٧٦٠٠٠ متر مكعب . ويعيش في البلاد حوالي ٢٢ نوعاً من الحيوانات ، بينها أنواع نادرة . وكذلك يُوجد حوالي ٥٠٠ نوع من

الطيور "Philip, 1991, vol. 25 , 450"

السكان :

ترتفع الكثافة العامة للسكان إلى حوالي ٢٢٣ نسمة في الكيلو متر المربع في بعض الجزر . ويتمي معظم سكان الفيليبين إلى عدة أعراق ، فمنهم الأقزام "Pygmy" أو الأقزام الآسيويون "Negrito" ، وهم من أقدم الجماعات التي سكنت جزر الفيليبين ، إن لم تكن أقدمها جميعا . ومن الأعراق التي سكنت الفيليبين ، الاندونيسيون . وذلك قبل الميلاد بعدة آلاف من السنين . وأغلب سكان الفيليبين من عرق "الملاويون" "Malayans" أو الفيليبينو "Filipinos" ، وقد وصلوا الجزر في هجرات أحدث ، وتشعبوا وتفرقوا في مختلف الجزر الفيليبينية . ولقد تأثرت بعض المناطق بهجرات صينية ، كما تأثرت بالأسبان والأمريكان أثناء احتلالهما البلاد . "Macmillan Educational Corporation, 1967, vil. 18, 695"

اللغات في الفيليبين :

تنتشر في الفيليبين عدة لغات ، ويتفرع منها عشرات اللهجات وتنتمي إلى اللغة الأندونيسية إحدى فروع عائلة اللغة البلونيزية - الملاوية . واللغات الرئيسة التي يتحدثها السكان تشمل التاجالوجية "Tagalog" ونفرت منها عدة لهجات رئيسة وعشرات اللهجات الفرعية ، ويتحدث بالتالوجية حوالي ثلث السكان . وإلى جانبها ، لغة سيوانو "Cebuano" ومنها عدة لهجات ، ويتحدث بها حوالي ربع السكان ، ولغة إيلوكانو "Ilocano" وهيليجايونون "Hiligaynon" وبيكول "Bicol" . وهكذا نجد ٨ لهجات محلية رئيسة يتحدثها ٨٦٪ من السكان ، و٧٦ لهجة فرعية تمثل اللهجات أيضا ، وإلى جانب هذا ، نجد اللغة الانجليزية ويتحدثها قطاع كبير من السكان ، فضلا عن الاسبانية والصينية واليابانية التي يتحدثها أقليات عرقية . وتعتبر اللغة الانجليزية واللغة التاجالوجية لغتين رسميتين في الفيليبين ،

والتأجولوجية قاعدة اللغات واللهجات الفيليبينية . (مؤسسة فرانكلين ، ١٩٨٦ م ،
ق٢ ، ١٣١٥) "Americana Coporation, 1991, vol. 9, 383" Philip ,
1976, vol. 21, 288"

الموارد الاقتصادية والنشاط البشري :

الخامات المعدنية : تتمتع الفيليبين بالعديد من الخامات المعدنية وعلى رأسها
الذهب . وبلغ إنتاجها من الذهب في سنة ١٩٩٤م حوالي (٧٨٧٠٠٠ أوقية) ،
وهو يوجد في شمالي وجنوبي لوزون ، كما تنتج الفضة (٧٥٧٤٠٠٠ أوقية)
والنيكل (١٣٦٠١ طن) والزنابق ، وتنتشر رواسب هذه المعادن الثلاثة في مناطق
متعددة . ويوجد خام الحديد في شمالي مينداناو ووسط لوزون ، وكذلك النحاس
(١٢٣٣ ألف طن) والرصاص ، والزنك في غربي مينداناو ، ورواسب الكروم
(عالية الجودة) في غربي ووسط وجنوبي لوزون ، وشمالي مينداناو ووسط بالاوان .
وبلغ الإنتاج في سنة ١٩٩٤م (٨٤٨ ألف طن) ، يضاف إلى هذا المنجنيز
والفوسفات والفحم (١٢ مليون طن) ، ويوجد في بالاوان وسيبو . وعثر على
البترول أمام السواحل الشمالية الغربية لجزيرة بالاوان . Philip , 1991, vol. 25,
541"

الزراعة : تعتبر الفيليبين دولة زراعية ، تتميز أرضها بالخصوبة ، والإنتاج
الزراعي مستمر طوال العام ، وأكبر قطاع من الأيدي العاملة يشتغل في الزراعة
وصيد الأسماك والغابات . وبلغ عدد العاملين في هذا القطاع في سنة ١٩٩٤م
حوالي ١١٢ مليون نسمة من جملة القوى العاملة والتي بلغ عددها ٢٧٤ مليون
نسمة ، أي أن العاملين في الزراعة حوالي ٤٠.٨٪ من جملة القوى العاملة .
وأهم المحصولات الزراعية الأرز ، حيث وصل إنتاجه في سنة ١٩٩٤م إلى حوالي
١٠.٥ مليون طن ، والذرة ٤.٥ ملايين طن ، والدريات مثل الكاسفا ١.٨ مليون

طن ، واليام والبول السوداني ، والترجيل ١١ر٢ مليون طن ، حيث تعد الفيليين من أهم الدول المنتجة والمصدرة له ، وقصب السكر الخام ٢٣ر٦ مليون طن ، وقنب مانيل . يضاف إلى هذا العديد من الفاكهة ، والبقول والمطاط الطبيعي . والبذور الزيتية . "Europa (B), 1996, vol. 2, 2568"

الثروة الحيوانية : تتكون الثروة الحيوانية في الفيليين سنة ١٩٩٤م من الأبقار (١ر٨ مليون رأس) ، والجاموس (٢ر٦ مليون رأس) وأعداد قليلة من الأغنام . ورغم وفرة الغطاء العشبي ، وسعة الأراضي الزراعية ، فإن الثروة الحيوانية لا تتناسب مع هذه الإمكانيات المتاحة . "Europa (B), 1996, vol. 2, 2568"

صيد البحر : تتمتع الفيليين بسواحل طويلة تقدر بحوالي ٣٦٥٥٠ كم ، وتكثر بسواحلها الخلجان ، وتحتل الجزر بحاراً داخلية عديدة ، وأتاح هذا فرصاً جيدة لاستغلال الثروات البحرية من الأسماك والأصداف البحرية واللؤلؤ . ويوجد حوالي ٢٠٠٠ نوع من الأسماك تعيش في البحار الداخلية والأنهار . وتربي أصداف اللؤلؤ في أرخبيل صولو ، وتصدر الأصداف والثروة السمكية إلى مناطق عديدة ، وبلغ إنتاجها من الثروات البحرية في سنة ١٩٩٤م حوالي (٤ر٦ ملايين طن) . "Europa (B), 1996, vol. 2, 2568"

الصناعة : ازدهرت الصناعة بعد الحرب العالمية الثانية ، فظهرت بعض الصناعات المعدنية خصوصاً الصناعات القائمة على النحاس ، كما نشطت حركة تصدير المعادن ، ولا تزال الصناعة في طور النمو . وكان إنتاج البلاد الصناعي في سنة ١٩٩٢م ، يشمل السكر الخام (٢ مليون طن) ، والأخشاب والأخشاب الصناعية ، والورق (٥٧ ألف طن) ، والمخصبات الزراعية حوالي نصف مليون طن . كما توجد الصناعات البتروكيماوية ، وصناعة المنسوجات والملابس . "Europa (B), 1996, vol. 2, 2568"

انتشار الإسلام

وصل الإسلام إلى جزر الفيليبين في وقت مبكر عن طريق التجار والدعاة المسلمين، حيث كانت منطقتي جنوبي وجنوب شرقي آسيا مسرحا للرحلات التجارية بين شبه الجزيرة العربية والشرق الأقصى، تمتد لرحلة الشتاء والصيف بين شبه الجزيرة العربية والحوض الشرقي للبحر المتوسط. وكان وصول الإسلام إلى جزر الفيليبين تكملة للمحور البحري الذي نقل الإسلام إلى الهند، والملايو وجزر أندونيسيا والصين، فلقد شهدت هذه المناطق نشاطا تجاريا إسلاميا استمر عدة قرون، ولم يعرقل هذا النشاط إلا ظهور البرتغال والأسبان في مياه بحر العرب، والمحيطين الهندي والهادي في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

وتشير بعض المصادر الإسلامية إلى وصول مبكر للإسلام في القرن الرابع الهجري، حيث وصل إليها بعض أحفاد الإمام جعفر الصادق، ومنهم أحمد بن عيسى، الملقب بالمهاجر، في أول القرن الرابع الهجري. ومعظم الدعاة وصلوا إلى الفيليبين عن طريق جزر الملايو وجزر أندونيسيا.

كما تشير روايات أخرى إلى وصول موجة من المسلمين إلى جرر بحر صولو في وقت مبكر من القرن السادس الهجري (الثالث عشر الميلادي). فلقد وفد إلى المنطقة مسلمون من الملايو، وواصلوا الدعوة للإسلام في جزر صولو ومينداناو، كما تشير إلى ذلك المصادر الغربية "Espoaito, 1995 vol. 3, 326".

ويشير أحد المصادر "Aguilar, 1991, 197" إلى أن الإسلام انتشر في جنوبي الفيليبين في أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، حيث نشره التجار والدعاة والمغامرون الذين عاشوا وسط القبائل الفيليبينية. وتشكلت في تلك الفترة ممالك إسلامية وكانت على علاقة طيبة ببعض الزعماء المسلمين، وبالقبائل الوثنية. عندما جاء الأسبان لاحتلال الفيليبين (٩٧٣هـ / ١٥٦٥م)، وجدوا ممالك

إسلامية منظمة في جزر صولو وفي ماجو ينداناو "Maguindanao" وحول بحيرة لانو وفي جزيرة لوزون (في مانيلا وتندو) وجزر ميندورو ، كذلك كانت هناك قبائل مسلمة بعض مدن على ساحل بابتا نجاس .

نشاط الدعوة :

شهد أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، وأوائل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) نشاطاً مكثفاً في انتشار الدعوة الإسلامية حيث وصل بعض الدعاة . فلقد أشارت بعض المصادر الإسلامية إلي وصول ٨ من الدعاة على فترات ، فادمين من الملايو وأندونيسيا ، وأطلق عليهم "دعاة الإسلام في الشرق الأقصى " ، وقاموا بنشر الدعوة في جزر الفيليبين ، ومن هؤلاء الشريف إسحاق بن الشريف أولياء (ويلقب بمخدوم) ، يقال إنه وصل إلى صولو في سنة ١٣٨٠م ، واجتهد في نشر الإسلام في جزيرة مينداناو ، وأرخبيل صولو ، واتخذ له زروفاً كان ينتقل به بين الجزر لبث الدعوة إلى الإسلام ، حتى أنه زار كل جزر أرخبيل صولو . ولم تقف جهوده عند الدعوة ، بل تجاوزتها إلى جمع التلاميذ وتعليمهم قواعد الدين الحنيف ، وبعد أن يكملوا تعليمهم يرسلهم إلى جهات متفرقة لنشر الدعوة الإسلامية . ومن الدعاة الذين كان لهم سبق في نشر الإسلام بالمنطقة ، الشريف أحمد بن علي الملقب "راجا باقندا" . قدم إلى جزر صولو في سنة ١٣٩٠م وأسس حكومة إسلامية فيها . ثم قدم إلى صولو الشريف أبو بكر سنة ١٤٣٤م ، وخلف الشريف أحمد في حكمها ، وأقام حكومة إسلامية منظمة ، وبني المساجد والمدارس ، ونشر الإسلام في العديد من الجزر الفيليبينية ، واستمر حكمه حوالي ٣٠ سنة . وهكذا انتشرت الممالك الإسلامية نتيجة الدعوة بهذه الجزر . (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ٢٤ - ٣٤) ، (توماس ، ١٩٧٠م ، ٤٤١) .

أشارت السجلات التاريخية الصينية حسب ما سجل في كتاب "تاريخ أسرة تشينغ" عن أباطرة الصين ، في سنة ١٤١٧م ، أن صولو إمارة تدبّن بالإسلام ، وحضر إلى الصين في العام المذكور ٣ ملوك مسلمين من هذه الجزر وهم الملك الشرقي باتوجه باحرا ، والملك الغربي ماحر تجر ، والملك دونغ ، وذلك في زيارة ودية تصحبهم حاشية عددها ٣٠٠ شخص ، ورحب بهم الإمبراطور الصيني "تشوي" ، ثم شرعوا في رحلة العودة ، فلما وصلوا إلى "دتشو" توفي الملك الشرقي ، وأمر الإمبراطور الصين بتشيد مقبرة له في دتشو ، وطلبت زوجة الملك وبعض أفراد أسرته البقاء في دتشو ، ومنحهم الإمبراطور الأرض وأعانهم بالمال ، وعين لخدمتهم ٣ أسر من الهوي المسلمين ، ونشأت قرية مسلمة في هذه المنطقة وماتزال إلى اليوم . (بناء الصين ، ١٩٨٣م ، ١٢٦ ، ١٢٧)

يستفاد مما سبق أن الإسلام انتشر في معظم جزر الفيليبين تحت جناح السلم ، وأن الدعاة والتجار المسلمين نشروا الإسلام بهذه الجزر خلال عدة قرون ، وتكوّنت ممالك إسلامية سيطرت على معظم جزر الفيليبين ، وارتبطت بعلاقات تجارية ودبلوماسية بالدول المجاورة ، حدث هذا قبل احتلال الأسبان للفيليبين في القرن السادس عشر الميلادي .

الاستعمار الأسباني :

كان أول ظهور للأسبان في جزر الفيليبين أثناء رحلة ماجلان ، حيث وصل إلى جزيرة سيبو في ٧ أبريل سنة ١٥٢١م ، ووقعت حرب بين ملك الجزيرة "رجا هامبون" وماجلان" . وحينما شعر ماجلان بقرب هزيمته ، تظاهر بأنه جاء لتوسعة مملكة "الرجا" وتودد إلى الملك ، وليحقق ذلك خاض حربا مع لابلابو "Lapulapu" سلطان جزيرة ماكتان "Mactan" ، وقُتل ماجلان في هذه الحرب ، وعاد "سيباستيان دي إلكانو" بالسفينة الوحيدة الباقية من الرحلة إلى

أسبانيا، التي أرسلت بعد ذلك ثلاث حملات إلى جزر المحيط الهادي لمحاولة الحصول على مواطني قدم لها بهذه الجزر ، وكانت الثالثة بقيادة فيلالوبوس "Villalobos" ، الذي أطلق على هذه الجزر اسم الفيليين ، نسبة إلى فيليب الثاني ملك أسبانيا ، واستمرت حملات الأسبان بعد ذلك على جزر الفيليين "Macmillan Educational Corporation, 1967, vol. 18, 698"

مقاومة الممالك الإسلامية للغزو الأسباني :

لقد جردت أسبانيا عدة حملات على جزر المحيطين الهندي والهادي بعامة وجزر الفيليين بخاصة منذ وصول ماجلان إليها في سنة ١٥٢١ م . وكانت أبرز هذه الحملات تلك التي قادها لوبز دي لاجزبي "Lopez de Legzpe" في سنة ١٥٦٥ م ، حيث وصل إلى جزر سيبو لاحتلالها . وفي سنة ١٥٧١ م ، انتقل "لا جزبي" إلى مانيلا ليتخذها عاصمة للمستعمرة الأسبانية الجديدة .

وعندما بدأ الأسبان التوسع في حملاتهم الاستعمارية في جزر الفيليين ، نشبت الحروب بينهم وبين الممالك الإسلامية جنوبي الفيليين ، فتصدت لهم مملكة صولو ومملكة ماجوينداناو "Maguindana" وبوايان "Buayan" وانتقل النشاط الحربي الأسباني إلى منطقة مانيلا ، حيث كانت تحت حكم أسرة مسلمة ترتبط بالمصاهرة مع سلطان بروناي، واستولى الأسبان على مانيلا سنة ١٥٧١ م. "Esposito, 1995, vol. 3, 326"

لقد استمر الصراع بين الممالك الإسلامية في جزر الفيليين والأسبان مدة طويلة ، ولم يستطع الأسبان الاستيلاء على الجزر الجنوبية ، حيث قاومتهم الممالك الإسلامية في تلك المناطق ، وظلت الحرب سجالا بين ملوك المسلمين الفيليين والأسبان ، واستمرت أكثر من ثلاثة قرون ونصف ، هي مدة إقامة الاستعمار الأسباني . ولم يستطع الأسبان التغلب خلالها على الممالك الإسلامية في جنوبي الفيليين أو تحويل أهلها عن الإسلام ، وأخذ هذا الغزو مراحل منها :

١ - مرحلة غزو ماجلان لجزيرة :ساكنان" في سنة ١٥٢١م ، وكانت هذه الغزوة باكورة الغزو الأسباني ، واستمر الأسبان في إرسال حملاتهم للسيطرة على الفيليبين وبدأت هذه الحملات مند سنة ١٥٦٥ م .

٢ - غزو مانيلا وتندو أعد الأسبان حملة إلى مانيلا بجزيرة لوزون في سنة ١٥٧١م ، حيث قاوم حاكمها المسلم (رجا سليمان) واستولى الأسبان على لوزون ، واجتاحت جيوشهم إمارة تندو ، حيث قتلوا حاكمها المسلم الملقب (واتو متاندا) ، فدانت لهم جزيرة لوزون ، وبدأت بعثات التنصير تصل إلى الجزيرة .

٣ - غزو أرخبيل صولو : قاتل المسلمون بقيادة السلطان "فلنجفويان" جيوش الأسبان بشراسة ، وظلت الحرب بينهم سجالا لفترة طويلة ، وفشل الأسبان في الاستيلاء على جزر صولو ، مما دفعهم إلى الاعتراف باستقلال هذه الجزر في سنة ١٨٣٦م ، ولم يكن للأسبان إلا سلطة اسمية على صولو حتى مجيء الأمريكيين في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد قاوم أهل صولو الجهود التي بذلها النصارى في الغزو التنصيري مقاومة ناجحة حتى نهاية ذلك القرن ، فيثس المنصرون الأسبان من تحويل المسلمين عن دينهم

٤ - غزو سامبوا وباسيلان : استولى الأسبان على هذه المنطقة بعد حرب استمرت حتى سنة ١٦٣٥م وأسسوا بها قلعة ، وميناء للسفن الحربية .

٥ - غزو "كوتا باتو" في مينداناو . "جهزت أسبانيا جيشا قويا للاستيلاء على جزيرة مينداناو ، واتجه الجيش إلى كوتا باتو ، فلقى مقاومة شرسة من المسلمين ، وأستمرت الحرب بين الطرفين ، وفشلت القوات الأسبانية في الاستيلاء على المنطقة .

٦ - غزو منطقة لانو : هاجم الأسبان هذه المنطقة في سنة ١٦٣٧م وخاضوا حربا

ضد المسلمين بقيادة السلطان (كوادارات) ، واستولوا على حصن السلطان واستمرت الحرب في منطقة لانو ، حيث قاوم المسلمون فترة طويلة ، مما اضطر الأسبان إلى المصالحة مع أهل لانو نتيجة حرب العصابات التي شنها المسلمون على حصونهم (عبدالقادر ، ١٩٨٠ م ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦) ، (توماس ، ١٩٧٠ م ، ٤٤٠ ، ٤٤١)

هكذا كانت مراحل احتلال الأسبان للفيليبين ، ولقد عرف ساكنها النصرانية كما صورها لهم سلوك الأسبان بأنها فقدان للحرية الشخصية والسياسية والاستقلال القومي ، فكان تعصب الأسبان لنشر النصرانية مع عنفهم وبغضهم ، كان هذا على طرفي نيفض مع عدالة الإسلام وتسامحه واحترامه للنفس البشرية . وأظهر الدعاة المسلمون هذه المميزات ، ولم يدعوا لأنفسهم كافة الحقوق التي تقتصر على جنس معين متميز عن سائر البشر ، فالناس سواسية في الإسلام . وقد أدى فساد أخلاق الأسبان وجهلهم بعبادات الشعوب وجشعهم إلى بغض تنصيرهم ، لهذا ظهرت المعارضة القوية من سكان الجزر الجنوبية والوسطى من الفيليبين ازاء دخول النصرانية.

أوضاع المسلمين في عهد الاحتلال الأمريكي :

احتل الأمريكيون الفيليبين سنة ١٨٨٩ م ، بمقتضى معاهدة باريس التي أنهت الحرب الأسبانية الأمريكية ، ولم تسلم أسبانيا مستعمراتها الفيليبينية التي كانت تسيطر عليها فقط ، بل أعطتها حق السيادة على الجزر الفيليبينية الإسلامية ، والتي لم تخضع للاحتلال الأسباني ، ولهذا بدأت الحروب بين المسلمين والأمريكيين في منطقة بابا في لانو . وقد أدت هذه المقاومة إلى أن أبرمت الولايات المتحدة اتفاقا مع سلطان صولو عرفت باتفاقية باتس "Bates Agreement" وفي الوقت نفسه ، حكمت الأراضي الإسلامية بقوانين خاصة (حسب الشريعة الإسلامية) . وكذلك

كان الوضع أثناء حكومة الكومنولث الفيليبيني ، فلم يقبل المسلمون الفيليبينيون أي تغيير يمس تقاليدهم الاجتماعية أو يؤثر على دينهم وأسلوب حياتهم ، ولهذا سُمح بأن يكون الحكم في المحافظات الإسلامية وفقاً للشرعة الإسلامية . Aguilar, 1991, 299"

لقد مارس الأمريكيون مع المسلمين في الفيليبين سياسة المهادنة . ولهذا ظهر الفارق بين سياستهم وسياسة الأسبان ، أنشأ الأمريكيون المدارس ، ولكن أغلب المسلمين لم يسمحوا لأولادهم بالالتحاق بها خوفاً من التأثير على دينهم ، ولم يحدث تقدم في أوضاع المسلمين الاقتصادية ، كما هاجرت أعداد كبيرة من النصارى إلى جزيرة مينداناو . (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ٢٨ ، ٢٩) .

الاحتلال الياباني للفيليبين :

احتلت اليابان جزر الفيليبين في ديسمبر ١٩٤١م ، حيث دخلت القوات اليابانية المناطق الإسلامية في جزيرة مينداناو وأرخبيل صولو وتوغل الغزو الياباني في الجزر ، وشكلت جمهورية الفيليبين المستقلة في سنة ١٩٤٣م . وقاوم المسلمون هذا الاحتلال الذي لم يدم طويلاً ، حيث اشتركوا في القتال مع الشعب الفيليبيني ، مع قائد القوات الأمريكية الجنرال (ماكروث) ، واستعادت الفيليبين "لتي" في أوائل عام ١٩٤٥م ، ونالت الفيليبين استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية ، عندما أعلنت الجمهورية في يوليو ١٩٤٦م ، حيث لم يدم الاحتلال الياباني أكثر من أربع سنوات . (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ٣٩) "Eiley, 1984, 289"

كفاح المسلمين بعد إستقلال الفيليبين :

سبق إعلان استقلال الفيليبين مرحلة انتقالية لإعداد لإعلان الجمهورية المستقلة ، فطلب سلاطين داتوس "Datus" وعلماء الدين الإسلامي من السلطات الأمريكية استثناء المناطق الإسلامية من الدولة الفيليبينية المقترح إقامتها والبعد عن الفيليبينيين

النصارى ، وفضلوا أن يظلوا تحت الحماية الأمريكية إلى أن يشكلوا حكومتهم المستقلة . وعندما تشكلت جمهورية الفيليبين المستقلة في سنة ١٩٤٦م ، وجد المسلمون (المورو) أنفسهم ضمن الدولة الجديدة دون أن يستشاروا في الوضع الجديد . واجتهد المسلمون في إنشاء المدارس بجهودهم الذاتية وبمساعدة الهيئات الإسلامية الخارجية ، وعرضت الحكومة المصرية منحاً للطلاب الفيليبينيين للدراسة بجامعة الأزهر وبقية الجامعات المصرية ، وأرسلت السعودية وبعض الدول الإسلامية بعثات من المدرسين للمدارس الإسلامية . وظهرت حركة وطنية إسلامية بين العلماء والشباب الإسلامي ، لمواجهة حركة تهجير النصارى إلى أراضي المسلمين ، والتي خططت لها وحمتها الدولة ، بينما أهملت تنمية المناطق الإسلامية اقتصادياً ، كما أهملت تعليم المسلمين ، وتجاهلت رغباتهم السياسية . وأدت هذه الأحوال إلى نشوب حرب عصابات بين المسلمين والنصارى الذين استوطنوا المناطق الإسلامية وتدخل الجيش الفيليبيني إلى جانب النصارى ، واستنكر العالم الإسلامي الحملات التي شنّها الجيش على المسلمين .

تكوين جبهة تحرير مورو الوطنية :

أسفر هضم حقوق المسلمين ، وسياسة تهجير النصارى إلى المناطق الإسلامية ، ومهاجمة الجيش للمناطق الإسلامية ، وفتاله إلى جانب النصارى عن تفجير الموقف في المناطق الإسلامية ، ودفع المسلمين إلى تكوين جبهة تحرير مورو الوطنية (M. N. L. F.) . وقد تشكل الجناح العسكري للجبهة بقيادة نور ميسواري "Nur Misuari" واعترفت بالجبهة منظمة المؤتمر الإسلامي ، بعد أن خاضت قتالا مريرا ضد الجيش الفيليبيني ، واستشهد الآلاف من المسلمين ، ودمر اقتصادهم وخربت ديارهم ، وهدمت مدارسهم ومساجدهم .

وجاء في عريضة جبهة تحرير مورو الوطنية ، المرفوعة إلى لجنة حقوق الإنسان ،

أن حكومة الفلبين قتلت وجرحت مالا يقل عن ١٠٠ ألف مسلم وشردت منهم نصف مليون ، وحرقت البيوت والمساجد والمدارس . كما جاء في الكتاب الأبيض الذي قدمه المسلمون إلى حكومة الفلبين بلغ ٤١٧ حادثة خلال ٣ سنوات . (بكر، ١٩٨٨م ، ١٦) .

اتفاقية طرابلس سنة ١٩٧٦م :

عقدت هذه الاتفاقية في مدينة طرابلس في ليبيا بين جبهة تحرير مورو والحكومة الفلبينية نتيجة مساعي منظمة المؤتمر الإسلامي ، وبدأت المفاوضات في الفترة ١٥ - ٢٣ ديسمبر ١٩٧٦م . وقد عقدت هذه الاتفاقية بين وفد جمهورية الفلبين برئاسة كارميلوس بارينو وكيل وزارة الدفاع الوطني للعلاقات المدنية ، وجبهة تحرير مورو الوطنية برئاسة نور ميسواري رئيس الجبهة ، وبمشاركة ممثلي اللجنة الوزارية الرباعية الممثلة من السعودية ، والسنغال ، والصومال ، وبمساعدة الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، وتم الاتفاق على ما يلي :

أولا : إقامة الحكم الذاتي للمسلمين في جنوبي الفلبين ، في إطار الوحدة الترابية للجمهورية .

ثانيا : تتكون مناطق الحكم الذاتي للمسلمين مما يلي :

- ١ - باسيلان .
- ٢ - صولو .
- ٣ - طاوي طاوي .
- ٤ - رامبوانجا .
- ٥ - زامبو انجاديل نورتي .
- ٦ - شمال غربي كوتاباتو .
- ٧ - ماجوند ناو .
- ٨ - سلطان كودرات .
- ٩ - لاناو الشمالية .
- ١٠ - لاناو الجنوبية .

- ١١ - دفاو الجنوبية .
١٢ - جنوبي كوتاباتو
١٣ - بالاوان .
١٤ - جميع القرى والمدن الواقعة في
هذه المناطق .

ثالثا :

- ١ - تكون السياسة الخارجية من اختصاص الحكومة المركزية الفلبينية.
- ٢ - تختص السلطة المركزية بمسائل الدفاع الوطني . على أن يترك أمر تنظيم التحاق قوات جبهة تحرير مورو الوطنية بالقوات المسلحة الفلبينية للبحث في وقت لاحق .
- ٣ - يكون للمسلمين في مناطق الحكم الذاتي الحق في إنشاء محاكمهم الخاصة التي تطبق فيها الشريعة الإسلامية ، ويمثل المسلمون في كل المحاكم ، بما فيها المحكمة العليا ، وتمثيل المسلمين في المحكمة العليا يكون بتوصية من سلطات الحكم الذاتي والمحكمة العليا ، وتصدر بشأن تعيينهم قرارات من رئيس الجمهورية .
- ٤ - يكون لسلطات الحكم الذاتي الحق في إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات .
- ٥ - يكون للمسلمين نظام إداري خاص بهم يتفق وأهداف الحكم الذاتي ومؤسسه .
- ٦ - يكون لسلطات الحكم الذاتي في جنوبي الفلبين نظام مالي واقتصادي خاص بهم .
- ٧ - تتمتع سلطات الحكم الذاتي في جنوبي الفلبين بحقوق التمثيل والمشاركة في الحكومة المركزية وكافة أجهزة الدولة الأخرى .

- ٨ - تنشأ سلطات أمن محلية خاصة في مناطق الحكم الذاتي للمسلمين .
- ٩ - يشكل مجلس تشريعي ومجلس تنفيذي في مناطق الحكم الذاتي للمسلمين عن طريق الانتخاب المباشر ، ويتم تشكيل المجلس التنفيذي بالتعيين من قبل المجلس التشريعي . ويصدر قرار من رئيس الجمهورية بتشكيلها .
- ١٠ - تختص الحكومة المركزية بمسائل المناجم والتعدين ، وتحدد نسبة معقولة من دخل المناجم لمناطق الحكم الذاتي .
- ١١ - تشكيل لجنة مختلطة من ممثلين عن الحكومة المركزية الفيليبينية وممثلين عن جبهة تحرير مورو الوطنية، تجتمع في مدينة طرابلس في الفترة من ٥ فبراير ١٩٧٧م إلى تاريخ لا يتعدى ٣ مارس سنة ١٩٧٧م، تُختص بمناقشة تفاصيل النقاط المتروكة للبحث .
- ١٢ - يتم الإعلان عن وقف إطلاق النار عقب التوقيع على هذا الاتفاق مباشرة ، على أن لا يتجاوز يوم ٢٠ يناير سنة ١٩٧٧م ، وتشكل لجنة مشتركة من الطرفين ، بمساعدة منظمة المؤتمر الإسلامي ، تتولى الإشراف على وقف إطلاق النار كما تختص بالإشراف على ما يلي .
- أ - إصدار عفو شامل في مناطق الحكم الذاتي ، وإسقاط أي دعوى قضائية ناتجة عن أحداث وقعت في جنوبي الفيليبين .
- ب - إطلاق سراح جميع المسجونين السياسيين .
- ج - عودة جميع اللاجئين الذين تركوا مناطقهم في جنوبي الفيليبين .
- د - ضمان حرية التنقل والاجتماع .
- ١٣ - يتم عقد اجتماع مشترك في مدينة جدة في الأسبوع الأول من شهر مارس ١٩٧٧م للتوقيع بالأحرف الأولى على ما توصلت إليه اللجنة المشار إليها في الفقرة (١١) .

١٤ - يتم توقيع الاتفاق النهائي بشأن إقامة الحكم الذاتي المشار إليه في الفقرتين الأولى والثانية في مانيلا .

١٥ - يتم بعد التوقيع في مانيلا مباشرة تشكيل حكومة مؤقتة في منطقة الحكم الذاتي يعينها رئيس الجمهورية ، على أن تتولى الإعداد لانتخابات المجلس التشريعي لإقليم الحكم الذاتي .

١٦ - تتخذ حكومة جمهورية الفلبين كل الإجراءات الدستورية لتنفيذ الاتفاقية .

رابعا : يصبح هذا الاتفاق نافذ المفعول اعتباراً من تاريخ التوقيع عليه . لقد فشلت اتفاقية طرابلس بسبب تنكر حكومة الفلبين لما تمّ الاتفاق عليه ولذلك عادت الاضطرابات بين المسلمين والدولة وتعرض المسلمون خلالها إلى مذابح واضطهاد استمر لمدة عشرين عاماً بعد انهيار اتفاقية طرابلس . وانتهت هذه الفترة العصيبة بعقد اتفاقية جديدة في مدينة جاكارتا بإندونيسيا سنة ١٩٩٦م ، تلتها اتفاقية أخرى مكملت مع بعض الفصائل الإسلامية وكانت كلها تهدف إلى إنهاء الحرب وإعطاء المسلمين عدداً من حقوقهم السياسية والإدارية .

• • • • •

الخصائص الديموجرافية للمسلمين

قبل الاحتلال الأسباني ، كانت رقعة انتشار الإسلام عبر الجزر الفيليبينية أكثر اتساعا ، فلقد وصل الإسلام إلى الجزر الجنوبية حيث تكونت ممالك إسلامية بها ، ثم وصل إلى شمالي البلاد وامتد إلى جزيرة لوزون ، حيث تكونت ممالك إسلامية في مانيلا ، ومن المناطق الإسلامية توندو ، وجزيرة ميندورو ، كما كانت هناك قبائل مسلمة على طول سواحل محافظة باتانجاس "Aguilar, 1991, 234 , 297" وهكذا كانت الممالك الإسلامية منتشرة في معظم جزر الفيليبين ؛ غير أن الاستعمار الأسباني استولى على الجزر الشمالية ، فتقلصت الممالك الإسلامية واقتصرت على الجزر الوسطى والجنوبية بعد صراعها ضد الأسبان ، ويتركز الوجود الإسلامي في القطاع الجنوبي من الفيليبين في جنوبي وغربي ووسط جزيرة منداناو ، وشبه جزيرة زامبوانجا (شكل رقم ١٢) ، حيث محافظات : (١) زامبوانجا الشمالية ، (٢) زامبوانجا الجنوبية ، (٣) كوتاباتو ، (٤) ماجوينداناو ، (٥) سلطان كودارت ، (٦) لاناو الشمالية ، (٧) لاناو الجنوبية ، (٨) جنوب دفاو ، (٩) كوتاباتو الجنوبية . وتوجد هذه المحافظات في جزيرة منداناو ، (١٠) جزيرة باسيلان ، (١١) أرخبيل جزر صولو ، (١٢) جزر بالاوان ، (١٣) طاوي طاوي .

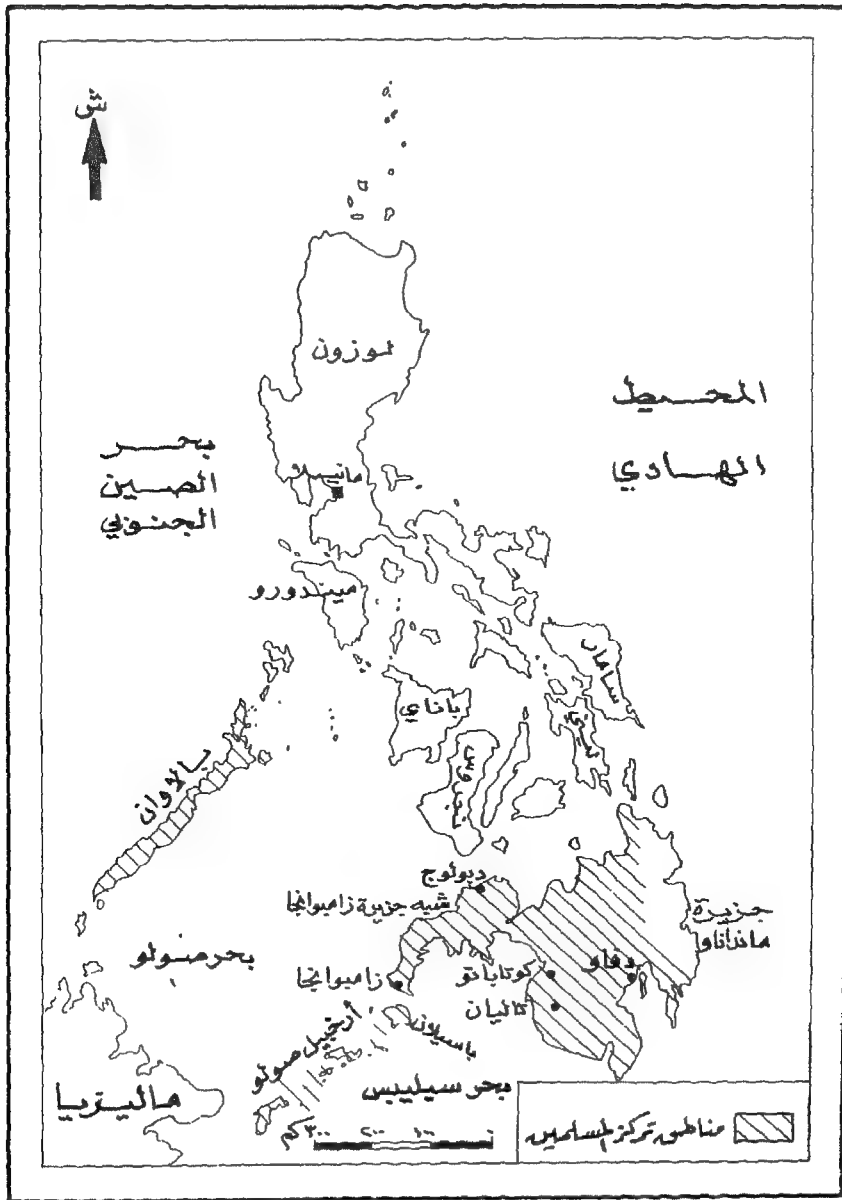
لقد حددت اتفاقية طرابلس مناطق الحكم الذاتي للمسلمين حيث يشكلون أغلبية السكان في ١٣ محافظة ، مناطق الأغلبية المسلمة ، ولكنها لا تمثل كل الوجود الإسلامي في جزر الفيليبين ، حيث ينتشر المسلمون كأقليات في مناطق متعددة من جزر الفيليبين .

أعداد المسلمين :

تضاربت التقديرات حول أعداد المسلمين الفيليبينيين ، فقد ذكر الرئيس الأسبق "ماركوس" أن عددهم في سنة ١٩٧٥م حوالي ٨ ملايين نسمة (جريدة الأهرام ٤/٤/١٩٧٥م) ، وقدر سكان الفيليبين في سنة ١٩٧٥م بحوالي ٤٣ مليون "Wiley, 1984, 288" ، وبذلك تكون نسبتهم بين سكان الفيليبين حوالي ١٨ر٦٪. وعلى هذا يقدر عددهم في سنة ١٩٩٤م حوالي ١٢ مليون نسمة وتقدرهم بعض المصادر الغربية بأقل من ذلك ، حيث قدر عددهم "Esposito, 1995, vol. 3, 456" بحوالي ٦ ملايين نسمة في سنة ١٩٩١م ، وهكذا يحدث تضارب في تقدير أعداد المسلمين بل أحيانا ينخفض العدد إلى أقل من ذلك بكثير ، حيث تقدرهم بعض المصادر الغربية بحوالي ٥٪ من جملة سكان الفيليبين "Philip, 1991, vol. 8, 333" ويرجع هذا إلى عدم وجود إحصاء دقيق لعددهم ، ومحاولات حكومة الفيليبين وبعثات التنصير التقليل من حجم المسلمين ، ويحتمل أن يكون العدد بين ١٠ ملايين ، و ١٣ مليون نسمة حاليا .

أعراق المسلمين :

يصنف المسلمون الذين يعيشون في غربي ووسط منداناو وأرخيبيل صولو إلى ١٢ مجموعة عرقية . والمجموعات الرئيسة هي ماراناو "Maranao" أو سكان بحيرة "لاناو" ، وماجويندانا "Maguindanao" وأكبر المجموعات المسلمية ،



شكل (١٣) مناطق تركيز المسامين في جنوبي الفيليبين

وتاو-سوج "Tau-aug" وسامال "Sakan" في جنوبي جزر صولو ، وياكان "Yakan" في جزر باسلان ، والبادجاو "Baduao" في أرخبيل صولو ، والسانجيل "Sangil" في دفاو ، وكذلك الكوتاباتو "Cotabato" ، والهنداناو "Mindanao" "Esposito, 1995, vol. 3, 326"

لغات المسلمين :

يتحدث المسلمون حوالي سبع لغات ، منها لغة مندنو ويتكلم بها أهل كوتاباتو . وأهل زامبوانجا الجنوبية ، ولغة مرنو أو إيرانون ويتكلمها أهل لاناو ، ولغة دبونون ويتكلمها أهل دبولوج ، ولغة توبوج ويتكلمها أهل صولو وأهل زامبوانجا ، ولغة أياكان ويتحدثها أهل باسيلان ، ولغة لوتانجان ويتكلم بها أهل لوتانجا ، ولغة سامال ويتكلم بها بعض أهل صولو . ومعظم هذه اللغات كانت تكتب من قبل بحروف عربية . وتعدد هذه اللغات ، يعتبر من العقبات التي تواجه التعليم الإسلامي في جزر الفيليبين . (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ١٧٦)

وتخل اللغة العربية منزلة عالية عند مسلمي الفيليبين ، ذلك أنها لغة القرآن الكريم ، لذلك يلحق الكثير من الأبناء بالمدارس أو الكتاتيب التي تدرس اللغة العربية في يومي العطلة الأسبوعية . وكانت اللغة العربية أكثر انتشاراً بين مسلمي الفيليبين قبل الاستعمار الأسباني . وتوجد منح وبعثات علمية حالياً للعديد من أبناء الفيليبين للدراسة بالمدارس والجامعات في البلدان العربية ، أو يدرسون بالمدارس العربية داخل المناطق الإسلامية بالفيليبين ، والتي أسستها الجمعيات الإسلامية مثل جمعية إقامة الإسلام ، التي لها أكثر من (٢٦٠) مدرسة تضم مراحل مختلفة ، وهناك جمعيات أخرى تهتم بتدريس اللغة العربية في مدارسها . ويوجد حرص من المسلمات الفيليبينيات على حضور الدورات التدريبية لتأهيل المدرسات ، حيث تقدم منهن لدورة واحدة عقدت في زامبوانجا حوالي ٨٠٠ مدرسة . وتؤدي

هذه المدارس خدمات جليلة لنشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ١٧٣ ، ١٧٤) . ولقد استخدم المورو الحروف العربية في كتابة بعض الكتب الإسلامية ، مثل تفسير القرآن الكريم ، حيث استخدمت الحروف العربية في كتابة لغة إيرانون ، وهي لغة أغلب المسلمين هناك .

الأحوال الاقتصادية :

إن مناطق المسلمين في الجزر الجنوبية من الفيليبين تتمتع بالعديد من الموارد والثروات الطبيعية . ففي جزيرة منداناو مساحات واسعة من الأراضي الزراعية والغابات الغنية بالأخشاب النادرة ، كذلك تضم مناطق المسلمين خامات معدنية عديدة ، كما اكتشف النفط في جزيرة بالوان وجزيرة منداناو ، كما أنها تضم مساحات واسعة من الأراضي الزراعية التي تنتج الأرز (٢٩٪ من إنتاج الفيليبين) ، والذرة (٥٦٪ من إنتاج الفيليبين) والموز (١٠٪ من إنتاج الفيليبين) والنجيل (٥٠٪ من إنتاج الفيليبين) والقطن ، يضاف إلى هذا ، ثروات بحرية عريضة ، كالأسمك التي تنتج منها ٥٠٪ من إنتاج الفيليبين ، (A) "Europa (A), 1979, 15" "Dauday, 1985, 812" ورغم هذه الامكانيات الضخمة من الموارد المتعددة ، إلا أن المسلمين يعيشون في مستوى اقتصادي يصل إلى حد الفقر ، فيعمل معظم الماراناو والماجوينداناو في الزراعة بإمكانات محدودة ، فيزرعون الأرز والكسافا والنجيل ومحصولات أخرى ، بينما يعمل التاوسونج والسامال والباجاو ف بالحرف البحرية كالصيد واستخراج الأصناف ، كما يعملون في النقل البحري بين الجزر بزوارق صغيرة لنقل المسافرين والسلع "Philip, 1991, vol. 8, 334" ، ورغم هذا ، تعيش هذه المجتمعات في حالة اقتصادية سيئة ، وترجع بعض أسباب تدني المستوى الاقتصادي إلى :

١ - الحروب الطويلة التي خاضها المسلمون ضد الاحتلال لمدة تزيد على أربعة

- قرون، ثم حربهم ضد الجيش الفيليبيني ، والتي استغرقت حوالي ربع قرن.
- ٢ - حرمان المناطق الإسلامية من مشروعات التنمية التي تنفذ في الشمال دون الجنوب .
- ٣ - انصراف أبناء المسلمين عن التعليم في مدارس البعثات النصرانية خوفا على دينهم، لهذا يحتاجون للتعليم المهني .
- ٤ - التدمير المستمر والناج عن غزو الجيش الفيليبيني للقرى والمدن المسلمة وحرق المزارع وتدمير العمران في مناطق المسلمين .
- ٥ - ارتفاع نسبة الأمية .
- ٦ - الفقر السائد في مناطق المسلمين حيث ينتج عنه عدم توافر رأس المال لتمويل مشروعات التنمية .
- ٧ - تهجير النصارى إلى مناطق المسلمين والاستيلاء على أحصص الأراضي الزراعية وأفضل الموارد ، وتبني الدولة لهؤلاء من حيث تمويل مشروعات التنمية ، وبالمقابل حرمان المناطق الإسلامية من مخططات التنمية بالدولة .

سياسة الاستيطان :

تركز سياسة الاستيطان على جزيرة مندناو ، وذلك بتهجير الفيليبينيين النصارى إلى هذه الجزيرة ، حيث تتركز أغلبية مسلمة ، وتهدف هذه السياسة إلى تحقيق ما يلي :

- ١ - تفرغ الأراضي من سكانها المسلمين ، وذلك بزرع مستوطنين من النصارى وسطهم حتى تختفي معالم المسلمين .
- ٢ - اختراق المجتمع المسلم ونشر الفساد بين أفرادهِ ، وذلك بتهجير العناصر

الفاصلة إليه من المجرمين واللصوص ، لإشاعة الإرهاب وترويع المسلمين وإجبارهم على الهجرة .

٣ - الاستيلاء على الموارد الاقتصادية المهمة في مندناو حيث الأراضي الخصبة والترول المعنوية المتنوعة .

٤ - طمس معالم القضية السياسية للمسلمين ، فضياع الأرض يؤدي إلى ضياع القضية .

٥ - السيطرة على المسلمين من الناحية الأمنية العسكرية .

لقد بدأت سياسة الاستيطان في عهد الاستعمار الأمريكي ، وذلك عندما شرعوا في استصلاح الأراضي الزراعية في جزيرة مندناو ، ثم هاجرت إليها العناصر النصرانية . وتبنت سياسة الاستيطان حكومات الفيليبين بعد الاستقلال ، فلقد تبنت حكومة ماجساي ساي "Magsay Say" سنة ١٩٥٣م سياسة الاستيطان في مندناو ، ومنح الأرض للمستوطنين ، حيث اعتمد الرئيس ماجساي ساي خطة أطلق عليها (الأرض لمن لا يملكها "Land for The Landless" ، كما أطلق عليها "تارا" وهو اسم لشجرة ضخمة تنبت في الفيليبين ، وتعمق بجذورها بحيث يصعب اقتلاعها . ثم تابع الخطة خلفه الرئيس "ماركوس" واعتمد في تنفيذ خطته على :

(١) تشجيع هجرة المسلمين .

(٢) تهجير النصارى من جزر لوزون وبسياس إلى مندناو .

(٣) الاستيلاء على أراضي المسلمين بالقوة .

(٤) تأسيس بنك الأرض ، وهذا يقرض المزارعين بربا فاحش مقابل رهن الأرض ، وعندما يعجز المالك عن تسديد الدين ، يستولى البنك على الأرض .

(٥) استخدام بعض العملاء كوسطاء يشترون الأرض من المسلمين ثم تسلم إلى النصارى .

(٦) إعادة تقسيم مناطق المسلمين في مندناو إدارياً وذلك لتفتيت مناطق المسلمين ، فقسمت محافظة كوتاباتو وجوينداناو إلى خمس محافظات ، وقسمت محافظة لامو إلى محافظتين .

(٧) تشكيل عصابات إرهابية من النصارى لإجبار المسلمين على الهجرة ، ولقد أطلق على المستوطنين الجدد اسم "Ilagas" ، وعلى المسلمين "Barahudas" ، وظهرت التحديات تدهور أحوال المسلمين الاقتصادية "Aguilar, 1991, 301".



التعليم الإسلامي

ينقسم التعليم في الفيليبين إلى قسمين ، تعليم حكومي وتعليم أهلي . وتتولى وزارة التربية والثقافة الفيليبينية الاتفاق والإشراف على التعليم الحكومي ، الذي يتكون من مرحلتين دراسيتين منفصلتين ، المرحلة الابتدائية ومدتها ٦ سنوات ، والمرحلة الثانوية ومدتها ٤ سنوات ، ثم التعليم الجامعي الذي يتبع النماذج الأمريكية ومدته ٤ سنوات وتسيطر البعثات التنصيرية على أكثر من ثلث المعاهد الفنية الخاصة . ولغة التعليم في جميع المراحل هي اللغة الإنجليزية ماعدا في مرحلة التعليم الابتدائي ، حيث تستخدم أحيانا اللغات المحلية . (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ٢٧٢) "Macmillan Educational, Corp, 1767 vol. 8, 654"

وبما أن الدولة علمانية ، لهذا لا تهتم بتدريس الدين في المدارس الحكومية ، وإنما أعطت حق التعليم الديني للجمعيات الدينية على حسابها الخاص ، بحيث تقوم بتدريس الدين لمدة ثلاث حصص أسبوعية . ولما كانت موارد الجمعيات الإسلامية محدودة ، لهذا توقفت عن دفع رواتب مدرسي الدين الإسلامي ، وهكذا تركت الباب مفتوحا للجمعيات التنصيرية . وقد انقسم المسلمون بخصوص التعليم الحكومي إلى قسمين ، قسم أقبل عليه لأنه الطريق الوحيد لدخول الجامعات الحكومية . ولتعويض الدراسات الإسلامية ، يرسل بعض هؤلاء أبناءهم إلى المدارس الإسلامية في يومي السبت والأحد لدراسة الدين . أما القسم الآخر ، فيرفض إرسال أبنائه إلى المدارس الحكومية خشية أن يكون ذلك سببا لصرفهم عن عقيدتهم الإسلامية ، أو خوفا من تأثير الثقافات المستوردة على أخلاقهم . (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ٧٢ ، ٧٣)

ويتمثل التعليم الإسلامي الآن في المدارس العربية الإسلامية ، التي تقوم على أساس المجهودات الذاتية ، وتشرف عليها الجمعيات الإسلامية الأهلية ، وتهتم في

المقام الأول بالقرآن الكريم ، والدراسات الإسلامية ، واللغة العربية وعلومها ، وتضم هذه المدارس ٣ مراحل ، المرحلة الابتدائية ومدتها ٤ سنوات ، المرحلة الإعدادية ومدتها ٤ سنوات ، المرحلة الثانوية ومدتها ٤ سنوات أيضاً . ورغم قلة إمكانات هذه المدارس إلا أن الأهالي يقبلون عليها ، لأنها تدرس الدين الإسلامي واللغة العربية .

المدارس الإسلامية :

وقد نشطت حركة إقامة المدارس الإسلامية أثناء الاستعمار الأمريكي في بداية القرن العشرين الميلادي لمقاومة الغزو التنصيري ، خصوصا في ميندناو في وقت انتشرت فيه المدارس الأوروبية على شواطئ بحيرة لاناو . وفي الفترة المحصورة بين سنتي ١٩٥٠ - ١٩٦٠ م ، أنشئت المساجد والعديد من المدارس بمساعدة المسلمين من الخارج ، وبلغت هذه الحركة ذروتها في الفترة ١٩٧٠ - ١٩٧٦ م ، حتى أصبح عدد المدارس الإسلامية في ميندناو حوالي ٢٠٠٠ مدرسة في سنة ١٩٨٥ م . "King Abdul Aziz, 1992, vol. XIII, no. 2"

• • • • •

جدول رقم (٤) عدد المدارس والطلاب في مراحل التعليم العام (١٩٩١م)

المرحلة	عدد المدارس أو المعاهد	عدد المعلمين	عدد الطلاب
قبل الابتدائية	٤٢٠١	٩٦٤٤	٣٩٧٣٦٤
الابتدائية	٣٤٠٨١	٣١١٠١٣	١٠٤٢٧٠٧٧
المرحلة الثانوية	٥٥٥٠	١٢٢٦٨٨	٤٠٣٣٥٩٧
بعد الثانوية	١٢٦٢	١٣٢٦٥	٣٦١٧٦٣
التعليم العالي	٨٠٩	٥٦٨٨٠	١٣٤٧٧٥٠
المجموع	٤٥٩٠٣	٥١٣٤٩٠	١٦٥٦٧٥٥١

المصدر :

- Europa, The Far East and Eustralasid, 1993, P. 843 .

وتعتبر جمعية إقامة الإسلام من أنشط الجمعيات الإسلامية في تشييد المدارس، فلها العديد منها . وكذلك من المؤسسات المهتمة بإنشاء المدارس الإسلامية معهد مندناو . وتلاميذ هذه المدارس يعدون بالآلاف . وإذا أخذنا جمعية إقامة الإسلام كنموذج ، نجد لها ٢٦٠ مدرسة ابتدائية موزعة على مناطق المسلمين في الفيليبين . وكان بها في سنة ١٩٧٨م حوالي ٢٤ ألف تلميذ ، ١٠٩٠ مدرساً ، ولها ٥٠ مدرسة متوسطة وكان عدد تلاميذها ٧٧١٧ تلميذاً ، وبها ٣٦٥ مدرساً ، أما المرحلة الثانوية التابعة لها ، فكان عدد مدارسها ٦ مدارس ، كان بها ٤٧٧٤ تلميذاً و ١٣٤ مدرساً . ومما يؤسف له ، أن غالبية هذه المدارس بحالة سيئة ، وإمكاناتها محدودة . وفي بعض الأحيان تتكون من حجرة واحدة أو حجرتين من الخشب و "الصفيح" ، وليس لها مرافق أو أفنية ، وأحياناً يدرس بها مدرس واحد أو

مدرستان . ورغم هذا يقبل عليها أبناء المسلمين . وجدير بالذكر ، أن عدد البنات يفوق عدد البنين في هذه المدارس ولقد كان للاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية دور كبير في رفع مستوى هذه المدارس عن طريق دعم مبانيها وتجهيزاتها وتزويدها بالكتب والمعلمين . وقد تبنى الاتحاد الدعوة منذ سنة ١٩٧٦م ، لإنشاء صندوق مستقل لمساعدة هذه المدارس تحت رعاية بنك التنمية الإسلامي . (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠)

وهناك مدارس إنجليزية أهلية يملكها المسلمون ، وتدرس فيها مناهج التعليم الحكومي ، إلى جانب الدين الإسلامي واللغة العربية ، وتعترف الحكومة بهذا النوع من المدارس ، ولخريجيها حق دخول الجامعات الحكومية ، وهي أكثر تنظيماً ، وتهتم باختيار معلميهما ، وتنظيم امتحاناتها ، وترتبط شهاداتها بشهادات التعليم العام بالدولة . (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ٨٠ ، ٨١)

ويتنشر في بعض المناطق الإسلامية عدد من مدارس بعثات التنصير ، التي أنشئت في ظل الاحتلال الأسباني ، خصوصاً في مندناو . وقد استمرت هذه المدارس إلى الآن ، وتمتاز بوفرة إمكانياتها ، وجودة مبانيها حيث إنها مشيدة على أحدث النظم ، ومواردها المالية ضخمة . وقد أنشئت بهدف التنصير ، ولذا كان إقبال المسلمين عليها بحذر ، خوفاً من التأثير على العادات والتقاليد الإسلامية . ولقد بلغ عدد الطلاب والطالبات من أبناء المسلمين الذين التحقوا بالكليات والمعاهد العليا التنصيرية في منطقة شمال كوتاباتو في الفترة بين سنتي ١٩٦٢ - ١٩٨٨م حوالي ٣٧٧٣ طالباً و ١١٦٦ طالبة . King Abdul Aziz, 1992, vol. XIII, "no. 1"

المعاهد والكليات الإسلامية :

هناك عدد من المعاهد والكليات مثل معهد مندناو العربي الإسلامي ، ويتبع جمعية إقامة الإسلام ، تأسس سنة ١٩٥٥ م ، ويضم المعهد عدة مراحل من الابتدائية إلى الجامعية ، ففيه كلية لاعداد المعلمين والدعاة وهو يعتمد في تمويله على رسوم تفرض على التلاميذ ، وعلى التبرعات ، وكان به سنة ١٩٧٩ م ٢٥٩٢ طالبا . ولقد تخرج في هذا المعهد دفعات عديدة ، ومناهجه تركز على العلوم الإسلامية واللغة العربية . وهناك معهد ماراوي الذي افتتح في سنة ١٩٧٢ م بماراوي في محافظة لاتاو الجنوبية . ويهتم المعهد بتعليم العلوم العربية والإسلامية ، وقد أقيم بجهود ذاتية . وبهذا المعهد قسم داخلي ، كما يضم عدة مراحل من التعليم ، منها المرحلة الابتدائية ومدتها ٤ سنوات ، والمرحلة الإعدادية ومدتها ٤ سنوات ، والثانوية كذلك . وبه قسم مسائي لمن يرغب من المسلمين التزود بالدراسات الإسلامية والعربية . المعهد ملحق بمسجد ، وكان عدد طلابه سنة ١٩٧٩ م ١٩٢٨ طالباً وطالبة . كما يتبع المعهد عدد من المدارس تنتشر في قرى ومدن محافظة لاناو الجنوبية ، وكان عددها ٥٠ مدرسة ، وعدد طلابها ٤٥٢٤ طالباً وطالبة (عبدالقادر، ١٩٨٠م ، ١٢٢ ، ١٢٣). وهناك كليات تسمى فكاسم وهي عبارة عن معاهد تقدم تعليماً عصرياً باللغة الإنجليزية، وتشمل جميع مراحل التعليم ، ومن أهدافها الحفاظ على التراث الإسلامي عن طريق تزويد الجيل الناشئ بالثقافة الإسلامية ، والدعوة في الأقاليم غير الإسلامية في الفيليبين ، ورفع مستوى المسلمين العلمي ، ومساعدة التلاميذ الفقراء لإكمال تعليمهم . وأنشئت أول مدرسة لعائلة فكاسم سنة ١٩٦٦ م ، ثم تحولت إلى معهد ثم كلية . وتدير هذا التنظيم التعليمي هيئة مساهمة من أسرة فكاسم . وقد أنشئت أول كلية لهذه المؤسسة في مدينة ماراوي ، وتعترف حكومة الفيليبين بهذه الكلية، ثم أنشئت بعد ذلك

فروع لكلية فكاسم في بلديات تابران وبؤونا بياياو وماسيو . وتهتم الكليات والفروع بتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية إلى جانب المناهج الإنجليزية ، وتم افتتاح فرع للدراسات العربية والإسلامية (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ١٣٣ ، ١٣٤) **جامعة الفيليبين الإسلامية :**

أنشأتها جمعية كامل الإسلام سنة ١٩٥٥م في مدينة ماراوي ، ولها عدة فروع في "لاناو الجنوبية" و "لاناو الشمالية" ، وفي "كوتابتو" ، وقد أغلقت هذه الفروع فيما بعد ثم أعيد فتح فروع لها في جهات عديدة ومن أهدافها نشر الدراسات الإسلامية ، والإعداد المهني للطلاب والطالبات . وتمنح الجامعة درجات علمية في التربية ، والآداب والعلوم السياسية والدراسات الاجتماعية ، وبكالوريوس في التجارة . (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣)

مركز الملك فيصل للدراسات العربية والإسلامية :

أنشئ هذا المركز في جامعة مندناو الحكومية في سنة ١٩٧٣م بكلية الآداب ، ثم أصبح مركزاً مستقلاً ، وتساعده السعودية ، ويهدف إلى إجراء بحوث عن التراث الإسلامي في الفيليبين ، وإعداد برامج اجتماعية واقتصادية من أجل رفاهية المسلمين ، والمجتمعات الثقافية الأخرى في البلاد ، وبه قسم التوجيه وقسم التقويم والبحث وقسم المجتمع . ويتبع المركز مدرسة تجريبية تحتوى مراحل التعليم الثلاث ، وملحق به مسجد .

مشاكل التعليم الإسلامي في الفيليبين :

- يواجه التعليم الإسلامي عدداً من المشكلات ، نوجزها فيما يلي :
- ١ - تعدد اللغات ، حيث أن المسلمين يتحدثون بأكثر من ٧ لغات محلية .
 - ٢ - تأهيل المعلمين ، حيث تُدرس اللغة العربية لعدد من أبناء البلاد ، وحصيلتهم

- من العربية محدودة ، فمعظمهم وصل إلى نهاية المرحلة الثانوية ، وهذا غير كافٍ بالنسبة لمناهج اللغة العربية في هذه المرحلة .
- ٣ - ضعف المستوى من حيث الإلمام بطرق التدريس الحديثة .
- ٤ - غياب الكتاب المدرسي ، وعدم توحيد المناهج .
- ٥ - رغم وجود عدد من المدرسين المعارين من الدول العربية ، فهذا العدد غير كافٍ لتغطية مدارس المسلمين بالفلبين .

• • • • •

الجمعيات الإسلامية والمساجد

أولا : الجمعيات الإسلامية :

يوجد في الفيليبين عدد كبير من الجمعيات والهيئات الإسلامية ، ولهذه الجمعيات أثر كبير في نشر الثقافة الدينية واللغة العربية والدعوة إلى الإسلام ، وتهتم بإنشاء المدارس العربية الإسلامية ، كما تهتم بتعمير المساجد وإصلاحها ومدها بعلماء الدين ، وفيما يلي أبرز الجمعيات الإسلامية :

١ - جمعية مسلمي الفيليبين : تأسست في سنة ١٩٢٦م بمدينة مانيلا ولها صلات طيبة بالدول الإسلامية ، كما تهتم ببناء المساجد وعقد المؤتمرات الإسلامية المحلية .

٢ - جمعية كامل الإسلام : من أقدم الجمعيات في مدينة ماراوي ، تأسست سنة ١٩٣٦م ، وتعد أول جمعية أسست مدرسة إسلامية عربية بجزيرة مندناو ، ولها نشاط تعليمي .

٣ - جمعية هداية الإسلام : تأسست في سنة ١٩٤٨م ، وهي توجد في مدينة ماراوي ، وتحرص على تعليم القرآن الكريم واللغة العربية والدين الإسلامي .

٤ - جمعية التربية الإسلامية : تأسست في سنة ١٩٤٩م في مدينة كوتاباتو ، وتهتم بنشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية .

٥ - جمعية إقامة الإسلام : من أكبر الجمعيات وأنشطها ، توجد في مدينة ماراوي ، تأسست سنة ١٩٥٥م ولها الفضل في نشر اللغة العربية في جزر جنوبي الفيليبين ، ولها العديد من المدارس تجاوزت ٢٦٠ مدرسة منتشرة في الجزر الجنوبية .

٦ - جمعية مؤتمر الإسلام : توجد في باينج (لاناو) ، وقد تأسست سنة

١٩٦١م ، واهتمامها منصب على التعليم الإسلامي .

٧ - جمعية النهضة الإسلامية : توجد في مدينة كوتاباتو ، تأسست سنة

١٩٦١م ، ولها جهد في تأسيس المدارس الإسلامية .

٨ - جمعية المؤتمر الإسلامي وجمعية مسلمي صولو : تأسست بجزيرة

صولو وتهتمان بالدعوة الإسلامية .

٩ - جمعية نور الإسلام : مقرها في كوتاباتو في لاناو ، تعتنى بشرح

الإسلام وتعليم اللغة العربية . (عبدالقادر ، ١٩٨٠م ، ٥٩ . ٦٠)

وهناك العديد من الجمعيات الأخرى ، ولقد فاق عددها ١٢٤ مركزاً وجمعية

وهيئة إسلامية .

ثانيا : المساجد :

أسست المساجد في الفيليين منذ مدة بعيدة عقب انتشار الدعوة الإسلامية ،

خصوصاً في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، ومن أقدم المساجد ،

مسجد (تمبوك غا) في جزيرة صولو ، بناه الشريف أبو بكر سنة ٨٥٤هـ . وتنتشر

المساجد في كل المناطق الإسلامية في جنوب البلاد ، وقد فاق عددها ٢٥٠٠

مسجد ، ويتولى بناء المساجد الأغنياء من المسلمين ، ولهذا تقام بجهود ذاتية ،

ونذكر أمثلة لبعض المساجد الرئيسة :

مسجد باكولور غراندي ، وقد بناه أهل بلدة باكولور ، ومسجد فكاسم بمدينة

مراوي ، ومسجد دار السلام في مدينة ماراوي بنته جمعية إقامة الإسلام ، ومسجد

مركز الملك فيصل بجامعة منداناو ، ومسجد مانيلا بنته حكومة الفيليين ، وهناك

العديد من المساجد المنتشرة في منطقتي لاناو الجنوبية والشمالية ، وفي منطقة

كوتاباتو ، وإجمالاً في سائر المحافظات الإسلامية وفي بعض المدن التي ينتشر بها

المسلمون. ويؤدي المسجد في الفيليين أكثر من وظيفة ، ففيه دروس تعليم القرآن الكريم وتدرّيس الدين الإسلامي، وتبصير المسلمين بدينهم، وتعتقد فيه الاجتماعات والاحتفالات الدينية، كما يتم فيه جمع الزكاة والانفاق على المساجد يتم بجهود ذاتية .

وتعقد مؤتمرات لتدارس أحوال المساجد والمدارس الإسلامية ، ومنها المؤتمر الأول الذي عقد بمدينة ماراوي سنة ١٩٧٧م ، والذي دعت إلى عقده جمعية إقامة الإسلام، وكان الهدف التعرف على الدعوة الإسلامية منهجاً وأسلوباً، ووسائل العمل على تطويرها، كذلك الأخذ بأفضل المناهج التعليمية في إعداد الدعاة والمدرسين، وأئمة المساجد، ودراسة التحديات التي تعترض الدعوة ، وتقوية الاتصالات والتعاون بين الجمعيات. وعقد هذا المؤتمر في معهد مندناو العربي الإسلامي في مدينة ماراوي بمقر جمعية إقامة الإسلام ، وشارك فيه العديد من الهيئات الإسلامية المحلية والخارجية. وأصدر المؤتمر عدة توصيات ، تتعلق أهمها بإعداد الأئمة، والإشراف على المساجد واصلاحها ، وتمويل المساجد والمؤسسات الإسلامية، وإعداد المدرسين والمناهج التعليمية. (عبدالقادر ، ١٩٨٠م، ١٩٩ وما بعدها) .

• • • • •

٤ - الأقلية المسلمة في روسيا الاتحادية

مدخل إلى جغرافية روسيا الاتحادية

الملامح العامة :

روسيا من أكبر دول العالم مساحة حيث تقدر مساحتها بحوالي ١٧ر٥٠٧٥٤٠٠ كيلو متر مربع ، وتغطي حوالي ٧٦٪ من مساحة الاتحاد السوفيتي السابق ، ومعظم شمالي أوروبا ، وكل شمالي آسيا ، ونطل على المحيط المنجمد شمالاً وعلى المحيط الهادي شرقاً ، وتشترك حدودها الغربية مع كل من النرويج وفنلندا وأستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندا وروسيا البيضاء ، وتطل بجهة ضيقة على بحر البلطيق ، وتشترك حدودها الجنوبية الغربية مع أوكرانيا واذربيجان وجورجيا ، كما تطل على البحر الأسود ، وتشترك حدودها الجنوبية مع كل من كوريا الشمالية والصين ومنغوليا وقزاخستان ، وتطل على بحر قزوين ، وتتكون من ١٦ جمهورية ذاتية الحكم و ٥ أقاليم ذاتية الحكم ، و ١٠ مناطق إدارية ذاتية الحكم .

"Philip, 1991, vol. 28, 1017 - 1019"

ويقدر سكان روسيا الاتحادية بحوالي ١٤٨ مليون نسمة (١٩٩٦م) ، وأكبر مدنها موسكو العاصمة التي كان عدد سكانها ٨ر٧ ملايين نسمة في سنة ١٩٩٢م ، وسانت بطرسبيرج وسكانها حوالي ٤ر٥ ملايين نسمة . "Europa (B), 1996, vol. II, 2681"

الأقاليم الطبيعية :

يمكن تقسيم أراضي روسيا الاتحادية إلى خمسة أقاليم طبيعية ، هي :

١ - إقليم كولا - كاريليان "Kola Karelian": يقع في شمالها الغربي ، ويعتبر جزءاً من هضبة كاريلينا الاسكندنافية ، تنتشر به الحافات الجبلية ، والعديد من البحيرات ، وقد تأثر بالثلجات أو الأنهار الجليدية القديمة . وتغطي غابات

التايجا ونباتات المستنقعات القسم الجنوبي من الإقليم . أما القسم الواقع في شبه جزيرة كولا ، فعبارة عن هضبة تعلوها التلال ، ومناخ الإقليم بارد ، فمعدل حرارة يناير إحدى عشرة درجة مئوية تحت الصفر ، والصيف دفيء حيث يصل معدل حرارة يوليو إلى ١٤ درجة مئوية ، ويتراوح معدل الأمطار السنوي بين ٣٥٠ - ٥٠٠ ملم . وهناك شريط ضيق من غابات التندرا شمالي شبه جزيرة كولا ، ونطاق من غابات التايجا ينمو في تربة البذرولا . ويوجد فيها الثعلب القطبي والأيل والدب البني والعديد من الطيور ، وبالإقليم رواسب معدنية ممثلة في النيكل والنحاس والحديد والمايكا .

٢ - إقليم السهل الروسي "The Russian Plain" سهل قليل الارتفاع في معظمه تتخلله أنهار طويلة ، وتوجد به بعض الجبال والتلال خصوصا في وسطه ، والتي تقطّعه إلى أحواض ، منها تلال فالداي وتولا وسمولنسك ، وفي شرقه بعض تلال مقدمات جبال الأورال . ويمتد السهل من أقصى غربي روسيا إلى جبال أورال شرقا ، ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى جبال القوقاز وبحر قزوين جنوبا . ومناخه بارد في الشتاء ، فمعدل حرارة يناير تتراوح بين ١٥ - ٢٢ درجة مئوية ، ودفيء في الصيف حيث يتراوح معدل درجات حرارة يوليو بين ٩ و ٢٥ درجة مئوية ، بينما معدل الأمطار السنوية يتراوح بين ١٢٥ و ٦٠٠ ملم ، وتشق الإقليم أنهار عديدة ، منها فولجا ودنيبر ودون ودفيئا وتغذيها مياه الثلوج . وتغطي غابات التايجا معظمه ، وفي النطاق الجنوبي يستحول الإقليم إلى شبه صحراوي ، وتوجد رواسب خامات الحديد والنحاس وبعض المعادن النفيسة .

٣ - إقليم القوقاز (القفقاس) : يمتد بين البحر الأسود وبحر قزوين ، ويتكوّن القسم الأوسط من هذا الإقليم من السلاسل الجبلية الرئيسة ، وأعلى جبال القوقاز جبل البروس "Elbrus" (١٨٧٥ متراً) ، ويغطي الجليد بعض القمم ،

وتمثل الجبال حاجزاً طبيعياً ، ويمتد الإقليم حوالي ١٢٠٠ كم من البحر الأسود إلى بحر قزوين ، وأوسع سهوله تطل على بحر قزوين ، وتحتوي جبال القوقاز على العديد من الخامات المعدنية . فإلى جانب البترول والغاز ، يوجد الفحم وخامات الحديد والنيحاس ، والمنجنيز ، كما توجد أهم مناطق النفط على ساحل بحر قزوين .

مناخ إقليم القوقاز يختلف من منطقة إلى أخرى لذلك يختلف معدل حرارة يناير من منطقة لأخرى ففي الشمال ، يتراوح بين (-٢ و ٥ درجات مئوية) ، بينما في الشرق يتراوح المعدل بين (١ و ٣٣ درجات مئوية) ، وفي فصل الصيف يتراوح معدل حرارة يوليو بين (٢٣ و ٢٩ درجة مئوية) Philip, "1991, vol. 28, 1064 ويتنوع النبات الطبيعي في القوقاز حيث تكسو الغابات والسفوح والقمم ، وتنتشر حشائش (الاستبس) على السفوح الدنيا وفوق السهول .

٤ - إقليم أورال - ونوفايا زيميليا "Ural and Novaya Zemlya": تمتد جبال أورال حوالي (٢١٠ كم) بين الشمال والجنوب ، أي من جزر نوفايا زيميليا الممتدة عبر المحيط المتجمد الشمالي إلى بحر قزوين . وتفصل جبال أورال بين قارتي أوروبا وآسيا ، وهو إقليم شديد التضرس ، فبعض قممه تصل إلى ١٨٩٥ متراً ، وتكسوها غابات التايجا في القسم الأوسط والشمال ، بينما تكسو حشائش الاستبس القسم الجنوبي . أما نوفايا زيميليا ، فمجموعة من الجزر تمتد شمال جبال أورال في المحيط المتجمد الشمالي ، تكسوها أشجار التندرا وحشائش الاستبس والجزر باردة في الشتاء ومعتدلة في الصيف ، أما جبال أورال ، فمناخها يختلف باختلاف الارتفاع ، فتسودها الظروف القارية في الجنوب حيث تغطي الثلوج قمم

الجبال ، ومعتدل في الصيف . وفي جبال أورال ثروة معدنية متنوعة ، حيث توجد خامات الحديد والنحاس والنيكل والذهب والبلاطين والكروم والنفط والفحم ، لهذا أصبح الإقليم أحد المناطق الصناعية الكبرى ، خصوصا في صناعة الصلب . "Philip, 1991, vol. 28, 1018"

٥ - إقليم سيبيريا : يشمل شمالي قارة آسيا ، وهو يمتد من جبال أورال في الغرب إلى المحيط الهادي في الشرق ، ومن المحيط المتجمد شمالا حتى حدود قزاقستان والصين ومنغوليا ، وكوريا الشمالية جنوبا ، سيبيريا إقليم شاسع تبلغ مساحته حوالي (١٢٧٦٦٠٠٠ كيلو متر مربع) ، وينقسم إلى :

- أ - سيبيريا الغربية ومساحتها حوالي (٢٤ مليوني كيلو متر مربع) .
- ب - سيبيريا الشرقية ومساحتها حوالي (٤١ ملايين كيلو متر مربع) .
- ج - الشرق الأقصى ومساحته حوالي (٦٢ ملايين كيلو متر مربع) .

تشكل سيبيريا بأقسامها حوالي ٧٥٪ من مساحة روسيا الاتحادية ، وقد احتلها الروس منذ سنة ١٥٨٣م ثم بدأ نفوذهم يمتد نحو الشرق الأقصى في السنوات التالية حتى وصلوا المحيط الهادي .

أ - سيبيريا الغربية : تمتد من جبال أورال غربا إلى نهر ينسي شرقا ، ومن المحيط المتجمد شمالا إلى حدود كل من قزاقستان والصين جنوبا ، وأرضها منخفضة بوجه عام ، تنحدر نحو الشمال إلى المحيط المتجمد الشمالي . وترتفع أرضها في الجنوب حيث منابع نهر أوب ورافده إيرتش . وتنقسم سيبيريا الغربية إلى ٩ أقاليم إدارية ، ومناخها شديد البرودة في الشتاء ، فمعدل حرارة يناير في الشمال (- ٢٨ درجة مئوية) ، وفي الجنوب (- ٦ درجات مئوية) وصيفها دفيء ومعدل حرارة يوليو تتراوح بين

(٣ درجات مئوية) في الشمال و ٢٣ درجة مئوية في الجنوب . والغطاء النباتي يتمثل في غابات التندرا والتايجا ، وحشائش متناثرة . وثروتها المعدنية تضم بعض الخامات المعدنية . كما يوجد النفط والغاز بكميات كبيرة .

ب - سيبيريا الشرقية : تمتد بين نهر ينسي في الغرب ونهر لينا في الشرق ، وبين المحيط المتجمد في الشمال وحدود منغوليا والصين الشعبية في الجنوب ، وتشغل مساحة شاسعة تقدر بحوالي ٤١ ملايين كيلو متر مربع ، وتشمل ١٠ أقاليم إدارية . كما تضم الأراضي المرتفعة في سيبيريا الوسطى والجبال الشاهقة الارتفاع حول بحيرة بيكال ، وتشغل مرتفعات وسط سيبيريا معظم أراضيها ، والتي تمتد من نهر ينسي في الغرب إلى نهر لينا في الشرق . كما توجد في الشمال الغربي أراضٍ منخفضة تتصل بالأراضي المنخفضة في سيبيريا الغربية . وترتفع الأرض في جنوب سيبيريا الوسطى ، حيث يزداد تعقيد التضاريس "Paul, 1977, 397, 398" وفي جنوبي الإقليم ، تمتد بحيرة بيكال بين الجنوب الغربي والشمال الشرقي ، وتحيط بها المرتفعات ، وهي أعمق البحيرات العذبة ، فيصل العمق في وسطها إلى ١٦٢٠ متراً . وأبرز أنهار الإقليم ينسي وروافده ، وهو ينصرف نحو الشمال إلى المحيط المتجمد . ومناخ سيبيريا الشرقية يختلف من مكان لآخر في هذه المساحة الشاسعة وبعمامة شديد البرودة في الشتاء ، حيث تغطي الثلوج المرتفعات بل تغطي معظم مساحة سيبيريا الشرقية ، ففي الجنوب ، سجلت محطة إيركوتسك ٢١ درجة مئوية تحت الصفر . كمتوسط لشهر يناير ، بينما وصلت درجة الحرارة الدنيا إلى - ٥٠ درجة مئوية تحت الصفر وأدنى درجة وصلت إلى - ٦٧ درجة مئوية تحت الصفر ، والصيف قصير دفيء ، فمعدل يوليو في إيركوتسك (١٧ درجة مئوية والأيام الخالية من الجليد لا تزيد على ٤٩ يوماً . Paul, 1977,

"402 وتغطي غابات التندرا والتايجا مناطق متفرقة من سيبيريا الشرقية والإقليم غني بخاماته المعدنية والنفطية .

ج- الشرق الأقصى : يحده المحيط المتجمد من الشمال ، ومنغوليا والصين الشعبية وكوريا الشمالية من الجنوب ، ويمتد من سيبيريا الشرقية في الغرب إلى المحيط الهادي في الشرق ، وتبلغ مساحته ٦٢ ملايين كيلو متر مربع ، ويشغله (١٠) أقاليم إدارية . وتشكل الأحواض الجبلية معظم مساحته ، وقد أثرت الثلجات أو الأنهار الجليدية في مظهر سطح الأرض . وأوسع أراضيه المنخفضة تحيط بوادي نهر لينا ، وعلى سواحل المحيط المتجمد الشمالي ، وشمال نهر عامور ، وشمال وجنوب شبه جزيرة كامتشكا . وهناك العديد من الأنهار التي تنصرف في اتجاه الشمال الشرقي . وتعتبر جبال ستانوفوي الجبال الرئيسة بالإقليم ، حيث تشكل خط تقسيم المناخ بين نهر عامور ونهر ألدان . وأخصب أراضي إقليم الشرق الأقصى توجد في هذه المنطقة حول وادي نهر زيميا . وفي شبه جزيرة كامتشكا ، توجد سلاسل جبلية في الشرق وفي الوسط ، وتظهر في هذه المنطقة آثار براكين قديمة ، وتكثر بها مناطق الضعف وتصيبها الزلازل ، وأبرز أنهار الإقليم ، نهر عامور ٤٤١٦ كم ، ونهر لينا (٤٤٠٠ كم) ، ويصب الأول في المحيد الهادي والثاني في المحيط المتجمد الشمالي .

ونتيجة للمساحة الشاسعة ، يتنوع المناخ في الإقليم من منطقة إلى أخرى ، ولكن بصفة عامة فيه ملامح من مناخ سيبيريا الشرقية ، حيث الشتاء شديد البرودة ، تتجمد فيه مياه السواحل بين بحر أوخستك والمحيط المتجمد الشمالي ، ويغطي الثلج المرتفعات والوديان ، وتغزو الإقليم رياح شديدة البرودة ، وتتندي درجات الحرارة بصورة ملحوظة حيث سجلت هناك أقل

درجة حرارة في العالم، وتسمى هذه المنطقة قطب الياوس البارد. وعلى بعض المرتفعات سجلت أدنى حرارة في يناير (٧١ درجة مئوية تحت الصفر) في فرخويانسك "Vekhoyansk"، وترتفع درجة الحرارة قليلاً في الصيف القصير، وتغطي غابات التندرا والتايجا مساحات شاسعة من الإقليم، وتركز الزراعة في الأودية في الأنهار الجنوبية، والخامات المعدنية تتمثل في النيكل والحديد والفحم والنحاس.

السكان :

تختلف كثافة السكان من إقليم لآخر في هذه المساحة الشاسعة، وترتفع الكثافة بصفة عامة في الأراضي الروسية الأوروبية عنها في سيبيريا والشرق الأقصى، والتي تشغل حوالي ٧٥٪ من مساحة روسيا الاتحادية. فسكان هذه المنطقة الشاسعة قدروا في سنة ١٩٨٣ م بحوالي ٢٩٦ مليون نسمة "Europa (A), 1986"، يتركز معظمهم في سيبيريا الغربية، ويتكوّن سكان روسيا من العناصر السلافية، والتي تكونت من ثلاثة أعراق: الروس والأكرانيين والروس البيض. ويشمل سكان روسيا أكثر من ٦٠ عرقاً ممثلة في أقليات عرقية، أبرزها التتار والشوفاش والباشكير والموردفيان والداغستان والأودمورت والشيشان والقازاك والماري (الشرميس)، والإسلام منتشر بين هذه الأقليات.

أما اللغات السائدة بين هؤلاء السكان، فهي تنقسم إلى المجموعات الآتية :

- ١ - مجموعة اللغات السلافية : تنتمي إلى مجموعة اللغات (الهندو - أوروبية)، وتشمل اللغة الروسية واللغة الأوكرانية ولغة الروس البيض كما تشمل مجموعة لغات السلاف الشرقيين، وتنتشر اللغة الروسية من بحر البلطيق غرباً إلى المحيط الهادي شرقاً .

٢ - مجموعة اللغات الألتية : هذه مجموعة رئيسة ، وتضم المتحدثين بالتركية الألتية وتشمل المتحدثين بها في جبال التاي وسايان والتوفينيان "Tubinians" والتوفالار ، ومجموعات متعددة في سيبيريا مثل التتار الذين يعيشون في مناطق الغابات والاستبس في سيبيريا الغربية في أعالي نهر أوب ، والياقوت في حوض نهر لينا ، وكذلك الدجان ، والباشكير في أورال وحوض الفولجا وتتار الفولجا وفي شمالي القوقاز (الشوفاش) والكوميك والنوغاي والكاراتشاي والبلكار ، ويتحدث الافنكز والافن لغة المانشو ، والبوريات والكلميك يتحدثون لغة مغولية. "Philip, 1991, vol. 28, 1019"

٣ - مجموعة اللغات الأورالية : يتحدثون الفينية وتشمل هذه المجموعة المورداق والشرميس (ماري) والأدمورت (الفوتياك) والكومي (زيريان) ، وهناك مجموعات أخرى تنتمي للأورالية مثل السمويد والسلكوب في حوض نهر أوب الأوسط ، وكذلك التاز .

٤ - مجموعة اللغات القوقازية : تضم هذه المجموعة الأبخار والأديجا والمجموعات الداغستانية (أفار ولزجين والدارجين والاك والتاباسران) ، والأباز ، والكابارد ، والناخ (الشيشان - الإنجوش) .

٥ - مجموعات أخرى : توجد في سيبيريا مثل الشوكشي ، والكوريك ، وكامشادال ، والأسكيمو ، ومجموعة جيليك في وادي نهر عامور الأدنى وفي جزيرة سخالين . "Philip, 1991, vol. 28, 1019"

الأقسام الإدارية "للأقليات" :

تنقسم مناطق الأقليات في روسيا الاتحادية إلى جمهوريات ذاتية الحكم ومقاطعات ومحافظات كما يلي : "Philip, 1991, vol. 28, 1019"

أ - الجمهوريات ذاتية الحكم :

- ١ - باشكيرستان "باشكيريا" .
- ٢ - بوريات "بورياتيا" .
- ٣ - شيشان - إنجوش .
- ٤ - شوفاش .
- ٥ - داغستان .
- ٦ - "كابردينو - بلكار" .
- ٧ - كالليك .
- ٨ - كارليان .
- ٩ - كومي .
- ١٠ - ماري .
- ١١ - موردافيا .
- ١٢ - أوستينا الشمالية .
- ١٣ - تاتارستان (تتاريا) .
- ١٤ - توفينيان .
- ١٥ - أدمورت .
- ١٦ - ياقوت .

ب - المقاطعات :

- ١ - أديجا .
- ٢ - جورنو - التاي .
- ٣ - "كاراتشاي - شركس" .
- ٤ - خاكاس .
- ٥ - يافريسكايا .

ج - المحافظات :

- ١ - أجين - بوريات .
- ٢ - شوكشي .
- ٣ - إفنك .
- ٤ - خانتي - مانسي .
- ٥ - وكومي - برمياك .
- ٦ - كورياك .
- ٧ - ننتز .
- ٨ - تايمير .
- ٩ - أوست - أوينشكي .
- ١٠ - ياملو - ننتز .

وهكذا تنقسم مناطق الأقليات في روسيا الاتحادية إلى ١٦ جمهورية ذاتية الحكم، يتركز المسلمون في عشر منها، وخمس مقاطعات يتركز المسلمون في اثنين منها، وعشر محافظات .

انتشار الإسلام

وصل الإسلام إلى الأراضي التي ضمتها روسيا القيصريّة في أوروبا الشرقية ، وخصوصاً في حوض نهر الفولجا وإقليم سهول شرقي أوروبا وجبال أورال وشمال البحر الأسود وإقليم القفقاس عبر محورين ، محور جنوبي وآخر شرقي ، وذلك على النحو التالي :

أولاً : المحور الجنوبي :

كان وصول الإسلام عن طريق هذا المحور مبكراً إلى مناطق جيلان والران والكرج وبلاد الخزر أي جنوب وغرب بحر قزوين (بحر الخزر) ، وكانت البداية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم توالى حركة الفتوح في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه . ففي عهد الخلفاء الراشدين ، كانت الفتوح قد وصلت إلى بلاد الران والكرج ، وكانت مدينة دربند (باب الأبواب) محور تحركات الجيوش الإسلامية نحو الشمال إلى بلاد الخزر ، نحو الغرب إلى بلاد الكرج . (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ١٣٢)

استمرت حركة الفتوح عبر هذا المحور الجنوبي في عهد الأمويين ، فأرسلت عدة حملات لتمكين الإسلام في بلاد أذربيجان وأرمينيا والكرج أي في إقليم القفقاس ، وفي بلاد الخزر ، حيث أسكن الأمويون ٢٤ ألفاً من العرب في باب الأبواب . وتقدمت الجيوش الإسلامية بقيادة مروان بن محمد في أرض الخزر ، واستمر هذا المحور يتقدم شمالاً نحو حوض الفولجا الأدنى (أبو سعيد ، د.ت ، ٢٤٠ - ٢٤٥)

سار العباسيون على نهج الأمويين في سياستهم نحو إقليم الرحاب حيث الثغور الشمالية " كما أطلق عليها العباسيون " ، واستوطن المسلمون بلاد

الران ، ووطد محمد بن عتاب سلطان الدولة العباسية في أرمينيا في خلافة المأمون. ولما ضعفت الدولة العباسية ، استقل بعض الولاة المسلمين بولايات لهم في الكرج . (الشتناوي ، ١٩٣٣ م ، ج ٢ ، ٢٨٢)

ظهر على هذا المحور الأتراك السلاحقة في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، فأغار ألب أرسلان على بلاد الكرج ، واستعاد الحكم الإسلامي من الأسر النصرانية المحلية التي ظهرت أثناء ضعف الدولة العباسية ، وحكمت البلاد أسر إسلامية محلية (بنواداود) . (الشتناوي ، ١٩٣٣ م ، ٢٨٣ ، ٢٨٤)

انتشر الإسلام سلما عن طريق هذا المحور بجهود التجار والدعاة الذين وصلوا إلى حوض الفولجا ، فبثوا الدعوة بين القفجاق والبلغار . وكان ملوك البلغار على صلة بالخلفاء العباسيين ، حيث طلب ملك البلغار من الخليفة العباسي المقتدر بالله إرسال من يفقههم في الدين . وانتقلت حركة انتشار الإسلام إلى الشعوب المحلية ، حيث زاد انتشار الإسلام في حوض الفولجا ، فوصل إلى باشكير وتتار الفولجا . (عبدالحليم ، د.ت ، ١٠٨ ، ١٠٩) (الشتناوي ، ١٩٣٣ م ، ج ٤ ، ٩٠) ، ثم نشط هذا المحور مرة أخرى ، عندما حمل لواء الدعوة الأتراك العثمانيون .

ثانيا : المحور الشرقي :

بعد انتشار الإسلام بين المغول ، وتأسيس دولة مغول القبيلة الذهبية ، الذين عرفوا بمغول القفجاق ، وارتكزت دولتهم في مدينة " سراي " في حوض الفولجا الأدنى ازدهرت الدعوة الإسلامية عن طريق هذا المحور الشرقي في عهد بركة خان ، حيث أصبح الإسلام دين الدولة ، واجتهد بركة خان في نشر الإسلام . واستمر هذا المحور في بث الدعوة في عهد خلفاء بركة خان

خصوصا في عهد منكوخان . وفي هذه المرحلة ، أسس نوعاي قائد خان المغول منكوتر خانانية القرم . وهكذا وصل الإسلام إلى شمالي البحر الأسود وجنوبي روسيا . وبلغ المحور الشرقي أوج ازدهاره في عهد أوزبك خان ، فثبت أركان الدين في البلاد التي خضعت لحكمه ، ونشر الإسلام بين كافة قبائل المغول ، وسمي عصره بالعصر الذهبي للإسلام في هذه المنطقة ، ووضع خطة لنشر الإسلام في بلاد الروس . ولم تكتمل خطته حيث خلفه حكام ضعاف ، وانتهى الأمر بتقسيم دولة أوزبك خان إلى خانيات صغرى ، فسهل هذا استيلاء الروس عليها بعد أن كانت روسيا تدفع الجزية لبركة خان وأوزبك خان . وسيطرت روسيا القيصرية على الامبراطورية المغولية ، وبدأ عهد من التحدي . (عبدالحليم، د.ت ، ١٢٧ ، ١٢٨)

حركة انتشار الإسلام :

١ - في عهد الخلفاء الراشدين : وصل الإسلام إلى عدة أقاليم بروسيا الاتحادية بعامة وتركزت الدعوة الإسلامية بصفة خاصة في إقليم القوقاز "القفقاس" ومنطقة القرم وحوض نهر الفولجا "إتيل" ، وبحر "الخرز" وجنوب جبال أورال . وكان وصول الإسلام إلى هذه المنطقة في ظل السلام ، عن طريق التجار المسلمين الذين جابوا هذه الأنحاء . كما وصلها الإسلام عن طريق الفتوح في عهود مبكرة منذ زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

ويرجع أول اتصال للمسلمين بهذه المنطقة إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك عندما أرسل سراقا على رأس حملة وصلت إلى باب الأبواب "دربند" وعقد صلحا مع ملكها في سنة ٦٤٣ م . ثم اتجهت الحملات الإسلامية إلى بلاد الخزر وباقي بلاد الران ، ففتح حبيب بن مسلمة "نقليس" صلحا وعقد مع أهلها معاهدة سنة ٦٤٥ م في عهد عثمان بن عفان

رضي الله عنه ، ووجه حبيب جهده إلى فتح بلاد الكرج بعد أرمينيا ، وأرسل الفقيه عبدالرحمن بن جزع ليفقه من أسلم . (الشتناوي ، ١٩٣٣ م ، ج ٥ ، ٣٧٧)

وخلف عبدالرحمن بن ربيعة سراقه بعد وفاته ، فأمر بغزو بلاد الخزر . التي كانت دولتهم تقع شمال بحر قزوين ، حيث مصب نهر الفولجا ، ويتشرون حتى البحر الأسود وأصبحت باب الأبواب بعد هذه الفتوح ثغراً إسلامياً مهماً . (أبو سعيد ، د.ت ، ٢٣٩)

تقدم المسلمون نحو أذربيجان بقيادة حذيفة بن اليمان ، فسار إلى العاصمة أردبيل (جنوب غرب بحر قزوين) وصالح أهلها على الجزية ، ثم غزا حذيفة موقان وجيلان (جنوب غرب بحر قزوين) وعقد صلحا معهما . وولي أذربيجان عقبة بن فرقد السلمي ، وقام الوليد بن عقبة بغزوة إلى أذربيجان ، فوجد أكثر أهلها على الإسلام . (مؤنس ، ١٩٨٧ م ، ١٣٢ - ١٣٣) . وهكذا دخل الإسلام إلى منطقة القوقاز مبكراً في عهد الخلفاء الراشدين عليهم رضوان الله ، وسار المسلمون إليها من جنوب غرب بحر الخزر ، ومن شرقي آسيا الصغرى إلى أرمينيا وبلاد الجرجان (الكرج) .

٢ - في عهد الأمويين : استمرت الفتوحات في عهد الأمويين تمكينا للإسلام في بلاد الأذري "أذربيجان" وأرمينيا والكرج والخزر ، أي في منطقة القوقاز وغرب بحر قزوين . ففي عهد عبدالملك بن مروان ، أعاد الخزر هجماتهم على المنطقة ، فأرسل الخليفة أخاه محمد بن مروان إلى أرمينيا فهزم المنتقذين على المسلمين في خلاط ، واستعاد أرمينيا ، وتولى الجراح بن عبدالله الحكمي أرمينيا وتوجه لحرب الخزر فهزمهم ، ولكن كرروا الهجوم على شمال أرمينيا ، وهزموا الجراح في "أردبيل" واستشهد ومن معه . ثم ولي مسلمة

ابن عبد الملك أرمينيا لأخيه هشام وقاد حملة كبيرة ضد الخزر وهزمهم في وراثان قرب باب الأبواب . وتقدمت الجيوش الإسلامية بقيادة مروان بن محمد في أرض الخزر ، حيث تقدم شمالا وتعقب الخزر والران إلى خارج إقليم الرحاب . وكان لسياسة تهجير العرب إلى إقليم الرحاب أثر في استقرار الدعوة وتثبيت المسلمين في الرحاب . (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ١٣٣) ، (أبو سعيد ، د.ت ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥)

وهكذا اتسعت رقعة دولة الإسلام حتى وصلت حوض الفولجا الأدنى ، كما وصلت إلى بلاد الجرجان "الكرج" شمال البحر الأسود ، وزاد اتساع الرقعة الإسلامية حتى شملت بلاد الأذري والأرمن والخزر ، وتم تثبيت أقدام الإسلام في هذه المنطقة . وقد عثر على درهم ضرب في تفليس قاعدة الكرج في سنة ٧٠٤م ، يؤكد هذا الفتح . (الشتناوي ، ١٩٣٣م ، ج ٥ ، ٣٧٨)

٣ - في عهد العباسيين : سار العباسيون على النهج السابق في سياستهم نحو إقليم الرحاب حيث الثغور الشمالية ، وهو الاسم الذي أطلقه العباسيون على "مدن المنطقة" . ففي عهد أبي جعفر المنصور ، تولى منطقة الثغور الشمالية يزيد بن أسيد السلمي وله جهود في استتاع حدود رقعة الإسلام نحو الشمال في بلاد الران وطبق سياسة استيطان المسلمين بهذه البلاد . (أبو سعيد د.ت ، ٢٤٥ - ٢٤٦) . وأغار الخزر على أرمينيا مرة أخرى في سنوات ٧٥٨م و ٧٦٤م ، وتمكن عامر بن إسماعيل من هزيمتهم . وفي عهد الخليفة المأمون ، وطد محمد بن عتاب سلطان الدولة في أرمينيا ، وأخضع في سنة ٨٢٩م ، بلاد الجرجان "الجرزان" . غير أن ضعف الدولة العباسية بعد عصر الخلفاء الأقوياء ، أدى إلى طمع الولاة ، فاقتطع إسحاق بن إسماعيل ولاية له في بلاد "الكرج" ، وظلت تحت حكمه من سنة ٨٣٠م إلى ٨٥٣م ، وفي

عهد الخليفة المتوكل العباسي ، أرسل قائده بغا الكبير إلى أرمينيا في سنة ٨٥٢م وهزم إسحاق بن إسماعيل في معركة تفليس سنة ٨٥٣م ، وخرَّب المدينة . وكان بها دار لسك النقود وكان تخريبها غلطة من بغا الكبير .

٤ - في عهد السلاجقة : بعد الأحداث السابقة انتشرت الفوضى في الثغور الشمالية أي في بلاد "الرحاب" . ففي أذربيجان ، ظهرت أول أسرة حاكمة وهي الأسرة "الساجية" قبضت على الأمور مع خضوعها لبغداد اسمياً في الفترة من ٨٩٢م إلى ٩٣٢م وحكمت أسر محلية (بجراط) بلاد الكرج (أسرة نصراني) وأخذ نفوذ السلاجقة يتجه نحو الكرج ، فأغار الب أرسلان عليها في سنة ١٠٦٣م وسنة ١٠٧٩م واستعاد الحكم الإسلامي على الكرج وماحولها ، ولكن البجراطين "عادوا إلى حكم البلاد . وفي سنة ١١١٨م ، أرسل محمود بن محمد السلجوقي حملة إلى الكرج لإغاثة مسلمي تفليس ، ودخلها جيشه ، وهزمه داؤد الثاني ومن معه من القفجك ، فاستولى داؤد على تفليس في سنة ١١٢١م . ثم حكم تفليس بنو جعفر بعد داؤد في سنة ١١٢١م ، واستمر حكمهم حوالي ٢٠٠ سنة . (الشتناوي ، ١٩٣٣م ، ج٥ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤) . وظل الحال هكذا في صراع بين نصارى الكرج والمسلمين حتى الغزو المغولي .

٥ - في عهد الصقالية : عاش في حوض نهر الفولجا قبل سيطرة المغول على المنطقة شعبان ، هما القفجك والبلغار . وكان القفجك من الترك البدو ، تزايد عددهم في القرن الحادي عشر الميلادي ، واستقروا في حوض الفولجا الأدنى في صحراء الغز ، وسميت صحراء القفجاق حيث دخلوا في حروب مع الروس . وكون القفجك مملكة كانت عاصمتها مدينة سوداق بالقرم . وكان فريق من القفجك يدين بالإسلام نتيجة تأثير دعاة البلغار ، وامتد نفوذ

القفجك حتى وصل إلى سواحل بحر أزوف (شمال البحر الأسود) ،
وسواحل البسفور ولكن استمرار الحرب بينهم وبين الروس أضعف الفريقين ،
مما سهل انتصار مغول القبيلة الذهبية عليهم . واندمج شعب القفجك في
المغول ، وصارا شعبا واحداً حتى قبل غزو مغول القفجك ، ودخلوا معهم في
الإسلام . (عبدالحليم ، د.ت ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧)

يعتبر البلغار الشعب الثاني في حوض نهر الفولجا ، ويقال لهم ترك أو
مولدون عن الترك والصقالبة ، وأطلق الاسم على الدولة والعاصمة معا في
وادي الفوليجا الأوسط ، ذلك أن هنا ؛ دولة أخرى للبلغار تكونت في وادي
الدانوب . ولقد اعتنق البلغار الإسلام قبل القرن العاشر الميلادي ودليل ذلك
رحلة ابن فضلان ٩٢١م . فلقد اتصل ملك البلغار "الماس" بالمسلمين تجارياً
وسياسياً ، فأرسل إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة ٩٢١م ، يطلب منه
بعض الفقهاء والعلماء ليعلموا قومه شعائر الإسلام وليساعدوه في إنشاء
المساجد وتعيين سمت القبلة واستجاب له الخليفة ، فأرسل سفارة كان ابن
فضلان من أفرادها . وزاد انتشار الإسلام بين البلغار واجتهد البلغار في نشره
بين الأقوام التركية وجيرانهم الروس فأرسلوا الدعاة إلى الباشكير وحاربوا
الخزر والروس والروم واستمرت الحروب بينهم حتى مجيء المغول ، وتعاون
البلغار مع المغول في نشر الإسلام خصوصاً في عهد ملك المغول المسلم
بركة خان . (الشتناوي ، ١٩٣٣م ، ج ٤ ، ٩٠) ، (عبدالحليم ، د.ت ،
١٠٨ ، ١٠٩)

٦ - في عهد المغول : لقد انتشر الإسلام بين المغول نتيجة العديد من
العوامل . ولما انقسمت دولتهم بعد موت جانكيزخان ، كان القسم الغربي من
الامبراطورية من نصيب جوجي خان ، الذي تزوج مسلمة وهي واحدة من

بنات خوارزم شاه، وجوجي هو جد بركة خان الذي بذل جهوداً عظيمة في نشر الإسلام، كما أنه مؤسس ما سمي بدولة مغول القبيلة الذهبية، وكانت مملكة مغول القفجك تمتد من نهر إرتش شرقاً إلى أرض البلغار غرباً في حوض الفولجا، ومن روسيا وبلاد الصقالبة شمالاً إلى مملكة المغول الأخرى في وسط آسيا جنوباً. وكان أغلب سكان مملكتهم يعتنقون الإسلام، مثل أهل خوارزم والقفجك وبلاد الخزر وبلغار الفولجا ولما مات جوجي، أعلن شعب القفجك "باطو" خائناً عليهم، وارتكزت مملكته على حوض نهر الفولجا حيث العاصمة "سراي"، وتوسع غرباً حتى وصلت مملكته بين سنتي ١٢٣٧م و ١٢٤٢م إلى جبال الكربات، كما توغل في روسيا وبولندا والمجر. ولما مات باطو خان، تولى الحكم بركة خان ٢٥٦هـ (١٢٥٧م). وفي عهده أصبح الإسلام دين الدولة، وبنى عاصمة جديدة سميت سراي الجديدة "سرى بركة" وهي مجاورة لسراي القديمة على الضفة الشرقية لنهر الفولجا، وتركزت أعمال بركة في الدفاع عن الإسلام، ونشره بين قومه، والشعوب التي خضعت لحكمه. (عبدالحليم، د.ت، ١٠٤، ١٠٥، ١١٤).

بعد وفاة بركة خان، تولى الحكم ابن أخيه (منكوتمر) ١٢٦٧ - ١٢٨٠م وكانت الدولة في عهده وعهد سلفه بركة خان على علاقة طيبة مع دولة المماليك في مصر، مما كان له أكبر الأثر في انتشار الإسلام. كما أن الدولتين تحالفتا ضد أبغا بن هولأكو. وكان قائد منكوتمر "نوغاي" يميل إلى القسطنطينية، حيث تزوج ابنة الامبراطور. وكان نوغاي يتظاهر بالإسلام ويخفي عقيدته، وتمكن من السيطرة على شمالي البلاد وأسس خانية القرم ودامت حتى سنة ١٧٨٣م، حين تمكن من السيطرة على شمالي البلاد واتخذها مقراً له ولمن يلجأ إليه من المغول الذين تسموا باسمه "مغول

نوغاي" . ولم يضعف هذا من استمرار الحماسة لنشر الإسلام وتمكينه من النفوس . (توماس ، ١٩٧٠م ، ٢٧١) ، (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ٢٤١) وبعد موت الخان منكوتمر خلفه منكوخان ، وكان مسلماً متحمساً لنشر الإسلام ، فأرسل إلى مصر في سنة ١٢٨٣م ، وفداً من فقهاء القفجاق ومعه كتاب ينص على أن الخان دخل في الإسلام ، وأنه يقيم شعائر الدين ، وطلب من سلطان مصر ، المنصور بن قلاوون ، المساعدة في دعم نشر الإسلام . وأرسل حملات إلى عنغاريا ١٢٨٥م . وبعدها بعث أرسل حملات إلى بولندا وترانسلفانيا وامتدت دولته حتى مصب نهر الدانوب . وانتهى الأمر بالخان منكو إلى التنازل عن العرش طواعية لابن أخيه تلابغا ، وهذا لم يعمر طويلاً بسبب الخلافات التي برزت بين أمراء المغول ، فتولى الحكم طقطاي بين منكوتمر ، ولم يكن متحمساً لنشر الدعوة الإسلامية . غير أن الظروف في عهده ازدادت تعقيداً ، حيث دخل في صراع مع قائده "نوغاي" والذي قُتل في حرب معه ، كما دخل في صراع مع التجار الأوروبيين في شبه جزيرة القرم ، وكذلك مع الترك السلاجقة . وقد واكب هذا ، ظهور الأتراك العثمانيين . ورغم هذه الظروف ، صادفت الدعوة الإسلامية تقدماً . (عبدالحليم ، د.ت ، ١٣١)

٧ - في عهد دولة القبيلة الذهبية : بدأت هذه المرحلة بتولي أوزبك خان في سنة ١٣١٣م ، وانتهت بانتهاة دولة القبيلة الذهبية في بلاد القفجاق في منتصف القرن السادس عشر الميلادي . ولقد اشتهر أوزبك خان بحماسه لنشر الإسلام ، وكان من أشد اتباع الإسلام حماسة وصلابة ، فثبت أركان الدين في البلاد التي خضعت لحكمه . ويقال إنه وضع خطة لنشر الإسلام في روسيا ، وكان رغم هذا كثير التسامح مع النصراني في دولته .

ومما يدل على ذلك ، العهد الذي منحه أوزبك خان للمطران بطرس في سنة ١٤١٤م ، حيث جاء فيه " أنه لا يحل لأحد أن يتعرض لكنيسة بطرس ، أو لأحد من خدامها أو قسيسيها بسوء ، ولا أن يستولي على شيء من ممتلكاتها أو متاعها أو رجالها ، ومن خالف أمرنا هذا فهو أثيم أمام الله ، وينال منا القتل : " وقد أدت سياسة تسامح أوزبك خان مع رعاياه من النصاري إلى قيام البابا يوحنا الثاني والعشرين بتوجيه رسالة إلي الخان في سنة ١٣١٨م يشكره فيها على طيب معاملته للنصاري . (توماس ، ١٩٧٠م ، ٢٧٢) . ولقد وصلت حركة انتشار الإسلام إلى قمته في عهد أوزبك خان ، حيث تم انتشار الإسلام بين كافة المغول في بلاد القفجاق (القبيلة الذهبية) ، ودخلت الدعوة الإسلامية إلى سيبيريا وجنوبي روسيا ، وسمي عصره بالعصر الذهبي للإسلام في هذه المنطقة ، ونسبت إليه قبائل الأوزبك ، بل نسبت إليه بلاد القفجاق كلها ، وصار هذا الاسم علما على البلاد وعلى الشعب . واستمر نشاط الدعوة في عهد ابنه جلال الدين محمود (١٣٤٢ - ١٣٥٧م) ، وصارت البلاد في عهده مأوى للعلماء والفقهاء ، وامتألت العاصمة سراي بهم ، كما حافظ على سياسة آبائه في ضرورة إخضاع روسيا لدولة الإسلام ، فجاء إليه ملك روسيا ومطرانها لتجديد العهد والولاء . ولكن خلفه : محمد بردى بك " (١٣٥٧ - ١٣٦١) لم يكن على مستواه ، فكان ظلوماً مستبداً ، فاضطربت البلاد ، وانتهاز الروس هذه الفرصة حيث تمكنوا لأول مرة من هزيمة جيش مغول القفجاق في سنة ١٣٧٨م ، منذ أن أخضعهم باطوخان في سنة ١٢٣٧م ، أي أن روسيا ظلت خاضعة لنفوذ خانات القبيلة الذهبية قرابة قرن ونصف . (عبدالحليم ، د.ت ، ١٢٧ ، ١٢٨)

وبعد التمزق الذي ساد دولة مغول القفجاق والمحاولات المتكررة لاغتصاب

عرش "سراى" ، ظهرت الصحوة بنولي طقتمش (توقتاميش) ابن بردي بك (١٣٨٠ - ١٣٩٥م) والذي لجأ أثناء الصراع على العرش إلى تيمورلنك فساعدته ضد الروس والطامعين في العرش ، واستطاع طقتمش أن يعيد الأمن للبلاد بعد استرجاعه عرش مغول القبيلة الذهبية ، فنهضت الدولة مرة أخرى ، ثم سار إلى روسيا ودخل موسكو في سنة ١٣٨٢م ، وظهرت أطماع تيمورلنك ، فغزا أذربيجان وأرمينيا وبلاد الكرج ، فساءت العلاقة بين طقتمش وتيمورلنك ووقعت الحرب وانتهت بهزيمة طقتمش وقُتل وهرب أولاده إلى بلاد الروس . وخرب تيمور سراي عاصمة خواقين القبيلة الذهبية سنة ١٣٩٥م . وكانت ضربات تيمورلنك لدولة سلاطين القفجاق قوية ، فانتشرت الفتنة وزاد الصراع على العرش ، وبدأت خانية القبيلة الذهبية تسري إلى النهاية . (مؤنس ، ١٩٨٧م ، ٢٤٣) ، (عبدالحليم ، د.ت ، ١٢٩ ، ١٣٠)

• • • • •

انتشار الإسلام في سيبيريا

كان بعض التجار والعلماء من بخاري وقازان دائمي التردد على سيبيريا للتجارة ونشر الدعوة الإسلامية ، ولهذا اعتنق خانات سيبيريا الإسلام قبل غزوة كوتشيم خان لهم في سنة ١٥٦٣ م ، والدليل بعض قبور الدعاة الذين استشهدوا في سيبيريا أثناء الدعوة للإسلام ، ولهذا انتشر الإسلام في سيبيريا قبل سقوط دولة القبيلة الذهبية على أيدي الروس ، وغزا كوتشيم خان حاكم خوارزم سيبيريا ، وأصبح خانا لها لسنوات طويلة وأرسل إلى والده في بخارى وإلى حاكم قازان يطلب دعاة لتمكين الإسلام في سيبيريا . وفي عهده توافدت أسر مسلمة على سيبيريا واستقرت في مناطق عديدة في توبولسك وتومسك وتورنسك وتارا ، واجتهد كوتشيم في نشر الإسلام حتى هاجمه الروس في سنة ١٥٨٦ م . وحارب كوتشيم الروس وانتصروا عليه في سنة ١٥٩٨ م واسروا أسرته ، وأوقف هذا الزحف الروسي جهود كوتشيم في نشر الإسلام ولم تتوقف الدعوة الإسلامية ، حيث واصل الدعاة والتجار نشر الإسلام حتى أسلمت قبائل مغولية تدعى باربا تاتار Baraba Tatar في سنة ١٧٤٥ م ، وكانت تعيش بين نهري إتش وأوب . (توماس ، ١٩٧٠ م ، ٢٨١ ، ٢٨٢) ، ثم تلى ذلك مرحلة أخرى من نشر الإسلام ، حيث نفى الروس العديد من المسلمين إلى سيبيريا عقابا لهم ، وعاد هذا على الدعوة بالانتشار .

استيلاء الروس على خانيات القبيلة الذهبية "عصر التحدي" :

بعد تفكك خانية القفجك إلى خانيات صغيرة في القرم وقازان وحوض الفولجا واستراخان عند مصب الفولجا ، أدى هذا التفكك إلى استقلال روسيا لأول مرة منذ أن سيطرت عليها خانية القبيلة الذهبية ، وتحقق حلم الروس في

القضاء على خانيات المغول وعرقلة انتشار الإسلام ، خصوصاً بعد أن تزوج الأمير إيفان حاكم موسكو من الأميرة صوفيا ابنة آخر أباطرة القسطنطينية ، واعتبر نفسه وريثاً لعرش الروم ، واعتبر أن موسكو قد أصبحت عاصمة الأرثوذكسية في الشرق . واشتد حماس خلفائه في محاربة خانيات القبيلة الذهبية والقضاء عليهم . وتعرض المسلمون لحرب صليبية في بلاد الرحاب والقفقاس وحوض الفولجا . (عبدالحليم ، د.ت ، ١٣٠ ، ١٣١) ، وفتح هذا الطريق أمامهم إلى جبال أورال وسيبيريا ، كما استولوا على خانية استراخان في سنة ١٥٥٦ م ، وهذا فتح الطريق أمامهم إلى بحر قزوين .

الجهاد ضد صليبية الروس :

استمر تقدم الروس في الاستيلاء على الأراضي الإسلامية ، فاحتلوا باشكيريا سنة ١٥٥٧ م و خانية سيبيريا سنة ١٥٩٨ م ، وخانية القرم سنة ١٧٨٣ م. وبعد استيلاء الروس على خانية قازان مباشرة ، أسسوا فيها جمعية تنصيرية (جمعية المسيونير) ، ونشط أعضاؤها في جذب شعب الجواش وغيرهم إلى النصرانية ، وشجعهم الروس بالأموال ، واضطر المسلمون إلى الهجرة من ديارهم إلى حيث الأغلبية المسلمة ، وكان هذا هدف الروس من قديم ، وخلت قرى كثيرة من المسلمين ، وأخذت جمعية (المسيونير) بالتعاون مع الحكومة الروسية في هدم المساجد . وهكذا بدأت حملات تنصيرية شرسة بعد سقوط خانية قازان . وفي كثير من القرى التي تم تنصيرها كراهية أو طوعية ، كان الرجال يذهبون إلى قرى الأغلبية المسلمة لاحتراف الحياكة ، وهناك يعتنقون الإسلام ثم يعودون إلى قراهم دعاة مبشرين ، وانطبقت هذه الحالة على (الشرميس) والشوفاش والمناطق الأخرى المحيطة بخانية قازان . (عبدالحليم ، د.ت ، ١٣٤ ، ١٣٧)

لقد بدأ الروس سياسة الحرب المقدسة ضد المسلمين كما أطلقوا عليها ، وكان شعارهم هو قتال "البوزرامين" أي المسلمين . وبعد أن استولى الروس على خانية القرم ، عاثوا فيها فساداً في عهد الامبراطورة كاترين الثانية ، التي أصدرت مرسوماً يحتم على كل من يعتنق النصرانية أن يوقع إقراراً كتابياً يتعهد فيه بترك خطاياهم ، ويتجنب كل اتصال بالمسلمين ، وطُرد المسلمون من أرضهم الخصبة إلى الأراضي القاحلة ، ورحلوا جماعات ، هجرت الحكومة الروسية الروس إلى القرم ومنحتهم أخصب الأراضي ، وكذلك فعلوا بمسلمي القوقاز، وازدادت حركة التنصير الإجباري في عهد بطرس الأكبر ، فكانت أكثر شراسة، وكذلك في عهد كاترين الثانية، حيث دمر الروس في خانية قازان وحدها ٤١٨ مسجداً من أصل ٥٣٦ مسجداً ، وأغلقوا المدارس القرآنية، واستولوا على أوقاف المسلمين وأعفت الدولة المرتدين من الضرائب، وكان من يتسبب في تحويل وثني أو نصراني إلى الإسلام جريمة يُعاقب عليها بالإعدام . وفي سنة ١٨٦٣م، قام المنصر نقولا المنسكي بإنشاء دار المعلمين لأبناء التتار المنصرين ليقوموا بأعمال التنصير، وازدادت حملة التنصير شراسة في عهد اسكندر الثاني .

وانتشرت الدعوة بصورة سرية ، وبعد أن صدر في روسيا القيصرية قانون حرية التدين في سنة ١٩٠٥م ، عاد من نصرتهم روسيا إجبارياً إلى الإسلام، حيث كانوا يحتفظون بإسلامهم سراً . ونشطت الدعوة للإسلام من جديد، ففي سنة ١٩٠٦م ، بلغ عدد من أعلنوا إسلامهم ٥٣ ألف نسمة ، ودخلت أسر بأكملها في دين الله . ففي سنة ١٩٠٩م ، دخلت ٩١ أسرة في الإسلام من قرية واحدة ، هي قرية "أتومفا" . وانتشرت الدعوة الإسلامية في حماسة بالغة بين تتار سيبيريا . كذلك نشطت الدعوة الإسلامية بين تتار القرم . (توماس ، ١٩٧٠م ، ٢٧٨ ، ٢٨٠)

ولقد صمد المسلمون في القوقاز "القفقاس" في وجه الروس ، وقاد المقاومة علماء الدين مثل الإمام المنصور والإمام شامل ، واستمرت المقاومة أكثر من ٧٥ سنة ، بل أن الروس لم يقضوا على حركة المقاومة في الجبال إلا في سنة ١٨٨٧م ، وطرد الروس الكثير من أبناء الشعوب الإسلامية في القفقاس خارج أوطانهم . ولما صدر قانون حرية الدين ١٩٠٥م ، عاد هؤلاء إلى أوطانهم متمسكين بعقيدتهم . وبعد سنة ١٩٠٥م ، حدثت نهضة إسلامية كبيرة بين الشعوب الفينية التي اعتنقت الإسلام في حوض الفولجا ، مثل شعب ماري "الشرميس" وشعب مردوف وشعب أدمورت ، وكذلك بين قبائل الشوافاش التركية الأصل . ونتيجة لحركات النهضة الإسلامية ، بدأت وحدة الشعوب الإسلامية تظهر في الأفق ، كما ظهرت الحركات الإصلاحية . (شتال ، ١٩٧٧م ، ٣١ ، ٣٢)

أحوال المسلمين في عهد السوفييت :

استولى الشيوعيون على الحكم في سنة ١٩١٧م ، واستقبل المسلمون هذا الحدث وكأنه مقدمة عهد جديد للحرية ، واعتقدوا أنه سوف يضع حداً للمظالم الاستعمارية الروسية ، ولكن زعماء المسلمين رفضوا الايديولوجية الماركسية رغم أن الشيوعيين كانوا أول الأمر يخطبون ود المسلمين . ففي النداء الذي وجهه كل من لينين وستالين في نوفمبر سنة ١٩١٧م ، أكدوا فيه أن ثورتهم تكفل حرية العقيدة والمحافظة على عادات وتقاليد الشعوب الإسلامية ، ثم اتضح أن هذا النداء كان حبراً على ورق . وفي خضم هذه الأحداث ، عقد المسلمون مؤتمراً إسلامياً في موسكو في سنة ١٩١٧م ، وحضر المؤتمر حوالي ٩٠٠ مندوب كان من بينهم حوالي ٣٠٠ مندوب من علماء الدين . وكان هدف المؤتمر المطالبة بالاستقلال في الأمور الدينية ، وأن يتم تعيين المفتي

عن طريق الانتخابات لا عن طريق السلطات الروسية ، كما طالبوا بأن يكون للمسلمين إدارة رسمية ممثلة في المناطق الإسلامية . (بكر ، ١٩٨٨م ، ٢٩١)

لقد توالى الأحداث بعد قيام الثورة الشيوعية ، فدعا تاتارالقرم إلى عقد مؤتمر وطني في مدينة (سيمفروبول) ، انتخبوا خلاله لجنة تنفيذية مسلمة كانت نواة لحركة وطنية ، وفي شمال القفقاس ، دعا سكان الجبال من داغستان وشيشان وأنجوش وأوسيت وكابارد وغيرهم لإقامة نواة لحكومة وطنية ، وانتخبوا الشيخ نجم الدين ثوتسنسكي إماماً لهم ، وحاولوا استعادة أراضيهم الخصبة التي استولى عليها الروس . وفيما وراء القفقاس ، دعا المسلمون إلى استقلال بلادهم وطالبوا بمساعدة تركيا . وفي حوض الفولجا ، طالب تاتار وباشكير الفولجا بوحدة إسلامية ، وعقدوا مؤتمراً إسلامياً في قازان سنة ١٩١٧م ، وطالبوا بإنشاء مديرية وطنية للشؤون الإسلامية ، كما طالبوا بالاستقلال القومي الثقافي لأتراك روسيا سيبيريا ، وطالبوا بحقوق المسلمين الشرعية . (شتال ، ١٩٧٧م ، ١٢٥ - ١٣٥)

تنكيل السوفييت بالحركات الوطنية الإسلامية :

كانت أولى الخطوات لتحقيق القضاء على الحركات الوطنية الإسلامية ، صدور مرسوم عن مجلس مفوضي الشعب سنة ١٩١٨م يقضي استحداث مفوضية مركزية للشؤون الإسلامية ، وعُهد إليها "ببلشفة المسلمين" . وعلى أثر ذلك ، بدأت حكومة موسكو بشن حملات عسكرية شرسة على المناطق الإسلامية ، فدمروا طشقند وهاجموا تاتار الفولجا عندما أعلنوا تكوين دولة تاتارية باشكيرية . ووقعت أحداث دموية في باكو قتل فيها أكثر من ٣ آلاف مسلم ، وأنشأ السوفييت في سنة ١٩١٩م جمهورية الجبلين المستقلة ذاتياً من ٧ أقوام هم : الكابارد ، والكارتشاي ، الشيشان ، الإنجوش الشركس ،

الأوسيت، والبلكار، وهكذا فتتوا الجمهورية إلى مناطق ، وأصبحت هذه المقاطعات الإدارية تضم ٣ لغات قومية . كما شكلوا جمهورية داغستان ذاتية الحكم ، وأصبحت الصورة الإدارية والسياسية بعد تفتيت المسلمين إلى قوميات هي : (١) جمهورية الشيشان ذاتية الحكم تشكلت في سنة ١٩٢٢م وجمهورية الأنجوش في سنة ١٩٢٤م ثم تم دمجهما في سنة ١٩٣٤م . (٢) كاباردينو - بلكار ، أنشئت باسم مقاطعة كابارد المستقلة ذاتيا في سنة ١٩٢١م ، ثم ألحقت بها البلكار في سنة ١٩٣٦م . (٣) قسمت السلطات السوفيتية شعب الأوسيت بين وحدتين إداريتين ، جمهورية أوسيتا (أوستينا) الشمالية ، ومقاطعة أوسيت (أوستينا) الجنوبية ، وابتدعت لهما لغتين قوميتين ولم تنجح . (٤) جمهورية داغستان ذاتية الحكم وتضم ٢٠ جماعة مسلمة ، تنقسم إلى ٣ لغات هي : الإبروققازية والتركية والإيرانية ، ثم قرر زعماء السوفيت زيادة تفتيت شعب الداغستان ثقافيا، فمنحت داغستان إحدى عشرة لغة ، إمعاناً في تفتيت وحدة المسلمين الداغستانيين ولكي تسود اللغة الروسية . واتبعت السياسة نفسها في إقليم ماوراء القفقاس، والهدف واضح هو إذابة الشعوب الإسلامي . فالمتتبع لتعددا سنة ١٩٥٩م في الاتحاد السوفيتي السابق ومقارنته بتعداد سنة ١٩٣٩م وتعداد سنة ١٩٢٦م يرى اختفاء قوميات مسلمة مثل الأوراك (انراك) والتيتار والميشار والناغايان وجماعات ماوراء القفقاس ، مثل تاليشي . كل هذه الجماعات تلاشت عن طريق سياسة إذابة وتفتيت الشعوب الإسلامية . (شتال ، ١٩٧٧م ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٣٦٥)

سياسة السوفييت المعادية للإسلام :

شن السوفييت حرباً معلنة أحياناً ومستترة أحياناً أخرى على المسلمين ، والهدف هو القضاء على الإسلام وإبعاد المسلمين في الاتحاد السوفيتي عن

دينهم . فلقد واجه المسلمون الكثير من التحديات قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها ، ففي سنة ١٩٢٦ م ، ألغيت المحاكم الشرعية من المناطق الإسلامية . وفي سنة ١٩٤٦ م مُنعت جميع الأنشطة الدينية ، وتم القبض على مليون ونصف مليون من أعضاء الحركة الإسلامية بين سنتي ١٩٢٨ م و ١٩٣٢ م ، ثم بدأ السوفييت حملة إغلاق المساجد أو هدمها منذ سنة ١٩٢٩ م ، فأغلقوا وهدموا ١٠٠.٠٠٠ مسجد ، وأكثر من ١٤.٠٠٠ مدرسة قرآنية في أنحاء الاتحاد السوفيتي . (King Abdul Aziz, 1980, vol. 1, no. 2)

واستمرت سياسة السوفييت في محو شخصية الشعوب الإسلامية ، فاستخدمت الحروف اللاتينية في التعليم بدلاً من الحروف العربية في سنة ١٩٢٨ م ، ثم استخدمت الحروف الروسية منذ سنة ١٩٣٨ م ، ومعنى هذا إلغاء كل التراث الإسلامي الذي كتب بالحروف العربية . ولقد كان في مدينة قازان عاصمة تاتارستان جامعة إسلامية كانت تضم ٧ آلاف طالب قبل استيلاء السوفييت على الحكم ، وكان بها مطبعة أصدرت أعداداً هائلة من الكتب الإسلامية في سنة ١٩٠٢ م ، وكان بالأراضي الإسلامية قبل حكم السوفييت ٢٣ داراً إسلامية للنشر ، ٥١٨ صحيفة إسلامية و ١٩٦ مكتبة متخصصة في الإسلاميات ، واستمر السوفييت في سياسة التحدي ، فكان في روسيا القيصرية في سنة ١٩١٣ م ، ٢٦٠.٢٧٩ مسجداً . وفي سنة ١٩٤٢ م ، أعلنت جريدة الحرب السوفيتية أن عدد المساجد في الاتحاد السوفيتي ١٣١٢ مسجداً .

ويمكن حصر سياسة السوفييت في ٣ أدوار :

- ١ - دور الحركة "التكتيكية" ، التي اتصفت بالتسامح الظاهر واستغرق الفترة ١٩١٧ - ١٩٢٩ م .
- ٢ - دور الاضطهاد الوحشي للمسلمين ، واستغرق الفترة ١٩٢٩ - ١٩٤١ م .

٣ - دور انتهاز الفرص المواتية أو ما يسمى بالإلحاد العلمي كوسيلة للحرب ضد الإسلام ، حيث أعلن مؤتمر الحزب الشيوعي الحادي والعشرون في سنة ١٩٥٩م ، أنه يجب وضع حد للإسلام في الاتحاد السوفيتي .

وضع المسلمين بعد تفكك الاتحاد السوفيتي (السابق) :

شهد النصف الثاني من سنة ١٩٩١م تفكك الاتحاد السوفيتي (السابق) . ومنذ هذا التاريخ وقبله ، أخذت المشاكل الموروثة عن الاتحاد السوفيتي السابق تبرز في كيان الشعوب الإسلامية ، فبرزت مشكلة مسلمي القرم وهم من التتار المسلمين . فلقد ألغيت هذه الجمهورية بقرار من مجلس السوفييت الأعلى في سنة ١٩٤٣م بتهمة باطلة (التعاون مع الألمان في الحرب العالمية الثانية) ، ثم ألغى مجلس السوفييت الأعلى قراره السابق بقررا آخر يقضي ببراءة تتار القرم من تهمة الخيانة ، وللأسف جاء هذا بعد أن شرد السوفييت شعب القرم وأضيفت جمهوريتهم إلى أوكرانيا (حرب ، ١٩٩٣م ، ٦٠ ، ٦١) ، كما انعكس الميراث السوفيتي السابق على شعب الأبخاز المسلم داخل إقليمه الذي أهدته روسيا السوفيتية جمهورية جورجيا ، وثار شعب الأبخاز مُطالباً باستقلاله عن جورجيا ، وخاض حرباً دامية وقاتل بشراًة لنيل حريته . (حرب ، ١٩٩٣م ، ١٠٦ ، ١٠٥)

ومن ميراث الاتحاد السوفيني السابق مشكلة شعب الأبخسقا أو "المسكت" ، وهو شعب مسلم تعدادة حوالي نصف مليون نسمة فقد صدر قرار ستالين في أثناء الحرب العالمية الثانية بطرده من أرضه ، وهجر إلى أرضهم جورجان من جورجيا ، وشرد شعب الأبخسقا في وسط آسيا وسيبيريا ، وفي عام ١٩٦٨م ، أذنت السلطات السوفيتية للأبخسقا بالعودة إلى مناطقهم ، وكانت أعدادهم في سنة ١٩٨٩م ، ١٨٠.٠٠٠ نسمة في أوزبكستان ،

٣٠٠.٠٠٠ نسمة في قزاقستان ، ٧٥٠.٠٠٠ نسمة في تركمانستان ، ١٣٠.٠٠٠ نسمة في أذربيجان ، بالإضافة إلى أعداد أخرى مشردة في أنحاء مختلفة من سيبيريا . ووقعت مصادمات بينهم وبين الأوزبك في سنة ١٩٨٩م ، ويطالب شعب الأخسقا "المسكت" بعودته إلى أرضه في جورجيا . (حرب ، ١٩٩٣م ، ١٠٨ ، ١٠٩)

ومن ميراث الاتحاد السوفيتي السابق أيضاً ، مشكلة شعب التتار في تارستان ومطالبته بالاستقلال ، وذلك بعد مرور أربعة قرون ونصف على احتلال الروس لهم في عهد إيفان (الرهيب) ، حيث قتل الروس في عهده نحو ٣٠ ألف تتري عند الاستيلاء على تارستان . (حرب ، ١٩٩٣م ، ١٣٤).

• • • • •

التركيب العرقي للمسلمين

تنتمي الشعوب الإسلامية في روسيا الاتحادية إلى عدة مجموعات عرقية (Weeks, 1984, 203 - 205) على النحو الآتي :

- ١ - المجموعة التركية : تضم شعوب التتار والباشكير والقرم والأناضول والقرتشاي والوجاي والبلكار والكوميك والسوفاش . وتعد هذه المجموعة من أكبر المجموعات العرقية عدداً ، إذ تمثل ما يقرب من ٥٠٪ من إجمالي الشعوب الإسلامية في روسيا الاتحادية .
- ٢ - المجموعة الداغستانية : تضم شعوب داغستان والشيشان والكباردينا والإنجوش .
- ٣ - المجموعة القوقازية: تشمل شعوب الأبخار والشركس والاديغا والابازا.
- ٤ - المجموعة الفنلندية: تضم شعوب الأودمورت والماري والمروف والأورنبورج .
- ٥ - المجموعة الهندو - إيرانية : تشمل شعبي الأوستيا والأكراد .
- ٦ - المجموعة العربية: وهي تعد من أقل المجموعات الإثنية عدداً في روسيا الاتحادية .

توزيع المسلمين في جمهوريات ومقاطعات الحكم الذاتي

يتركز معظم المسلمين (٧٧٪) في روسيا الاتحادية في جمهوريات ومقاطعات الحكم الذاتي . ويستفاد من بيانات الجدول رقم (٥) ، أن جمهورية باشكير تعد من أكبر هذه الوحدات من حيث عدد المسلمين ، حيث تضم نحو

١٥٪ من إجمالي عدد المسلمين في روسيا الاتحادية (سنة ١٩٩١م). وييلي
باشكير من حيث هذه النسبة كل من جمهورية التتار (١٣٪) وداغستان
(١١٥٪) .

أما عن نسبة عدد المسلمين إلى إجمالي سكان هذه الوحدات ذاتية الحكم،
فإنها تصل إلى ٨٠٪ في داغستان ، ٦٦٪ في جمهورية شيشان - أنجوش،
وحوالي ٥٨٪ في جمهورية شوفاش .

• • • • •

جدول رقم (٥) سكان جمهوريات ومقاطعات الحكم الذاتي وعدد المسلمين فيها (١٩٩١م)

الوحدة	عدد السكان	عدد المسلمين
تتار	٤٢٥٠.٠٠٠	٢١٢٥.٠٠٠
بانتكير	٤٣٢٠.٠٠٠	٢٤١٩.٢٠
داغستان	٢٣٥٠.٠٠٠	١٨٨٠.٠٠٠
تشيان - أنجوش	١٧٥٠.٠٠٠	١١٥٥.٠٠٠
أودمورت	١٨٥٠.٠٠٠	٥٥٥.٠٠٠
مورد فيا	١١٥٠.٠٠٠	٥٧٥ .
شوفاش	١٣٣٦.٠٠٠	٧٧٤.٨٨٠
أوسيتيان الشمالية	٩١٩.٠٠٠	٥٠٥.٤٥
كابردين - بلكار	٧٦٠.٠٠٠	٤١٨ .
ماري	٩٥٨ .	٢٨٧.٤٠٠
أنجازيا	٧٥٠ .	٢٢٥.٠٠٠
أدهاريا	٤٥٠.٠٠٠	١٨٠.٠٠٠
قرنشاى - شركس	٤٥٠.٠٠٠	١٦٦.٥٠٠
أوديغا	٥٤٠.٠٠٠	١٦٢.٠٠٠
أوربرج	٢٣٠.٠٠٠	٨٠.٥٠٠
أسنرخان	٨٩٠.٠٠٠	٣٥٦.٠٠٠

المصدر :

- Paul, E. 1977, Geography of the U.S.S R, John Wily & Sons, New York
- Europa (B) 1996, The Europa Year-Book, vol. 11.
- Weeks, R , 1984, Muslim, Peoples : A World Ethnographic Survey, Green Wood Press, U.S.A .

توزيع المسلمين حسب الأقاليم الجغرافية

يتشتر المسلمون في معظم مناطق روسيا الاتحادية ، ويزداد تجمعهم بصفة خاصة في الأقاليم التالية :

١ - حوض نهر الفولجا حيث يتركز الوجود الإسلامي في جمهوريتي تاتارستان وباشكيرستان (وهما من الجمهوريات ذاتية الحكم) ، وفي مقاطعة أستراخان .

٢ - حوض فولجا - فياتكا Volga Vyatka جمهوريات ذاتية الحكم هي : ماري وشوفاش وموردوفيان .

٣ - شمال القوقاز " القفقاس " في جمهوريات ذاتية الحكم هي : داغستان و شيشان - إنجوش و كابردين - بلكار و قارتشاي - شركس و أوسيتيان الشمالية و مقاطعة أوديجا .

٤ - جبال أورال ، في جمهورية أودموتيا ذاتية الحكم وفي مقاطعة أورنبورج (شكالوف) .

٥ - سيبيريا الغربية .

٦ - جمهورية القرم السابقة .

أولا : المسلمون في حوض نهر الفولجا (شكل رقم ١٣) :

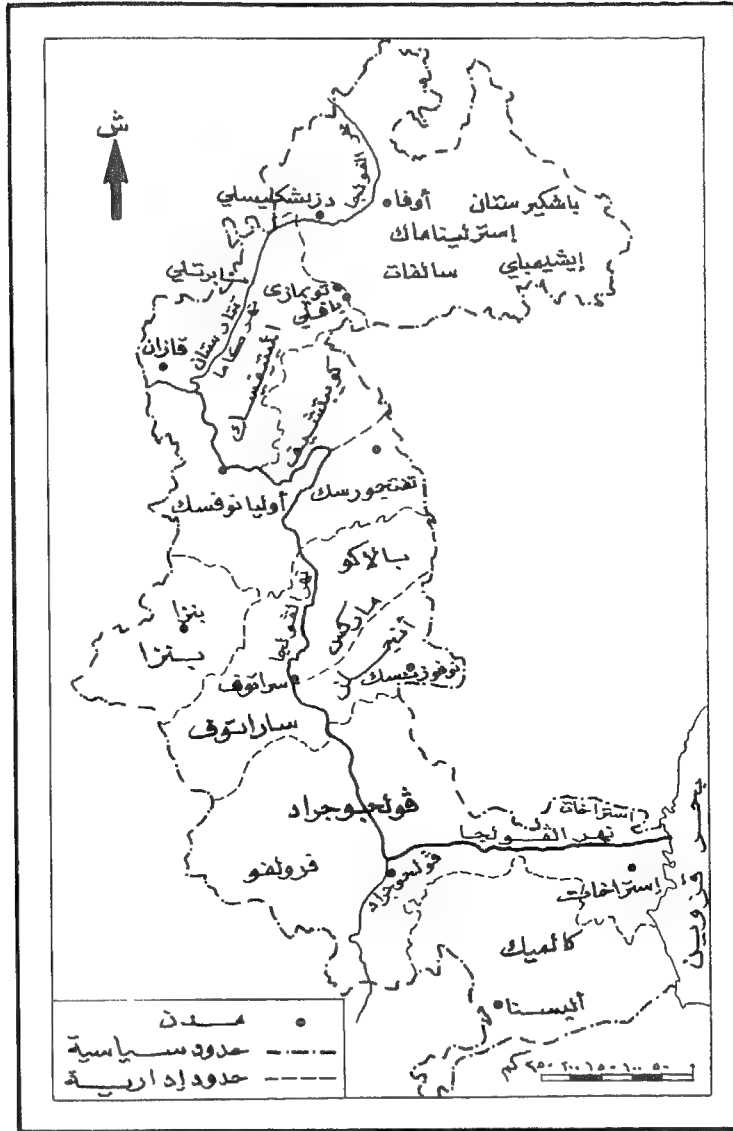
تحد حوض نهر الفولجا جبال أورال من الشرق ، وغربه إقليم " الفولجا - فياتكا " و"اتكا" ويمتد إلى المحيط المتجمد الشمالي وينفتح جنوبا على بحر قزوين حيث يصب نهر الفولجا . وتبلغ مساحته حوالي (٦٨٠.٠٠٠ كيلو متر مربع) ويشمل الوحدات السياسية والإدارية التالية : جمهورية تاتارستان (ذاتية الحكم) ، وجمهورية باشكيرستان (ذاتية الحكم) ، وجمهورية كالميك (ذاتية

الحكم) ، كما يشمل المقاطعات الإدارية : أسترخان وفولجا جراد وبنزا وكويبيتشيف وساراتوف وأوليانوفسك ، ووصل الإسلام إلى هذا الإقليمي مبكراً عن طريق التجار والدعاة ، ويتنشر المسلمون في معظم الوحدات الإدارية والسياسية بحوض نهر الفولجا ، ولكن الوجود الإسلامي يتركز في جمهوريات تاتارستان وباشكيرستان ومقاطعة أستراخان ، وذلك على النحو التالي :

١ - جمهورية تاتارستان : تقع في القطاع الشمالي الغربي من حوض الفولجا ، وتحدها باشكيرستان من الشرق وأدمورت وماري من الشمال والشمال الغربي ، واليانوفسك من الجنوب ، والشوفاش من الغرب ، وتبلغ مساحتها حوالي ٦٨٠٠٠ كيلو متر مربع وتجاوز سكانها ٤ ملايين نسمة ، بينما يبلغ عدد سكان العاصمة (قازان) ١١ مليون نسمة ، وهي تعتبر من المدن الإسلامية العريقة في روسيا ، وقد أعلنت جمهورية ذاتية الحكم في ظل الاتحاد السوفيتي السابق سنة ١٩٢٠ م . (Europa, (B), 1996, vol. 11, 2681)

وأرض تاتارستان سهلية منبسطة في جملتها ، تتخللها بعض المرتفعات المتناثرة بين جبال أورال في الشرق ، وتلال بنزا في الغرب ، وتلتقي بها روافد عديدة لنهر الفولجا - الذي يخترقها من الشمال إلى الجنوب ، وأبرز سماتها المناخية البرودة والتجمد في الشتاء ، حيث تهب عليها رياح باردة يتوقع هطول الجليد حوالي ١٥٤ يوماً سنوياً ، وتزداد الحرارة في الصيف وتذوب الثلوج ، ومعدل حرارة شهر يوليو في قازان (٢٠ درجة مئوية) ويناير (١٣ درجة مئوية تحت الصفر) . ويبلغ معدل الأمطار السنوية ٤٣٥ ملم . (Paul, 1977, 54 , 55).

ويشكل التتار أغلب سكانها حيث تصل نسبتهم حوالي ٥٠٪ من جملة السكان البالغ عددهم (٤٢٥٠٠٠٠ نسمة) ، وكانت نسبتهم في الماضي أكثر



شكل (١٣) الوحدات الإدارية والسياسية في حوض نهر القوقاز

المصدر:

Paul, E. Lydolph Geography of U.S.S.R , 1979

من ذلك . وقد عمدت السياسة السوفيتية إلى تهجير قوميات متعددة إلى تاتارستان ، وكان أبرزها الروس ، وجملة التتار في روسيا الاتحادية حوالي ٧ ملايين ، أغلبهم في جمهوريات حوض الفولجا ، وسيبيريا الغربية وشبه جزيرة القرم وفي خارج روسيا .

والزراعة حرفة أساسية فأراضيها خصبة ، ويتوافر الري من نهر الفولجا ، وأهم المحصولات القمح والشعير والشوفان والبنجر السكري ودوَّار الشمس والعديد من الخضر والفاكهة . والتعدين حرفة مهمة خصوصا النفط ، حيث يستخرج من منطقة نهر كاما . وكذلك يوجد الفحم ، وبعض المعادن الفلزية . وهناك العديد من الصناعات البترولية والبتروكيماوية والآلات الزراعية ومواد البناء ، وهي تتركز في العاصمة .

٢ - جمهورية باشكيرستان : جمهورية ذاتية الحكم ضمن روسيا الاتحادية ، تشكلت في وقت معاصر لتشكيل جمهورية تاتارستان (١٩٢٠م) ، وهي تقع في القسم الجنوبي الغربي من جبال أورال ، وتشمل قسما من حوض نهر الفولجا ، كانت تتبع إقليم أورال حتى سنة ١٩٧٠م ، حين أضيفت إلى إقليم حوض الفولجا . تحدها تاتارستان من الغرب وأورنبورج من الجنوب وجبال أورال من الشرق سيبيريا من الشمال الشرقي ، وهذا الموقع متوسط بين آسيا وأوروبا ، لهذا قام الباشكير بدور مهم في نشر الإسلام بين الشعوب المجاورة والعابرة بين القارتين .

وتبلغ مساحة باشكيرستان (١٤٣ر٦ ألف كيلو متر مربع) وعاصمتها أؤفا ، وأرضها تجمع بين المرتفعات والسهول ، فالقطاع الأوسط والشرقي جبلي ، بينما القسم الغربي سهلي يخترقه نهر كاما رافد الفولجا ، وتحقق المرتفعات بالسهول ، بينما تتفتح السهول على الغرب ، والمناخ متطرف بارد في الشتاء ،

ويتساقط الثلج لعدة شهور ، وفيه صفات كثيرة من مناخ تاتارستان ويسود الدفء في الصيف ، ومعدل الأمطار حوالي (٥٠٠ ملم) .

وبلغ سكان باشكيرستان سنة ١٩٩١م حوالي ٤٣ ملايين نسمة ، يشكل المسلمون منهم حوالي ٥٦٪ وأغلبهم من الباشكير والتتار ، ولقد قلّت نسبة المسلمين عن ذي قبل بسبب تهجير أعداد من الروس والقوميات الأخرى إلى باشكيرستان . ونتيجة المعاناة من سياسة السوفييت ، هاجر الباشكير إلى خارج أرضهم فنجدهم في أونبوج وقزاخستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزيا ، وغيرها . (Weeks, 1984, 81)

والزراعة حرفة مهمة ، وأهم الغلات القمح والشعير والشوفان والبنجر . والرعي حرفة أساسية عند الباشكير خصوصا في النطاق الشرقي ، حيث تربي الأغنام والأبقار . وللخيول الباشكيرية شهرة قديمة . وأبرز الثروات المعدنية ، الحديد والنحاس والنيكل والذهب ، كما يوجد النفط والفحم ، وتولّد الطاقة الكهربائية من الأنهار ، ولهذا نهضت بها صناعات متعددة .

٣ - مقاطعة أستراخان : توجد في دلتا نهر الفولجا إلى الشمال مباشرة من بحر قزوين ، وإلى شمالها مقاطعة فولجا جراد ، وفي جنوبها الغربي والغرب جمهورية كالميك ، وفي الشرق جمهورية كازاخستان ، وتبلغ مساحة المقاطعة ٤٤٠٠٠ كيلو متر مربع ، وعاصمتها أستراخان المدينة المشهورة في تاريخ مغول القبيلة الذهبية ، وكان اسمها السابق "الحاج تراخان" ، وسكانها حوالي ٥١٢٠٠٠ نسمة . (Paul, 1977, 51)

وأرض أستراخان تمتد على شكل شريط بين الشمال والجنوب على جانبي نهر الفولجا ، وأرضها بصفة عامة مستوية ، وتنخفض عن مستوى سطح البحر ، وتنتشر بها البحيرات ، وتكون من دلتا نهر الفولجا . ومناخ المقاطعة

شبه صحراوي متطرف ، بارد في الشتاء حيث تصل الحرارة إلى دون درجة التجمد، فمعدل حرارة يناير في أستراخان سبع درجات مئوية تحت الصفر ، والصيف حار ويصل معدل حرارة يوليو إلى ٣٥ درجة مئوية ، والأمطار قليلة لا يتجاوز معدلها السنوي ٢٠٠ ملم . (Paul, 19977, 56)

وسكانها يزيدون على مليون نسمة حالياً ثلثهم تقريباً من المسلمين وهم خليط من التتار والكالملك والروس وغيرهم ، والنشاط البشري يتمثل في الزراعة في دلتا الفولجا . غير أن حركة التجارة سمة قديمة لأستراخان، وقد استمدت هذا من موقعها على النهر، وأسس المغول أستراخان إلى جوار مدينة إتيل ببلاد الخزر . وحديثاً تنتعش تجارتها بسبب حركة النقل في الفولجا وقناة الفولجا - آلدن . ويتسخرج من أرضها العديد من المعادن اللافلزية ، مثل الأملاح والكبريت والنفط ، ونشطت بها الصناعة .

ثانيا : المسلمون في حوض فولجا - فياتكا Volga-Vyatka (شكل رقم

١٤)

يقع هذا الإقليم إلى شرق الإقليم المركزي ، ويعتبر امتداداً له نحو الجنوب الغربي ، والشمال الشرقي لحوض فولجا الأوسط ، وتنصرف مياهه إلى نهر فياتكا "واتكا" ، الذي ينتهي إلى نهر كاما أحد روافد نهر الفولجا . ويضم الإقليم ثلاث جمهوريات ذاتية الحكم هي ماري وموردفيا وشوفاش ، كما يضم مقاطعتي جوركي وكиров .

وتبلغ مساحة الإقليم حوالي (٢٦٣٠٠٠ كيلو متر مربع) ، ويعتبر ملتقى شعوب تركية قدمت إليه من وسط آسيا وشعوب فنلندية قدمت إليه من شمال غربي أوروبا . ويتركز الروس في مقاطعتي جوركي وكиров ، بينما ينتشر الفنلنديون في جمهورية ماري "ذاتية الكم" ويشكلون حوالي ٤٤٪ من

سكانها والروس ٤٣٪ . وفي جمهورية مورديا ذاتية الحكم ، يمثل المردوف ٣٥٪ من سكانها والروس ٥٩٪ . والشوفاش "جواش" في جمهورية شوفاشيا ذاتية الحكم يمثلون حوالي ٧٠٪ والروس ٢٥٪ من سكانها ، ويتنشر الإسلام بين شعوب ماري (شرميس) ، ومردوف والشوفاش . ويمكن إلقاء مزيد من الضوء على النحو التالي .

١ - جمهورية ماري : تقع في القطاع الأوسط من حوض الفولجا - فياتكا ، تحدها مقاطعة كيروف من الشمال ومقاطعة جوركي من الغرب ، وجمهورية الشوفاش من الجنوب ، وتارستان من الشرق ، ونبليغ مساحتها حوالي (٢٣٠٠٠ كيلو متر مربع) . وبلغ سكانها في سنة ١٩٩١م حوالي ٩٥٨ ألف نسمة ، وعاصمتها (بوشكار - أولا) وسكانها ٢٤٢٠٠٠ نسمة ، ويحتمل أن يكون عدد سكان ماري اقتررب من مليون نسمة ، وأعلنت جمهورية ذاتية الحكم في سنة ١٩٢٦م . (Europa (B), 1996, 2681) ويقدر عدد المسلمين في الجمهورية بحوالي ٣٠٠ ألف نسمة .

وأرضها منبسطة بوجه عام ، فهي امتداد لسهل شرقي أوروبا وتتخللها بعض البحيرات ، والمناخ شديد البرودة في فصل الشتاء ، وتتراكم الثلوج لفترة طويلة (٢٤٣ يوما) من السنة و الصيف دفيء ، المعدل السنوي للأمطار يقدر بحوالي (٥٠٠ ملم) .

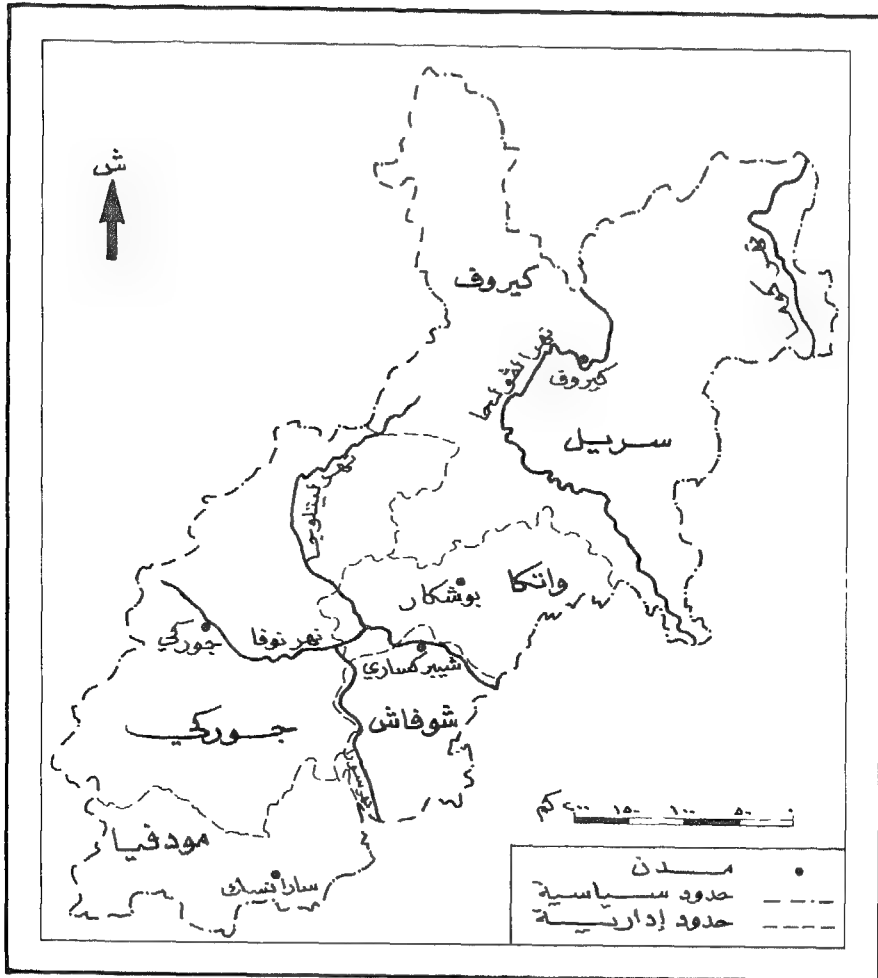
والماري هم من العناصر الفنلندية والنشاط البشري يتمثل في الزراعة ، فهناك العديد من مشروعات الري بالجمهورية حيث تعتبر ظهيراً زراعياً يمد منطقة موسكو بالمواد الغذائية ، غير أن الزراعة تقتصر على فصل الصيف . والحبوب من أهم المحاصيل ، حيث تشكل ٦٠٪ من المساحة الزراعية ، والبنجر السكري من أهم المحصولات الصناعية . وتغطي الغابات والحشائش

مساحة واسعة من الأرض. وتعتبر الثروة الحيوانية مجالا مكتملا للزراعة ، والثروة المعدنية محدودة وأغلبها خامات الجبس والأسمت ، كما يوجد النفط. والصناعة تشمل الآلات الزراعية والقوارب النهرية والأخشاب والورق.

٢ - جمهورية شوفاش : تقع ضمن حوض (فولجا - فياتكا) ، في شمالها جمهورية ماري ، وفي جنوبها الغربي جمهورية مورديان ، وفي غربها مقاطعة جوركي ، وفي شرقها جمهورية تارستان ، وتبلغ مساحتها (١٨٠٠٠ كيلو متر مربع) . وبلغ سكانها في سنة ١٩٩١م حوالي (١٣٣٦٠٠٠ نسمة) ، ويحتمل أن يكون عددهم حالياً حوالي مليون ونصف المليون نسمة ، ويشكل الشوفاش ٧٠٪ ، وعاصمتها شيبوكساري ، وسكانها حوالي نصف مليون نسمة ، وتحولت إلى جمهورية ذاتية الحكم في سنة ١٩٢٥م .

أرضها سهلية ، تنتشر بها التلال في الجنوب ، ويخترقها نهر الفولجا ، المناخ بارد في فصل الشتاء ، حيث تتساقط الثلوج لفترة طويلة (١٧٢ يوما في السنة) ، والصيف دفيء قصير ، والمعدل السنوي للمطر حوالي ٤٥٠ ملم.

ويشكل الشوفاش الغالبية العظمى من سكانها ، بينما يشكل الروس ٢٥٪ ، فضلا عن أقليات عرقية أخرى ضئيلة . وأغلب الشوفاش من المسلمين ، والزراعة من الحرف المهمة ، والمحصولات الغذائية أهم مايزرع خصوصا الحبوب وبنجر السكر والأعلاف . وتغطي الغابات والحشائش مساحة واسعة ، ومعظم المعادن لافلزية. وتنتشر صناعة الورق والآلات الزراعية والسكر ، ففي العاصمة توجد صناعة الآلات الكهربائية ، وآلات النسيج . (Paul, 1977, 43, 44)



شكل (١٤) الوحدات الإدارية والسياسية في حوض القولجا - فياتكا

المصدر:

Paul, E. Lydolph Geography of U.S.S.R., 1979.

٣ - جمهورية مورديان : توجد جنوبي حوض فولجا - فياتكا ، وتحدها جمهورية الشوفاش من الشمال ومقاطعة جوركي من الغرب ومقاطعة أوليا نوفسك من الشرق ومقاطعة بنزا من الجنوب ، وتبلغ مساحتها حوالي ٢٦٠٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ سكان عاصمتها سارانسك ٣١٢٠٠٠ نسمة ، ويحتمل أن يكون سكان الجمهورية قد فاقوا مليون نسمة . (Europa . (B), 1996, 2681)

وتظهر المرتفعات في القسم الشرقي منها حيث توجد تلال بنزا . أما القسم الجنوبي والغربي ، فسهلي يتراوح ارتفاعه بين ١٠٠ و ٢٠٠ متر ، وهو جزء من سهل شرقي أوروبا . والمناخ مشابه للمناخ السائد في حوض فولجا - فياتكا ، حيث الشتاء البارد وفيه تتراكم الثلوج لمدة طويلة (١٧٠ يوما سنوياً) والصيف دفيء . (Paul, 1977, 40, 41)

ويقدر عدد سكان مورديان بحوالي مليون نسمة ، يشكل الموردف حوالي ٣٥٪ منهم والروس حوالي ٥٩٪ والباقي أقليات عرقية محدودة . والموردف من العناصر الفنلندية ، ومعظمهم يعتنق الإسلام . والزراعة حرفة أساسية ، حيث تشتهر الجمهورية بإنتاج بنجر السكر . وتحتل المحاصيل الغذائية المرتبة الأولى بين المنتجات الزراعية ، هذا إلى جانب البطاطس والخضر . وتسود الغابات في القسم الشرقي من المرتفعات ، كما تنتشر الحشائش ولهذا تمارس حرفة الرعي وقطع الأخشاب . كما توجد بعض المعادن اللافلزية .

وتقدمت الصناعة بعد الحرب العالمية الثانية ، وتشمل صناعة السكر والأخشاب والورق والآلات الزراعية . وتشتهر العاصمة بصناعة الآلات الكهربائية وهي واحدة من أهم مناطق هذه الصناعة في روسيا الاتحادية .

ثالثا : المسلمون في إقليم شمال القوقاز (شكل رقم ١٥) .

يقع الإقليم جنوب السهل الأوروبي ، ويمتد من البحر الأسود غربا إلى بحر قزوين شرقا ، ومن نهر الدن الأدنى شمالا إلى سلاسل الجبال الرئيسة في القوقاز جنوبا ، وجملة مساحته ٣٥٥٠٠٠ كيلو متر مربع . ويجمع الإقليم العديد من أشكال التضاريس ، ففي الشمال تمتد السهول كجزء من السهل الأوروبي، ثم جبال القوقاز العالية في الجنوب وهناك السهول الساحلية على بحر قزوين في الشرق ، والبحر الأسود في الغرب ، وأبرز الأنهار المنصرفة إلى بحر قزوين، نهر ترك ونهر صولاق ونهر كوما . وإلى البحر الأسود ، ينصرف نهر كوبان، حيث يصب جنوب بحر آزوف ، ويجمع الإقليم العديد من الأعراق حيث السلالات : القوقازية و الهندو إيرانية و الداغستان والأتراك، ثم الروس الذين قدموا إلى الإقليم في ظل الاحتلال الروسي ، ويضم الإقليم جمهوريات ذاتية الحكم ومقاطعات تتمثل في جمهورية داغستان وجمهورية "شيشان - إنجوش" وجمهورية كاباردين - بنكار ، وجمهورية أوسيتان الشمالية. ويتركز المسلمون بهذه الجمهوريات وكذلك في مقاطعتي قارتشاي - شركس - وأديجا، و تتمتعان بحكم ذاتي ، ومن المقاطعات في هذا الإقليم ، كراسنودار - كاري ، سنافربول - كاري ، ورستوف (Paul, 1977, 235 - 237) ويمكن تفصيل ذلك علي النحو التالي :

١ - جمهورية داغستان : تكتب داغستان أو دغستان . واسم المنطقة ظاهرة لغوية فريدة ، فالمقطع الأول "داغ" لفظة تركية معناها الجبل ، والمقطع الثاني "ستان" لفظة فارسية تدل على "البلد" أي بلد الجبال . وترجع حدود الإقليم الحالية إلى كونه ولاية روسية تحددت في سنة ١٨٦٠م بعد قتال مرير بين الداغستان والروس (الشتناوي ، ١٩٣٣م ، ٩٨ ، ٩٩) .

وداغستان جزء من "الران" ، وهو قسم من إقليم أكبر أطلق عليه

الجغرافيون العرب اسم "الرحاب" . (أبو سعيد ، د.ت ، ١٤٩) .
وداغستان الآن جمهورية ذاتية الحكم بروسيا الاتحادية ، تبلغ
مساحتها ٥٠٣٠٠ كيلو متر مربع ، وقدر سكانها بحوالي ٢٣ مليوني
نسمة . (King Abdul Aziz, vol. XIIIm 1992)

وتقع داغستان شمال شرقي القوقاز ، وتطل على بحر قزوين من الشرق
وتشترك حدودها الغربية مع كل من جمهورية "الشيشان - إنجوش"
وجورجيا ، وحدودها الشمالية مع جمهورية كالملك ، والجنوبية مع أذربيجان .
تجمع أرض داغستان بين السهول الساحلية المطلة على بحر قزوين
ويخترقها نهر صولاك الذي ينبع من جبال القوقاز ، وفي القسم الشمالي منها
يوجد نهر ترك . والسهول الساحلية منخفضة ، أما القسم الجنوبي والغربي ،
فجبلية حيث مقدمات جبال القوقاز . ويتنوع مناخ داغستان ، فالقسم السهلي
الساحلي ترتفع حرارته في فصل الصيف ، في يوليو (٢٤ درجة مئوية) ودفيء
في الشتاء ، وعلى المرتفعات يسود مناخ بارد في الشتاء وتتساقط الثلوج ،
بينما المناخ معتدل في الصيف والأمطار متوسطة على السهول ، وغزيرة على
الجبال . (Paul, 1977, 238)

ويتكوّن السكان من الداغستانيين الذين يشكلون أكبر قطاع من سكان
الجمهورية ، ويتفرعون إلى الافار وليزجين ودارجين ولاك وتايساران وروتول
وتساخور وأجول . وهناك عناصر أخرى ، منهم الشيشان النوغاي والتات ،
ويشكل الروس حوالي ١٥٪ والشيشان حوالي ٣٪ والاذربيجان حوالي ٤٪
(Paul, 1977, 237) ويشكل المسلمون أكثر من ٨٠٪ من جملة السكان ،
حيث يقدر عددهم بحوالي مليونين ، وكانت نسبتهم في الماضي أكثر من



شكل (١٥) الوحدات الإدارية والسياسية في شمالي القوقاز

المصدر:

Paul, E. Lydolph Geography of U.S.S.R., 1979.

ذلك ، ولكن سياسة السوفييت أدت إلى تهجير العناصر الأخرى إلى داغستان . وفي داغستان العديد من اللغات وقد يصل عدد اللهجات فيها إلى حوالي ٣٦ لهجة ، وكانت تكتب بحروف عربية ، كما أنهم استخدموا اللغة العربية حتى منتصف القرن العشرين الميلادي . (العبودي، ١٩٩٣م ، ١٠ ، ١١ ، ١٢)

تشتهر داغستان بإنتاجها الزراعي والرعي ، وتمارس الزراعة في السهول الساحلية وعلى المدرجات الجبلية ، وهناك العديد من مشروعات الري ، وأهم المحاصيل القمح والشعير والذرة والشوفان ، هذا إلى جانب الفواكه والخضراوات ، وتمارس حرفة الرعي على المدرجات الجبلية ، ويوجد العديد من المعادن كما تولّد الطاقة الكهربائية من الأنهار ، والمنطقة قريبة من ينابيع النفط والغاز لهذا تقدمت الصناعة خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية . (Paul, 1977, 245 - 247)

٢ - جمهورية شيشان - إنجوش : يرجع اسم الشيشان إلى قرية تقع على نهر أرجون Argun حيث وقعت أول معركة بينهم وبين الروس في سنة ١٧٣٢م . وقد أطلق الاسم على القبائل المسلمة التي تعيش على الروافد الجنوبية لنهري سونجا وترك شمالي القوقاز . وتقع جمهورية شيشان - إنجوش في شمال شرق القوقاز ، تحدها جمهورية داغستان من الشرق ، وجمهورية أوسيتيان الشمالية من الغرب ، وجمهورية جورجيا من الجنوب ، وباقي أراضي روسيا الاتحادية من الشمال . وتبلغ مساحتها حوالي ١٩٠٠٠ كيلو متر مربع ، وسكانها حوالي ١٧٥٠٠٠٠ نسمة ، وأعلنت جمهورية ذاتية الحكم قبل الحرب العالمية الثانية ، ثم ألغيت بعد الحرب حيث اتهمهم السوفييت بالتعاون مع الألمان ، وشردوا أهلها ، ثم أعيدت بعد أن نفى مجلس السوفييت الأعلى عنهم تهمة التعاون في سنة ١٩٥٦م .

والقسم الشمالي من هذه الجمهورية سهلي ، والقسم الجنوبي جبلي ، حيث توجد سلاسل جبال القوقاز العظمي ، ويخترقها نهر ترك وروافده وأهمها نهر سونجا ، حيث العاصمة جروزني التي يسكنها حوالي نصف مليون نسمة ، ونهر أرجون ، وينتهي نهر ترك إلى بحر قزوين ، ويختلف المناخ في السهول عن الجبال فالصيف حار في المناطق السهلية بسبب هبوب هواء حار ، ومعدل حرارة شهر يوليو حوالي ٢٤ درجة مئوية ، وتقل على المرتفعات. وتسبب العواصف الرعدية سقوط الأمطار والشتاء بارد بسبب هبوب الكتل الهوائية الباردة ، ويصل معدل حرارة يناير إلى ما دون درجة التجمد ، بل تنخفض الحرارة إلى ست درجات مئوية تحت الصفر. وتلقى المنطقة أمطاراً تتراوح بين ٤٠٠ - ٥٠٠ ملم ، وتغطي الغابات سفوح الجبال ، بينما تغطي حشائش الاستبس السهول.

ويمثل الشيشان المسلمون حوالي ٤٨٪ من السكان وهم يتكونون من قبائل عديدة ، منها الميكيك Mickkik والايشيري Icheri والأوخ Kist والنازان Nazran وغيرهم كما يشكل الإنجوش أكثر من ١١٪ والداغستان حوالي ٢٪ . وكل هذه الجماعات مسلمة . (paul. 1977, 232) . وهناك جماعات أخرى مسلمة ولذلك تصل نسبة المسلمين في جمهورية (شيشان - إنجوش) حوالي ٦٦٪ وتصل نسبة الروس حوالي ٣٠٪ والباقي أقليات عرقية صغيرة .

وتعتبر الزراعة حرفة أساسية ، وأبرز المحصولات الحبوب ، مثل القمح والشعير والشوفان ، كما يزرع الأرز والكثير من الخضار والفاكهة ، وكذلك دوار الشمس. يضاف إلى الزراعة ، الثروة الحيوانية من الأغنام والماعز . وتتمتع المنطقة بثروة معدنية جيدة ، كما يوجد النفط في مناطق من الجمهورية ، خصوصاً حول جروزني ، وتوجد بها صناعة تكرير النفط والصناعات البتروكيماوية .

٣ - جمهورية كباردين - بلكار : توجد في القطاع الشمالي من القوقاز ، وتبلغ مساحتها حوالي ١٣ر٠٠٠ كيلو متر مربع ، وسكانها حوالي ٧٦٠٠٠٠ نسمة ، وعاصمتها نالشيك ويسكنها ٢٣٥ر٠٠٠ نسمة . وتحد كباردين - بلكار من الشمال مقاطعة "ستفاروبول - كراي" ، ومن الجنوب جمهورية جورجيا ، ومن الشرق جمهورية أوسينيان الشمالية ، ومن الغرب مقاطعة "قارتشاي - شركس" .

وأرضها شديدة التضرس حيث توجد أعلى جبال القوقاز ، وتشغل الحيز الأوسط منها ، وأقصى الشمال من الجمهورية ينتمي إلى سهول شمال القوقاز ، وتنبع منها بعض روافد نهر ترك . والمناخ بارد في الشتاء ، حيث تغطي الثلوج الدائمة بعض القمم الجبلية . والصيف معتدل الحرارة على السهول ، بارد على المرتفعات ، وتتلقى المنطقة أمطارا غزيرة في الصيف ، وتغطي الغابات السفوح المرتفعة ، كما تغطي الحشائش السفوح المنخفضة والسهول .

ويتكون سكان الجمهورية من الكابردينو ٤٦٪ والبلكار ٩٪ ، واللاوسيت ١٦٪ والإسلام دين معظم هذه الشعوب الثلاثة أي أن نسبة المسلمين بينهم تفوق ٥٥٪ . أما حصة الروس بين السكان فحوالي ٣٧٪ ، وكما يوجد بين سكانها أقليات أخرى . ويطلق على الكبارد اسم "القبرطاي" ويعيشون على المرتفعات ، وهم من الشركس الشرقيين حيث قسم الروس الشعب الشركسي إلى ثلاثة شعوب: الكباردينو في الشرق والشركس في الوسط والأديجا في الغرب . (Weeks, 1984, 204)

أما البلكار فهم أتراك لغة وينتمون إلى الأتراك الكييتشاك . ويحتمل أن يكون اسم البلكار مشتق من اسم البلغار القدامى ، وتربطهم صلات

بالقازتشي. ويحترف الكبارد الرعي وتربية الخيول والأغنام ، وخيولهم مشهورة باسم "كبارطي" في منطقة الشرق الأوسط وأوروبا ، وتنتشر بينهم صناعة الجلود، وتمارس الزراعة في القطاع الشمالي من الجمهورية ، وتوجد بعض الصناعات المعدنية بالعاصمة .

وقد انتشر بينهم الإسلام قبل سيطرة مغول القبيلة الذهبية على المنطقة ، ثم اتسع نطاق الانتشار في عهد المغول ، وزاد انتشار الدعوة الإسلامية في القرن الثامن عشر الميلادي . ويقدر عدد المسلمين بجمهورية كباردينو - بكارلار بحوالي نصف مليون نسمة حاليا . (Weeks, 1984, 205)

٤ - جمهورية أوسيتيان الشمالية (North Ossetian) : تقع شمالي القوقاز، تحدها جمهورية "شيشان - إنجوش" من الشرق والشمال الشرقي ، ومن الغرب جمهورية "كابردين - بكارلار" ومن الجنوب جمهورية جورجيا ، و أوسيتيان الشمالية ذاتية الحكم ، تبلغ مساحتها ٨٠٠٠ كيلو متر مربع وسكانها حوالي مليون نسمة وعاصمتها فلاديبكا فكار وتشغل موقعا استراتيجيا في وسط جبال القوقاز، على ممر كريستوفي . وقد تغير اسمها عدة مرات ، وسكانها حوالي ٣٠٠.٠٠٠ نسمة وتحولت إلى جمهورية ذاتية الحكم سنة ١٩٣٦م . (Europa (B), 1996, vol.II, 1281) ، ولقد عرفت هذه المنطقة باسم (اللان) عند الجغرافيين المسلمين . وأرضها جبلية حيث إنها توجد في وسط جبال القوقاز ذات القمم الشاهقة التي قطعتها الأنهار وتنبع منها روافد عديدة لنهر ترك، ومناخها بارد في الشتاء حيث تتساقط الثلوج وتغطي قمم الجبال لمدة طويلة ، وبعضها يغطيها الثلج الدائم ، وتصل الحرارة إلى دون مستوى التجمد، والصيف معدل على المرتفعات ومنتشر الغابات على السفوح . (Paul, 1977, 240)

ويشكل الأوسيتيان ٨٩٧٪ من سكانها والأنجوش ٣٣٪ والداغستان ٢١٪ والأرمن ٢٤٪ والجورجان ١٩٪ والأكرانيون ١٧٪ والروس ٣٦٥٪ (Paul, 1977, 237). ويعتبر الأوسيتيان من العناصر (الهندو - إيرانية) ويطلق عليهم (الإيرون). ولقد قسم الروس شعب الأوسيتيان إلى وحدتين إداريتين أوسيتيان الشمال ومقاطعة أوسيتيان الجنوبية التي ألحقها روسيا بجمهورية جورجيا. واسيتيان الشمالية بوجه عام فقيرة الموارد، وأبرز الحرف هي الزراعة المحدودة لظروف التضاريس والمناخ. وتغطي الغابات سفوح الجبال، وتنتشر بعض الصناعات المعدنية بالعاصمة. (Paul, 1977, 242)

٥ - مقاطعة قارتشاي - شركس : تقع في شمال القوقاز، تحدها جمهورية كابردين - بلكار من الشرق، ومقاطعة "كراسندور قراي" من الغرب حيث توجد ولاية الأديجا، وجمهورية جورجيا من الجنوب، وولاية "ستافروبول - قراي" من الشمال. وتبلغ مساحتها حوالي ١٤٠٠٠ كيلو متر مربع وسكانها حوالي نصف مليون نسمة، وعاصمتها شركسك وسكانها حوالي ١٣٠٠٠ نسمة.

وتعتبر أرض "قارتشاي - شركس" ضمن جبال القوقاز العظمى حيث منابع نهر كوبان ونهر كوما، ويتجه الأول ليصب في البحر الأسود، بينما يتجه الثاني ليصب في بحر قزوين، والمنطقة شديدة التضرس، ومناخها بارد في الشتاء. وقد تنخفض الحرارة إلى ما دون درجة التجمد لتصل إلى ١٢٤ درجة تحت الصفر المتوي، وتغطي الثلوج قمم الجبال في الشتاء وبعض القمم تغطي بالثلج الدائم، والصيف معتدل قد ترتفع فيه الحرارة إلى ٢١ درجة مئوية ومتوسط الأمطار السنوية ٧٤٥ ملم. (Paul, 1977, 242)

ويشكل القارتشاي حوالي ٢٨٪ من سكان المقاطعة والشركس ٩٪ والروس

حوالي ٤٧٪ ، وهناك عناصر أخرى . وينتشر الإسلام بين القارتشاي والشركس الذين يشكلون حوالي ٣٧٪ من سكان المقاطعة ، وبذلك يقدر عدد المسلمين بحوالي ١٦٦ ألف نسمة (Paul, 1977, 237). ولقد قتل عدد كبير من الشركس في الحروب الدامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي أثناء حرب القرم والوقواقز ، وهاجر عدد كبير منهم إلى الخارج ، ويقال إن عددهم في الخارج حوالي ٢ مليوني . والشركس ينقسمون إلى عدة قبائل ، كما ينتمي إليهم الأباز والأبخاز والأديج ، ويتشرون في مناطق أخرى خارج موطنهم في أبخازيا والأديجا ، وكابردين - بلكار ، ويشكل الرعي حرفة مهمة بينهم ، خصوصا رعي الخيول والأغنام ويشتهرون بالصناعات الجلدية ، وتمارس الزراعة في بعض المناطق . (Weeks, 1984, 204 - 207)

وقد وصلت الدعوة الإسلامية أثناء فتح بلاد الجورجان ، ثم في عهد خانات مغول القبيلة الذهبية ، وإزداد انتشار الإسلام في عهد الاتراك العثمانيين في القرن الثامن عشر الميلادي (Weeks, 1984, 205). ونتيجة لضغط الروس ، هاجر العديد من القارتشاي ، أما الذين يعيشون في روسيا فمعظمهم من مقاطعة (قارتشاي - شركس) والغالبية تحترف الرعي .

٦ - مقاطعة أديجا Adygei : مقاطعة ذاتية الحكم داخل مقاطعة "كرايسندور قراي" ، وضمن إقليم شمال القوقاز ، تحيط بها مقاطعة "كرايسندور قراي" من جميع الجهات . وتعتبر أديجا مقاطعة داخلية لا سواحل لها ، تبلغ مساحتها ٨٠٠٠ كيلو متر مربع وسكانها يقربون الآن من نصف مليون نسمة ، وعاصمتها مايكوب (١٥٠ ألف نسمة) . وقد سيطر الروس عليها بعد مؤتمر برلين ١٨٧٩م . وفي عهد السوفييت ، تأسست كمقاطعة في سنة ١٩٢٢م .

وتسود المرتفعات في جنوبها حيث توجد جبال القوقاز ، والقطاع الشمالي منها سهلي يمر فيه نهر كوبان الأدنى . ومناخها بارد في الشتاء ، وفي الصيف معتدل الحرارة ، وتسقط الأمطار بكميات غزيرة ، وتغطي الغابات مساحات واسعة من مرتفعاتها (Paul, 1977, 238, 242)

ويمثل الأديج حوالي ٢١٪ من سكان المقاطعة ، وهناك عناصر مسلمة أخرى تشكل حوالي ٧٪ ، ويشكل الروس أغلبية ٧١٪ ، والأديج من الشركس الغربيين . ويعمل الأديج في الزراعة في القسم الشمالي من المقاطعة ، حيث توجد أخصب الأراضي وحيث نهر كوبان ، كما يتشغلون برعي الأغنام والخيول في القسم الجنوبي ، وقد ظهر النفط في أرضهم في منطقة ميكوب ، ولهذا توجد الصناعات النفطية فيها . (Paul, 1977, 237)

رابعا : المسلمون في إقليم الأورال (شكل رقم ١٦) :

تمتد جبال أورال في اتجاه شمالي جنوبي ، من خليج خوي Khoy المتفرع من بحر "قارا" قرب دائرة عرض (٦٩° ٣٠') شمالا إلى الحدود الشمالية لجمهورية قزاخستان قرب دائرة عرض (٥٠° شمالا) . وتبلغ مساحة إقليم الأورال حوالي (٦٨٠٠٠٠ كيلو متر مربع) ، ويتكون من مقاطعتي سفرد لوفسك Sevedlovsk وشليابينسك Chelyabinsk على المنحدرات الشرقية بجبال أورال ومقاطعة برم Perm على المنحدرات الغربية ، ومقاطعة أورنبورج Orenburg التي تمتد بين الشرق والغرب في أقصى جنوبي الإقليم ، وجمهورية أودرمورت ذاتية الحكم غربي مقاطعة برم ، ويضم الإقليم مقاطعة كورجان Kurgan ومقاطعة كومي - برميك Kormi Permyak . وينتشر المسلمون في معظم أنحاء هذا الإقليم ، إلا أن تركزهم بصورة واضحة في جمهورية أودرمورت ذاتية الحكم ومقاطعة أورنبورج .

جمهورية أودمورت : تقع على الهضاب الغربية لجبال أورال ، تحدها جمهورية تتارستان من الجنوب وجمهورية ياشكيرستان من الجنوب الشرقي ، ومقاطعة برم من الشرق ، وباقي أراضي روسيا الاتحادية من الشمال والغرب ، وتبلغ مساحتها حوالي ٤٢١٠٠ كيلو متر مربع وكان سكانها في تعداد سنة ١٩٨٩م حوالي ١٦٠٠٠٠٠ نسمة ، والعاصمة إيزفسك (٦٣٥ ألف نسمة). وتعتبر أودمورت أقصى الأراضي التي وصلها الإسلام نحو الشمال في روسيا . (Europa, (B), 1996, vol. II, 2681)

وترتفع أرضها ناحية الشرق كمقدمات لجبال أورال ، والقسم الغربي سهلي ، وتنوع منها بعض روافد نهر الفولجا . ومناخها بارد في الشتاء حيث تنخفض درجات الحرارة إلى ما دون درجة التجمد ، وتكثر الثلوج فوق الأراضي مدة ١٧٦ يوماً سنوياً. والصيف معتدل، والأمطار غزيرة (٥٧٠ ملم).

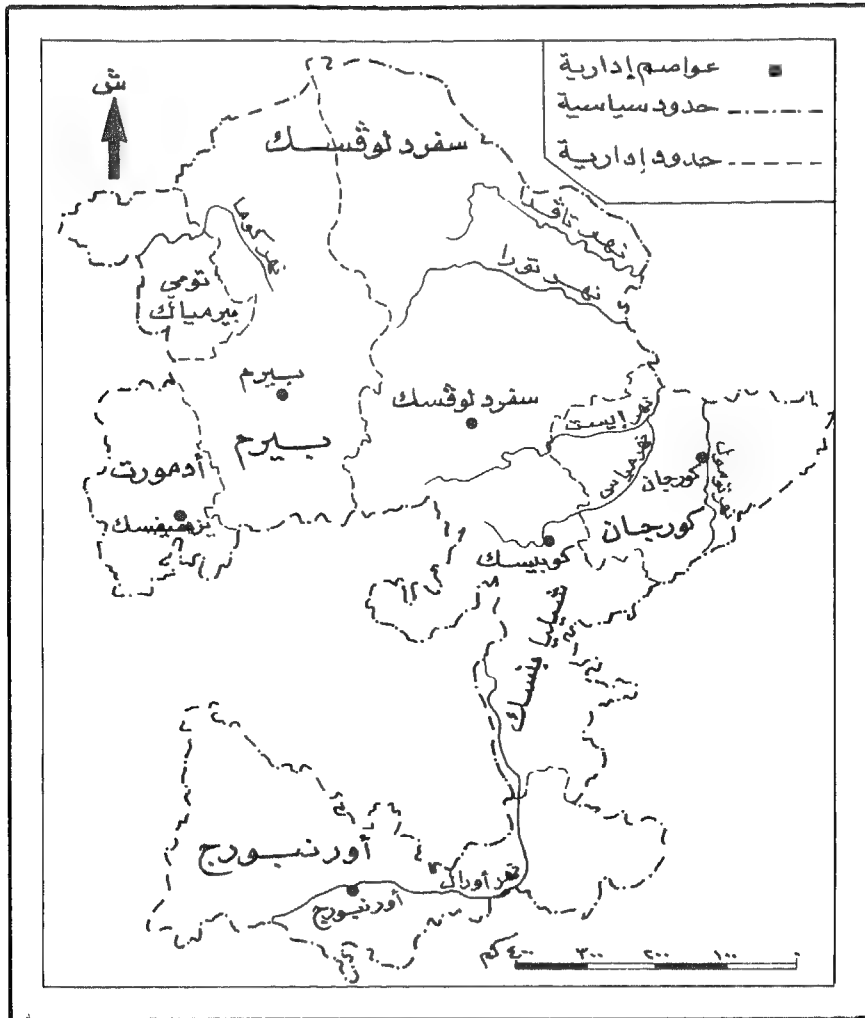
ويتكوّن السكان من العناصر الفنلندية ، مثل : الأودمورت والماري (الشرميس) ، كما يوجد التتار والباشكير والروس . ويتركز النشاط البشري في الزراعة والصناعة ، كما تربي الحيوانات وتنتشر في الشمال والغرب . أما الصناعة ، فتتركز في العاصمة حيث صناعة السيارات والدراجات الآلية وصناعة الحديد الصلب . (Paul, 1977, 220 230)

لقد احتلت روسيا القيصرية هذه المنطقة بعد سقوط خانية مغول قازان ، وبذلت هذه الخانية قبل سقوطها جهوداً جيدة في نشر الإسلام بين الشعوب المجاورة ، مثل الماري والأودمورت . وبعد احتلال روسيا القيصرية ، ظلت الدعوة الإسلامية تمارس بصورة سرية ، وقام بذلك الباشكير والتتار ، وصنف الروس الأودمورت والماري ضمن الشعوب الوثنية . ولما أعلنت قوانين حرية

التدين ، أعلن هؤلاء إسلامهم الذي ظل سرياً مدة طويلة وتقدر حصة المسلمين بأكثر من ثلث السكان ويقترب عددهم من نصف مليون نسمة .

ولاية أورنبورج : توجد جنوب غربي جبال أورال ، وفي الحوض الأوسط من نهر أورال ، تحدها باشكير ستان من الشمال ، وتتارستان من الشمال الغربي ، ومن الجنوب والشرق قزاخستان ، ومن الغرب باقي أراضي روسيا الاتحادية حيث مقاطعة كويتسيف . ولقد أقيمت أورنبورج للفصل بين مسلمي منطقة التركستان ومسلمي حوض نهر الفولجا ، وتبلغ مساحتها حوالي ٢٤٠٠٠ كيلو متر مربع ، ويقدر سكانها بحوالي ٢٥ مليوني نسمة ، والعاصمة أورنبورج شكالوف سابقا ، وسكانها حوالي ٥٥٦ ألف نسمة . وأطلق على المقاطعة شكالوف وكذلك على العاصمة منذ سنة ١٩٣٨ م ، ثم أعيد اسمها السابق أورنبورج في سنة ١٩٥٧ . (paul, 1977, 312 - 314)

• • • • •



شكل (١٦) الوحدات الإدارية والسياسية في إقليم أورا

المصدر:

Paul, E. Lydolph Geography of U.S.S.R., 1979

والقسم الشرقي من أونبورج مرتفع حيث مقدمات جبال أورال ، وفي القسم الغربي يسود المظهر السهلي ، ويخترق أرض المقاطعة نهر أورال من الشرق إلى الغرب ، وتقع عليه العاصمة أونبورج (شيكالوف) . والمناخ قاري بارد في الشتاء فمعدل حرارة يناير في أونبورج ١٥ درجة مئوية تحت الصفر المئوي ، ولذلك تتراكم الثلوج في الشتاء وتمكث فترة طويلة ، والصيف حار فقد يزيد معدل حرارة العاصمة في يوليو عن ٢٢ درجة مئوية ، والأمطار متوسطة الكمية . وتنمو الحشائش في مناطق متفرقة من الإقليم .

والسكان مزيج من عناصر مختلفة من الفنلنديين والتتار والباشكير ، والقزاك والروس ويتكون المسلمون من هذه العناصر ، وتصل حصة المسلمين حوالي ٨٠٠.٠٠٠ نسمة والزراعة حرفة أساسية في المقاطعة ، حيث تسود مشروعات الري على نهر أورال . وتزرع الحبوب خصوصاً القمح والشعير ، كما يزرع البنجر السكري والعديد من الخضر والفاكهة ، ويشكل الرعي حرفة مهمة بالمقاطعة ، وتوجد بعض المعادن والفحم والغاز ، لهذا نشطت الصناعة ، خصوصاً في العاصمة والتي تعتبر خامسة مدن إقليم الأورال . ويوجد الغاز بالمنطقة والعديد من الرواسب المعدنية ، لذلك نهضت صناعة تعبئة الغاز والصناعات المعدنية . (Paul, 1977, 220 - 222)

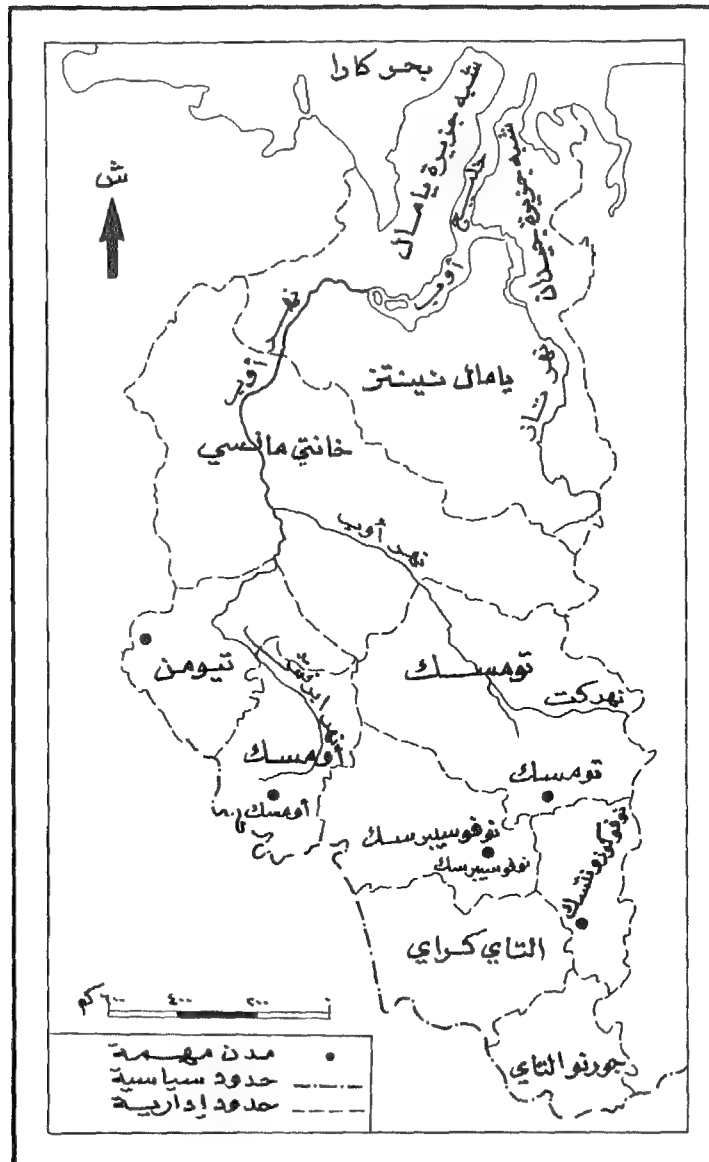
وقد وصلت الدعوة الإسلامية عن طريق التتار والقزاك ، وكانت المنطقة ممراً للشعوب المسلمة نحو شرقي أوروبا وخضعت لحكم مغول القبيلة الذهبية ، ولهذا تمكن الإسلام منها قبل استيلاء الروس على خانيات القبيلة الذهبية . وقد مرت بالظروف نفسها التي تعرضت لها المناطق الإسلامية في عهد روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتي السابق . وكانت مدينة أونبورج من أفضل المدن الإسلامية بروسيا ، حيث اشتهرت بطباعة الكتب والموسوعات الإسلامية .

وعقد بها المؤتمر الأول للمسلمين القرغيز والقزاك في سنة ١٩١٧م ، حيث ناقش الحكم الذاتي . وفي يوليو من العام نفسه ، عقد المؤتمر الإسلامي الثاني للقرغيز في أورنبورج أيضاً ، وناقش الوحدة الإسلامية ، ولقد نال المسلمون في أورنبورج الكثير من بطش الاتحاد السوفييتي السابق ، حيث هدمت المساجد وأغلقت المدارس .

خامسا : المسلمون في سيبيريا (شكل رقم ١٧) :

سيبيريا أكبر أقاليم العالم وتنقسم إلى سيبيريا الغربية وسيبيريا الشرقية (الشرق الأقصى) ، وينتشر المسلمون بصفة خاصة في سيبيريا الغربية التي تبلغ مساحتها حوالي ٢٤ مليوني كيلو متر مربع ، وهي تمتد من شرقي جبال أورال وشمال قزاخستان إلى نهر ينسي شرقا ، ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى هضاب شمال قزاخستان جنوبا ، وأخذت اسمها من مدينة تتارية صغيرة "سيبر" شرقي جبال الأورال ، وتنقسم إلى ٩ أقاليم إدارية .
(Paul, 1977, 367)

ويغلب المظهر السهلي على سيبيريا الغربية ، وتنحدر الأرض من الجنوب نحو الشمال ، ولهذا تنقسم أرضها إلى إقليمين جيمورفولوجيين ، سهول سيبيريا الغربية المنخفضة ، والمرتفعات الشمالية الغربية الممتدة من جبال التاي ، وتنصرف معظم أرضها المنخفضة إلى نهر أوب ، عبر روافده العديدة ، وينصرف إلى المحيط المتجمد الشمالي . والمناخ شديد البرودة في الشتاء ويختلف من منطقة إلى أخرى عبر هذه المساحة الشاسعة ، والمدى الفصلي كبير ، والثلوج تتراكم في الشتاء ، لهذا يسود فصل طويل من البرودة ، وتختلف درجات الحرارة من منطقة لأخرى ففي أومسك معدل حرارة يناير ٢٩ درجة مئوية تحت الصفر وأحيانا تصل الحرارة الدنيا إلى ٤٩ درجة مئوية تحت الصفر ، ومعدل



شكل (١٧) الوحدات الإدارية والسياسية في سيبيريا

المصدر:

Paul, E. Lydolph Geography of U.S.S.R., 1979.

حرارة يوليو ١٩٥٠ درجة مئوية ، لهذا تتمتع منطقتها بصيف قصير معتدل ، وفصل النمو النباتي لا يتجاوز ١١٥ يوما في السنة وتنخفض الحرارة إلى أقل من ذلك كلما اتجهنا شمالا ، وتتراوح كميات الأمطار السنوية بين ٣٠٠ و ٢٩٠ ملم ، والغطاء النباتي يتكوّن من نباتات التندرا وتمتد من الشمال حتى الدائرة القطبية ، ثم غابات التايجا التي تمتد حتى دائرة عرض ٥٦ شمالا ثم غابات مختلطة دون ذلك نحو الجنوب . (Paul, 1977, 335, 376)

قبل انتشار الروس في سيبيريا الغربية في القرن السابع عشر الميلادي ، سكنت سيبيريا الغربية عناصر الياقوت وتتار سيبيريا وعناصر من المانشو مثل إفنكز Evenks ولاموستز Lamusts ، وعناصر من أصول فنلندية مثل خانتي ومانسي ، وعناصر مغولية مثل بوريات Buryats وعناصر من الكوريك Koryak واليوكاغيز Yukaghirs والجيليك Gilyak . (Philip, 1991, vol. 28, 1025)

أما سكان سيبيريا الغربية حاليا بعد سيطرة روسيا القيصرية ، فإضافة إلى العناصر السابقة ، هجّرت روسيا القيصرية إجباريا أعدادا كبيرة من الشعوب التي قاومت حكم السوفييت ، خصوصا من الشعوب المسلمة ، مثل تتار القرم والشيشان والأنجوش والشركس والداغستان والياشكير وتتار الفولجا والكاليك ، كما هجّرت شعوبا أخرى اتهمهم السوفييت بالتعاون مع الألمان في الحرب العالمية الأولى ، يضاف إلى هذا ، هجرات الروس أنفسهم لتثبيت حكم الروس قياصرة وسوفييت ، لذلك نجد سكان سيبيريا الغربية خليط من الروس والأكرانيين والألمان والقازاخ والشوفاش والموردافيين . (Paul, 1977, 368)

والنشاط البشري متنوع ، والزراعة تمارس بعد فترة ذوبان الجليد ، ومساحة الأراضي الزراعية في سيبيريا الغربية تقدر بحوالي ٣٥ مليون هكتار ، ويزرع

القمح الربيعي ، ودوآرالشمس والحاصلات سريعة النمو . وتربى قطعان الماشية والأغنام ، وحوالي ثلث مساحة سيبيريا الغربية تغطيه الغابات ، فحوالي ١٢.٥٪ من احتياطي الأخشاب في روسيا يوجد في سيبيريا الغربية وإنتاجها السنوي من الأخشاب يقدر بحوالي ٣١ مليون متر مكعب . وتوجد في سيبيريا الغربية ثروة عظيمة من المعادن والفحم والنفط ، ففيها أكبر حقول احتياطي روسيا من الغاز والنفط ، وتنتشر الصناعة في المدن الكبرى بسيبيريا مثل نوفوسيبيرسك ، وأومسك ونوفوكوزنتسك وبارناول وتومسك . (Paul, 1977, 380 - 388)

لقد ظلت الدعوة الإسلامية تمارس بصورة سرية في سيبيريا في عهد روسيا القيصرية حتى صدرت قوانين حرية العبادة في مستهل القرن العشرين الميلادي، فزادت من حماس الانتشار . وفي عهد حكم السوفييت ، نفى الروس أعداداً كبيرة من الشعوب الإسلامية من حوض الفولجا ومن إقليم القوقاز خصوصا في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ويقال إن عددهم قارب مليون وثلث المليون نسمة . وقد زاد هذا النفي من دعم الإسلام في سيبيريا ، وليست هناك إحصاءات دقيقة عن عدد المسلمين في سيبيريا ، وإنما يقدر عددهم بأكثر من مليونين وسبعمائة ألف نسمة . (بكر ، ١٩٨٨م ، ٣٠٩ ، ٣١٠ .

سادسا : جمهورية القرم "سابقا" :

القرم في لغة التتار تعني "القلعة" ، ويطلق هذا الاسم على إقليم كبير كان يشتمل على حوالي ٤٠ بلدة ، واقتصر حاليا على شبه جزيرة القرم "كرش" التي تمتد من الياپس الأوروبي ، ويفصلها عن الساحل الشمالي الشرقي للبحر الأسود مضيق "كرش" . وتبلغ مساحة شبه الجزيرة ٢٧٠٠٠

كيلو متر مربع ، ويقع في شمالها الشرقي بحر آزوف ، وترتبط ببرزخ صغير باليابس الأوروبي من الشمال ، ويحيطها البحر الأسود من الغرب والجنوب والجنوب الشرقي ، ويتنازع كل من الروس والأكرانيين على شبه جزيرة القرم حالياً.

وتشغل السهول في شمالها حوالي ثلثي مساحتها ، وترتفع الأرض تدريجياً نحو الجنوب ، حيث تصل إلى سلاسل جبلية في أقصى الجنوب ، يصل ارتفاعها إلى ١٥٠٠ متر ، وأعلى قمة بها تصل إلى (١٥٤٥ متراً) ، وأطلق التتار المسلمون على الأرض المرتفعة اسم "يايلا" Yayla . وتنبع من جبالها أنهار صغيرة ، ومناخ القرم بارد في الشتاء حيث تغطي الثلوج كثيراً من قممها ، وتستمر طيلة الشتاء والربيع ، ومعدل حرارة مدينة "يالطا" على ساحلها الجنوبي في فبراير ٣٥ درجات مئوية ، وسجلت أقل درجة حرارة ١٥ درجة مئوية تحت الصفر المتوي ، والصيف معتدل ومعدل شهر يوليو ٢٣ درجة مئوية وتتلقى المنطقة أمطاراً غزيرة يبلغ معدلها السنوي ٥٦٠ ملم ، وتكسو الغابات معظم مرتفعاتها . (Paul, 1977, 134, 137)

وقد سكن التتار منطقة القرم في عهد اتساع دولة خانية مغول القسيلة الذهبية لاسيما في القرن الخامس عشر الميلادي ، وقويت شوكتهم ، فبسطوا نفوذهم على المناطق الواقعة شمال البحر الأسود . وبعد انقسام خانية دولة مغول القسيلة الذهبية ، تكونت خانية القرم وبسطت نفوذها على مساحة شاسعة من روسيا ، ثم استولى الروس عليها في عهد الامبراطورة كاترين الثانية ، وكان سكان القرم في هذه المرحلة حوالي ١٥ مليون نسمة في سنة ١٧٨٣ م . (حرب ، ١٩٩٣ م ، ٩٥) ، وهجرت كاترين الثانية إلى القرم أعداداً كبيرة من الروس والألمان (أطلق عليهم المان البحر الأسود) ، وبالمقابل هاجر

تتار القرم تحت ضغط الروس على مراحل مختلفة في عهد روسيا القيصرية ، وكذلك في عهد روسيا السوفيتية ، لهذا تغيرت البنية البشرية في القرم ، فأصبح أغلب سكانها من الروس والأكرانيين ، أما تتار القرم فمشردون داخل روسيا وخارجها. وفي خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين ، تحرك كثير من الروس والأكرانيين إلى القرم ، مستغلين تشريد شعب القرم قبل الحرب العالمية الأولى وبعد الحرب العالمية الثانية .

وأبرز أنشطة السكان هي الزراعة في السهول الشمالية ، وتزرع أصناف عديدة من الفاكهة خصوصا العنب والكمثرى، وبها العديد من المعادن مثل الحديد والمنجنيز والنحاس ، إلى جانب الفحم والنفط . (حرب ، ١٩٩٣ م ، ٩٠)

• • • • •

الإدارات الدينية

صدر أيام الاتحاد السوفيتي السابق تنظيم خاص بالإدارات الدينية الخاصة بالمسلمين وتم ذلك في سنة ١٩٤١م . وهو يعتبر تنظيمًا حكوميًا ، حيث يرتبط بوزارة الأديان في موسكو . وقسم الاتحاد السوفيتي السابق البلاد إلى أربعة مراكز أو إدارات دينية ، يرأس كل إدارة مفتٍ ، ويمثله مفوض في كل جمهورية وممثل عن وزارة الأديان ، وهذه المراكز هي :

١ - المركز الإسلامي لروسيا الأوروبية سيبيريا ، ومقره مدينة أوفاء عاصمة جمهورية باشكيرستان ، وتشمل صلاحياته مناطق المسلمين في إقليم حوض نهر الفولجا وإقليم أورال وسيبيريا ، ولغة المركز هي اللغة التتارية الغازانية .

٢ - المركز الإسلامي في شمال القوقاز وداغستان ، ويشمل جمهوريات شيشان - إنجوش ، وأوسيتيان الشمالية ، كاباردن - بلكار وداغستان ، ومقاطعات أديجا ، قارتشاي - شركس ، ومركزه محج قلعة .

٣ - المركز الإسلامي السني الشيعي لما وراء القوقاز ، ومركزه في باكو وتشمل صلاحياته أذربيجان وكذلك المناطق الإسلامية في جورجيا وأرمينيا ، ويسمى رئيسه بشيخ الإسلام . وبعد استقلال أذربيجان تغير الوضع . قزاقستان وأوزبكستان وقرغيزستان وتركمانستان وطاجيكستان ، وقد استقلت هذه الدول بشؤونها الإسلامية بعد انفصالها عن روسيا .

• • • • •

التعليم الإسلامي :

أولاً : قبل عهد السوفييت :

كانت هناك نهضة تعليمية شملت الشعوب الإسلامية ، خصوصا في بداية القرن العشرين الميلادي بعد صور قانون حرية العبادة في أواخر عهد روسيا القيصرية ، فظهرت نهضة تعليمية شاملة في مناطق الشعوب الإسلامية ، وتم إنشاء مدارس إسلامية حديثة في القرم وقازان (عاصمة تاتارستان) وأورنبورج وأوفا (عاصمة باشكيرستان) وداغستان وشيشان - إنجوش وأذربيجان ، وفي آسيا الوسطي . وبلغت الحركة التعليمية شأنا عظيماً ، ونهضت المدارس نوعاً وعدداً وارتفع مستوى التعليم خصوصا في قازان ، بل كان في روسيا القيصرية ٢٤٣٢١ مدرسة (المجلة ، ربيع الثاني ، ١٤٠٠هـ) ، وكانت الشعوب الإسلامية تكتب لغاتها بحروف عربية .

ثانياً : في عهد السوفييت :

بدأ السوفييت سياسة معادية للتعليم الإسلامي ، حيث عمموا استخدام الحروف اللاتينية بدلاً من العربية منذ سنة ١٩٢٨م ، ثم استبدلت بالحروف الروسية في سنة ١٩٣٨م ، وأصبحت الروسية لغة رسمية ، وأغلقت المدارس الإسلامية ، فتم غلق آلاف المدارس الابتدائية الإسلامية ، وحوالي ٥٠٠ مدرسة عليا ، ولم يتبق من هذه المدارس غير مدرستين في وسط آسيا ، هما مدرسة "ميرعرب" في بخاري ، ومدرسة "مبارك خان" في طشقند لتخريج حوالي ٥٠ طالبا كل عام ، وهكذا قضى السوفييت على التعليم الإسلامي .

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي واتباع سياسة التسامح مع الأديان ، بدأت تظهر بعض المؤسسات التعليمية الإسلامية ، كما عقدت مؤتمرات إسلامية

لتدارس أحوال المسلمين ، فافتتح معهد إسلامي في أوبا عاصمة باشكيرستان وكذلك معهد إسلامي في باكو عاصمة أذربيجان . ونشط المسلمون في بن المدارس الإسلامية والمساجد وعقد المؤتمرات الإسلامية العالمية التي حضرته وفود من العالم الإسلامي ، حيث قدمت المعونات المادية والعلمية وقد الانفتاح على العالم الإسلامي بعد غياب طالت مدته .

• • • • •

المساجد

بلغ عدد المساجد قبل حكم السوفييت حوالي ٢٦ ألف مسجد في سنة ١٩١٣م، لم يبق منها في سنة ١٩٤٢م إلا ١٣١٢ مسجداً ، وكذلك بدأت حركة تعمير المساجد في باشكيرستان بعد تفكك الاتحاد السوفييتي ، حيث بدأ مشروع بناء ٤٣ مسجداً حديثاً ، وهذا مثال لحركة تعمير المساجد في مناطق المسلمين بروسيا الاتحادية ، يضاف إلى هذا بناء المجمعات المدرسية والمراكز الإسلامية . (King Abdul Aziz, 1992, vol. XII)

• • • • •

خاتمة

يمكن تلخيص حاجة المسلمين بروسيا الاتحادية بعد تفكك الإتحاد السوفييتي ، وفي ظل ما يسمى بسياسة الانفتاح والتسامح مع الأديان ، بعدد من المتطلبات وأبرزها :

- ١ - الإسهام في إعادة تعمير المساجد والمدارس الإسلامية .
- ٢ - الحاجة الماسة إلى الدعاة لإصلاح مسار الدعوة بعد هذا الانقطاع الطويل (٧٠ سنة) ، مع ضرورة إجادة الدعاة لغات الشعوب الإسلامية أو اللغة الروسية .
- ٣ - الحاجة إلى الكتب الإسلامية بلغات الشعوب الإسلامية أو اللغة الروسية .
- ٤ - وضع منهج موحد للتعليم الإسلامي في المدارس الإسلامية .
- ٥ - الحاجة إلى مشروعات اقتصادية تعود على المجتمع الإسلامي بالربح الذي يشتغل في المشروعات الإسلامية ، مثل تقديم الوجبات الإسلامية الحلال ، وتنشيط العمل الاقتصادي باقامة مزارع أو التوسع في الاستثمار .
- ٦ - الحاجة إلى إعادة كتابة لغات الشعوب الإسلامية في روسيا بحروف عربية ، والتوسع في استخدامها بالمدارس الإسلامية .
- ٧ - محاربة الشعوذة والدجل والإلحاد .
- ٨ - ضرورة وجود حضور إسلامي شبه مستمر ، ممثلا في زيارات لأبرز الشخصيات الإسلامية من علماء الدين .

- ٩ - التعاون مع الإدارات الدينية بروسيا
- ١٠ - ضرورة دراسة أحوال المسلمين في البلدان التي خضعت للحكم الشيوعي .
- ١١ - التوعية الإسلامية، وتنشيط دور الإعلام الإسلامي .
- ١٢ - تقديم منح دراسية لأبناء المسلمين في هذا البلد .

• • • • •

المراجع

أولاً : المراجع العربية :

- أبو سعيد ، حامد غنيم (د.ت) ، انتشار الإسلام حول بحر قزوين ، دار الثقافة ، القاهرة .
- أبو العينين ، حسن سيد (١٩٧٩م) ، آسيا الموسمية وعالم المحيط الهادي ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية .
- أبو القاسم ، الموسوي (١٩٩١م) ، تاريخ الهند : ذكر سلاطين دكن البهمنية والقطبية والعادية وغيرهم ، تحقيق سليم محسن ، القاهرة .
- الحداد ، السيد (١٩٨٥م) ، مدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى ، عالم المعرفة ، القاهرة .
- الب ، تكين عيسى (١٩٧٨م) ، قضية التركستان الشرقية ، ترجمة إسماعيل حقي ، مؤسسة مكة المكرمة للطباعة والإعلام ، مكة المكرمة .
- أرامكو (الظهران) ، قافلة الزيت ، محرم ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- بكر ، سيد عبدالمجيد (١٩٨٨م) ، الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .
- بناء الصين (١٩٨٠م ، ١٩٨٣م) ، المسلمون في الصين من هم ؟ ، بكين
- تشولينغ (١٩٨٨م) ، القوميات المسلمة في الصين ، تعريب وجيه هواوي ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين .
- توماس ، أرنولد (١٩٧٠م) ، الدعوة إلى الإسلام ، تعريب حسن إبراهيم وآخرين ، دار النهضة المصرية ، القاهرة .

- حرب ، محمد (١٩٩٣م) ، المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان ، المركز المصري للدراسات العثمانية ، القاهرة .
- حمدان، جمال (١٩٧١م) ، العالم الإسلامي المعاصر ، عالم الكتب، القاهرة .
- حى ، بدر الدين (د.ت) ، تارسخ المسلمين في الصين ، بيروت .
- الدناصوري ، جمال وآخرون (١٩٧٠م) ، جغرافية العالم : دراسة إقليمية (آسيا وأوروبا) ، الأنجلو المصرية ، القاهرة .
- دار الفيصل الثقافية (١٤١٣هـ) (الرياض) ، الفيصل ، مجلة شهرية ، ربيع ١٤١٣هـ .
- الزوكة ، محمد (١٩٨٦م) ، آسيا دراسة في الجغرافية الإقليمية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .
- رابطة العالم الإسلامي (مكة المكرمة) ، العالم الإسلامي ، مجلة شهرية ، ربيع الأول ١٤١٥هـ ، محرم ١٤١٧هـ ، ربيع الثاني ١٤١٧هـ ، رمضان ١٤١٧هـ .
- رابطة العالم الإسلامي (مكة المكرمة) ، العالم الإسلامي ، مجلة أسبوعية ، ١١ شعبان ١٤١١هـ ، ١٣ ربيع الثاني ١٤١٢هـ ، ١٢ شوال ١٤١٥هـ ، ٢٧ ذي القعدة ١٤١٦هـ ، ٢٥ صفر ١٤١٦هـ ، ١٧ محرم ١٤١٧هـ ، ٤ جمادى الأولى ١٤١٧هـ ، ١ جمادى الآخر ١٤١٧هـ ، ١٢ شعبان ١٤١٧هـ .
- الساداتي ، أحمد (١٩٧٠م) ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- السمرائي ، صالح (١٩٩٠م) ، عن المسلمين في اليابان ، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ، جدة .

- شاكراً ، محمود (د.ت) ، العالم الإسلامي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- شتال ، طريه كلجي والكسندر بيتفس (١٩٧٧م) ، المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، تعريب حقي إحسان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- الشنتاوي ، أحمد وآخرون (١٩٣٣م) ، دائرة المعارف الإسلامية ، الأجزاء : ٤ - ٥ - ٩ - ١٤ - ١٥ ، القاهرة .
- اللواتي ، أبو محمد بن إبراهيم (١٩٨٥م) ، تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت .
- عبدالحليم ، رجب (د.ت) ، انتشار الإسلام بين المغول ، دار النهضة العربية ، القاهرة .
- عبدالقادر ، أحمد محمد (١٩٨٠م) ، المسلمون في الفيليبين ، الناشر العربي ، القاهرة .
- غلاب ، محمد وآخرون (١٩٧٩م) ، البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .
- فهمي ، نعيم (١٩٧٣) ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- المجلس الهندي للعلاقات الثقافية (١٩٥٠م و ١٩٦٢م) ، (دلهي) ، ثقافة الهند ، مجلة شهرية ، مارس ١٩٥٠ ، يناير ١٩٦٢م .
- محمد إسماعيل (١٩٥٧م) ، المسلمون في الاتحاد السوفيتي والصين ، دار زيني للطباعة والنشر ، القاهرة .
- معهد شؤون الأقليات المسلمة (١٣٩٨ و ١٣٩٩هـ) ، (جدة) ، نشرة معهد

شؤون الأقليات المسلمة ، صفر ١٣٩٨هـ ، ربيع الآخر ١٣٩٩هـ .

- مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر (١٩٨٦م) ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب ، القاهرة .

- موسى ، علي والحمادي ، محمد (د.ت) ، جغرافية القارات ، دار الفكر ، دمشق .

- مؤنس ، حسين (١٩٨٧م) ، أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة .

- النمر ، عبد المنعم (١٩٩١م) ، تاريخ الإسلام في الهند ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

- هويدي ، فهمي (١٩٨١م) ، الإسلام في الصين ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت .

- نوار ، عبدالعزيز (١٩٩١م) ، الشعوب الإسلامية (الأتراك ، العثمانيون ، الفرس ، مسلمو الهند) ، دار النهضة العربية ، القاهرة .

• • • • •

ثانيا : المراجع الأجنبية :

- Aguilar, C. (1991) ; Ethnic Ethnic Confluct and Palitical Development in Philippine, The Casse of Muslim Mindanao, Current World Leaders, 34,2.
- Americana Corporation (1976), The Encyclopedia Americana, New Tork, USA .
- The American Theological Library Assoviation, Journal :
Institute of Muslim Minarity Affairs, Chicago, USA. :
. Vol I, No. 2, 1979 .
. Vol II, No. 1, 1980 .
. Vol III, No. 2, 1981 .
. Vol XIV, No. 1, 1993 .
- Brice, W. (1981) ; An Historical Atlas of Islam, Leiden .
- Chung Chin (1981) ; An Outlin of Chines Geography, Foreign Languages Press, Beijin, China .
- Dauday, Eyo (1979), Muslim in the Philippines L An Economic Appraisal, Institute of Muslim Minority Affairs, King Abdul Aziz Univ, Jeddah .
- Europa Publication Limited, (1985) ; The far East and Australasia .
- Esposito, J. (1995) ; The Ozford Rncyclopedia of the Modern Islamic World , Oxford Univ, Press, New York, USA., vols. 2,3,4 .
- Europa Publications Limited, (1996) ; The far East and Australasia .

- Europa Publications Limited, (1993) ; The far East and Australasia .
- Europa Publications Limited, The Europa World Year Book :
 - . Vol. II, 1986 .
 - . Vol. I, 1992 .
 - . Vol. I, 1993 .
 - . Vol. I, 1996 .
 - . Vol. II, 1996 .
- Hafeez, M. (1993) ; Nationalism in India and Pakistan, Public Affairs Press, Washington DC .
- Famighettin R. (1996) ; The World Almanac and Book of Facts .
- Fitzgerald, A. & George, Y. (1984) ; Introducing China, Pits House, London .
- John, P. (1973) ; The Statesman's Year-Book, Macmillan Press, London .
- King Abdul Aziz Univ., Journal : Institute of Muslim Minority Affairs :
 - . Vol. I, No. 2, 1980 .
 - . Vol. III, No. 2, 1981 .
 - . Vol. VII, No. 1,2, 1986 .
 - . Vol. XII, No. 1,2, 1992 .
- The Korean Muslim Federation (1977), Facts about Islam in Korea .
- Muslim India, Monthly Journal of Reference, Research and

Documentation, New Delhi :

. August 1984 .

. September 1984 .

. November 1984 .

. March 1985 .

April 1997 .

- Oclopus Books Limited (1978); The New Encyclopedia of Eorld Geography, london .

- Paul, E. (1977) ; Geography pf USSR. , John Wiley & Sons, New York .

- Philip, W. (1991) ; The New Encyclopedia Britannica, Chicago, Vols : 16, 21 .

- Radiance (1992) ; Newsweekly, Vol. XXVII, No. 24, 5 - 11 April, New Delhi .

- Reza, Shah-Kazemi (1995) ; Crisis in Chechinia, Islamic World Report, Lonson .

- Weeks, R. (1984) ; Muslim Peaples A world Ethnographic Survey, Green Wood Press, USA .

- U.N. (1995) ; Popugation and Vital Statistics, Report Statistical Papers Series, Vol. XI - VII, No. 2 .

- wiley, J. (1984) ; Word Mark Encyclpedia of the Nationx Asia & Oceonia, New World Mark Press Ltd., New York .

فهرس الأشكال

م	العنوان	الصفحة
(١)	السلاسل الجبلية والأنهار الرئيسة في قارة آسيا	٧٩
(٢)	محاوّر انتشار الإسلام في قارة آسيا	٨٨
(٣)	أنهار شبه القارة الهندية - الباكستانية	٩٧
(٤)	الولايات الهندية	١٠٢
(٥)	محاوّر انتشار الإسلام على سواحل شبه القارة الهندية - الباكستانية	١٠٧
(٦)	نسبة المسلمين إلى إجمالي سكان الولايات والأقاليم الهندية	
	(١٤١١هـ/ ١٩٩١م)	١٢٧
(٧)	الأنهار الرئيسة في الصين	١٦٥
(٨)	أقصى توسع لدولة المغول في الصين	١٧٣
(٩)	التوزيع النسبي للمسلمين حسب المقاطعات الصينية عام ١٩٩٤م	٢٠٣
(١٠)	توزيع القوميات المسلمة في الصين	٢١٠
(١١)	أرخبيل جزر الفيليبين	٢٣٧
(١٢)	مناطق تركّز المسلمين في جنوبي الفيليبين	٢٥٦
(١٣)	الوحدات الإدارية والسياسية في حوض نهر الفولجا	٣١٠
(١٤)	الوحدات الإدارية والسياسية في حوض الفولجا - فياتكا	٣١٦
(١٥)	الوحدات الإدارية والسياسية في شمالي القوقاز	٣٢٠
(١٦)	الوحدات الإدارية والسياسية في إقليم أورال	٣٣٠
(١٧)	الوحدات الإدارية والسياسية في سيبيريا	٣٣٣

فهرس الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
(١)	الأقليات المسلمة في بعض الدول الآسيوية غير الإسلامية	٨٩
(٢)	المسلمون في الولايات والأقاليم الهندية حسب تعداد	
	(١٤١١هـ/١٩٩١م)	١٢٥
(٣)	عدد المساجد وتوزيعها حسب الولايات والأقاليم الهندية	
	(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)	١٤٧
(٤)	عدد المدارس والطلاب في مراحل التعليم العام (١٩٩١م)	٢٦٤
(٥)	سكان جمهوريات ومقاطعات الحكم الذاتي وعدد المسلمين	
	فيها (١٩٩١م)	٣٠٧

.

الأقليات المسلمة في قارة أفريقيا

الدكتور / تاج السراحمه حرّان

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣٥٧	فهرس الموضوعات
٣٥٩	خلفية جغرافية
٣٧٧	انتشار الإسلام في أفريقيا
٣٩٧	توزيع الأقليات وأعدادهم وأوضاعهم
٤١٣	النشاط التنظيمي
٤٢٥	الأقلية المسلمة في كينيا
٤٤٧	الأقلية المسلمة في الكونغو الديمقراطية (زائير سابقاً) ..
٤٦١	الأقلية المسلمة في غانا
٤٨٥	الأقلية المسلمة في جنوب أفريقيا
٥٠٩	المراجع
٥١٩	فهرس الأشكال
٥٢٠	فهرس الجداول

• • • • •

خلفية جغرافية

لما كان للبيئة الجغرافية في أفريقيا أثر واضح في الطريقة التي دخل بها الإسلام إلى القارة ، وعلى طريقة وطبيعة انتشاره فيها ، ثم على التوزيع الجغرافي للمسلمين في أرجائها المختلفة ، بل وعلى الظروف التي عاشها المسلمون الأفارقة ، وعلى المشاكل والتحديات التي يواجهونها اليوم ، لما كان لهذه الطبيعة الجغرافية كل هذا الأثر كان لابد من إعطاء نبذة مختصرة عنها .

أفريقيا ثاني أكبر القارات بعد قارة آسيا ، وهي قارة واسعة تغطي خمس مساحة اليابسة في العالم ، وتبلغ مساحتها ٣٠.٢١٧.٠٠٠ كيلو متر مربع ، أي ما يعادل ثلاث مرات مساحة أوروبا ، وتمتد من الشمال إلى الجنوب حوالي ثمانية آلاف كيلو متر ، وحوالي سبعة آلاف وثلثمائة وستين كيلو متر من الشرق إلى الغرب ، ويفصلها في الشمال البحر المتوسط عن أوروبا ، ولا تبعد سوى خمسة عشر كيلو متراً عنها عند مضيق جبل طارق ، وتتصل بقارة آسيا في الشمال الشرقي عبر شبه جزيرة سيناء ، وقد فصلت عنها عندما شقت قناة السويس ، كما يفصلها البحر الأحمر عن شبه الجزيرة العربية ، وقد أوجد هذا الموقع صلة وثيقة بين أفريقيا الشمالية وأوروبا وآسيا . ولكن الأجزاء الجنوبية ظلت مجهولة لوجود الحواجز الطبيعية التي أعاقَت الدخول إليها مثل الغابات الاستوائية الواسعة ، والمستنقعات ، والصحاري الشاسعة ، والأنهار كثيرة الشلالات والتي لا تصلح للملاحة إلا لمسافات قصيرة ، إضافة إلى مناخها المداري والاستوائي القاسي وقصر ساحلها بالنسبة لمساحتها ، وقلة تعاريج ذلك الساحل ، وقلة الرؤوس والخلجان ، وبالتالي قلة الموانئ الطبيعية الجيدة ، بالإضافة إلى انتشار الأراضي القاحلة فيها والتي تفوق كل أراضي القارات القاحلة (ماعدا أستراليا) ، (New Ency . Britannica , 1995)

(P. 37)

ذلك أن ظهير السواحل الأفريقية فقير ، وهي تؤدي إلى مناطق صحراوية أو شبه صحراوية ، أو غابات يصعب اختراقها . ومما قلل من المعرفة بأفريقيا أيضاً قلة الجزر القريبة من الساحل ، وهي قليلة وصغيرة باستثناء جزيرة مدغشقر ، وهي رغم اتساعها فإن تيار موزمبيق البحري جعلها منعزلة عن اليابس الأفريقي ، وحتى جزر زنجبار وبمبا ومافيا بعيدة عن الساحل مما قلل من قيمتها كمحطات اتصال (الجمل ، د. ت ، ص ٣) .

وفيما عدا بعض المنافذ مثل شبه جزيرة سيناء والبحر الأحمر فإنه توجد سلاسل من المرتفعات الضخمة ذات التعرج الوعر ، تقوم على ساحل القارة الضيق ، ذي المعالم الغامضة . تحف بشواطئه الحواجز الرملية ، ويملاً المرجان جوانبه ، كما أن النباتات المائية تزحم بعض أنهاره ، والحواجز الرملية تسد مصاب الأنهار ومساقطها ، كما هو الحال في أنهار السنغال ، والكونغو ، والنيجر ، والزمبيزي والنيل ، فتغلق أبواب الدخول إليها ، كل ذلك أدى إلى عزلة أفريقيا .

تتكون قارة أفريقيا - في مجموعها - من منخفضات تفصلها عن بعضها البعض هضاب ، فهناك مثلاً منخفضات تشاد وتبكتو ، ومنخفض الكونغو الذي يفصله عن المحيط الأطلسي جبال الكمرون والكرستال ، وهذا الوضع يفسر لنا العجز في القارة عن تصريف المياه ، فأكثر من نصف القارة لا منفذ له إلى البحر ، لأن المياه فيه تضيع في المنخفضات ، ولم تفلح في شق طريقها إلى المحيط إلا الأنهار الكبيرة (روكر، ١٩٨٦م ، ص ١٦) .

وتعتبر كل القارة هضبة ضخمة ، بل إنها تسمى في أحيان « بالقارة الهضبة » إذ إن عدة هضاب واسعة تغطيها ، تاركة منطقة ساحلية ضيقة عرضها حوالي ٣٠ كم في المتوسط ، ويسبأ ارتفاع هذه الهضبة الحاد من الجهات الساحلية الضيقة ، ويزداد علوها في الجهة الجنوبية الشرقية ، ثم يبدأ انحدارها نحو

الجهات الشمالية الشرقية . ويمكن تقسيم كل الهضبة إلى قسمين : القسم الجنوبي الشرقي ، والقسم الشمالي الغربي ، والذي يشمل الصحراء الكبرى ، وذلك الجزء من شمالي أفريقيا المعروف «بالمغرب» ، وبه منطقتان جبليتان هما سلسلة جبال الأطلس في شمال غربي القارة ، وأما الجزء الجنوبي الشرقي من الهضبة فيشمل الهضبة الأثيوبية ، وهضبة شرقي أفريقيا ، ويمتد ليشمل في شرقي جنوبي أفريقيا سلسلة دراكنبرج Drakenberg Range .

ولعل أهم سمة جيولوجية تميز القارة الأفريقية هو الأخدود شرقي أفريقيا والذي يقع بين خطي طول ٣٠ و ٤٠ شرقاً ، ويبدأ الأخدود في أطرافها الشمالية الشرقية ويمتد جنوباً من سواحل البحر الأحمر الأثيوبية إلى حوض نهر الزمبيزي (New Enc. Britanica, 1995 , P. 37) ، هذا الأخدود هو جزء من وادي الأخدود الأفريقي العظيم Great Rift Valley والذي هو عبارة عن تصدع في طبقات الأرض ممتد من غور نهر الأردن شمالاً إلى جهات موزمبيق جنوباً ، ماراً بالأراضي الأثيوبية المنخفضة ، وينقسم في أوغندا إلى قسمين ، وتتخلل غوره بحيرات « ملاوي » ، والبرت ، وإدوارد ، وتنجانيقا ، وهي بحيرات طويلة وضيقة وعميقة بسبب موقعها في غور هذا الأخدود ، ويميزه في أواسط كينيا المرتفعات والجبال الشاهقة ، والتي تعلو سطح الأرض ببضع آلاف من الأمتار (Academic American . Ency . 1981 , P. 137) .

وعلى غير حال القارات الأخرى ، فليس في أفريقيا سلسلة عظيمة من الجبال ، غير سلسلة جبال الأطلس ، وجبال شرقي أفريقيا . وتوجد جبال الأطلس في شمال غربي القارة ، وتمتد لأكثر من ٢٠٠٠ كيلو متر محاذية لساحل البحر المتوسط من ميناء أغادير في المغرب إلى العاصمة التونسية ، وترتفع قممها العالية لتفصل بين حوض البحر المتوسط في الشمال والصحراء في الجنوب مكونة بذلك

حاجزاً قد يعوق ولكنه لا يمنع الاتصال بين المنطقتين ، إذ عبره تمت هجرات بشرية عدة . وتبلغ أعلى قمم السلسلة عند جبل توبكال (Toubkal) والذي يبلغ ارتفاعه ٤١٦٥ متراً فوق سطح البحر ، وقد تعلو قمته طبقات الجليد . وتنحدر مياه الأمطار من سلسلة الجبال هذه مكونة بذلك نهيرات شديدة الانحدار ، وأودية عدة ، مثل الأودية الموجودة في المغرب .

وقد كانت هذه الجبال على مر عصور التاريخ ملاذاً للسكان الأصليين الهارين من الغزوات المتتالية على المنطقة ، وهناك عاش البربر محتفظين بلغاتهم ومعتقداتهم وتقاليدهم ، فهم حريصون على الإبقاء على هويتهم - وقد أسلموا فيما بعد ، ولعبوا دوراً مهماً في نشر الإسلام في الأجزاء الغربية من القارة .

أما جبال شرقي أفريقيا فتقع إلى الشرق من الأخدود ، وهي الآن قمم بركانية خامدة ، وتشمل جبال كينيا ، وتنزانيا ، وأوغندا ، وزائير ، ورواندا ، وبورندي ، ومنها سلسلة جبال الرونزوري Ruwenzori البركانية ، أو جبال القمر ، والتي تبلغ أعلى قممها أكثر من ٤٩٠٠ متر فوق سطح البحر ، ورغم قربها من خط الاستواء فإن طبقات الجليد تعلوها . وتمتد هذه السلسلة ما بين بحيرة إدوارد - وبحيرة البرت على الحدود الأوغندية - الزائيرية أو الكونغولية ، أما جبال فرونقا Virunga فتقع إلى الجنوب وتمتد على حدود أوغندا ، ورواندا وزائير (الكونغو) . وإلى الشمال من العاصمة الكينية نايروبي يقع جبل كينيا ، أما جبل الجون Elgon فيقع على الحدود الأوغندية - الكينية ، وهناك جبل "مرو" Meru في تنزانيا . أما جبل «كلمنجارو» الواقع على طول الحدود الشمالية التنزانية مع كينيا ، فهو أعلى جبال أفريقيا ، إذ يبلغ ارتفاع قمته ٥٨٩٥ متراً سطح البحر New Ency (Britannica , 1995 , PP73-79) .

وإلى جانب هذه الطبيعة الأرضية التي وقفت عائقاً وحاجزاً أمام القادمين إلى

أفريقيا من مكتشفين وغيرهم ، فهناك الغابات المدارية الكثيفة مثل غابة «أيتوري» Ituri الواقعة في الطرف الشمالي الشرقي من حوض نهر الكونغو في جمهورية الكونغو (راثير سابقاً) ، وهناك أيضاً الصحاري مثل صحراء كلهاري ، والتي هي عبارة عن سهل رملي منبسّط يشمل جزءاً من هضبة جنوبي أفريقيا ويشمل كل بوتسوانا لاند تقريباً ، والثلث الشرقي من ناميبيا ، والطرف الشمالي من إقليم رأس الرجاء الصالح . وهناك صحراء « ناميب » Namib والتي تمتد لمسافة ١٩٠٠ كم على ساحل المحيط الأطلسي ، من « ناميب » Namibe في أنجولا عبر ناميبيا وحتى نهر « أولفانتز » Olifants في إقليم الكاب في جنوب أفريقيا ، وكلمة « ناميب » تعني في لغة « الناما » (الأرض التي لا شيء فيها) إشارة إلى جذبها وقحولتها .

أما الصحراء الكبرى فهي أكبر صحاري العالم ، وتغطي معظم شمالي أفريقيا ، ويحدها غرباً المحيط الأطلسي ، وشمالاً جبال الأطلس والبحر المتوسط ، وشرقاً البحر الأحمر ، وجنوباً تلالاً رملية تقع على دائرة عرض ١٦ شمالاً ، وهي سهول وهضاب قاحلة تغطيها الرمال والصخور الجيرية ، وتتميز بمناخ جاف وشبه مداري في شمالها ، وجاف - مداري في جنوبها ورغم عظم مساحتها فيسكنها حوالي ٢٥ مليون نسمة فقط معظمهم من البربر والبدو ، ولعل أهم ما يميز هذه الصحراء مرور طرق تجارية عبرها. (New Ency . Britannica , 1995 , PP . 82-89) .

ومن سمات أفريقيا الجغرافية أنهارها وبحيراتها ذات الشهرة . والتي تفرغ القارة من مياهها ، وأهمها نهر النيل ، والذي يسميه البعض « أبو أنهار أفريقيا » ، وهو أطول نهر في العالم . إذ يبلغ طوله ٦٥٠٠ كم ويبدأ من بحيرة فيكتوريا ، ويجري شمالاً متخطياً ستة شلالات ليصب في البحر المتوسط . . . وهناك نهر

الكونغو ، وهو ثاني أطول نهر في أفريقيا بعد النيل ، طوله ٤٧٠٠ كم ، يبدأ في مرتفعات شمالي شرقي زامبيا بين بحيرتي تنجانيقا وملاوي (نياسا سابقاً) ، ويجري غرباً تغذيه روافد عدة مثل رافد أوبانغي Ubangi ، ويصب بانحدار شديد في المحيط الأطلسي ، ومن أهم أفرعه « لوالابا » Lualaba في إقليم شابا (كانتنقا سابقاً) ، وهو في الواقع فرعه الأساس . وهذه الأفرع الكثيرة هي التي تجعل منه نهراً من أصلح أنهار أفريقيا للملاحة ، رغمًا عن بعض الشلالات الموجودة في مجراه ، بخاصة في مجراه الأدنى . والأوروبيون هم الذين أطلقوا عليه اسم « زائير » في القرن الخامس عشر الميلادي وتعني في عدة لهجات أفريقية « النهر » ، وقد أطلق عليه اسم نهر الكونغو فيما بعد ، ثم سمي « زائير » ولكن الاسم الشائع الآن هو الكونغو .

أما نهر النيجر ، ثالث أنهار أفريقيا طولاً ، إذ يبلغ طوله ٤٢٠٠ كم وهو النهر الرئيس في غربي أفريقيا . وقد أطلقت عليه عدة أسماء على طول مجراه ، ومنبعه في أعالي غينيا ، على بعد حوالي ٢٤٠ كم فقط من المحيط الأطلسي ، ومن هناك يتجه شمالاً حيث تنصرف إليه أفرع أخرى مثل « باني » وهو أكبر أفرعه ، « ونيادان » ثم يدخل مالي على مقربة من عاصمتها باماكو ، ثم يدخل منطقة البحيرات ، حيث تعترض الملاحة فيه بعض المصاعب ، ولكنها تزول ، فيصبح صالحاً للملاحة مرة أخرى ، ويستمر كذلك حتى مصبه في خليج غينيا . وفي نيجريا يتصل به فرعه نهر « ادونا » - أحد أفرعه المهمة ، حيث يضيف إلى مياهه كمية كبيرة . وهناك نهر السنغال أحد أهم أنهار غربي أفريقيا .

رابع أنهار أفريقيا طولاً هو نهر الزمبيزي ، وطوله ٣٥٠٠ كم ويبدأ جريانه في جنوبي أراست أفريقيا ، حيث يتجه من هناك شرقاً ، متخطياً شلالات فيكتوريا البالغ ارتفاعها ١٠٨ متراً ، ثم يستمر في جريه جنوباً ليصب في المحيط الهندي .

أما نهر الأورانج ، فيبلغ طوله ٢٠٩٠ كم، وينساب من لوسوتو ليجري غرباً عبر جنوب أفريقيا، ثم ينتهي في المحيط الأطلسي بعد مروره على ناميبيا (جنوب غربي أفريقيا).

هذه الأنهار زائداً منطقة تجمع المياه في الداخل حول بحيرة فيكتوريا هي التي تفرغ أفريقيا من مياهها .

والشلالات ومساقط المياه السريعة موجودة بأعداد كبيرة في أفريقيا ، وقليل منها هو الذي يستفاد منه في توليد الطاقة الكهربائية ، رغمًا عن إمكانات بعضها الهائلة، مثل نهر الكونغو الذي يستأثر بحوالي ١٨٪ من طاقة العالم الهيدروكهربائية (Academic American Ency . 1981 1140-141 أيضاً) (New Ency . Britannica , 1995 , PP 92-98) .

والى جانب هذه الأنهار هناك بحيرات أفريقيا ، وأهمها المعروفة ببحيرات شرقي أفريقيا والتي يقع معظمها في نطاق الأخدود الأفريقي العظيم ، حيث في جنوبه تقع بحيرة « ملاوي » (نياسا سابقاً) ، وفي الغرب بحيرات تنجانيقا - وكيفو Kivu ، وإدوارد ، والبرت . وتنجانيقا هي أعمق البحيرات ، وذات مساحة تبلغ ٣٢٩٠٠ كيلو متر مربع ثم تأتي بحيرة « فيكتوريا » وهي أكبر البحيرات الأفريقية، إذ تبلغ مساحتها ٦٩٤٨٦ كيلو متر مربع . وتقتسم بحيرة فيكتوريا ثلاث دول هي: أوغندا، كينيا ، وتنزانيا . أما بحيرة « ركوا » Rukwa فتقع داخل حدود تنزانيا ، أما في الغرب فإن الحد الدولي الفاصل بين أوغندا وجمهورية الكونغو فيمر وسط بحيرة ألبرت، وهذا الحد الدولي نفسه يضع ثلثي بحيرة إدوارد في جمهورية الكونغو، والثلث الباقي في أوغندا . أما بحيرة « كيفو » فتقع بين رواندا وجمهورية الكونغو . وتقتسم مياه بحيرة تنجانيقا عدة دول هي : تنزانيا ، الكونغو ، بورندي، وزامبيا. وللاوي مياه أقليمية في بحيرة « ملاوي » ، كما أن

تنزانيا ترى أن لها حقاً في مياه تلك البحيرة .

وهناك أخيراً بحيرة تشاد التي تقع في المنطقة الساحلية من غربي وسط أفريقيا، وبالتحديد في المنطقة التي تربط بين أربعة دول هي : تشاد ، ونيجيريا ، والكمرون ، والنيجر ، وهي رابع أكبر بحيرة في أفريقيا إذ تبلغ مساحتها ١٧ر٨٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ ارتفاع مستوى الماء على سطحها ٢٨١ متراً فوق سطح البحر ، ومن ثمّ فهي ذات إمكانات هائلة لتوليد الطاقة الكهربائية ، كما أن منطقة البحيرة منطقة ذات آثار تاريخية ، وكانت ذات شأن في التجارة عبر الصحراء ، وارتباط بالممالك الأفريقية التي قامت هناك وفي غربي وأوسط أفريقيا . . وكثيراً ما تأتيها قبائل الهوسا والفلاني في هجراتهم الموسمية كما تسكن بعض القبائل العربية على جنباته (Academic American Ency ,1981,P.141) .

• • • • •

المناخ :

يتأثر مناخ القارة بعدة عوامل أهمها : الموقع الجغرافي حيث يمر خط الاستواء في وسطها ، ومدار السرطان في نصفها الشمالي ، ومدار الجدي في نصفها الجنوبي ، فمعظم القارة - الجزء الممتد بين دائرتي العرض ٢٣° شمالاً وجنوباً ، يقع بين هذين المدارين ، كما أن خط الاستواء يقطع القارة إلى نصفين تقريباً ، لكل نصف خواصه المناخية المميزة له . أما العامل الثاني المهم المؤثر في مناخها فهو امتداد القارة الواسع من الشرق إلى الغرب في نصفها الواقع شمال خط الاستواء ، وضيقها في الاتجاه نفسه في نصفها الواقع جنوبي ذلك الخط وهناك عامل أثر الرياح حيث توجد منطقة ضغط منخفضة في وسط القارة ، بالقرب من خط الاستواء تجذب إليها الرياح من منطقتي الضغط المرتفع قرب مداري السرطان والجدي ، وتعرف هذه الرياح الدائمة باسم الرياح التجارية الشمالية الشرقية ، والجنوبية الشرقية . وللتيارات البحرية أثرها البارز في مناخ القارة ، فهي تؤثر على مناخ السواحل ، حيث يجري تياران باردان فيلطفان درجات الحرارة ، أما في المحيط الهندي فيؤثر تيار الموزمبيق على ارتفاع درجات الحرارة والرطوبة معاً ، وللأماكن التي بها جبال ومرتفعات عالية طقسها الخاص بها ، والمتأثر بارتفاع تلك الجبال ، كما أن توزيع الأمطار يلعب دوره في تحديد مناخ القارة ، فتوزيع الأمطار يختلف من مكان إلى آخر . فالمناطق حول خليج غينيا في الغرب مثلاً تتلقى كمية كبيرة من الأمطار ، بينما يندر هطولها في المناطق الصحراوية . (روكر ، ١٩٨٧م ، ص ١٤٠) . فهطول الأمطار وكمياتها عامل مهم وراء الاختلافات المناخية في القارة ، في حين أن هطول الأمطار ذاته يعتمد على نوع خواص الكتل الهوائية المؤثرة في كل منطقة من مناطق القارة . ويمكن تقسيم القارة إلى ثمانية مناطق مناخية هي : الصحراوية الحارة ، وشبه القاحلة ، والمدارية الجافة الرطبة ، والاستوائية

(المدارية الرطبة) ، ثم منطقة البحر المتوسط . والرطوبة شبه المدارية ، وأراضي المرتفعات المعتدلة المناخ ، وأخيراً المناطق الجبلية- وتكفي الإشارة هنا إلى مثال واحد وهو أن المناطق الصحراوية الحارة هي التي تشمل الصحراء الكبرى ، وصحراء كلهاري ، والتي تكون دائماً تحت تأثير الكتل الهوائية القارية المدارية ، كما أن المناطق الاستوائية والمدارية هي أكثر المناطق أمطاراً ، أما المناطق الجبلية ذات الطقس المعتدل أو البارد في بعض الأحيان فهي مثل مناطق أثيوبيا الجبلية . New Ency (Britannica , 1995 , PP 49-66) .

ومناخ القارة حار ورطب عموماً على طول خط الاستواء ، ومعتدل في شماليها وشماليها الغربي أي في المنطقة المعروفة بمناخ البحر المتوسط . والمناخ كذلك معتدل في جنوبي القارة ، قرب رأس الرجاء الصالح ، وكذلك فوق العديد من هضابها الداخلية العالية . . والفروق بين مناطق القارة المناخية المختلفة هي فروق تدريجية وليست فجائية ، وذلك بسبب غياب السلاسل الجبلية الضخمة ، وانعدام الحواجز المناخية الرئيسة ، والتي قد تعوق انسياب الهواء المداري .

ويبقى القول أن الحزام المناخي الذي تحده دائرتا العرض ٥° شمال وجنوب على كلا خط الاستواء يتميز بحرارته ورطوبته طيلة العام ، وبأمطاره الغزيرة التي قد تصل إلى ٢٥٣٠ ملم سنوياً ، أما الحزام الواقع بين دائرتي العرض ٥ - ١٥ درجة شمال وجنوب خط الاستواء فدفئ وذو أمطار غزيرة في الموسم الذي تكون فيه الشمس مرتفعة ، من ناحية أخرى فإن المنطقة بين دائرتي العرض ١٥ و ٣٠ درجة شمال وجنوب خط الاستواء فتسودها الصحاري ، حيث يكون النهار حاراً والليل بارداً ، والأمطار حوالي ٢٥٥ ملم سنوياً ، وربما تمر عدة أعوام دون هطول للأمطار . وتقع في هذه المنطقة الصحراء الكبرى ، وصحراء « ناميب » وصحراء « كلهاري » ، أما المنطقة الواقعة بعد دائرة العرض ٣٠° شمال خط الاستواء وجنوبه

فذاث شتاء ممطر معتدل ، وصيف دافئ جاف .

وتتفاوت درجات الحرارة في القارة ما بين ٢٥ درجة مئوية على خط الاستواء ، إلى ٣٧ درجة مئوية في المناطق الصحراوية ، لكنها تنخفض إلى ١٠ درجات مئوية في الأطراف الشمالية والجنوبية ، (Academic American Ency , 1981 , PP141-142) .

• • • • •

السكان وأنماط الحياة

المقولة السائدة اليوم هي أن أفريقيا كانت مهداً للإنسان الأول ، فالحفريات الأثرية تشير إلى أن القارة كانت مسكناً للبشر منذ فترة تزيد عن الأربعة ملايين عام ، وأن آثار الحياة البشرية قد اكتشفت فيها ، وأنها شهدت مولد أقدم الحضارات الإنسانية والتي قامت في مصر على ضفاف النيل في حوالي عام ٣١٠٠ ق.م . واستمرت حتى عام ٣٣٢ ق.م ، وذلك حينما سيطر عليها الإسكندر الأكبر ، كما أن الفينيقيين أقاموا حضارة لهم في « قرطاجنة » في القرن التاسع قبل الميلاد (New Ency . Britannica , 1995 , PP 60-61) .

كان لعوامل المناخ وعوامل أخرى أثرها في نمط الاستقرار البشري في القارة ، ففي الوقت الذي ظلت تزدحم فيه بعض الأماكن بالسكان منذ فجر التاريخ ، فإن المناطق الصحراوية في شمالي القارة وفي جنوبها الغربي لا تشجع على الاستيطان ولهذا يأنف السكان من استيطانها ، كما أن عوامل المناخ المداري والاستوائي ، ووجود المناطق الموبوءة بالأمراض ، ومناطق الغابات الاستوائية والسدود والمستنقعات ، حدت من توطن السكان لمناطق معينة ، وركزتهم في مناطق أخرى ، ومن ثم وعلى الرغم من أن قارة أفريقيا هي ثاني أكبر قارات العالم ، فإن سكانها سكونون حوالي ١٠٪ فقط من مجموع سكان العالم ، مورعين على خمس أراضيها .

وسكان القارة الأصليون هم الزنوج السود ، وقد جرت عدة محاولات لتقسيم سكانها على أسس عرقية أو ثقافية ، ولعل السائد من تلك التقسيمات هو تقسيم القارة إلى مناطق أساسية هي :

١ - أفريقيا الشمالية .

٢ - أفريقيا الغربية .

٣ - وسط أفريقيا الغربي .

٤ - شرقي أفريقيا .

٥ - ووسط وجنوبي أفريقيا .

وربما أضيفت إلى تلك التقسيمات منطقة جزيرة مدغشقر ، والتي تكون منطقة ثقافية قائمة بذاتها . ولكل من هذه المناطق سماتها العرقية ، ولغاتها ، وسماتها الثقافية . فالبربر هم الفئة الغالبة من سكان الشمالي الأفريقي ، ولكنهم اختلطوا فيما بعد بالعنصر العربي ، وتأثروا بلغته وحضارته ، وهناك عرب الشوا يعيشون جنبا إلى جنب مع البربر ، أما منطقة الغرب الأفريقي فهي ذات تباين عرقي وثقافي واضح ، ففيها قبائل الماندي ، وقبائل الفولاني ، والهوسا ، والايو ، واليوروبا ، والاشانتي (غانا) ، والوولت وغيرهم . وتوجد بعض هذه القبائل في منطقة وسط السودان الغربي ، والتي هي في الواقع امتداد جغرافي لمنطقة غربي أفريقيا وهي تشمل تشاد ، وجمهورية أفريقيا الوسطى ، وكافة دول نطاق السودان . ثم هناك منطقة حوض نهر الكونغو ، وهي أيضاً ذات تباين عرقي ، فالعرب موجودون في شمالها ، والقبائل المتحدثون باللغات السودانية في جنوبها . بينما ينتشر الأقزام في الكونغو والجابون . كذلك الحال بالنسبة لشرقي أفريقيا ، وبها المناطق الأثيوبية والصومالية بكل سماتها اللغوية والثقافية ، فهناك قبائل الأرومو ، والجالا ، والصومال في القرن الأفريقي ، والأمهرة ، والبكري والتغراي وغيرهم في أماكن مختلفة من أثيوبيا وكل هذا جعل سكان القارة يتحدثون بحوالي ألف لغة بعضها غير مكتوب .

لقد شهدت القارة الأفريقية عدة هجرات سكانية عبر عصورها التاريخية، هجرات داخلية وهجرات من خارجها إلى الداخل ، ومن داخلها إلى الخارج مما شكل حركة سكانية مستمرة . ومن تلك الهجرات هجرات مجموعات البانتو في الداخل، والتي شملت معظم أجزاء القارة جنوب خط الاستواء ، وكانت بسبب الانفجار السكاني الذي شهدته تلك المنطقة . أما الهجرات الخارجية الآتية إلى القارة فهي هجرات المستوطنين الأوروبيين إلى شمالها ، وهجراتهم وهجرات الأسبويين إلى جنوبيها، وأجزاء من شرقيها . فقد بدأت هجرات الهولنديين إلى جنوب القارة في أواسط القرن السابع عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري) ، كما شهد ذلك القرن نفسه مجيء البريطانيين إلى natal ، ثم إلى الداخل ، إلى زامبيا وزمبابوي الحالية، وكذلك إلى مرتفعات شرقي أفريقيا ، كما استقر البرتغاليون في أنجولا وموزمبيق، والألمان في ما يعرف اليوم بناميبيا . وقد أدى استقرار تلك العناصر الأوروبية إلى كثير من عدم الاستقرار في تلك المناطق ، وإلى صدام مسلح كانت نتيجته شعور بالمرارة وسَمَ علاقات الأوروبيين بالسكان المحليين .

أما الهجرات من القارة إلى خارجها ، فشملت ترحيل الملايين من أبناء غربي أفريقيا، وإلى حد ما من أنجولا ، إلى الأمريكتين ، وإلى منطقة الكاريبي خلال فترة القرون ١٦-١٩ الميلادية ، والتي شهدت ازدهار تجارة الرقيق . ويقدر عدد من رُحِّلوا بحوالي ١٠-١٥ مليون نسمة كان لهم الفضل في بناء العالم الجديد ، وكان لفقدان أفريقيا لهم آثار سلبية كبيرة عليها .

وتجدر الإشارة إلى أنه من كل تلك العناصر المهاجرة التي استوطنت أفريقيا ، فالعنصر العربي هو الذي ترك آثاراً واضحة وبقاوية ، فقد حمل معه الإسلام إلى أصقاع عدة من القارة ، فنشروه في شماليها ومن هناك امتد إلى جنوبي الصحراء ، ومنها إلى غربي القارة ، وقبل ذلك إلى شرقيها وأجزاء من أواسطها . New Ency . Britannica , 1995 , P. 37 and 62) .

كما أن الحروب والصراعات والمجاعات والجفاف التي أصابت وتصيب القارة بين حين وآخر ، أدت إلى حدوث حركة هجرة ولجوء داخلها ، كالألاجئين الصوماليين والأثيوبيين والأريتريين والسودانيين ، وكحركة اللجوء الضخمة التي تشهدها منطقة وسط البحيرات ، كبورندي ، ورواندا ، والكونغو ، وتنزانيا . كما أن هناك حركة عبور للحدود مستمرة ، مثل عبور كثير من القبائل التي تعيش في بلدين متجاورين ، فالحدود لا تعني خطوطاً فاصلة لمثل هذه القبائل . وهناك أيضاً هجرة العمالة من بلدان فقيرة إلى بلدان أخرى تتوافر فيها فرص العمل ، كهجرة العمال من البلدان المجاورة لجنوب أفريقيا إلى مواطن العمل هناك . مضافاً إلى ذلك ، فإننا كثيراً ما نسمع عن تهجير أجانب أفريقيين من بلد أفريقي هاجروا إليه واستقروا فيه إلى مواطنهم الأصلية ، مثل الذي حدث في غانا سنة ١٩٦٩م عندما طرد العديد من الأجانب الوافدين قسراً إلى أوطانهم ، ذلك أن الاستعمار قسم القارة الأفريقية إلى وحدات سياسية صغيرة ، ذات حدود مفتعلة ، وتداخل عرقي واضح ، الأمر الذي أدى إلى كثير من المشكلات الحدودية بين البلدان الأفريقية المستقلة ، وأدى كذلك إلى حدود ظاهرة الدول الكبرى ذات الكثافة السكانية القليلة ، إذ تتفاوت كثافة السكان في القارة من بلد إلى آخر . وأكثر المناطق كثافة للسكان هي المجاورة للبحيرات ، وعلى أحواض الأنهار ، كنهر النيل والنيجر ، وعلى السواحل الشمالية والغربية للقارة ، وعلى المرتفعات ، في حين أن أقلها كثافة هي المناطق الصحراوية ، ومناطق السافانا . ونسبة المواليد والوفيات تعد من أعلى النسب في العالم ، حيث يتزايد السكان بنسبة ٣٪ في العام ، وهي زيادة في معظمها في أواسط العناصر الشابة .

وتعتبر الزراعة أهم الموارد التي يعتمد عليها الأفريقيون في معيشتهم فحوالي ٦٠٪ يعملون بالزراعة ، ولكنها زراعة تقوم غالباً على الطرق والوسائل البدائية ،

وتكوّن الزراعة معظم الناتج الوطني المحلي لمعظم البلدان الأفريقية ، وتسهم بحوالي ٣٠ - ٦٠٪ من ذلك الناتج - كما أن حوالي ٣٠٪ من الصادرات يأتي من المحصولات النقدية ، ولكن الأراضي المزروعة فعلاً حوالي ٦٪ فقط من جملة الأراضي الصالحة للزراعة ، ومن ثمّ فإن الإنتاج الزراعي قليل ولا يوازي الزيادة السكانية (New Ency Britannica , 1995 , PP. 62 - 64) .

وفيما عدا جنوبي وشمالي أفريقيا ، والتي لها أنظمة انتاج متنوعة ، فإن اقتصاد معظم بلدان القارة اقتصاد متخلف ، وقد ظل ذلك الاقتصاد رراعياً رغم إمكانيات القارة الهائلة . فالقارة غنية بثرواتها المعدنية ، وبها أكبر مخزون من المواد الخام، كالذهب ، والفوسفات ، والمنجنيز ، والكوبالت ، والماس ، واليورانيوم، والحديد، والنحاس ، والمروميت والبوتاس والملح ، بل إن بها عدداً من الدول المنتجة للبترول، كالجائر ، وليبيا ، ومصر ، ونيجيريا ، والجاون . ويقابل هذه الثروات ثروات طبيعية أخرى ، مثل الغابات الاستوائية في وسطها ، وحيواناتها البرية في أجزائها الشرقية والجنوبية .

على الرغم من أن النشاط الاقتصادي الأساس في أفريقيا هو الزراعة، إلا أن خصوبة الأراضي منخفضة بشكل عام، فيما عدا حول شواطئ بعض الأنهار، كنهر النيل بفرعيه الأبيض والأزرق، ونهر جوبا في الصومال، والزمبيزي في موزمبيق، ونهر السنغال في غربي أفريقيا، كما أن هناك بعض الأراضي الخصبة في هضبة الترانسفال في جنوب أفريقيا، وكذلك في مرتفعات كينيا والكمرون، ولكن تبقى الحقيقة أن ثلث أراضي القارة قليلة الخصوبة، مثل أراضي الصحراء الكبرى، وأراضي صحراء ناميب، والتي هي أراضٍ رملية وصخرية وجيرية، كما أن وسائل الزراعة القائمة على تنظيف الأرض بحرق الحشائش، إضافة إلى إنهاك الأرض بكثرة الرعي، أدت إلى تدهور الطبقة الحشيشية، والغابات. ومن ثم إلى تزايد

عملية التصحر حيث بدأت الصحراء تزحف على مناطق عدة من أفريقيا (Academic American Ency, 1981 , P.P. 140 - 141)، أيضاً (روكر، ١٩٨٦م، ص ١٥).

ولأن الزراعة هي المورد الأساس الذي يعتمد عليه الأفريقيون ، فقد كان نمط استقرارهم هو السائد في الريف في القرى والداكر المختلفة ، ولم تنتشر وتوسع المدن الكبيرة في أفريقيا إلا في هذا القرن العشرين الميلادي . أما المدن التي عرفتها القارة قبل مقدم الاستعمار عليها فقد كانت المدن القائمة على ضفاف نهر النيل ، وعلى سواحل البحر المتوسط في شمالها وفي أجزاء من غربي القارة . وبعض تلك المدن ضارب في القدم مثل الإسكندرية ، وفاس ، وتمبكتو ، وكانو ، وغيرها من مدن القرون الوسطى وكذلك مالندي ومباسا . . أما المدن التي أقامها الاستعمار فقد أقامها لتكون عواصم ومراكز إدارية له ، مثل جوهانسبرج ، لوساكا ، وهراري ، وكنشاسا ، ونايروبي ، ولاجوس . وقد بدأت ظاهرة التحول من حياة الريف -والتي كانت هي الغالبة - إلى حياة الحضر والمدن في أواسط هذا القرن العشرين الميلادي ، فبعد أن كان ١٥٪ من السكان الأفريقيين يعيشون في المدن في سنة ١٩٥٠م رادت نسبتهم إلى ٣٥٪ في عام ١٩٩٠م ، وهي في ازدياد مضطرد .

(New Ency Britannica , 1995 , P. 63)

وقد ظلت أفريقيا قارة مجهولة تماماً بالنسبة للأوروبيين إلى بضع مئات خلت من السنين، لا سيما مناطقها الجنوبية والوسطى، واقتصرت معلوماتهم على بعض المناطق الساحلية المتاخمة للبحر المتوسط، ثم توغل بعض الأوروبيين في المناطق الواقعة جنوبي الصحراء الكبرى، وهدفهم هو البحث عن الذهب. كان ذلك في القرن الخامس عشر الميلادي، ثم بدأت طلائع الغزو الأوروبي للقارة بمجيء البرتغاليين في القرن السادس عشر الميلادي، ثم تطور بهم الأمر إلى ممارسة تجارة

الرقيق التي بدأها الأسبان والبرتغاليون ثم تبعهم البريطانيون والفرنسيون والهولنديون، ثم أخذت المطامع الأوروبية تطل على القارة تحت مختلف العلل والأسباب، فجاءها التجار والمنصرون والجنود والمستعمرون، وتقاسمت أوروبا معظم أجزاء أفريقيا، وببداية القرن العشرين الميلادي كانت سيطرة أوروبا تامة على أفريقيا، فكان هناك البريطانيون والفرنسيون والبرتغاليون والأسبان والألمان والبلجيكيون والهولنديون والإيطاليون.

شهدت نهاية الحرب العالمية الأولى ظهور حركات الاستقلال في أفريقيا، وفي بداية ثمانينات هذا القرن الميلادي كان هناك أكثر من خمسين دولة أفريقية مستقلة، ولكن الاستعمار رحل بعد أن خلف في أفريقيا مشاكل الفقر والتخلف، وبذر بذور الشقاق والصراع بين أعراقها ودولها، فترك بلاداً ذات حدود مصطنعة بل ذات كيانات وهويات مزيفة، وترك أكثريات وأقليات دينية وعرقية وثقافية مازال الصراع محتدماً بينها، إلى جانب مشكلات التنمية والتطور والتي مازالت تثقل كاهل الحكومات الأفريقية الوطنية المختلفة .

• • • • •

انتشار الإسلام في أفريقيا

أفريقيا قارة متباينة الأديان، والأعراق واللغات والثقافات، وهي أول منطقة خارج الحجاز يصلها الإسلام، حيث وطئت أقدام أصحاب رسول الله ﷺ أرض الحبشه عام خمس من البعثة (انظر: علي أبو بكر: معالم الهجرتين إلى أرض الحبشه، ١٤١٣هـ، ص ٢٤٦. الموسوعة الجغرافية، ١٤١٢هـ، ص ٥١٧ - ٥١٨).

والإسلام ثالث دين سماوي تعرفه القارة بعد اليهودية والنصرانية. والإسلام قديم في أفريقيا، يؤيد قدمه ما كتبه المؤرخون والجغرافيون المسلمون والرحالة وغيرهم وقد كانت الكتابات العربية هي الرائدة والأولى من نوعها إذ إنها كتبت في فترة كانت القارة فيها بعيدة عن مجال المعرفة الأوروبية، ولذا كانت مادتها ومعلوماتها عن أفريقيا، ذات أهمية بالغة، ذلك أن معرفة الأوروبيين وكتاباتهم عن القارة لم تبدأ إلا في أعقاب حركة الكشف الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر، وأوائل القرن السادس عشر الميلاديين (الثامن والتاسع الهجريين)، كما أن معرفتهم ونشاطهم اقتصر على السواحل ومصاب الأنهار التي كان الوصول إليها سهلاً وآمناً، في حين أن المعلومات عن أفريقيا بدأت تظهر في المصنفات العربية منذ القرن التاسع الميلادي (الثاني - الثالث الهجري)، واستمرت حتى القرن الخامس عشر الميلادي (الثامن الهجري). وأولئك الكتاب كثر، منهم ابن خرداذبة، ومن أهم مؤلفاته «المسالك والممالك» في القرن الثالث الهجري، وابن الفقيه الهمداني، وكتابه «كتاب البلدان» وفيه يتحدث عن غانا، وكتب في القرن الرابع الهجري ثم يأتي من بعد ذلك المسعودي أبو الحسن صاحب كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، والإصطخري (المسالك والممالك)، وابن حوقل (صورة الأرض)، ثم كتابات البيروني في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، ومن أهمها «الآثار

الباقية عن القرون الخالية» والتي اهتمت اهتماماً واضحاً بساحل شرقي أفريقيا، وجاءت في القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري)، مصنفات الإدريسي، الحنري افى العربى الشهىر (٤٩٣-٥٤٨هـ / ١١٠٠-١١٥٤م)، والى اهتمت بأفريقيا، وأهمها (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق)، وفى وصف لمدن ساحل أفريقيا الشرقى وجزيرة «كلوة ومالندى ومباسا» . الخ فى وقت كانت فى تجارة العرب مزدهرة مع شرقى أفريقيا . والأمثلة لمثل تلك المصنفات العرىة عدىة يفصل فىها مؤلفات كتاب (تاريخ الأقليات الإسلامىة فى العالم- أفريقيا)(العراقى وجرىس، ١٩٩٧م، ص ص ١٦-٢٠).

إن انتشار الإسلام فى أفريقيا يشكّل فصلاً مهماً فى تاريخ القارة، وقد بدأ ذلك الانتشار فى القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى)، بالفتح الإسلامى للشمال الأفريقى، وبدخول المسلمين إلى شمال شرقى أفريقيا، واستقرار مجموعات منهم هناك، وفى جزر البحر الأحمر، والساحل الأترى.

ومنذ القرن الأول الهجرى(السابع الميلادى)، وحتى الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى)، انتشر الإسلام عبر الصحراء إلى غربى أفريقيا، وعن طريق النيل والبحر الأحمر إلى الحزام السودانى، وعلى طول ساحل أفريقيا الشرقى.

أما المرحلة الثالثة من انتشار الإسلام ، فقد اتسمت بحروب « الجهاد » فى غربى أفريقيا فى فترة القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) ، وبقاء الدولات المسلمة هناك ، وكان ذلك الانتشار هو الأساس والأشد أثراً وعمقاً للإسلام فى غربى القارة .

ثم جاءت الفترة الاستعمارية ، فأنشأت الطرق ، وبسطت الأمن على طول طرق القوافل التجارية ، فزاد ذلك من انتشار الإسلام فى أماكن عدة من شرقى وغربى أفريقيا . ثم تلى ذلك توغل الإسلام فى فترة القرن الثالث عشر الهجرى

(التاسع عشر الميلادي) من الساحل الشرقي لأفريقيا إلى داخلها .

لم يكن انتشار الإسلام في أفريقيا على نمط واحد ، وإنما اختلف انتشاره من منطقة إلى أخرى ، فقد انتشر مثلاً في شرقي أفريقيا بطريقة مختلفة عن الطريقة التي انتشر بها في غربها ، فكان انتشاره في الغرب الأفريقي من جهة الشمال إلى الجنوب ، من المغرب عبر الصحراء جنوباً إلى منطقة السافانا في الغرب الأفريقي ، ثم من هناك إلى منطقة الغابات ، حيث قل بعد ذلك انتشاره ، وأصبح ضعيفاً في تلك الجهات الجنوبية ، ثم انقطع أثره ، اللهم إلا فيما عدا بعض المناطق في سيراليون ونيجيريا ، ومن ثم فقد لوحظ أن أثر الإسلام هناك كان يقل كلما اتجهنا جنوباً ، وأن أثره تركز في المناطق الشمالية الواقعة ضمن النطاق الصحراوي ، ومنطقة السافانا مثل موريتانيا ، مالي ، السنغال ، غامبيا ، غينيا ، النيجر ، وتشاد ، وتلك كلها أماكن بها كثرة إسلامية .

وعلى غير حال انتشار الإسلام في غربي أفريقيا ، فقد كان محور انطلاق النصرانية ، وتغلغلها في تلك الجهات من الجنوب إلى الشمال ، أي من الجهات الساحلية الجنوبية إلى الجهات الشمالية ، مما عنى قصر أثرها على الساحل الجنوبي لغربي أفريقيا ، مثل ليبيريا ، ساحل العاج وغانا ، والتي غالباً ما احتفظت بدياناتها التقليدية ، أو تأثرت بالنصرانية . وغالباً ما قل فيها الأثر الإسلامي ، ومن ثم فهي بلدان أقليات مسلمة ، ولعل هذا الأمر أوضح ما يكون في نيجيريا ، حيث أضحت شمالها مسلماً في أغلبه الأعم خلافاً لما عليه الحال في جنوبها .

أما في شرقي أفريقيا فإن محور انتشار الإسلام كان من اتجاه الشرق إلى الغرب - أي من الساحل إلى الداخل ، وقد اتبع المنصرون عند مجيئهم إلى شرقي أفريقيا الاتجاه نفسه عبر طرق قوافل التجار العرب ، بل إنهم أفادوا من تلك الطرق في نشر دينهم ، ومن ثم فإن البعض يرى أن انتشار الإسلام ساعد بطريق غير

مباشر على انتشار النصرانية في الأماكن الداخلية من شرقي أفريقيا ، (Oded ,
(1974 , P.P. 4-5) .

إن الإسلام قديم في أفريقيا ، وأنه وصلها قبل أن يصل المدينة المنورة ، ذلك أنه وجد طريقه إلى القارة الأفريقية قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ، فقد كان أول اتصال بين العرب المسلمين وأفريقيا هجرة عدد من الصحابة الأوائل (رضي الله عنهم) من مكة إلى الحبشة ، والتي أمرهم بها الرسول الكريم ﷺ عندما رأى أن أذى قريش قد اشتد عليهم (يراجع : المجلد الأول من هذه الموسوعة ، ص ٥١٧-٥١٩) .

ولعله من نافلة القول أن نقرر أن من أهم العوامل الرئيسة المؤثرة في هذه الصلات البشرية بين شبه الجزيرة العربية وأفريقيا هي قربها الجغرافي من بعضها البعض ، وسهولة الاتصال بينهما ، وقد لعب هذا الموقع الجغرافي دوره الرئيس في دخول الإسلام إلى القارة الأفريقية ، وبيان ذلك أن الإسلام دخلها عن معابر ثلاث :

- ١ - عن طريق سيناء إلى وادي النيل ، وإلى الشمالي الأفريقي .
- ٢ - عبر سواحل البحر الأحمر ، وهجرات عرب الحجاز إلى الجانب الأفريقي المواجه لشبه الجزيرة العربية منذ عهد الهجرة الأولى إلى بلاد الحبشة ، كما أن الإسلام عبر خليج عدن حيث حمله الحضارة واليمنيون والعمانيون إلى سواحل شرقي أفريقيا مع التجارة التي كانت تسير مع اتجاه الرياح الموسمية الصيفية الجنوبية الشرقية ، والموسمية الشتوية الشمالية الشرقية . (الشيخ ، ١٩٨٣ م ، ص ١٣) .
- ٣ - من الشمال الأفريقي عبر الصحراء الكبرى إلى غربي أفريقيا مع القوافل التجارية على مسارات ثلاث هي :

أ - المسار الغربي المار عبر الصحراء من جنوبي المغرب إلى أدرار Adrar في موريتانيا. ثم إلى مصب نهر السنغال ، ومنحنى نهر النيجر الأوسط والأعلى .

ب - المسار المتجه من الحدود الجزائرية - المغربية الحالية إلى وقادوقو وغانا .

ج - المسار المتجه من جنوب الجزائر إلى تمبكتو عبر توات Tuat ، وإلى بلاد شمالي نيجيريا .

وقد تفرعت من هذه المسارات طرق ثانوية إلى جهات طرابلس وإلى تشاد .
(Lewis , 1969 , P. 21) . .

عبر هذه الطرق والمسارات كان انتشار الإسلام في أفريقيا، ولم يتوقف انتشاره، كما لم تتوقف عملية أسلمة القارة الأفريقية حتى اليوم، فهي عملية مستمرة ومتواصلة بدأت بالهجرة الأولى إلى الحبشة ثم بالفتح الإسلامي لمصر على يد عمرو ابن العاص في عام ٢٠هـ (٦٤٠هـ) ، حيث أسلمت مصر ، وتمكن الإسلام فيها، فأصبحت قاعدة ومناراً اتجه منها الإسلام نحو الغرب والجنوب ، فوصل إلى جنوب بلاد النوبة ، وإلى السودان وادي النيل (أو ما عرف بالسودان الشرقي تمييزاً له عن السودان الأوسط والسودان الغربي) ، ثم سار من مصر غرباً إلى بلاد المغرب فوصل ساحل المحيط الأطلسي ، وهناك انتشر الإسلام بين السكان ، وتعززت سيطرته، حيث شهدت منطقة الشمال الأفريقي ، عمليتي أسلمة وتعريب استمرت منذ منتصف القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، إلى منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، جعلت أهلها يعتبرون أنفسهم مسلمين عرباً تماماً... تلك كانت هي المرحلة الأولى من دخول الإسلام إلى أفريقيا ، حيث تم فتح مصر وشمالي أفريقيا ، وتمت عملية أسلمتهما تماماً ، ليصبحا قاعدتين ينطلق منهما الإسلام إلى الغرب الأفريقي وإلى منطقة الحزام السوداني (أو مايسمى أحياناً بأفريقيا الحامية) .

المرحلة الثانية من دخول الإسلام إلى أفريقيا كانت في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، عندما حملته التجار والمهاجرون من جنوبي شبه الجزيرة العربية، ومن عُمان عبر البحر الأحمر، والمحيط الهندي، إلى سواحل شرقي أفريقيا، ولم يكن هذا فتحاً كما كان الحال في مصر وشمال أفريقيا، وإنما كان حركة تجارة وهجرة تبعها نشر وانتشار للإسلام في شرقي وشمال شرقي القارة، ومن هناك توغل وانتشر الإسلام في أواسط أفريقيا، وقد كانت منطقة القرن الأفريقي، ومنطقة السودان الشرقي (سودان وادي النيل) هما أول منطقتين يصلهما الإسلام في أفريقيا المدارية، وقد تمت عملية الأسلمة في شمالي السودان عن طريق المهاجرين القادمين إليه بعد فتح مصر في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، وهجرات القبائل العربية واستقرارها في أنحاء عدة منه، وكذلك عن طريق التجار القادمين من الشرق عبر مواني البحر الأحمر، باضع وعيذاب وسواكن، ومن أرخبيل دهلك بعد سنة (١٣٠٢هـ/ ٧٠٢م) ثم عن طريق الأثر الإسلامي القادم عن طريق الغرب - طريق دارفور. وقد استمرت عملية الأسلمة والتعريب حتى ارتبط أهل شمالي السودان بالإسلام، وبالأثر العربي والنسب العربي. وشمالي السودان وأواسطه وغربيه مناطق كثرة إسلامية اليوم (Lewis, 1969, P. 4).

أما في منطقة القرن الأفريقي وشمال شرقي أفريقيا، فقد انتشر الإسلام في أواسط الجماعات المتحدثة باللغات الحامية والكوشية من أمثال الساهو والعفر (الدناكل)، والصوماليين، ثم في أواسط الأرومو، والبنسي عامر في السودان الشرقي وأريتريا... وكان المعبر الرئيس لدخول الإسلام إلى كل هذه المنطقة هو البحر الأحمر، والمحيط الهندي، حيث وصلتها جماعات مهاجرة ومتاجرة من جنوبي شبه الجزيرة العربية ومن عُمان ومن فارس. فأقامت على السواحل مستوطنات عربية وفارسية مسلمة، وسلسلة من المراكز التجارية، وكان من أهم

تلك المستوطنات الساحلية تلك التي في زيلع في الشمال ، ومقديشو في الجنوب ، وقد ورد ذكرهما في المصادر العربية والنقوش . فقد ذكر اليعقوبي زيلع في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ووصفها . واستقر الفرس والعرب المسلمون في تلك المراكز الساحلية التجارية ، واستقر فيها الدعاة ، واختلطوا بالأهالي وتزوجوا منهم ، ونتج عن كل ذلك انتشار الإسلام بين الأهالي ، حيث ارتبط بعد ذلك بتحركات القبائل الصومالية والتي بدأت منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، والتي أوصلت الصوماليين إلى منطقة شمالي كينيا حيث كانوا هم حملة الإسلام إلى تلك الجهات .

وارتبط انتشار الإسلام في شمال شرقي القارة بطرق التجارة التي سلكها التجار العرب المسلمون ، والأفريقيون المتأثرون بهم . فقد كانت تلك الطرق التجارية تبدأ من زيلع متجهة إلى الهضبة الحبشية عن طريق هرر . وقد قامت عدة دويلات إسلامية في تلك المنطقة وارتبط قيامها بحركة وازدهار التجارة ، ومن تلك الدويلات (تسميها بعض المصادر بممالك إسلامية) ، دولة أوفات ، ودوارد ، واربابيني ، وهدية ، وشرخا ، وبالي - واشتهرت هذه الدويلات باسم دول الطراز الإسلامي ، لأنها على جانب البحر كالطراز له ، كما ذكر ذلك المقرئزي (العراقي ، وجريس ، ١٩٩٧ م ، ص ٣٠) .

وقد قامت هذه الدويلات على أطراف دولة الحبشة النصرانية ، حيث دخلت معها في صراع مرير من أجل السيطرة والهيمنة السياسية ، واستمر الصراع سجالات بينهما لمدة خمسة قرون ، دون أن تنتصر قوة على أخرى ، حتى كانت حركة الجهاد التي قادها أحمد جران في عام ٩٤٩هـ (١٥٤٢ م) ، والتي كاد المسلمون فيها أن يقضوا على الدولة الحبشية النصرانية ، لولا مساعدة البرتغاليين والتي مكنتهم من هزيمة المسلمين ، الأمر الذي أدى في النهاية إلى فقدان تلك الدويلات لأهميتها

السياسية، ولتقلص أثرها الإسلامي والدور الكبير الذي لعبته في نشر الإسلام بين الأريتريين والأحباش والدناكل . . فقد بدأ منذ تلك الهزيمة ازدياد النفوذ والقوة الحبشية النصرانية ، وضمور النفوذ الإسلامي في منطقة المرتفعات الحبشية (Lewis,1969,P.P.7-8) .

أما في شرقي أفريقيا فقد ظل الإسلام الذي جاء به التجار والمهاجرون الحضارمة واليمنيون والعمانيون والشيرازيون محصوراً في الساحل ، ولم يتوغل إلى الداخل إلا في فترة متأخرة (القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي) ، وقد وقفت عقبات في طريق تغلغله إلى الداخل ، منها طبيعة الأرض الوعرة ، وانعدام الأمن ، وعدم وجود مراكز سكانية عامرة ، أو كيانات سياسية مركزية يمكن أن تكون قاعدة لمصالح اقتصادية، وأداة لتأمين التجارة وطرقها ، وتحركات القبائل والتي كانت من الداخل ونحو الساحل مثل تحركات قبائل الزمبا Zimba في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، وتحركات قبائل الجالا فيما بعد في القطاع الشمالي، والتي كانت تقف عقبة أمام توغل التجار المسلمين إلى أراضي شرقي أفريقيا الداخلية، حيث ظلوا محصورين في الساحل والجزر القريبة منه مثل زنجبار ، وبمبا ومافيا . . وظلت التجارة هي نشاطهم الأكبر ، وعن طريقها ، وعن ماولدته من اختلاط بين أولئك التجار المسلمين والأهالي المحليين ، وقع التمازج بين المجموعتين ، ونتج عن ذلك أمران: انتشار الإسلام بين السكان المحليين ، وظهور ثقافة هجين بين العناصر البانتوية والعربية والفارسية ، هي الثقافة السواحيلية ، بلغت السواحلية وسماتها السواحلية الأخرى ، فكانت ثقافة قائمة بذاتها ، وليست صورة باهتة للحضارة والثقافة العربية كما ظن البعض ، وأصبح المسلم في شرقي أفريقيا هو المسلم السواحيلي، وليس المسلم العربي أو الفارسي ، وأصبح لزماً على الوافدين إلى منطقة الساحل، سواء كانوا عرباً ، أو أفريقيين قادمين من الداخل ،

التطبع بالحضارة السواحيلية، وقبولها حتى يصبحوا أعضاء مقبولين في المجتمع الساحلي .

وبازدهار التجارة ظهرت عدة مدن تجارية ، بلغت حوالي سبع وثلاثين في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وامتدت على طول الساحل من كلوا في الجنوب وحتى مقديشو في الشمال ، وهذه المدن هي التي تسميها بعض الروايات «امبراطورية الزنج» ، وتقول إن قاعدتها كانت كلوا ، ولكن هناك من يرى أن الحديث عن هذه الإمبراطورية وعن قوتها أمر أسطوري، إذ إن الثابت الآن أن تلك المدن كانت متنازعة متشاكسة ، لا يربطها رابط ، ويرون أن تفككها ذاك هو الذي مكن للبرتغاليين من السيطرة عليها في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، وأدى إلى خرابها، وتقلص آثارها التجارية والإسلامية ، وقد ظلت تلك السيطرة البرتغالية على تلك السواحل حتى تمكن العمانيون من إخراجهم منها في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) .

ظل الإسلام في شرقي أفريقيا من ثم إسلاماً مرتبطاً بالمراكز والمستوطنات التجارية، وظلت سمته الغالبة هي السمة الحضرية - المدنية ، بمعنى أنه مركز في المدن، ومتعدد الأجناس، إذ شملت الهجرات القادمة إلى بلدان شرقي أفريقيا مهاجرين من شبه القارة الهندية .

ونلخص من كل ذلك إلى أن السكان في الجزء الشمالي الشرقي من أفريقيا، مسلمون في معظمهم، من صومال وعفر ودناكل ، وأريتريين ، وأن الكثرة المسلمة تركزت في سواحل شرقي أفريقيا ، وفي جزرها مثل زنجبار ، وبمبا ومافيا ، والقمر، وأن أعداد المسلمين تقل وتتناقص كلما اتجهنا من السواحل إلى الداخل، فهم قلة في كينيا، وأوغندا ، وكثرة عددية في تنزانيا وأثيوبيا ، أما في أواسط القارة وجنوبها فهم قلة قد لا يتعدون ١٠٪ من جملة السكان .

أما المرحلة الثالثة من انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، فهي انتشاره من شمالي أفريقيا المسلمة عبر الصحراء وبواسطة التجار إلى غربي أفريقيا . وهو انتشار من الشمال إلى الجنوب عبر وسائل سلمية هي التجارة والهجرة منذ حوالي منتصف القرن الخامس الهجري (منتصف الحادي عشر الميلادي) . وكما جاءت المراكب التجارية إلى شرقي أفريقيا جاءت القوافل التجارية إلى أفريقيا الغربية ، عابرة الصحراء والتي لم تكن فاصلاً بين شمالي القارة وغربيها ، بل حلقة اتصال تسربت عبرها الآثار والأفكار، ذلك أن الصلات التجارية بين المغرب وجنوب الصحراء لم تتوقف باستيلاء المسلمين على المغرب، وإنما استمرت ، فظلت منتجات غربي أفريقيا شمالي القارة، عن طرق تجارية تحدثنا عنها فيما سبق ، فكان الذهب من دلتا أعالي النيجر، ومن أودية السنغال، وكذلك العاج، وحبوب الكولا، وريش النعام والجلود تصدر من الغرب الأفريقي إلى شمالي القارة ، في حين كانت تأتي إلى غربي القارة سلع الشمال مثل الملح، والنحاس، والأقمشة، والخرز والأسلحة، ومنتجات منطقة البحر المتوسط . وهكذا كان ارتباط انتشار الإسلام بالتجارة المارة عبر طرق طويلة ربطت بين الشمال الأفريقي والغرب الأفريقي ، وتركز أثر الإسلام في المواقف والمراكز التجارية والحضرية التي مر بها التجار واستقروا فيها ، وفي مراكز القوى السياسية أيضاً، مثل حواضر الدويلات التي كانت قائمة آنذاك في غربي أفريقيا ، مثل دولة غانا مثلاً، والتي أمدنا أبو عبيد عبدالله البكري بمعلومات قيمة عنها في كتابه (المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب)، وقد ذكر فيما ذكر أنه في حوالي عام ٦٠ هـ (٦٧٩ م) . كان هناك حي للتجار المسلمين في عاصمة غانا ، وقد وصف البكري هذا الحي، والاثني عشر مسجداً التي كانت موجودة في تلك العاصمة، وتحدث عن الإسلام وقدمه في غانا، وقد زار البكري غانا في الفترة ٤٥٩-٤٦٠ هـ الموافق ١٠٦٦-١٠٦٧ م (العراقي وجريس، ١٩٩٧م، ص: ٢٣ - ٢٤) و (Lewis,1969,P.P.15-19)

وقد تبع نشاط وتحركات التجار البربر المسلمين ، والذين كان لهم القدح المعلى في حمل الإسلام إلى جهات غربي أفريقيا ، تحوُّل عدد من الزعماء والحكام المحليين إلى الإسلام، مثل « تلوتان بن تكلان » أحد ملوك غانا في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، ومثل « زاكاس » أحد ملوك الصنغاي الذي أسلم في حوالي عام ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) ، وكذلك أسلم « وارجابي » War Jabi (توفي عام ٤٣٢هـ الموافق ١٠٤٠م) ملك التكرور (في منطقة السنغال)، وكذلك اسلم حاكم دولة مائدي (مالي) وآخرون في وسط السودان، وقد شهد القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، ميلاد مدينة العلم والثقافة الإسلامية العربية « تمبكتو » . وفي هذه المنطقة من غرب أفريقيا قامت مملكة غانا الإسلامية في القرن الرابع الهجري، وعرفت هذه المنطقة بمملكة كانم الإسلامية التي امتدت من القرن الخامس الهجري حتى بداية القرن الماضي ، وعرفت الممالك الإسلامية في مالي والداهومي (بنين حالياً)، وممالك الفولاني ، والهوسا والبرتو ، وشهدت حركات الجهاد بقيادة عثمان دان فوديو، وعمر الفوتي في غربي السقارة ، ومن هذه المنطقة الإسلامية في غربي أفريقيا انطلقت دولة المرابطين تحت قيادة العالم عبدالله بن ياسين من جزيرة صغيرة على نهر السنغال في أوائل القرن الخامس الهجري ، ومن هناك انتشرت إلى الشمال الأفريقي إلى أن استولت على الأندلس (قاسم ، ١٩٩٠م) .

انتشار الإسلام بهذه الصفة، وتحوُّل بعض الأسر الحاكمة إليه ، وامتداده هكذا إلى المجال السياسي، مرتبط بقيام حركة « المرابطين » والتي أدت إلى أسلمة بربر الصحراء، مثل التردالا واللامتونا ، وهجرتهم جنوباً حيث تمكنوا من السيطرة على عاصمة دولة غانا في عام ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م ، الأمر الذي أدى إلى تفكك هذه الدولة إلى وحدات صغيرة ، كما أنهم تمكنوا من تحويل الأسرة الحاكمة في مالي

إلى الإسلام، ومن أسلمة السوننكة Soninke وكذلك من تحويل بعض رعماء أعالي السنغال التوكلور Tokilor , 1980 , Trimingham و(قاسم ، ١٩٩٠م ، ص١٩)، و(العراقي، وجريس ، ١٩٩٧م ، ص ص ٢٤ - ٢٦) .

وقد لعب ملوك كل هذه الدول دوراً واضحاً في نشر الإسلام في غربي أفريقيا، فمثلاً كان للملك منسي موسى، ملك مملكة مالي (١٣٠٧هـ / ١٣٣٢هـ) التي حلت محل دولة غانا ، بعد اضمحلال هذه الأخيرة ، جهود جبارة في نشر الإسلام في وسط رعيته مثل قبائل الماندينج (أكبر قبائل مالي) ، وفي أواسط بلاد النيجر، كما كان للملك مملكة صنغاي Songhay بقيادة ملكها سنى علي (توفي ١٤٩٢م) أثر آخر في نشر الإسلام حتى أوصلوه إلى جهات النيجر الشرقية ونشروه بين كثير من رعاياهم وجيرانهم الوثنيين . وقد بلغت هذه المملكة أوج عظمتها على عهد الاسكيا الحاج محمد ، والاسكيا الكبير في الفترة ٨٩٨-٩٣٥م ، ولم تلبث هذه الدولة والتي حلت محل مملكة مالي ، أن بدأت في الاضمحلال ، وبدأ أثرها الإسلامي في الضعف، بسبب المحاولة المغربية للسيطرة على منطقة السودان الغربي في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) (Lewis , 1969 , P.P.) (15-17 . وللمزيد من المعلومات عن سلطنة مالي . انظر : المجلد الأول من هذه الموسوعة، ص : ٤٦٠-٤٦٨ .

أما في منطقة السودان الأوسط فقد كان لجهود أهل البرنو، وأهل كانم -وكذلك لحكامهما- سبق في اعتناق الإسلام على أيدي الدعاة ، وعلى العمل على نشره بين الوثنيين في تلك المنطقة ، وإلى حمله إلى زعامات الهوسة القبلية في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، وهناك دلائل على أن الإسلام وصل إلى سواحل المحيط الأطلسي إلى جهات سنكامبيا ، وفي أواسط التوكلور ، والولوف Wolof وإلى المالنكي ، وإلى العوائل الحاكمة هناك في القرن العاشر

الهجري (السادس عشر الميلادي) عن طريق العرب وبربر الصنهاجة ، وأن الإسلام كذلك وصل إلى مناطق أوروبا في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) فقد كان أثره واضحاً في القرن الذي تلى في وسط أهالي وملوك «الموسي» Mossi ، وقد امتدت تلك الآثار إلى بعض المناطق الواقعة في دولة غانا الحالية ، حيث كان للتجار المسلمين « الدايولا » Dyula دور رئيس في نشر الإسلام في تلك المناطق .

وقد وصلوا بعد مدة قرن إلى الساحل الغيني ذاته ، وأسلمت على أيديهم الارستقراطية القونجيه Gonja حكام تلك المنطقة ، وتلى هؤلاء إسلام « الداقومبا » و« المامبروسي » Dogamba , Mamprussi وأخيراً الأشانتي حيث تذكر المصادر أن ملكهم « أوساي كوامي » أسلم في حوالي عام ١١٩٤هـ (١٧٨٠ م) , (Lewis , 1969 , P. 17) .

ولقد اتسم الإسلام في غربي أفريقيا بخصائص معينة ، فغالبية المسلمين هناك مالكية المذهب ، كما أن الإسلام ارتبط بالدويلات ذات النظام المركزي القوي ، وبالحكم في تلك الدويلات ، كما أن الإسلام لم ينتشر في الغرب الأفريقي عن طريق العرب الآتين بمراكبهم عبر البحر والمحيط للمتاجرة ، كما هو الحال في شرقي أفريقيا ، وإنما انتشر عن طريق مسلمين متأثرين إلى حد كبير بالعرب ، هم البربر .

أما في منطقة أواسط أفريقيا ، والتي تعتبر منطقة هامشية بالنسبة لتاريخ الإسلام وأثره في أفريقيا ، فقد كان للعرب المسلمين والسواحيليين دورهم البارز في نشر الإسلام في بعض بقاعها ، ولكن الأثر الإسلامي كان ولازال ضعيفاً في تلك الجهات ، فنسبة المسلمين مثلاً في منطقة البحيرات الوسطى والتي تعتبر من أكثر المناطق تأثراً بالإسلام لاتزيد على ما بين ٥٪ إلى ١٠٪ من جملة السكان ، وهناك

من يرى أن البرتغاليين الذين قدموا إلى منطقة نهر الزمبيزي في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، هم الذين أراحوا الأثر الإسلامي من تلك الجهات ، فهم الذين أراحوا مثلاً المستوطنة العربية - المكونة من عدة آلاف (في « سنا » Sena على نهر الزمبيزي (Lewis , 1969 , P.13) ، وقد ظلت تلك الآثار الإسلامية كامنة حتى القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، عندما بدأ التجار العرب ، والزنجاريون يجددون نشاطهم وصلاتهم مع تلك الأماكن ، يشهد على ذلك نشاطهم التجاري في منطقة « مانينا » في شمال شرقي جمهورية الكونغو ، وسعيهم للحصول على العاج ومنتجات تلك الجهات ، وكذلك إقامتهم كمركز تجاري - استيطاني بالقرب من شلالات ستانلي ، وأنهم وصلوا في نشاطهم ذاك إلى جوار بحيرة البرت ، في حوالي عام ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م) ، حيث أقاموا شبكة من المراكز الإدارية - التجارية لعبت دوراً في بث الأثر الإسلامي والسياسي هناك ، وقد استفاد الملك البلجيكي ليوبولد الثاني في استعمار له للكونغو من ذلك الوجود العربي - الإسلامي ، فازداد أثره ، ولكن ليوبولد لنقلب على العرب فيما بعد .

مضافاً إلى هذا الأثر الزنجاري ، كان هناك أثر آخر قادم من الشمال ، ولكنه لم يتمكن من التغلغل إذ سرعان ما أوقفه التدخل الأوروبي ، ذلك هو الأثر الناتج عن ضغط المصريين ونشاطهم جنوباً نحو بحيرة فيكتوريا ، وكذلك الضغط الآتي من الدولة المهدية في السودان والتي تمكنت من بسط نفوذها في عام ١٣١٢هـ (١٨٩٤م) ، ولفترة محدودة على منطقة أعالي النيل ، ولكن أُوقِفَت كل هذه الآثار الآتية من الشمال ، وأُوقِفَ معها تقدم الإسلام ، ولم يبق له من أثر إلا في بعض جهات شرقي جمهورية الكونغو ورواندا وما جاورهما من أراضي . وهكذا فعلى الرغم من موطن القدم الذي كان للإسلام في أواسط أفريقيا ، إلا أن عوامل عدة ،

أهمها الموقع الجغرافي ، ومحاربة الاستعمار للإسلام هناك، لم يمكننا الإسلام من تعميق وجوده في تلك الأصقاع ، رغمًا عن انتشار السواحيلية إلى حَدٍ كبير في بعض جهات من تلك الأواسط .

والواضح أن انتشار الإسلام في مناطق شرقي وغربي وأواسط أفريقيا كان انتشاراً سلمياً يقوم على القدوة والمثل الطيب الذي يضربه التاجر المسلم أو الداعية، أو المهاجر المستوطن، ممن ينزلون بين ظهرائي القوم ، وكان لظروف البيئة الطبيعية والمناخ أثرهما في تحديد مدى تحرك المجموعات المسلمة التي حملت الإسلام إلى تلك الأصقاع من أفريقيا، من ذلك اجتيازها للصحراء وتوغلها في مناخ السافنا ، ولكنها لم تقدر على اقتحام حزام الغابات الاستوائية وإن سعت للتأقلم مع البيئة المحيطة بها، ولعل ذلك أقرب إلى تفسير ضعف انتشار الإسلام في بعض هذه المناطق مما ذهب إليه «ترمنجهام» حين أرجع ذلك إلى غلبة الوثنية ومعتقداتها بين سكان هذه الأجزاء من أفريقيا مما استعصى على الإسلام - كعقيدة توحيد - اقتحامه (ترمنجهام، ١٩٧٣م، ص١٣٢ ومايليها) .

وواضح أيضاً أن انتشار الإسلام كان عبر وسائل أبروها وأهمها :

- ١ - الفتح الإسلامي - كما حدث في مصر وشمال أفريقيا .
- ٢ - الدعوة والدعاة
- ٣ - التجارة .
- ٤ - الهجرة .
- ٥ - جهود الحكام المحليين .

عوامل انتشار الإسلام :

ركّزت حركة الفتح الإسلامي الإسلامي في كل من مصر والمغرب العربي وحمله الدعاة إلى أجزاء القارة المختلفة ، حيث إن الدعوة جزء من حياة المسلم ، وهي تكليف ديني عام . لهذا فقد اهتم عقبة بن نافع فاتح شمالي أفريقيا ، ومن أعقبه

من القواد والولادة ، من أمثال موسى بن نصير ، وإسماعيل بن أبي المهاجر ، بأمر الدعوة ، وتعليم البربر القرآن والدين ، فأسلم على يديهم الكثير من البربر وأهل المغرب الأقصى ، وامتد نشاط الدعوة إلى غربي أفريقيا ، حيث أسلم ملك التكرور في عام ٤٣٢هـ (١١٠١م) ، وكذلك ملك مالي ، ثم أسلم أهل برنو في السودان الأوسط على أيدي الدعوة ، وكذلك أهل كاتم . وقد اشتهر من أولئك عدة دعاة من أمثال أبو يزيد الفزاري الذي نشط في منطقة السودان الأوسط في أوائل القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، ومحمد بن عبدالكريم المغيلي ، وأصله من تلمسان ، والذي كان له نشاط ملحوظ في بلاد السودان الغربي ، وفي بلاد التكرور ، وقد أسلم على يديه كثير من أبناء الهوسا حينما انتقل بالدعوة إلى تلك الجهات ، منهم ملك كاتسينا ، إحدى ولايات الهوسا ، وقد استقر في كانو ومات هناك مابين عامي ٩٣٧-٩٤٧هـ يرحمه الله . وقد اهتم أولئك الدعوة والحكام الذين تحولوا إلى الإسلام ببناء المساجد كمراكز دعوة ، كالمساجد الاثنى عشر التي يذكرها البكري في عاصمة غانا (كومي صالح) . (العبيدي ، ١٤١٠هـ ، ص ص ٣٩-٤٣) .

أما التجارة وارتباطها بانتشار الإسلام في أفريقيا ، فقد أشرنا إليها في مواضع عدة ، وأوضحنا أهمية هذا العامل بحسبان أن التجارة كانت دائماً عامل التقاء حضاري ، وتبادل الآراء ، وعامل اختلاط . ولاغرو أن تبع الإسلام دائماً الطرق والقوافل التجارية ، واستقر في المراكز والنقاط التجارية فكانت مراكز الانتفاع التي منها انتشر إلى الأصقاع القريبة والبعيدة . وإلى تلك المدن جاء العلماء والمعلمون ليعلموا الناس القرآن ومبادئ الدين ، وليركزوا تعاليمه ، فالتجار البربر هم الذين حملوا الإسلام عبر الصحراء إلى دويلات الساحل الأفريقي - وذلك قبل ظهور دولة المرابطين (MAZRUI , 1988 , P.P. 688-690) ، كما أن كل البدو في

شمال شرقي أفريقيا تحولوا سريعاً إلى الإسلام ، بسبب التجار ونشاطهم التجاري ، وبسبب وجود الطرق التجارية التي ربطت منطقة البحر الأحمر بالنيل ، حدث ذلك في أماكن التجارة والطرق التجارية ، في حين توقف انتشار الإسلام مثلاً في المناطق الواقعة جنوب « مقديشو » والتي لم توجد بها طرق تجارية. فتواجد الإسلام كان دائماً على طول هذه الطرق التجارية ، حيث قامت المستوطنات التي أنشأها التجار، واستقر فيها العلماء ورجال الدين ، فكانت تلك المستوطنات مراكز إشعاع إسلامي في المحيط الوثني الذي أحاط بها ، ومنها انتشر الإسلام بخاصة في الفترة الاستعمارية التي استتب فيها الأمن ، وفتحت الطرق ، وجال فيها التجار المسلمون والعلماء ناشرين دينهم في أماكن لم يكن قد وصلها من قبل . وقد تبع هذا النشاط التجاري تحوُّل العوائل الحاكمة في غربي أفريقيا إلى الإسلام ، كنتيجة للصلات التجارية والاجتماعية التي أقامها التجار ، كما أن انتشار الإسلام اقتصر على المجتمعات والدول ذات الأنظمة المركزية القوية ، والتي غالباً ما كانت ترعى وتشجع التجارة داخل وخارج حدود دولها (TRIMINGHAM , 1980 , P.P 38-40) .

للهجرات والتحركات القبلية دورها المهم في نشر الإسلام في القارة الأفريقية ، وهي هجرات وتحركات داخلية من مناطق أفريقية إلى أخرى ، أو هجرات خارجية جاءت إلى أفريقيا من الخارج ، كهجرة المسلمين الأولى للحبشة والتي أمر النبي ﷺ صحابته بها ، وهي ذات أثر وإن كان محدوداً. ومن تلك الهجرات العربية إلى مصر والشمال الأفريقي، ثم إلى سواحل البحر الأحمر، ومنطقة السودان وادي النيل (السودان الشرقي)، وشرقي أفريقيا ، وكلها هجرات تمت بسبب القرب الجغرافي بين شبه الجزيرة العربية وبين تلك الجهات ، وهناك هجرة بني سليم وبني هلال في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، والتي اتجهت نحو الصحراء جنوباً

واضطرت السكان المحليين البربر إلى الهجرة جنوباً تحت ضغط هذه الجماعات العربية، مما نتج عنه انتشار الإسلام في المناطق الجنوبية من الصحراء، وفي غربي أفريقيا فيما بعد. وهناك أيضاً هجرة الهنود والباكستانيين من شبه القارة الهندية إلى شرقي أفريقيا، ثم إلى جنوبيها، وقد وفد مع أولئك بعض من الفرق الضالة الخارجة عن الإسلام مثل القاديانية والبهائية إلى شرق أفريقيا.

وهناك الهجرات الداخلية من مناطق أفريقية إلى مناطق أخرى، والتي من أهمها هجرات البربر إلى غربي أفريقيا، حيث اختلطوا بالسكان، ونشروا الإسلام، كما بنوا مدناً إسلامية مثل ولاته، وتمبكتو التي تحولت إلى مراكز إشعاع وحضارة إسلامية. ومن تلك الهجرات الداخلية هجرة قبائل الفولاني التي قدمت من الغرب واستقرت في مناطق الهوسا في شمالي نيجيريا الحالية، حيث قامت بنشر الإسلام في حماس بالغ زمن ازدهار دولتهم (الخلافة الصكتية) في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، والتي أسسها عام ١٢١٩هـ (١٨٠٤م) الشيخ: عثمان دان فوديو صاحب الحركة الإصلاحية التي قضت على الوثنية ومظاهر الانحراف التي طرأت على العقيدة واستطاع توحيد المنطقة في دولة إسلامية واحدة شملت رقعة واسعة من بلاد السودان الغربي، وظلت مزدهرة حتى قضى عليها المستعمرون البريطانيون في أوائل عام ١٣٢١هـ (١٩٠٣م).

وهناك هجرات أخرى مثل هجرة الفونج الذين جاءوا من الشرق واستقروا في حوض النيل، وهجرة أعداد من اليمنيين من ساحل الصومال إلى داخل القارة. وكل هذه الهجرات كانت وسائل مهمة لنشر الإسلام في القارة حتى أصبح الانتساب إلى قبائل عربية أو أشخاص عرب من قبل بعض القبائل، كما في السودان وادي النيل، أمر شائع. وهناك من عوائل غربي أفريقيا من تنسب إلى عقبة بن نافع، وغيره من الشخصيات الإسلامية العربية التي لعبت دوراً في تاريخ انتشار

الإسلام في القارة (العبيدي، رجب ١٤١٠هـ - فبراير ١٩٩٠م ، ص ص ٤٤ - ٤٧) .

والى جانب كل هذه الأسباب والعوامل التي أدت إلى انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، فهناك أسباب أخرى ، نابعة من طبيعة الإسلام ذاته ، وهي أسباب قل ماتذكرها المصادر ، منها : أن الإسلام قدم لكثير من تلك المجتمعات الأفريقية التي كانت تعاني من التفكك رابطاً جديداً متيناً بين أفرادها . ليس هذا فحسب بل إن الإسلام أعطى الذين اعتنقوه شعوراً بالثقة ، وبالفوقية ، لثقافته ، ولسلوك أفراد المسلمين ، فهم (أي المسلمون) متعلمون ، يكتبون ويقرؤون ، لهم نظامهم التعليمي والقضائي ، ولهم نشاط دبلوماسي ، وحركة وأثر في المجتمع ، ولهم من المهارات وإمكانات التطور والتحديث ، ما يجعلهم عامل تطور ضروري لكل دولة تريد أن تبقى وتتطور ، ولهذا السبب كان تحول وتعلق الحكام المحليين به ، بل إن الإدارة الاستعمارية البريطانية في نيجيريا وغيرها وجدت في المسلمين وإرثهم الإداري والقضائي والتعليمي ركيزة من الركائز التي اعتمدت عليها في إدارتها التي عرفت بالإدارة غير المباشرة Indirect Rule في نيجيريا . أضف إلى ذلك أن عالمية الإسلام حبيته إلى نفوس الحكام ، حكام الدول والامبراطوريات الكبيرة - كما أن الإسلام قدم رؤية ونظرة جديدة للحياة ، وللإنسان ولقدره ومصيره . . . وقد ساهم كل ذلك في استمراره وتطوره في القارة الأفريقية (Lewis , 1969 , P. 48) . و (Mazrui , 1988 , P.689) .

ومن الأسباب الذاتية التي ساعدت على نشر الإسلام في أفريقيا ، مقدرة الإسلام على التأقلم مع بيئته الأفريقية الجديدة ، والتكيف معها ، بفضل الطريقة السهلة التي استطاع بها التسرب والتأثير في المجتمعات الوثنية في كثير من التدرج والاعتدال ، فلم يقيم الإسلام بقلع الناس من جذورهم الأولى فجأة ودون مقدمات ،

وإنما قدم مبادئه ومثله للناس دون أن يقتلع مثلهم القديمة ، فعاش المسلمون الناس واختلطوا بهم وصاهروهم ، وعاشوا معهم حياتهم ، فكانت الأسلمة ، وكان أن ولج الناس دين الله طائعين مختارين ، ولم يلبثوا أن صاروا دعاة لهذا الدين الجديد ، يدعون له ، ويشرون به وسط أهليهم وذويهم وجيرانهم ، فكان انتشار الدين بفضل هذا العامل ، وبفضل قوة جذب الإسلام ليس بسبب ميزاته الاجتماعية والثقافية فحسب ، بل بفضل الممارسات التعبدية فيه ، فقد كان لعملية الوضوء ، وطريقة أداء الصلاة مثلاً أثر عظيم على الناس ، كما أن تلك الممارسات ، إلى جانب اللبس الإسلامي ، والسلوك الإسلامي ، جعلت من الإسلام ديناً يحسه ويراه ويشاهده الجميع ، ويتأثر به الكثيرون . أضف إلى ذلك أن الإسلام لم يبد للأفريقيين كدين أجنبي غريب ، حيث إن التحول إليه لم يؤد إلى اختلال النظام الذي كان سائداً ولم يؤد إلى أزمات نفسية لدى معتنقيه ، فقد كان ديناً سهلاً ليناً لم يعكر صفو النظام الاجتماعي ، وإنما تسرب وتغلغل في سر وهدوء وسلام (Mazrui , 1988 , P.P.) (690-689 فكان طابعه السلم والإقناع ، ولم يشهر دعائه السيف إلا في حالات الدفاع عن النفس والدين ، فالتفوا حول الملوك والحكام ودعوههم بالموعظة الحسنة إلى دين الله ، واندمجوا في المجتمعات التي استقروا فيها ، وصاهروا الأهالي فكسبوهم مسلمين جدد ثم دعاة للإسلام تحمسوا للتبشير به بين جيرانهم الوثنيين ، واحترموا العادات والتقاليد ولم يحتقروها ، فنجحوا في نشر دينهم ، وقبلوا مبادئه وتعاليمه وقرآنه عبر المساجد والمدارس التي أسسوها . ومع انتشاره بدأت اللغة العربية في الانتشار أيضاً في أفريقيا بفضل جهود الدعاة ، وبفضل هجرة بعض القبائل العربية واستقرارها في أنحاء متفرقة من القارة ، وقد تركت اللغة العربية آثارها في عدد من اللغات الأفريقية ، كالسواحيلية والهوسا ، ولغة الفولاني .

توزيع الأقليات وأعدادهم وأوضاعهم

وبانتشار الإسلام بالطريقة التي أسلفنا ، وتغلغله بين أبناء قبائل القارة الأفريقية المختلفة ، كانت هناك مناطق أكثرية مسلمة ، ومناطق أقليات مسلمة أيضاً، فقد عم الإسلام المناطق المجاورة للبحر المتوسط فأصبحت مصر مسلمة ذات أكثرية مسلمة، وأصبح الشمال الأفريقي منطقة مسلمة تماماً ، كما أصبحت المنطقة الصحراوية المجاورة له مسلمة أيضاً، وذات ثقافة مشابهة لثقافته الإسلامية والعربية. أما المنطقة التي تلي هذه المنطقة والواقعة بين دائرتي عرض ١٠ - ١٥ درجة مئوية شمالاً، والتي تشمل المناطق الشمالية من السنغال ، مالي، نيجيريا والنيجر، تشاد والسودان، فهي ذات كثافة إسلامية ، وأثر إسلامي واضح. ويرد ذكر هذه المنطقة في المصادر باسم بلاد السودان، وهي ثلاثة أقسام: السودان الغربي ثم السودان الأوسط، فالسودان الشرقي، أو النيلي، والأخير يختلف عن القسمين الأولين، لكون الثقافة الإسلامية العربية ضاربة بجذورها في الأجزاء الشمالية منه، أما الجزء الجنوبي منه فالمسلمون فيه أقلية، وتقطنه في معظمه قبائل وثنية وبه أقلية نصرانية أيضاً . والمسلمون أقلية أيضاً في المنطقة المدارية من ساحل أفريقيا الغربي ، رغم توغل الإسلام الواضح في بعض أجزاء هذه المنطقة .

أما في الجزء الشمالي الشرقي من أفريقيا ، فالسكان بدوهم وحضرهم مسلمون في معظمهم ، من صومال ودناكل . . . الخ . وفي تنزانيا وأثيوبيا كثرة مسلمة لكنها لا تحظى بالنفوذ السياسي ، والمكانة الاجتماعية والاقتصادية اللائقة بكثرتها العددية . والمسلمون قلة في بقية أجزاء شرقي أفريقيا. أما في أواسط القارة وجنوبيها، فالمسلمون قلة تتراوح نسبهم ما بين ٢٪ - ١٠٪ من جملة السكان. (Trimingham , 1980 . P. 37) . .

والملاحظ في التوزيع الجغرافي للمسلمين في القارة أن نسبتهم بين السكان تقل

تدرجياً كلما اتجهنا جنوباً من محور الصحراء الكبرى ، وكلما اتجهنا غرباً من محور ساحل المحيط الهندي . ولكن هذه القاعدة تختلف في مناطق السهول ، ومناطق الحشائش عنها في المناطق الجبلية أو مناطق الغابات ، فحيث تمتد السهول كما في الشمال نجد أن المد الإسلامي أعمق أثراً وأبعد امتداداً إلى الداخل ، وحيث تمتد منطقة الحشائش والغابات المفتوحة نجده يتوغل أكثر إلى الجنوب ، كما في مناطق غربي أفريقيا ، أما في شرقي أفريقيا ، فقد وقفت الجبال والهضاب عقبة في وجه الإسلام ، كالهضبة الأثيوبية ، وهضبة البحيرات الاستوائية ، ومن ثم فإننا نجد أن نسبة المسلمين في المرتفعات أقل منها في السهول المنخفضة . ففي الصومال ، حيث السهول ، كان انتشار الإسلام أعم وأيسر ، وقد استطاع الإسلام في النهاية أن يعبر الغابة الاستوائية في مناطق غربي أفريقيا ويصل إلى الساحل مع خطوط التجارة التي تمر في المناطق المكشوفة من الغابات .

والدول الأفريقية التي بها أغلبية إسلامية تزيد على ٩٠٪ مثل موريتانيا ، والنيجر ، في غربي أفريقيا ، تعتبر امتداداً مباشراً لانتشار الإسلام من الشمال ، ومثل دولة الصومال في القرن الأفريقي ، والتي تعتبر كثرتها الإسلامية ، امتداداً مباشراً لانتشار الإسلام القادم من الشرق . أما في نيجيريا الشمالية وغينيا مثلاً اللتين تعتبران امتداداً ثانياً للانتشار المباشر للإسلام ، فتصل نسبة المسلمين فيهما ما بين ٦٥٪ - ٨٠٪ من جملة السكان . وكما أسلفنا فإن نسبة المسلمين تقل كلما اتجهنا جنوباً في غربي أفريقيا ، وترتفع نسبياً في المدن الرئيسة في الساحل حيث تجمعات المهاجرين من التجار المسلمين الذين ينتمون إلى عناصر الفولاني ، والهوسا ، والماندي ، والديولا . . . أما في شرقي أفريقيا فهناك أقليات إسلامية في كينيا ، في المدن الساحلية الكبيرة لكن نسبها تقل كلما توغلنا غرباً نحو الداخل . أما في جزيرتي زنجبار ومبا فالأغلبية العظمى من المسلمين ، حيث تصل نسبتهم إلى حوالي ٩٥٪ من جملة السكان .

وهناك دول أخرى بها أقليات مسلمة تتراوح نسبتها بين ٢٪ - ١٢٪ كما هو الحال في وسط وجنوب أفريقيا ، والمسلمون قلة في الكونغو، حيث يكاد الوجود الإسلامي فيه يقتصر على مجتمعات الهوسا والفلواني الذين هاجروا إلى المدن الرئيسية في غربي الكونغو، والمهاجرين السواحيليين الذين وصلوا إلى الأجزاء الشرقية منه. وطبيعي أن هناك مجموعة من أهل البلاد اعتنقت الإسلام، وسيأتي الحديث عن الكونغو في مكان لاحق (عباس، ١٩٧٨م، ص ص ١١٤ - ١١٦).

وتتضارب الآراء والإحصاءات وتختلف حول عدد المسلمين في أفريقيا وحول عدد الأقليات المسلمة فيها ، فهناك من يرى أن نسبة المسلمين في أفريقيا تبلغ ٦٦٪ من مجموع سكانها (رضوان، ١٩٨٩م، ص ٢٤٧)، وهناك من يرى أن نسبة الأقليات تبلغ ٢٤٪ من مجموع المسلمين في القارة ، أي أنهم حوالي سبعين مليون مسلم من مجموع المسلمون في أفريقيا والبالغ عددهم ٢٩٢ مليون مسلم (الرياض، عدد ٦٤٢٧ - ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ) .

أما سيد عبدالمجيد بكر فيقول إن في أفريقيا ٢٤١ر٤ مليون مسلم من مجموع سكان القارة البالغ عددهم ٤٦٦ر٩ مليون نسمة ، أي أن المسلمين يشكلون نسبة ٥١ر٧٪ من جملة السكان ، والنسبة الباقية وهي ٤٨ر٣٪ يشترك فيها النصارى واليهود والوثنيون ، ويقول إن المسلمين بين سكان الدول العربية الأفريقية يصلون إلى نسبة ٩٠٪ ، وأن نسبة المسلمين في دول الأغلبية المسلمة الأفريقية تصل إلى ٦١٪ ، وأن عدد الأقليات المسلمة في أفريقيا يبلغ ٧٣ مليون مسلم من جملة سكان دول الأقليات المسلمة وقدره ٢٤٥ر٧ مليون نسمة ، أي أن نسبتهم تصل إلى ٢٩ر٧٪ (بكر، ١٩٨٥م ، ص ص ١٠-١١) .

وادعى فريق ثالث أنهم يمثلون ٥٨ر٩٪ من جملة سكان القارة، وأن نسبة الأقليات المسلمة في أفريقيا تبلغ ١٤٪ (جدول رقم ١). (Qureshi , 1993 , P. 2) .
والجداول الإحصائية للمسلمين في أفريقيا، توضح التضارب الذي تحدثنا عنه، وانعدام الإحصاءات الدقيقة لأولئك المسلمين وخاصة للأقليات المسلمة في القارة .

ولعل التباين الواضح في إحصاء عدد المسلمين في أفريقيا -أكثرهم وأقلهم- نتج عن عدة عوامل حالت دون الحصول على إحصاءات صحيحة لأولئك المسلمين. ومن أهم تلك العوامل اختلاف الباحثين حول تحديد مفهوم الدولة الإسلامية.

ومشكلة أخرى هي غياب الإحصاءات التفصيلية عن الأقليات المسلمة من حيث توزيعاتهم ، وحرفهم ، ومستوياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ومرد

جدول رقم (١) نسب الأقليات المسلمة في القارة الأفريقية

اسم البلد	نسبة المسلمين	اسم البلد	نسبة المسلمين
جزر الرأس الأخضر	٣٠٪	جزيرة ريونيون	غير متوافر
ليبيريا	٢٥٪	جزيرة سيشل	غير متوافر
غانا	٣٢٪	جزيرة موريشس	غير متوافر
بوروندي (بوجومبورا)	٣٠٪	الكونغو الشعبة/	١٧٪
رواندا	١٨٪	برازفيل	
كينيا	٤٥٪	الكونغو الديمقراطية/	٢٠٪
زامبيا	٢٧٪	زائر	
موزمبيق	٣٥٪	أنجولا	٢٦٪
نلاجاسي (مدغشقر)	٣٧٪	بوتسوانا	٢٪
جنوب أفريقيا	١٨٪	ناميبيا	٤٪
ليسوتو	٥٪	زيمبابوي	١٢٪
أفريقيا الوسطى	٤٠٪	=	-

المصدر : تقرير صادر عن رابطة العالم الإسلامي ، غير منشور ، ولاتاريخ له ، صفحة : ٢٢

تلك المشكلة إلى عدة أسباب ، أهمها :

١ - عدم اهتمام كثير من الدول الأفريقية بإحصاء الأقليات الدينية فيها ، وبصفة عامة عدم اهتمامها بتسجيل التركيب الديني للسكان ، بحجة أن مثل هذا الإحصاء قد يؤدي إلى مشكلات طائفية . والحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن بعض هذه الدول تخشى أن يدرك المسلمون حجم أعدادهم الحقيقية ، والأثر الذي قد يترتب على ذلك .

٢ - يعيش بعض المسلمين في أقطار نامية لا تجري إحصاءات حيوية خاصة بعدد المواليد والوفيات ، وعدد أفراد الأقليات الدينية .

٣ - تباين التعدادات التي تجريها الأقطار التي تضم المسلمين من حيث مواعيدها ودقتها وشمولية معلوماتها ، كما أن هناك أقطاراً أفريقية لم تعرف الإحصاءات .

٤ - بعض الجهات ذات الغرض -كالشيعيين، والمستعمرين، والمنصرين... الخ. - تعتمد إلى تقدير عدد المسلمين بأقل من الواقع ، ومن جهة أخرى فإن هناك بعض الباحثين المسلمين الذين يبالغون في تقدير أعداد المسلمين - وكل هذه أمور لا تساعد على وجود التقديرات الصحيحة لأعداد المسلمين (سواء كانوا أغلبية أم أقلية) . (الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٩٨٦م، ص ٤٠٤) .

والأمثلة عديدة على تخطيط المصادر في تقديراتها لأعداد المسلمين ، وأعداد الأقليات المسلمة في أفريقيا ، فالمصادر الغربية مثلاً ، بخاصة التي تعتمد على إحصاءات البعثات التنصيرية للمسلمين في أفريقيا ، تبالغ بدرجة ملحوظة في ضآلة تقديراتها لأعداد المسلمين - كثرتهم وقلتهم - فسبسر ترمنجهام والذي له عدة

مؤلفات عن الإسلام في أفريقيا ، يضع تقديرات جد ضئيلة للمسلمين في تنزانيا وأثيوبيا، وسيراليون وبوركينا فاسو والكمرون ، مع أن المسلمين في بعض تلك البلدان يفوقون نسبة الـ ٥٠٪ فهو يقول إن نسبة المسلمين في أثيوبيا مثلاً ٣٣٪، وفي تنزانيا ٢٥٪، وفي كينيا ٤٪ في حين أن مصادر أخرى هي الآن أقرب للصحة تضع نسبة مسلمي أثيوبيا ما بين ٥٠٪ - ٦٥٪ والراجح أن المسلمين في أثيوبيا أكثرية عديدة ، كما أنهم في كينيا يقدرون بحوالي ١٠ - ٣٥٪ أما في تنزانيا فهم أكثرية عديدة بإجماع معظم المصادر ، وهم حوالي ٦٠٪ من جملة السكان . (بكر ، ١٩٨٥ م ، ص ٣٣٧-٣٣٨) ، (إعداد عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، غير منشور ، ص ٢٢) و (Qureshi , 1993 , P. 2)

ولا يمكن الاعتماد على الإحصاءات الصادرة عن البعثات التنصيرية ، عن أعداد المسلمين والأقليات المسلمة في أفريقيا ، ذلك أن تلك البعثات التي تهدف إلى جعل قارة أفريقيا قارة نصرانية بحلول عام ٢٠٠٠ م ، لا تتوخى الموضوعية في حديثها عن الإسلام والمسلمين في القارة الأفريقية، فالإسلام هو العقبة الرئيسة التي تقف في طريق نشاطها التنصيري، ومن ثم فهي تحاول بكل السبل طمس معالم الحقيقة عن الإسلام هناك، بل إنها تحاول أيضاً وبحماس شديد إيقاف المد الإسلامي في القارة، فلا غرو أن تَحَيَّزَتْ و ضلَّلت . وقد تبالغ بعض المصادر الإسلامية في كثرة المسلمين، ولكن تقديرات معظمها هي أقرب إلى الواقع الذي يلحظه الزائر لبعض تلك البلدان الأفريقية، والذي تؤيده بعض الإحصاءات غير الرسمية ، وتؤيده أيضاً قرائن الأحوال .

وإذا نحن أردنا الدقة في إيراد إحصاءات للمسلمين الأفارقة علينا اختيار أسس موضوعية تتحاشى المبالغة من جهة ، وتتجنب الاعتماد على تقديرات الجهات المعادية للإسلام من جهة أخرى ، وربما كان توثيق الصلات بالأقليات المسلمة في

أفريقيا من أفضل الأساليب التي يمكن الاعتماد عليها والاستعانة بها في هذا المجال كما أنه يمكن الاستفادة من المراكز الإسلامية الموجودة في تلك الأقطار ، ومن المنظمات الإسلامية الرسمية والطوعية ، ومن فئات الدعاة العاملين هناك ، لتتبع أحوال المسلمين ، وتقدير أعدادهم .

فالتقديرات الموجودة الآن تعطينا أرقاماً أكبر من تلك المتوافرة في الكتب والمصادر المعروفة عن المسلمين في أفريقيا ، فمثلاً هناك ضعف العدد من المسلمين الذي تقول المصادر الرسمية إنه موجود في الكونغو (بشقيه) ، وكذلك الحال في تنزانيا وأثيوبيا ، كما أسلفنا ، فهناك أعداد كبيرة تحولت إلى الإسلام حديثاً ، وذلك سبب من أسباب عدم دقة الإحصاءات الرسمية ، والتي عفى عليها الزمن (Kritzek and Lewis , 1969 , P.P. 3-5) .

تُكوّن الدول الإسلامية في أفريقيا كتلة متصلة تمتد من المحيط الأطلسي غرباً حتى ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقاً ، وتمتد من ساحل البحر المتوسط شمالاً حتى نطاق السافانا جنوباً ، والذي يمتد كحزام من غربي أفريقيا إلى شرقي . ويعيش المسلمون كأقليات في ٢٥ دولة أفريقية ، وبعضاً من الجزر المتناثرة حول القارة ، وتلك الدول هي :

- | | |
|------------------------|---------------------------|
| ١ - ساحل العاج . | ٢ - توجو . |
| ٣ - أفريقيا الوسطى . | ٤ - ملاوي . |
| ٥ - كينيا . | ٦ - غانا . |
| ٧ - ليبيريا . | ٨ - موريتانيا . |
| ٩ - غينيا الاستوائية . | ١٠ - مدغشقر (ملاجاسي) . |
| ١١ - بورندي . | ١٢ - جزر الرأس الأخضر . |

- ١٣- موريشوس .
 ١٤- أنجولا .
 ١٥- الكونغو الديمقراطية (زائير سابقاً)
 ١٦- الكونغو الشعبية .
 ١٧- ليسوتو .
 ١٨- بوتسوانا .
 ١٩- سوازيلاند .
 ٢٠- رواندا .
 ٢١- سيشل .
 ٢٢- رامبيا .
 ٢٣- ناميبيا .
 ٢٤- جنوب أفريقيا .
 ٢٥- زيمبابوي .

وهناك من يجعلها ٢٨ دولة ، ومنهم من ينقصها إلى ٢٢ دولة أو أقل من ذلك، كما ورد في الجدول رقم (١) الذي يحتوي على نسب المسلمين المئوية حسب أحدث التقديرات التي حصلنا عليها (محمود ، د . ت . ص ٤٦ ، أبو العلا ، ١٩٨٦م ، ص ٣٥ ، بكر ، ١٩٨٥م ، ص ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ، رضوان ، ١٩٨٩م ، ص ٢٥٣) .

وهناك من يتحاشى تقسيم المسلمين في أفريقيا تقسيماً تفصيلياً بحيث يحدد الدول التي توجد بها أغليات، والدول التي بها أقليات، وإنما يقسمها تقسيماً عاماً، على النحو التالي:

- ١ - دول إسلامية : وهي التي بها ما بين ٩١ - ١٠٠ ٪ من المسلمين ، مثل مصر وليبيا وتونس والجزائر والصومال .
- ٢ - دول ذات كثرة إسلامية : سكانها ما بين ٥١ - ٩٠ ٪ مثل السودان ، والسنگال ، وغينيا .
- ٣ - دول المسلمون فيها هم أهم المجموعات أو أكبر المجموعات الدينية ، مثل نيجيريا ، وتشاد ، وأثيوبيا ، وتنزانيا .

ومثل هذا التقسيم العام لايفي بحاجتنا إذ إنه لايشير إلى دول الأقليات إلا عن طريق غير مباشر ، ومن ثمّ فهو غير مهتم بأمورها الاهتمام الذي نريد ، ولا بتوضيح أحوالها وظروفها وواقعها المعاش ، والمشكلات التي تعاني منها .

الأوضاع والتحديات :

الواقع أن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعيشها أقليات أفريقيا المسلمة، هي نتاج للظروف التاريخية التي مرت بها تلك الأقليات بخاصة خلال الفترة الاستعمارية والفترة الوطنية التي تلتها. فالأقليات المسلمة في أفريقيا على ثقلها العددي، تعاني من ضعف عام لايمكنها من المشاركة الفاعلة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بلادهم، فمشاركتهم في تلك المجالات جد محدودة بسبب تخلفهم المادي الناتج عن تخلفهم التعليمي والفكري، والذي جعل منهم قوة مهمشة تعيش على حافة مجتمعاتها، وإن كثرت أعدادهم. وتلك المشاركة المحدودة والتي لا تتناسب وأعداد الأقليات المسلمة في بعض الدول الأفريقية وبخاصة في مجال المشاركة السياسية ، أمر تشكو منه كل قيادات تلك الأقليات دون استثناء، وهو سمة عامة في مجال نشاطها السياسي ، وبرهانه قلة المسلمين المؤهلين العاملين في المجالات التنفيذية . فالوزراء المسلمون قلة - إن وجدوا - وفي مناصب وزارية دنيا ، والأمثلة على ذلك عديدة . فمثلاً في كينيا والتي يقدر فيها المسلمون بثلاث السكان لم يحظ فيها مسلم واحد بوظيفة وزارية منذ استقلالها، والحال كذلك في عدة أقطار أفريقية أخرى (سوار الذهب، ١٤٠٨هـ، ص ٦) .

ويعاني المسلمون في بلدان الأقليات المسلمة في أفريقيا من الجهل والفقر، والذي وقف عقبة في عدم مشاركتهم في الحياة العامة ، بل إنه كان سبباً فيها، نتيجة لعزوف المسلمين عن التعليم المدني الحديث والذي احتكرته المؤسسات التنصيرية، وجعلته أداة ووسيلة أساسية من وسائل التنصير ، الأمر الذي جعل

المسلمين يناون بأنفسهم وبأبنائهم عنه ، خوفاً على دينهم ، وهويتهم الثقافية ، وما كان المسلمون في أفريقيا أميين ، منذ مقدم المنصرّين وإرسالياتهم إلى بلادهم ، بل كانوا هم الفئة الوحيدة التي حظيت بقدر كبير من التعليم في مدارسهم القرآنية ، وحلقات العلم في المساجد، وفي بيوت العلماء ، الأمر الذي جعل الإدارة الاستعمارية التي جاءت في أعقاب مجيء المنصرّين ، تعتمد عليهم في كثير من نواحيها الإدارية ، كاعتمادها عليهم في شرقي أفريقيا ، ثم في غربها عندما أنشأت نظامها الإداري المعروف بالإدارة غير المباشرة ، وقد أحجمت تلك الإدارة الاستعمارية عن هذه السياسة فيما بعد . والمهم أن القوى الاستعمارية التي أظلت القارة وجدت مسلمين على درجة كبيرة من العلم، لهم مدارسهم ، وإرثهم الثقافي، ولكن ذلك لم يكن معيناً لها لتحقيق أهدافها، وأهداف أعوانها من الإرساليات التنصيرية والتي كانت تريد إدخال نظامها التعليمي العلماني الغربي، لتخريج فئات تقوم على مصالحها الاستعمارية، وتخلّفها في إدارة البلاد بعد رحيلها عنها. ومن ثمّ ارتبط ظهور التعليم العلماني (التعليم المدني الغربي) في أفريقيا بوصول أولئك الأوروبيين إليها ، وارتبط بخدمة المصالح الاستعمارية الرامية إلى تثبيت وإقرار الحكم الاستعماري في القارة ، وإلى إجهاض روح الدين باستراتيجية مبرمجة بدأت في معظم البلاد الأفريقية بعزل التعليم الإسلامي عن حركة المجتمع الفاعلة وحصره في جزر معزولة في الخلاوي، والكتاتيب والمعاهد الديني، وإدخال بعض المواد الحديثة في بعض هذه المؤسسات الدينية، لتضعف من محتواها الإسلامي ، ثم تقوم بعد ذلك بتعميم خطة تعليمية تتجاوز التعليم الإسلامي، وتوجه مسار المجتمع على أسس غربية علمانية (قاسم ، ١٩٩٠م)، وبتخريج الكوادر المساعدة التي تقوم بالأعمال الوسيطة في الجهاز الحكومي تحت قيادة موظفي الإدارة الاستعمارية، ثم فصل المتعلمين عن تراثهم الوطني، والسعي لدمجهم في الحضارة الغربية، حتى يكونوا مسحاً مشوهاً فاقداً لثقافته التقليدية، ومكتسباً لقشور الثقافة الوافدة .

لحق بالمسلمين من جراء عزوفهم عن إرسال أبنائهم إلى مدارس البعثات التنصيرية تخلف علمي، استمر بدرجات متفاوتة حتى على أيام العهد الوطني، حيث إن الفجوة كانت قد اتسعت بين أبناء المسلمين، وبين الآخرين الذين تلقوا تعليمهم في مدارس الإرساليات التنصيرية، ولم يستطع المسلمون سد هذه الفجوة، مما نتج عنه عدم مقدرتهم على الالتحاق بالعمل الحكومي، والذي كان وقفاً على ذوي التعليم الغربي المدني. وزاد من تخلف المسلمين العلمي أن نظامهم التعليمي التقليدي كان يعاني من بعض السلبات والمعوّقات، مثل محدودية مناهجه، وجعلها وقفاً على العلوم الدينية فقط، وانغلاقها على تلك العلوم دون سواها من العلوم العصرية، ومن ثمّ محدودية خريجي تلك المدارس الإسلامية، ومحدودية فاعليتهم في المجتمع، ومواجهة تحديات العصر. ومن تلك السلبات عدم توافر الإمكانيات المادية، وعدم توافر المعلم المؤهل، والمكان المناسب للدرس . . . الخ. ثم عدم حماس الآباء والأبناء للتعليم لجهلهم، ولضيق ذات اليد التي تجعلهم لا يهتمون بتعليم أبنائهم. وزاد كل ذلك من تخلف المسلمين في المجالات التعليمية، وافتقارهم إلى العلم الحديث والذي كان هو السبيل الوحيد للمشاركة في الأجهزة التنفيذية، والسياسية، وأجهزة الدولة الأخرى (عبدالرحمن، ١٩٨٩م، ص ١٢-١٦). ولن يتقدم المسلمون الأفريقيون، ولن يتمكنوا من مواجهة الصعاب والتحديات التي تواجه أمتهم إلا باللجوء إلى الأساليب الحديثة مثل إنشاء المدارس الحديثة التي تجمع في منهجها الدراسي، وفي تناسق تام، بين العلوم الدينية والعلوم العصرية، ففي ذلك العلاج لأزمة التضارب الثقافي التي تحيق بهم، ولاردواجية التعليم التي يعانون منها.

يرى البعض أن سياسات ومواقف الدول المستعمرة - الرسمية وغير الرسمية من الإسلام، اختلفت بقدر ارتباط الدولة المستعمرة بدينها النصراني، وبقدر تباين

الظروف المحلية ، ومن ثمّ فقد اختلفت سياسات الدولة المستعمرة الواحدة من منطقة إلى منطقة ، كما اختلفت سياسات الدول المختلفة من الإسلام وأهله في مستعمراتها الأفريقية ، فهادنت الإسلام والمسلمين في الدول التي كان ارتباطها بالإسلام قوياً ، أو التي شهدت حركات إسلامية ثورية ، كالحركة المهدية في السودان . فسياسة بريطانيا مثلاً في الساحل الكيني ، ثم في نيجيريا والسودان كانت سياسة مهادنة للإسلام، بعد القضاء على الحركات الإسلامية التي كانت قائمة هناك، وهذه المهادنة مع (سياسة الحكم غير المباشر) في غربي أفريقيا أدت إلى استمرار انتشار الإسلام في تلك الجهات ولكن وبالقدر نفسه عارضت بريطانيا وغيرها من الدول المستعمرة كفرنسا وبلجيكا وألمانيا حركة المد الإسلامي في المناطق التي كان الوجود الإسلامي فيها قليلاً، كما أنها عارضته وحاولت الحد من انتشاره في كل مستعمراتها فيما بعد وبعد أن استتب لها الأمر ، وزال خطر الحركات الإسلامية التي كانت قائمة في أماكن مثل السودان، ولأنها دول نصرانية ، تعمل كما تعمل المؤسسات التنصيرية على نشر دينها ومُثل حضارتها الغربية، ولأنها كانت ترى أن الإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي يشكل عقبة كؤود أمام الدين النصراني . فقد عملت بالتعاون مع الإرساليات لمنع انتشاره، والحد من نفوذه في أوساط الأهليين ، وكانت كل أسس سياساتها الاجتماعية - والسياسية تقوم على عدم الثقة بالمسلمين، واعتبارهم عنصر ثورة وعنصر عدم استقرار مهدد لمصالحها الاستعمارية ، فلم تعمل على تقدمهم وتطورهم وإنما أبقتهم حيث وجدتهم فحرمتهم من التعليم، ومن الأراضي والزعامات والرئاسات القبلية، كما فعلت في أوغندا ، كما حرمتهم من كل مظاهر النفوذ السياسي والاقتصادي فعاشوا مهمشين سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً، في مؤخرة الركب، أقلية تعيش واقعاً لا يتناسب ووزنها العددي في المجتمع ، ولا يتماشى مع تطلعاتها (Lewis , 1969 , P.P. 67 - 90) .

كما أن الاستعمار عمل على تذويب الأقليات المسلمة في المجتمعات من حولهم، وضياح هويتهم الدينية والثقافية بفصل المسلمين عن اللغة العربية لغة القرآن، وبتجهيلهم بها، بعد أن أصبحت معظم اللغات الإسلامية كالسواحيلية والهوسا والصومالية تكتب بالأحرف اللاتينية بعد أن كانت تكتب بالعربية، وهذا بدوره فصل الشباب المسلم عن تراثهم الإسلامي المكتوب باللغة العربية، بما في ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة (قاسم، ١٩٩٠م، ص ٣٢). كما أن الإدارة الاستعمارية والمؤسسات التنصيرية عملت على تشجيع التفسخ الاجتماعي في مناطق المسلمين، وذلك بتقليل قيمة المثل الإسلامية، وتصويرها على أنها قيم متخلفة جامدة لاتتماشى وأسس المجتمعات الحديثة المتطورة، ومن وراء ذلك تم بث عدم الثقة في نفوس المسلمين، وجعلهم ينظرون إلى الحياة بنظرة هذه المجتمعات، والتطبع بطباعها، والتخلق بمثلها مهما بعدت تلك المثل عن مثل الإسلام وقيمه، فذلك هو مقياس التحضر والتمدن. ولاغرو أن نجحت تلك السياسة - بخاصة في أماكن الأقلية الإسلامية - مثلاً في شرقي أفريقيا، حيث بدأ بعض شبان وشابات المسلمين في أوغندا مثلاً يغيرون أسماءهم الإسلامية إلى أسماء أجنبية، إخفاءً وخجلاً من هوياتهم الإسلامية، حيث إنهم ظنوا - كما شبه لهم - أن الإسلام دين تخلف وجمود، ونشأ عن كل ذلك أزمة ثقة بالنفس، وجهل بأمور الدين، بل وعدم حماس لمعرفة ما في أحيان، فاهتزت مجتمعات المسلمين، وضعفت روابطها الدينية التي ربطتها وعصمتها في الماضي، ولم يحل محلها رابط اجتماعي جديد، فوقع التهلك الاجتماعي، والتخلف الاجتماعي، حيث ظلت معظم - إن لم يكن كل - مجتمعات الأقلية، تشكل غالبية الشرائح الاجتماعية الدنيا، بعد أن كانت قبل مقدم الاستعمار عزيزة بمثلها وقيمتها، وبوضعها الاجتماعي المميز، فقد كان الإسلام وقتئذٍ عنصر تطور وتقدم وتحديث، ولكن السياسة الاستعمارية المعادية له، صورته وشبهته لأهله، ولغيرهم على أنه عنصر

تخلف وعدم استقرار ، فعزف عنه العازفون ، وتمسكت به قلة من الذين تعزت مبادئ الدين في أنفسهم بفضل تعليمهم الديني في مدارس القرآن وغيرها ، فعضوا على هويتهم الإسلامية بالنواجز ، والفضل بعد الله تعالى لهم والمدارس القرآن ووسائل التعليم الإسلامي الأخرى في حفظ الإسلام ، وفي الحفاظ عليه في وجه ماتعرض إليه من حرب ومعارضة . ولولا تلك المدارس القرآنية لضعف الإسلام في النفوس ، ولتمكنت القوى العاملة على تذويب أهله في بوتقة نظمها الاجتماعية من تذويب المسلمين في تلك البوتقة ، ولقضت على هويتهم الإسلامية ، ولولا تلك المدارس وخريجوها لزال الإسلام من بعض مناطق أفريقيا . (سوار الذهب ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٦ - ٨) .

ولقد تضافرت عوامل أخرى إلى جانب التخلف التعليمي - على إبعاد المسلمين في بلدان الأقليات المسلمة عن المشاركة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أمور بلادهم ، وسلبهم حقوقهم تلك ، ومن تلك العوامل ، كثافة حركة التنصير واستمراريتها ، سيطرة الاستعمار الفكري والاقتصادي ، العمل المستمر لوقف انتشار الإسلام ، وإبعاد أهله عن مراكز النفوذ ، نشر العلمانية حيثما كانت الأغلبية للمسلمين والغلبة لغير المسلمين ، ونشر الفكر المناقض للمثل والقيم الإسلامية ، وتشجيع الأفكار الهدامة كالماسونية والقاديانية والبهاية ، والأفكار الشيوعية والإلحادية ، كل ذلك بغرض حرب الإسلام والوقوف في طريقه وطريق أهله . يضاف إلى هذا أن هناك عوامل ذاتية خاصة بالمسلمين أنفسهم أعاققت تطورهم ومشاركتهم في الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلادهم وأهمها معاناتهم من الفرقة والشتات وانقسامهم إلى طوائف وشيع متناحرة ، مختلفة على أبسط الأمور وأتفهها ، وحول قضايا هامشية ليس لها وزن في مبادئ الإسلام ، مثل صحة صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ، وهل يجوز قراءة خطبة الجمعة باللغة العربية

الفصحى أم ينبغي ترجمتها إلى اللغة المحلية، أو ضرورة استعمال التقويم الشمسي بدلاً من التقويم القمري، وغيرها من الأمور الهامشية التي انقسم حولها مسلموا أوغندا مثلاً. وغالباً ما يكون لخلافات المسلمين هذه طبيعة دينية - سياسية، مثل أن يتطور الخلاف حول الزعامة إلى خلاف ديني، ولها أسباب عدة أهمها الجهل بأمور الدين. وغالباً ما تذكي نار الخلافات جهات خارجية من بعض ساسة البلد، وإن كانوا نصارى، يستغلونها لمصالحهم الذاتية، ومصالح أحزابهم السياسية (Kalisa,1994,P.P.70-92). كما أن السلطات السياسية - منذ عهد الاستعمار - كانت تعمل على بث الخلافات الفكرية والعقائدية في أوساط المسلمين - كثرتهم وقتلتهم - من ذلك تشجيع البريطانيين لبعض الفرق الهدامة الخارجة عن الدين، مثل القاديانية في شرقي وغربي أفريقيا، ومثل القاديانية والبهائية والإسماعيلية في شرقي القارة، ثم الصراع بين المتصوفة ومعارضيه في القرن الأفريقي، مما شل حركة التوسع الإسلامي، وأضعف جماعات المسلمين، وفتح المجال لغير المسلمين للتدخل في شؤونهم، مما وسع انقساماتهم، وولد أزمة قيادة عانت وتعاني منها كل جماعات الأقليات المسلمة في شتى أنحاء أفريقيا، فهي السمة الواضحة، والهدف الأكبر الذي يواجهه مسلمو شرقي أفريقيا، وغربها ووسطها وجنوبها، وهو الذي قعد، ويقعد بهم عن النهوض والأخذ بأسباب التطور، حتى يتبوؤا المكان الذي تؤهلهم له أعدادهم، في المجتمعات التي يعيشون فيها.

• • • • •

النشاط التنظيمي

أولاً : الجمعيات والمؤسسات الإسلامية :

مامن بلد من بلدان الأقليات المسلمة الأفريقية ، إلا وبه « مجلس إسلامي أعلى » ينتخبه المسلمون ، أو تعينه الحكومة ، أو يعين أعضاؤه أنفسهم ، ويكون هدفه في كل هذه الحالات رعاية مصالح المسلمين ، ومحاولة النهوض بهم في شتى المجالات التعليمية والاقتصادية والسياسية ، وأن يكون هو الممثل الوحيد للمسلمين ، وواسطتهم لتمثيل مصالحهم كلها لدى السلطة الحاكمة ، وأن يكون الأداة المركزية التي تنضوي تحت لوائها جميع تنظيمات المسلمين الدينية والسياسية والاجتماعية والتعليمية ، ويكون هو وعاؤها الذي ينظم نشاطاتها وينسق بينها ، ومن المجلس تنطلق الأنشطة الدعوية . . هذه باختصار هي أهداف المجالس الإسلامية العليا الموجودة في أواسط الأقليات المسلمة في أفريقيا ، ولقد كان الغرض الأسمى من إقامة هذه المجالس ، في معظم الأحيان ، هو العمل على وقف انقسامات المسلمين ، وإحداث وحدة بينهم ، ولكن قيامها أدى في حالات - مثل حالة جنوب أفريقيا ، وأجزاء من غربي أفريقيا - كغانا وغيرها - إلى زيادة الانقسامات ، واحتدام الصراع بين الفئات المتصارعة حول قيادات تلك المجالس إلى الحد الذي أدى في أحيان إلى اللجوء إلى المحاكم المدنية لحل النزاع القائم حول عضوية وقيادة المجلس ، بل إنه أدى في أحيان أخرى إلى قيام مجلسين متنافسين في البلد الواحد . ففي كينيا مجلس لايرضى به معظم المسلمين ، وإنما هم منقسمون حوله . وفي الجنوب الأفريقي ، وفي غانا ، مجالس إما أقامتها الحكومات أو نصبت نفسها ، والمسلمون أيضاً غير معترفين أو راضين بها ، وحولها منقسمون ، باعتبارها تنظيمات عميلة للسلطة الحاكمة ، أو كيانات لا تمثل إلا نفسها ، ولا تقوم إلا على مصالح أعضائها التنفيذيين الذاتية ، وبسبب هذه الخلافات وبسبب هذا الصراع حول القيادة ، أصبحت

هذه المجالس مشلولة الحركة، وغير ذات فاعلية في مجتمعات المسلمين، بل إنها أصبحت أحد العناصر السالبة في حياة تلك المجتمعات، وسنرى صدق مانقول في حديثنا اللاحق -إن شاء الله- عن بعض بلدان الأقليات المسلمة (Kiyimba , 1985 , P. 48) (Kasozi , 1985 , P.P. 110-112 , 1990 ففي أفريقيا الإسلامية اليوم - بخاصة في بلدان الأقليات المسلمة - عدد كبير من المنظمات المحلية، والعالمية الإسلامية غير الحكومية (الطوعية) تعمل من أجل رفع مستوى الإسلام والمسلمين في المجالات التعليمية والاجتماعية والثقافية، وعملها يتفاوت ما بين بناء الدور لرعاية الأيتام إلى إنشاء البنيات الاجتماعية الأساسية، مثل المدارس، والمستشفيات والمراكز الصحية، والمساجد، وحفر الآبار وغير ذلك . والناظر لتلك المنظمات بخاصة المحلية منها - يلحظ كثرتها، وقلة فاعلية معظمها . فوجود بعضها على الورق فقط، أما الأخرى الفاعلة نوعاً ما فهي إما جمعيات وروابط شبابية أو طلابية، أو تعليمية، وينحصر جل نشاطها في المجال التعليمي، أو التوعية الإسلامية في أوساط الشباب في المدارس والجامعات وخارجها، أو في مجال الدعوة، وذلك بتصحيح مبادئ الدين ومفاهيمه في أوساط عامة المسلمين، أو بدعوة غير المسلمين إلى دين الله، ولعل من أنشطها وأكثرها حماساً للعمل روابط الشباب المسلم، وروابط الطلاب المسلمين، وجمعيات التعليم والمعلمين المسلمين، في شرقي وغربي أفريقيا، وفي جنوبها، ثم بعض جمعيات ومجالس الدعوة، كتلك التي يرأسها داعية جنوب أفريقيا المعروف أحمد ديدات . أما الروابط والجمعيات النسائية والمهنية كجمعيات الأطباء المسلمين وغيرها - فهي أقلها نشاطاً، وأقلها فاعلية، ذلك أن أسبقيات العمل الإسلامي في أوساط المسلمين لا تشمل مثل هذه المجالات، وإنما تتجه في معظمها إلى مجالات التعليم، والمجالات الخدمية والاجتماعية .

وكثرة تلك الجمعيات والروابط تشكل في بعض الأحيان إحدى مشكلات المسلمين العامة، كما في كينيا، حيث يزيد عددها على الخمسين جمعية (بكر، ١٤٠٥هـ، ص ٩٦)، وكما أسلفنا فهي في كثير من الأحوال -أسماء فقط، توردها بعض الكتب -كقوائم، ولكن لانشاط لها، (انظر: كتاب عبد الحميد بكر- الأقليات المسلمة في أفريقيا - مثلاً) .

إلى جانب هذه المنظمات المحلية، هناك عدد من المنظمات الإسلامية العالمية . الرسمية وغير الرسمية العاملة في أوساط المسلمين في أفريقيا، وهي كمثيلاتها المحلية تهتم بالعمل الاجتماعي، والصحي، والتعليمي، كبناء المدارس، والمستشفيات والمراكز الدينية والثقافية، كما أن بعضها يعمل في مجالي الإغاثة والأعمال الخيرية، وقد يصل عددها في بعض بلدان الأقليات المسلمة إلى أكثر من إحدى عشرة منظمة من أبرزها :

- ١ - رابطة العالم الإسلامي (السعودية) .
- ٢ - منظمة الدعوة الإسلامية (السودان) .
- ٣ - هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية (السعودية) .
- ٤ - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (ليبيا) .
- ٥ - الوكالة الإسلامية الأفريقية (الكويت) .

ولعل هذه المنظمات هي إحدى أقوى وأهم الصلات التي قامت حديثاً بين تلك الجماعات الإسلامية الأفريقية، والعالم الإسلامي العربي. ورغم أهمية العمل المنوط بها، فهناك ملاحظات على أساليب عملها، إذ يرى البعض أن هناك تقصيراً واضحاً في أعمالها، وأن أساليبها تفتقر إلى التنسيق والتخطيط الصحيح بخاصة إذا ما قورنت بأساليب عمل المنظمات النصرانية، والتي تكون تحدياً أساسياً لها. بل إنها

تتفوق عليها في المجالات الإدارية، والمالية، ومجال العمل الدعوي والتخطيط وتحديد الأسبقيات، وذلك راجع ربما إلى افتقارها (أي الإسلامية) للرؤية الصحيحة لمشاكل المسلمين، ولعدم معرفتها بما تريد عمله في أحيان، ومن ثم فقد أضاعت الكثير من الجهد والمال في المنافسة مع بعضها البعض منافسة تؤدي إلى تكرار الجهود. وكثيراً ما تركز تلك المنظمات أنشطتها في مكان واحد، وفي أعمال لاداعي لها، كبناء المساجد الفخمة المكلفة، في حين أن الحاجة ماسة إلى مساجد بسيطة وكثيرة، وقليلة التكاليف. ويتهمها البعض بأنها توزع أحياناً الغذاء والكساء لغير الجوعى والمحتاجين، وبأنها لا تحسن استغلال الكوادر والإمكانات المحلية بالطريقة الصحيحة، ولا تكلف نفسها عناء تدريب الدعاة المحليين التدريب الصحيح الذي يمكنهم من أداء مهمتهم الأداء المطلوب، وإنها لا تقوم بإجراء الدراسات العلمية المناسبة لأحوال البلاد وأهلها المسلمين وغير المسلمين قبل إرسال دعائها إليهم، والشروع في تنفيذات مشروعاتها في بلادهم، وهو أمر تفعله المنظمات والمؤسسات التنصيرية وتقوم به على أحسن وجه، وذلك تحديداً لعملها، وتحقيقاً لأهدافها. وعلى المنظمات الإسلامية مجاراتها في ذلك بتدريب دعائها التدريب المطلوب، وتحديد وسائل عملها وأسبقياتها، كما أن عليها بث روح العمل الذاتي في أوساط المسلمين، وإقناعهم بالاعتماد على أنفسهم بدلاً من الاعتماد على المساعدات الخارجية، وذلك بإنشاء مشروعات منتجة تستطيع الإنفاق على نفسها وعلى برامجها، وعليها إنشاء المراكز الإسلامية للاعتناء بالمسلمين الجدد، وتعليمهم أمور دينهم، حتى لا يتردوا عنه ثانية بفضل إغراءات المؤسسات التنصيرية وبرامجها الترغيبية النشطة في أوساط الطبقات الفقيرة من أبناء المسلمين، أو الجماعات المتضررة من المجاعات والكوارث الطبيعية، وعلى المنظمات الإسلامية أيضاً توطيد علاقات أولئك المسلمين بالعالم الإسلامي، بإقامة المؤتمرات الإسلامية في بلادهم، وإشراكهم في شتى مجالات النشاطات الإسلامية، من مؤتمرات وحلقات دراسة،

وورش عمل . . . الخ ، ثم بتوفير فرص البعثات الخارجية للطلاب المسلمين ليس لدراسة العلوم الإسلامية فقط ، كما هو الحال الآن ، بل أيضاً لدراسة العلوم المدنية كالطب والهندسة . . . الخ ، وذلك سداً للفجوة التعليمية التي تفصل المسلمين عن غيرهم ، وإعداداً للكوادر الإسلامية المؤهلة التي تستطيع قيادة أمتها والمساهمة الفاعلة في شؤون المجتمعات التي تعيش فيها ، فهم قادة المستقبل وجانب مهم آخر هو ضرورة الاعتناء بأمر المرأة المسلمة في أفريقيا ، بانتشالها من الجهل والمرض ، فإن غيابها عن المجتمع يقعد بذلك المجتمع ، بخاصة وأن نظيراتها النصرانيات جد نشاطات في المجالات الاجتماعية والصحية والثقافية . كذلك على المنظمات التركيز على الأفارقة أنفسهم في بث الدعوة في مجتمعاتهم لمعرفةهم بها ، وضرورة التركيز على الخدمات الاجتماعية والتربوية والثقافية والصحية عن طريق المساجد المتعددة الأغراض التي تصل العبادة بمصالح الناس ، وعليها الاهتمام بتوفير الكتاب الإسلامي ، وترجمة المادة الإسلامية إلى اللغات المحلية ، وتيسير توزيعها على المسلمين ، كإعطائها للفقراء مجاناً ، أو بأسعار رمزية لغيرهم من القادرين ، وعليها إنشاء المكتبات الإسلامية العامة التي يرتادها الجميع ، ثم المراكز الثقافية الإسلامية التي تساعد على ربط المسلمين وبث الوعي والمعرفة الإسلامية بينهم ، وعليها أخيراً جمع المعلومات والإحصاءات الدقيقة عن المسلمين وعن أحوالهم ، حتى تكون عوناً لها على وضع خططها وبرامجها على أساس علمي صحيح ، وحتى تكون معيناً للباحثين والدارسين لأحوال أولئك المسلمين ، وعليها الاهتمام بنشر أخبار المسلمين في صحف بلادها وعبر وسائل إعلامها حتى تغطي على التعقيم الإعلامي والتشويه لصورة المسلمين الذين يعانون منهم . (Kiyimbi , 1990 , P. 84) .

وليس عمل تلك المنظمات كله سلبياً ، فإن مجرد مجيئها إلى بلدان الأقليات المسلمة ، واهتمامها بأمر المسلمون هناك ، ومحاولة رعاية مصالحهم ، يعد انفتاحاً منها على تلك الأقليات ، وإيجاداً لصلة مهمة ، سيكون لها الأثر العظيم في المستقبل

بينهم وبين إخوانهم في العالم الإسلامي، وإشعارهم بأن هناك من يهتم بهم، ويشعر بمشكلاتهم ويعمل على حلها لهم، من منطلق الأخوة الإسلامية، الأمر الذي عزز من ثقتهم بأنفسهم، وأعطاهم حافزاً للعمل من أجل تحسين أحوالهم ورعاية مصالحهم، خاصة وأنهم يرون الدعم الخارجي الذي يحظى به النصارى من المنظمات والبعثات التنصيرية الأوروبية والأمريكية. ولا ينكر أحد الدور الذي قامت به المنظمات الإسلامية العالمية في مجال التعليم، من بناء للمدارس، ومساهمة في إتمام بعضها، ومن دفع لمصروفات بعض الطلاب الأيتام والفقراء المتفوقين، ومن مساعدة بعض الطلاب المبتعثين لدراسات عليا في الخارج، بإيجاد الأماكن المناسبة لهم في الجامعات الإسلامية، كما أن للمنظمات مساهمات في المجال الصحي والاجتماعي أيضاً، فقد أقامت وساعدت في إنشاء العيادات والمراكز الصحية، كما أن بعضها ساهم في إنشاء مراكز لأعمال السكرتارية، وتعليم الحياكة للبنات المسلمات، واهتمت ببناء المساجد، وهو أمر تشهد به المساجد الكثيرة المنتشرة في أنحاء عدة من بلدان الأقليات المسلمة، ثم هناك جهودها في تخفيف مشكلة المياه والعطش بحفرها للآبار في مناطق معينة حيث استفاد منها المسلمون وغير المسلمين، مما أعطى انطباعاً طيباً عن الإسلام لدى السكان. وقد اهتمت بعض المنظمات مثل (الندوة العالمية للشباب الإسلامي) ومقرها مدينة الرياض بالسعودية برعاية الشباب والمنظمات الشبابية الإسلامية، فقامت بمجهودات مقدرة في مجال تنظيم حلقات النقاش الإسلامية، وإقامة المعسكرات لتجنيّد إمكانات الشباب، واتحادات وروابط الطلاب المسلمين، لصالح الإسلام وأمتة في بلادهم الأفريقية. وتكفي في مجال التعليم الإشارة إلى جهود منظمة المؤتمر الإسلامي، وإلى إنشائها للجامعة الإسلامية في مدينة (امبالي) بأوغندا، إدراكاً منها لضرورة سد الفجوة التعليمية التي تفصل المسلمين عن النصارى، وخدمة وتطويراً للتعليم في أوغندا، وكان من المفروض أن تكون هناك جامعة إسلامية أخرى في غربي أفريقيا، للبلاد الناطقة باللغة الفرنسية، ولكن حالت ظروف دون قيامها.

ويبقى القول أنه لابد للمنظمات الإسلامية العالمية ، ونظيراتها المحلية من عمل شامل مدروس ، ومن رسم استراتيجية شاملة لمواجهة التحديات التي تواجه المسلمين في أفريقيا - كثرتهم وقتلتهم - عن طريق عمل جماعي مشترك في شكل مراكز ومعاهد ومجالس للتوثيق والتنسيق ورسم الاستراتيجيات (قاسم ، ١٩٩٠م ، ص ٣٣) .

• • • • •

ثانياً : المشكلات والتحديات المعاصرة والمستقبلية :

لقد تعرضنا في الأجزاء السابقة من هذه الدراسة إلى عدد من المشكلات التي تواجه الأقليات المسلمة في أفريقيا، مثل التخلف التعليمي والثقافي، والذي تسبب عنه تخلفهم في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعدم مشاركتهم في تلك المجالات بالصفة التي تناسب أعدادهم وثقلهم الاجتماعي، وتحدثنا عن كونهم جماعة مهمشة تعيش على أطراف مجتمعاتها دون مشاركة فاعلة منهم في تسيير أمور ذلك المجتمع، وأرجعنا كل ذلك إلى أسبابه، ثم تحدثنا عن ما يهدد تلك الجماعات من جراء السياسات الاستعمارية والتي ورثتها الحكومات الوطنية، وعملت بمعظمها فيما يخص المسلمين، من ضياع هويتهم الإسلامية، ومحاولة إذابتها في البيئة المحيطة بها، وقلنا إن هذا هو التحدي الأكبر الذي يواجه المسلمين في تلك البلاد، إلى جانب مخاطر أخرى تتهددهم مثل : تهتك النسيج الاجتماعي، والغياب الإعلامي في مواجهة طغيان أجهزة الإعلام المعادية لهم، وأشرنا إلى إحدى مشاكل تلك الأقليات والتي مازالت تقعد بهم وعن النهوض بمجتمعاتهم المسلمة، وعن محاولة تبوء المكان اللائق بهم في مجتمعاتهم الكبرى التي يعيشون فيها، تلك هي مشكلة الانقسام الداخلي الذي تعاني منه تلك الأقليات - انقسامات طائفية - . فهناك فئات هدامة خارجة عن الإسلام مثل : القاديانية والبهائية والإسماعيلية إلى جانب طوائف علمانية أخرى مثل : الماسونية والشيوعية وغيرهما تعمل في داخل كيان الأقليات، فتفرقها، وتضعف من أمرها، وكذلك هناك خلافات حول قيادات تلك الأقليات، هي الأهم في تفتيت إمكانات تلك الجماعات، وخلافات حول أمور إسلامية هامشية، تنم عن جهل بالإسلام ومبادئه .

وهناك من يرد معظم هذه المشكلات والتحديات إلى سياسات الإدارات الاستعمارية التي تتحكم في مصير القارة الأفريقية حتى وقت قريب، وهي سياسات

كانت ترمي إلى الحد من انتشار الإسلام في القارة، والوقوف في وجهه ووجه أهله، وقد استمرت تلك السياسات ، بصورة أو بأخرى على عهد الحكومات الوطنية، وهي كلها حكومات تربي قاداتها في أحضان المدارس التنصيرية، وبين يدي المستعمر، فورثوا عنهم نظرتهم للإسلام والمسلمين ، وهي فوق هذا وذاك حكومات تقول إنها عصرية علمانية لا موضع فيها للدين سواء أكان إسلامياً أم غير إسلامي ، وهو قول مردود، إذ إن علمانيتها لاتتعدى موقفها السلبي من الإسلام وأهله في كثير من الأحيان . . . ومادامت تلك المشكلات وغيرها هي من مخلفات الاستعمار، فهناك من يردّها إلى تدبير جهات ثلاث هي: الاستعمار ، والتنصير ، والتيارات الأخرى المعادية للإسلام كالشيوعية والصهيونية والماسونية . . ولعل أهم وأخطر تلك الجهات هي المؤسسات التنصيرية بحسبان أن التيارات المعادية للإسلام لاتمثل خطراً يرقى إلى مستوى خطر التنصير على الإسلام والمسلمين في أفريقيا . فالتنصير هو التحدي الأكبر الذي يواجه أمة الإسلام في أفريقيا، ذلك أنه يهدف إلى محو الوجود الإسلامي في القارة، وإحلال النصرانية محله، مستغلاً في ذلك حالة الفقر التي يعيشها المسلمون، وبخاصة الأقليات منهم، وحالة الجهل بالدين ، وأنه يعمل متخفياً في معظم الأحيان تحت ستار مؤسسات تعليمية وصحية وثقافية وإنسانية ، ذات إمكانات مادية وبشرية هائلة، وأنه يعمل وفق مخطط مدروس ، يقال إنه يرمي إلى تنصير القارة الأفريقية بحلول عام ١٤٢١هـ . وقد بدأ هذا النشاط واضحاً في اهتمام البابا (يوحنا بولس الثاني) بابا الفاتيكان ، وراعي الكنيسة الكاثوليكية - بحركة التنصير في أفريقيا، ومن خلال زيارته الثلاث للقارة التي قام بها في غضون خمس سنوات فقط .

وقد ارتبط دخول النصرانية إلى أفريقيا بمقدم الاستعمار إلى القارة السمراء، وبخاصة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر الميلادي)،

إذ جاء الاستعمار بالإرساليات والقساوسة لتمكينه من إخضاع الأفارقة لسلطته السياسية، وقد نجحوا في ذلك إلى الحد الذي جعل السياسيين الأفارقة يقولون إن الاستعمار جاء ومعه الإنجيل، وبعد فترة أعطانا الإنجيل وأخذ منا الأرض . وكانت الاستراتيجية التنصيرية تقوم على دعامتين أولاهما - التركيز على أصحاب الديانات التقليدية والوثنيين وتنصيرهم، وثانيهما: محاربة الإسلام والوقف بشتى السبل في سبيل انتشاره، باعتباره الدين السماوي الوحيد الذي يقف عقبة في طريق مشروعاتهم التنصيرية. وتمثلت حربهم (ومعهم الاستعمار) على الإسلام في عدة أمور منها: محاربتهم للغة العربية بحسبانها لغة القرآن الكريم ، فلم يضمونها مقررات مدارسهم وأهملوا تعليمها تماماً ، بل تطور الأمر إلى أبعد من ذلك حينما قامت السلطات الاستعمارية بتغيير الحرف العربي الذي كانت تكتب به بعض اللغات الأفريقية، كالسواحيلية ، والفولانية ولغة الهوسا ، إلى الحرف اللاتيني ، قطعاً للصلة بين أولئك الأفارقة المسلمين وإرثهم الإسلامي ، من قرآن وحديث وتراث. كما قامت الإدارة الاستعمارية عن طريق وسائلها التعليمية ، وقام المنصرون أيضاً في مدارسهم وكنائسهم ببث كراهية العرب في نفوس الأفريقيين ، باعتبارهم تجاراً للرقيق، ثم بما أدخلته من شوائب على الكتب الإسلامية المترجمة ، أو الطبوعات المزيفة للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، أو الدس الرخيص في المقررات المدرسية من تهمة وإفتراءات ضد المسلمين (مثلما حدث في مدارس الكونغو الديمقراطية). ولقد ورثت الحكومات الوطنية هذه النظرة المتحيزة ضد الإسلام ، فأصبحت سياستها المنبثقة عن «فلسفة الدولة النصرانية العلمانية» تسير على خط السياسات النصرانية المعادية للإسلام وأهله، فأصبحت النصرانية في نظرهم دليل الإخلاص والوطنية ، في حين ظل الشك وعدم الثقة في كل من يحمل اسماً مسلماً أمراً شائعاً في الأوساط الرسمية بين موظفي الدولة، كما ظلت المشروعات المقدمة من جهات نصرانية تحظى بدعم الدولة وسندها في الوقت الذي

نجد فيه المشروعات الإسلامية تواجه عقبات الروتين الحكومي، وتحيزات الموظفين ، وقد ينظر إليها على أنها مشروعات آتية من خارج البلاد، ومن جهات تريد إثارة الفتن والنعرات الدينية، وتريد زعزعة الأمن والاستقرار الداخلي، وترمي إلى هدم كيان الدولة العلماني، ومن ثم فهي لا تجد إلا الرفض وعدم القبول (Wandeti) (10 - 9 , P.P. 1993 .

ومن وسائل التنصير الفاعلة، إلى جانب العمل الدعائي والأكاديمي المغرض، العمل الإنمائي والاجتماعي والإغاثي في مناطق المسلمين التي تتعرض للكوارث الطبيعية، كالجفاف والأوبئة والمجاعات والحروب، استجلاباً لقلوب المسلمين ولتعاطفهم، كخطوة أولى نحو تنصيرهم يساعدهم في ذلك غياب العمل الإسلامي الخيري، أو عدم استجابته السريعة لحاجات المسلمين المتضررين من تلك الكوارث، ومن ثم فإن منظمات الإغاثة العالمية ، مثل منظمة الصليب الأحمر وماشاكلها، تلعب دوراً في عملية التنصير، بخاصة في مناطق المسلمين الفقيرة والمتضررة، وكذلك منظمة أطباء بلا حدود، والتي تبدو منظمة إنسانية بحتة ، ولكنها هي الأخرى منظمة تنصيرية نشطة (أبو بكر ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢٥٩) . وفي غياب الدعوة الإسلامية في كثير من المناطق المعرضة لخطر التنصير ، ولعدم فاعليتها في أحيان ، يتهيا الجو للمنصرين للتغلغل في أوساط الجماعات الإسلامية الفقيرة . فالدعاة المسلمون قليلون، وغير مفرغين ، وفي كثير من الأحيان لا رواتب لهم ، وينقصهم التأهيل بسبب ضعف التعليم الإسلامي، كما أن إمكانات الدعوة المادية محدودة، والحكومات الأفريقية رغم كونها حكومات علمانية ، إلا أنها تؤيد جهود المنصرين بطرق غير مباشرة (أبو زيد ، ١٤١٠هـ ، ص ص ٩٣ - ٩٦) .

وما لم توجد دعوة إسلامية فاعلة في بلاد الأقليات المسلمة في أفريقيا ، فإن خطر التنصير يهدد تلك الجماعات ، وينذر بشر مستطير ، إذا ما تمكن من تحويل

المسلمين عن دينهم . ولا بد لأي دعوة ناجحة من العمل على تحديد احتياجاتها وأسبقياتها ، وبرامجها ووسائل عملها بموجب خطة علمية مدروسة تأخذ في الاعتبار أعداد واحتياجات المسلمين ، وأماكن تواجدهم ومشكلاتهم . . . إلخ . ولا بد أيضاً من تنسيق العمل بين المنظمات الدعوية المختلفة . ومن تدريب الدعاة على أمور الدعوة التدريب المناسب ، حتى يكونوا ندأ لرفائهم المنصرين المدربين ، ولا بد من جمع المعلومات الخاصة بالدعوة والدعاة وتحديد المشكلات التي يواجهونها ، وتحليل تلك المعلومات من أجل الوصول إلى نتائج موضوعية تسهم في دفع عجلة الدعوة إلى الأمام ، كما لا بد من خلق جهاز مركزي يقوم على تنظيم الجهود الدعوية والإشراف عليها ، ويهتم بنشر المعلومات الصحيحة عن الإسلام ، ويراجع ما يكتب عنه في المقررات المدرسية من تحريض وتشهير ، ولا بد من الاهتمام بالجانب الإعلامي ، فهو وسيلة الاتصال الحديثة الفاعلة والمؤثرة في عالم اليوم ، فالتركيز على وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية أمر لازم لمقابلة نشاط المنصرين ، ولتفعيل الدعوة الإسلامية ، وبث روح الحياة فيها من جديد . وأخيراً لا بد من توفير الموارد المادية اللازمة للدعوة ، فذلك أمر ضروري للعمل الدعوي الفاعل .

ولإلقاء المزيد من الأضواء على أوضاع الأقليات المسلمة في أفريقيا فسيتم في الصفحات التالية التطرق بالتفصيل لأربع نماذج قطرية هي : كينيا ، الكونغو الديمقراطية ، غانا ، وجنوب أفريقيا .

• • • • •

الأقلية المسلمة في كينيا

العقبة الكبرى التي تواجه كل دارس لأحوال المسلمين في كينيا هي قلة المصادر والدراسات المنشورة ، فليس هناك من شواهد مثبتة منشورة عن أحوال المسلمين الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية في كينيا ، إلا بعض المقالات المنشورة باللغة الإنجليزية والمبعثرة هنا وهناك ، والدراسات التي قدمت حلقة النقاش الوطني عن الإسلام في كينيا Islam in Kenya والتي انعقدت في مدينة ممباسا في شوال ١٤١٤هـ (أبريل ١٩٩٤م) ، والتي نشرت أجزاء من بحوثها في كتاب الإسلام في كينيا تحقيق الدكتورين محمد باكاري ، وسعد يحيى يضاف إلى ذلك أن المصادر والكتب العربية التي تتحدث عن مسلمي كينيا جد قليلة لأسباب كثيرة ، أهمها قلة اهتمام الباحثين العرب بتاريخ الإسلام في شرقي أفريقيا ، بسبب الصلة المحدودة بين العالم العربي الإسلامي وتلك المنطقة ، والعزلة التي فرضها الاستعمار عليها .

خلفية جغرافية :

كينيا جمهورية مستقلة ، عاصمتها نايروبي ، استقلت عام ١٩٦٣م بعد حكم بريطاني دام سبعين عاماً ، وتبلغ مساحتها ٥٨٠.٣٦٧ كيلو متر مربع ، وتقع على جانبي خط الاستواء بين دائرتي العرض ٤ درجة مئوية شمالاً وجنوباً ، وبين خطي الطول ٣٤ درجة مئوية شرقاً ، و ٤١ درجة مئوية غرباً ، ويحدها شرقاً الصومال والمحيط الهندي ، وجنوباً تنزانيا ، وغرباً أوغندا ، وبحيرة فيكتوريا ، وشمالاً أثيوبيا والسودان ، وتتبعها بعض الجزر في المحيط الهندي ، وأهمها جزيرة باتا ، ويجري فيها عدد قليل من الأنهار ، من أهمها تانا ، وجلانا ، ونزويا ، وجوري ، وبها عدد من البحيرات ، مثل بحيرة تركانا ، وبحيرة فيكتوريا (مشتركة بينها وبين جيرانها) ، كما تكثر في كينيا الأودية التي تسيل في وقت هطول الأمطار .

أرضها عبارة عن سهل ساحلي ضيق ، يمتد بامتداد الساحل ويتسع بعض الشيء في الشمال الشرقي من الساحل ، بينما مناطقها الواسعة الأخرى عبارة عن هضبة مرتفعة تتمركز فيها الجبال في الغرب الأوسط ، وأعلى قممها جبل كينيا الذي يرتفع إلى ٥١٩٦ متراً فوق سطح البحر. يبدأ ارتفاع الهضبة من جهة البحر، من الحزام الساحلي إلى منطقة حشائش السافانا، والمناطق المرتفعة ذات الأمطار الغزيرة، ثم هناك منطقة الأخدود الأفريقي والذي يمتد من شمالي البلاد إلى جنوبيها حيث يبلغ عمقه ما بين ٦١٠ - ٩٤٠ متراً تحت سطح البحر، وتبرز منه حافات عالية يصل ارتفاعها أحياناً إلى ٣٠٠ متر فوق سطح البحر. أما السهل المنبسط والذي يتكوّن منه الإقليم الشمالي الشرقي، فذو طبيعة شبه صحراوية في شرقه ، وفيه أراضٍ وعرة، وأخرى منبسطة خاصة في جزئه الواقع غربي بحيرة تراكنا (Europa) (1995 , .

المناخ :

على الرغم من وقوع كينيا على خط الاستواء ، إلا أن المناخ والنبات فيها بعيدان كل البعد عن صفات مناخ ونبات المنطقة الاستوائية ، هذا فيما عدا السهل الساحلي المنخفض الذي تظهر عليه بعض السمات الاستوائية ، أما المناطق المرتفعة فتتمتع بمناخ معتدل ، وهطول معتدل للأمطار ، والتي تكثر في الساحل وفي غربي البلاد بالقرب من بحيرة فيكتوريا . أما السهول المنخفضة الواسعة والتي تكون على انخفاض ١٢٠٠ متر تحت سطح البحر فمناطق قاحلة ، أو شبه قاحلة . والجزء الأكبر من كينيا منطقة صحراوية، أما إقليم بحيرة فيكتوريا ومنطقة المرتفعات الواقعة غرب الوادي الأخدوي فتتميز بموسم أمطار طويل .

الاقتصاد :

تعتمد كينيا على السياحة ، وعلى البن والشاي كمصادر للنقد الأجنبي، كما

أنها تنتج الذرة بأنواعها ، والدخن ، والأرز والموز ، ومختلف أنواع المحاصيل الزراعية التي تختلف باختلاف التضاريس وكمية الأمطار، حيث تزرع المحاصيل النقدية في المرتفعات ذات المناخ المعتدل والمطر الوفير . ولكينيا ثروة حيوانية ، وغابية هائلة، ولها ثروة سمكية أيضاً ، بخاصة حول بحيرة فيكتوريا وتركانا ، وبها العديد من المعادن مثل الملح والجير والذهب ، ولكن ثروتها المعدنية تشكل قدراً ضئيلاً من دخلها الوطني (Salim , 1978 , P. 885) .

السكان :

حسب النتائج الأولية لإحصاء عام ١٩٨٩م فـسكان كينيا كانوا ٢١٤٤٣٦٣٦ مليون نسمة ولكنهم في نهاية التسعينات الميلادية يقدرّون بأكثر من ٢٣ مليون نسمة، وهم يتزايدون بنسب عالية ، تبلغ ٦.٣٪ . والسكان مركّزون في ثلث مساحة البلاد، بخاصة الزراعية منها، وحوالي ١٥٪ يعيشون في المراكز الحضرية، مثل نايروبي (٣٤٦٠٠٠ نسمة)، ومباسا (٤٦٥٠٠٠ نسمة) ، وتعيش معظم الجاليات الأجنبية في المدن، وهم :

١ - آسيويون ، ويبلغ عددهم ٨٩١٨٥ نسمة .

٢ - أوروبيون ، وتعدادهم حوالي ١٣٤٥٦٠ نسمة .

٣ - عرب ، وهم حوالي ٤١٥٩٥ نسمة - حسب إحصاء عام ١٩٨٩ م .

ويبلغ سكان البلاد الأصليون (الأفريقيون) حوالي ٨٩٪ من مجموع السكان، وينتمون إلى حوالي ٤٢ قبيلة مختلفة - أهمها قبيلة « الكيكويو » وقبيلة « لويو » وقبيلة « الكمبا » و « الجالا » في أقصى الشمال . ثم « الصوماليون » في الشمال الشرقي ، و « الهاساي » في أقصى الجنوب . وهذه الثلاثة الأخيرة قبائل رعوية . ويسكن العرب والسواحيليون المناطق الساحلية، في حين يسكن الهنود في المدن

الكبرى والعاصمة. واللغة السواحيلية هي لغة البلاد الوطنية في حين أن اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية (Eunopa , 1995 , P. 485) .

النظام السياسي في كينيا جمهوري دستوري. يتولى السلطة التشريعية مجلس النواب والتنفيذية رئيس الجمهورية والوزراء، ولرئيس الجمهورية سلطات واسعة. وتنقسم كينيا إلى ثمانية أقاليم إدارية، بما فيها إقليم نايروبي، هي: إقليم الساحل، الإقليم الشرقي، والإقليم الشمالي الشرقي (سكانه صوماليون)، والإقليم الأوسط، وإقليم مدينة نايروبي، إقليم الريفت فالي (وادي الأخدود)، والإقليم الغربي وإقليم نيانزا .

والحكومة تعتمد على الزراعة كعصب لاقتصادها، كما أن بكينيا عدة صناعات، تجعلها من أكثر بلاد شرقي أفريقيا تعدداً في المجال الصناعي، مثل صناعة مستخرجات البترول الخام المستورد، وصناعة حفظ المنتجات الزراعية وصناعة تجميع السيارات... إلخ .

حوالي ٤٨٪ من السكان وثنويون، و ١٦٪ نصارى بأنواعهم المختلفة، وحوالي ٣٥ - ٣٧٪ مسلمون، ولكن الحكومة تقول إن المسلمين ٢٥٪ فقط، وغالبية المسلمين يسكنون ممباسا والساحل، وهو يعودون في الأصل إلى عرب، وآسيويين (عنود وباكستانيين) وصوماليين ووطنيين (أفارقة) . وهناك ٢٪ يهود وديانات أخرى .

تاريخ الإسلام في كينيا :

الإسلام أقدم دين « وافد » وصل إلى كينيا، وأنه يأتي من ناحية القدم في الدرجة الثانية بعد الديانات الأفريقية التقليدية، وإن مجيئه إلى كينيا ربما يرجع إلى القرن الثاني الهجري (بداية الثامن الميلادي)، وأنه جاء من ساحل شرقي أفريقيا، وعن طريق التجار العرب والسواحيليين الذين جاءوا من الساحل إلى منطقة الداخل

تجاراً ولم يأتوها مبشرين ، ومن ثمَّ كان الإسلام في كينيا محصوراً في أوله في المراكز التجارية الحضرية وذا سمات حضرية ، وكان انتشاره إلى داخل أراضي كينيا انتشاراً تدريجياً، ساعده على ذلك تحسن طرق المواصلات على عهد الإدارة الاستعمارية، واستتباب الأمن، مما مكَّن التجار من التوغل إلى داخل البلاد حاملين وناشرين معهم دينهم .

وتميز دخول الإسلام إلى كينيا بأنه كان سلمياً، لم تشوبه حروب بين المهاجرين والسكان الأصليين، وإنما تم التواصل بين المجموعتين في هدوء وسلام. وكان نتيجة هذا التمازج ظهور اللغة والحضارة السواحيلية والتي هي مزيج بين لغة وحضارة الوافدين الجدد، ولغة وحضارة سكان البلاد البانتويين.

ولأن الإسلام ظاهرة حضرية فقد تركز معظم أهله في الساحل ومدنه، حيث يصل عدد المسلمين العرب والسواحيليين هناك إلى حوالي ٦٢٪ من مجموع السكان. وتبلغ نسبة المسلمين في شمال شرقي كينيا ما يقرب من ١٠٠٪. أما بقية المسلمين الكينيين فمفروقون في جماعات وأقليات صغيرة مفرقة في النواحي الريفية والحضرية من البلاد، وقد كان لتشتتهم أثر سلبي على أحوالهم الاقتصادية والسياسية، وجعلهم أقليات تعاني من ضياع حقوقها، تعيش على هامش المجتمع الذي تعيش في وسطه. (Bakari, 1995, P. 76). ولم يكن انتشار الإسلام في كينيا وقفاً على التجار العرب والسواحيليين ، وإنما أيضاً على زحف القبائل الصومالية المسلمة الزاحفة من الشرق عبر المناطق الصحراوية طلباً للماء والعشب . وحاملة معها إسلامها إلى قبائل الجالا في إقليم « التانا » ، منذ القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، وإلى ماجاورها من قبائل ال « رنديل » Rendille، و « الدوران » حيث تصل نسبة المسلمين اليوم في أواسط تلك المجموعات القبلية إلى حوالي ٩٠٪ .

كما أن بناء خط حديد كينيا - أوغندا في بداية العهد الاستعماري ساعد على انتشار الإسلام إلى داخل الأراضي الكينية، وإلى ظهور العنصر الآسيوي كعنصر من عناصر الأقلية المسلمة في كينيا. والواقع أن جل المسلمين الآسيويين الذين جاءوا إلى كينيا مع الخط الحديدي، عرفوا بعيشهم بعيداً عن المجتمع الكيني الذي جاءوا مهاجرين إليه، كما عرفوا بحسن تنظيمهم واهتمامهم بشؤونهم التعليمية والخدمية. ولأنهم عاشوا في عزلة، فقد كان أثرهم في المجتمع طفيفاً، إلا في النواحي الاقتصادية التي بزوا فيها غيرهم.

وعلى الرغم من هذا التباين العرقي والمذهبي والثقافي في أمة الإسلام في كينيا إلا أنها في رأي كثير من الباحثين المسلمين ظلت أمة مترابطة يجمعها رابط الإسلام، وأخوته، وأنها أمة ذات هوية إسلامية واضحة، في حين يرى آخرون أنها ظلت على قدر من ولائها القبلي والعرقي. وسواء كان هذا أو ذاك، فالمسلمون في كينيا كيان قائم بذاته له خصائصه وسماته ومشاكله وتحدياته (Said, 1995, P.P. 19-20).

يصعب تحديد تاريخ بعينه لدخول الإسلام إلى كينيا، وترجع بعض الروايات وصول المسلمين الأوائل إلى الساحل الكيني إلى القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، وبعضها ترجعه إلى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). وتتفق المصادر على قدم العلاقات بين سكان ساحل شرقي أفريقيا والتجار القادمين من جنوب غربي شبه الجزيرة العربية، وإن تلك العلاقات قويت وزادت منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كما زادت وضوحاً على عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، ثم على عهد الخلافة العباسية، وأنه نتج عنها قيام عدة مدن تجارية ذوات كيان سياسي مستقل (تسميها المصادر «دول مدن» City States) وكانت مواقعها على الساحل وسكانها خليط من العرب والأفريقيين

والشيرازيين (الفرس) والصوماليين وغيرهم ، وقد سمّتهم المصادر العربية « سواحيليين » نسبة إلى السواحل التي تركزوا فيها وعلى يد أولئك السواحيليين والعرب انتشر الإسلام من الساحل إلى داخل كينيا كما أسلفنا، بل وإلى دول شرقي أفريقيا مثل: تنزانيا، وأوغندا، والكونغو (بشقيه) ورواندا وبورندي، وإفريقيا الوسطى .

والرأي السائد اليوم بين الكتاب المسلمين ، من كينيين وغيرهم ، هو أن الإسلام دخل كينيا واستوطنها على عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، أي في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، وأن أول مستوطنة إسلامية كانت في مدينة «باتي» في أرخبيل لامو في حوالي عام ٨١هـ (٧٠٠م) ، وأن مؤسسيها كانوا مجموعة من المسلمين المناوئين للخلافة الأموية، وأن وصول الإسلام إلى كينيا مرتبط بنشاط التجار العرب والسواحيليين كما هو مرتبط بوصول جماعات عربية وفارسية هاجرت إلى شرقي أفريقيا أولاً ومنها إلى السواحل الكينية ، طلباً للأمن ، وفراراً من يد خلفاء بني أمية بعد أن اشتدت خلافاتهم معهم ، ومن أولئك جماعة من مسلمي الشام، وجماعة من أهل عُمان ، منهم سليمان وسعيد ابنا عباد الجلندي (من أزد عمان)، وكانوا على خلاف مع الخليفة عبد الملك بن مروان ، هاجروا على أثره، واستقروا في الساحل الكيني حيث أقاموا إمارة إسلامية لهم في لامو (شمال ممباسا). وتوالى الهجرات إلى ساحل شرقي أفريقيا ، والذي أطلق عليه العرب اسم «بر الزنج» فوصلته في عام ٣٠٨هـ (٩٢٠م) مجموعة من أهل الأحساء واستقرت في مقديشيو وبروا . وشملت تلك الهجرات عرب حضرموت ، وبعضاً من الشيرازيين من فارس، ذكرهم الشيخ محيي الدين الزنباري في كتابه (السلوى في تاريخ كلوا)، وقال إنهم نزلوا أماكن متفرقة مثل ممباسا ، جزيرة ممبا ، كلوا وجزر القمر ، وانتشر جزء منهم على الساحل حيث أقاموا مستوطنات لهم هناك .

وإلى أولئك الشيرازيين يرجع الفضل في تأسيس إمبراطورية الزنج ، ولهم الدور الأعظم في أسلمة ساحل أفريقيا الشرقي ، فتزوجوا مع السكان الأصليين واختلطوا بهم ، حتى أصبحت كلمة «شيرازي» تطلق على العوائل المنحدرة من أصل فارسي- أفريقي- وقد كان هذا الاختلاط العرقي والثقافي سمة من سمات الإمارات ودول المدن City States التي أقامها المهاجرون العرب والفرس في ساحل شرقي أفريقيا ، وفي الساحل الكيني ، نتج عنها انتشار الإسلام في تلك الأصقاع وظهور الحضارة السواحيلية . (ترمنجهام ، ١٩٧٣م ، ص ص ٥٥-٥٦) ، (أيضاً)
(Salim . 1978 , P.886) .

أنهى البرتغاليون عندما غزوا ساحل شرقي أفريقيا ، بدوافع صليبية تجارية - في عام ٩٠٣هـ (١٤٩٧م) وجود تلك الإمارات الإسلامية ، مستغلين المنافسة والعداء الذي كان قائماً بينها ، فهاجموا جزيرة زنجبار في عام ٩٠٩هـ (١٥٠٣م) ودمروا كل مظاهر الوجود الإسلامي هناك ، واحتلوا « كلوا » وأحرقوا مساجدها الثلاثمائة كلها ، وأحرقوا ممباسا وأقاموا المذابح لأهلها . وباختصار شن البرتغاليون حرباً صليبية على الوجود الإسلامي في شرقي أفريقيا بعامة ، وفي كينيا بخاصة ، استمرت لمدة قرنين بغرض محوه وإحلال الوجود البرتغالي النصراني مكانه ، وبغرض فرض سيطرتهم على تجارة المحيط الهندي . وقد انتهت السيطرة البرتغالية على ساحل شرقي أفريقيا على يد السلطان العربي العُماني ، سيف بن سلطان ، والذي استطاع طردهم من هناك في بداية القرن الثاني عشر الهجري (نهاية السابع عشر الميلادي) ، وكان ذلك بداية للهيمنة العُمانية على ذلك الساحل ، حيث حول السلطان سيف بن سلطان ، عاصمته من عُمان إلى كلوا ، وعندما خلفت العائلة البوسعيدية السلاطين اليعاربة على حكم عُمان واصلوا جهادهم ضد البرتغاليين ، وما أن حل القرن الثالث عشر الهجري (الربع الأخير من الثامن عشر الميلادي) ،

حتى كان كل الساحل الشمالي الشرقي تحت السيطرة الإسلامية تماماً ، الأمر الذي جعل السلطان «سعيد بن سلطان» يحوّل عاصمته من مسقط إلى زنجبار في عام ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) لياشر حكمه على الساحل وماجاوره من هناك . وقد تبع الازدهار التجاري الذي شهدته الفترة العُمانية انتشار للإسلام في أراضي شرقي أفريقيا الداخلية ، بما فيها كينيا، بفضل الهجرات العربية القادمة من عُمان وحضر موت والهند ، وبفضل نشاط أولئك التجار ، وإنشائهم لمراكز ومستوطنات تجارية كانت هي مراكز إشعاع إسلامي . وما أن حل الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، حتى كانت كل منطقة شرقي أفريقيا منطقة نفوذ إسلامي ، قاعدتها في زنجبار، وقوامها التجارة (Salim , 1978 , P. 888) .

بقي الإسلام قبل مجئ الاستعمار إلى كينيا في عام ١٨٩٥م محصوراً في الشريط الساحلي الكيني ، والأماكن الداخلية المجاورة ، لذلك الساحل ، ولكن رغم المعارضة التي لقيها من الإدارة الاستعمارية ومن الهيئات التنصيرية ، فقد زاد انتشاره في مناطق الداخل بسبب تحسن طرق المواصلات ، وإنشاء خط حديد كينيا - أوغندا ، وبسبب الأمن الذي استتب ومكن للتجار المسلمين من ارتياد المناطق الداخلية التي لم يتمكنوا من الوصول إليها من قبل ، ثم بسبب التفكك الاجتماعي الذي أحدثته السياسات الاستعمارية في مجتمع كينيا القبلي ، والذي جذب الناس إلى الإسلام ، وأخيراً بسبب استعانة تلك الإدارة بالمسلمين كموظفين ، ووكلاء ، وشرطة ، وجنود ، ومدرسين ومترجمين ، وجباة للضرائب ، وذلك بفضل معرفتهم للكتابة ، ولكونهم أكثر تحضراً ومعرفة من الأهالي الوثنيين الخام . ولكن سرعان ما انقلبت تلك الإدارة على المسلمين ، بتحريض من الهيئات التنصيرية الحانقة على انتشار الإسلام ، فعملت على إقصائهم من الوظائف ، بتأهيل الوثنيين والنصارى ليحلوا مكانهم في الإدارة . وهكذا بدأ نفوذ المسلمين السياسي في التراجع ، وبدأت

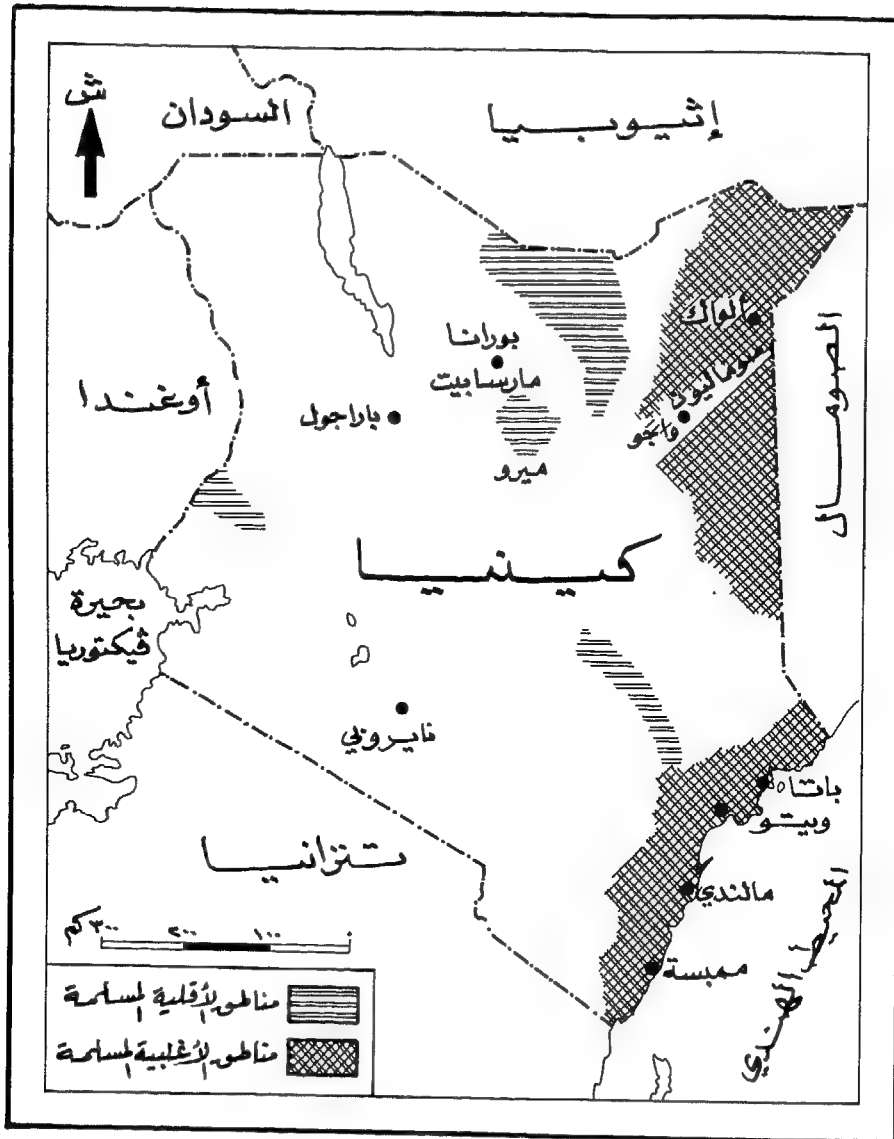
معه عملية تهميش المسلمين سياسياً، ثم إهمالهم تعليمياً ، ثم جعلهم في النهاية قوة تعيش على حافة المجتمع، وتعاني من غمط حقوقها كافة ، السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية . وقد استمرت هذه السياسة بدرجات متفاوتة على عهد الحكومات الوطنية إلى يومنا هذا (Salim . 1979 , P.P. 61-62) .

كانت حصيلة العهد الاستعماري في كينيا ، تخلف المسلمين تعليمياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، وتلك هي المشاكل الأساسية التي يعاني منها المسلمون الكينيون اليوم . وقبل التعرض إلى تلك المشاكل لابد من إلقاء نظرة على أعداد أولئك المسلمين، وتوزيعهم المجالي، وجنسياتهم، ثم على نشاطاتهم السياسية والاقتصادية... إلخ .

التوزيع المجالي للمسلمين وجنسياتهم (شكل رقم ١) :

المصادر تختلف في تقدير أعداد الأقلية المسلمة في كينيا ، ونسبها المؤية، فمن يقول إنهم ٢٥٪ من مجمل السكان ، و ٣٠٪ أو حتى ٤٠ - ٤٥٪ ، والراجع أنهم بين ٢٥-٣٠٪ (Wandati , 1993 , P.P. 2 - 3) .

وتقول آخر إحصائية سكانية أجريت في كينيا في عام ١٤٠٨هـ (١٩٨٩م) «إن المسلمين في كينيا يكونون ٧٥ر٥ ملايين مسلم من مجموع السكان الكينيين البالغ عددهم ٢٣ مليون نسمة ، أي نسبة ٢٥٪ ، وإذا ما أضيف إلى ذلك معدل زيادة السكان السنوية فقد تصل نسبتهم إلى ٣٠٪، والمسلمون الكينيون قسمان: الأول: المنحدرون من أسلاف وفدوا إلى شرقي أفريقيا قبل نهاية القرن الثاني عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، والذين اعتنقوا الإسلام في فترات سابقة وعدد هؤلاء ٩٦٠ر٠٠٠ سواحيلي، و ٥٤٠ر٠٠٠ صومالي و ٦٠ر٠٠٠ عربي . أما القسم الثاني من المسلمين: فهم أولئك الذين جاء أسلافهم إلى شرقي أفريقيا بعد عام



شكل (١) توزيع المسامين في كينيا (١٩٩٦م)

لنمذ الخريطة ليست مرجعاً للعمود السياسية.

١٨٨٢م، وهم المهاجرون الهنود والذين يبلغ تعدادهم عشرات الآلاف فقط والأفريقيين الذين اعتنقوا الإسلام أثناء تلك الفترة .

ويكون الأفارقة المسلمون المجموعة الكبرى من مسلمي كينيا، وقد جذبهم إلى الإسلام ما أشرنا إليه سابقاً من سهولة مبادئة وأخوته ومساواته . . . إلخ .

ولاتخلو قبيلة من مسلمين فيها. فالبوران مثلاً كلهم مسلمون تقريباً رغماً عن أنهم كانوا وثنيين قبل قرن من الزمان . وهناك نسب كبيرة من المسلمين في أواسط المجموعات العرقية واللغوية الأخرى مثل الصوماليين ، والسواحيليين والأرومو والبانسو، كما أن هناك نسباً ماثوية أقل من المسلمين في أواسط قبائل الفيكويو، مرو، الاكامبابا ، الماساي ، اللو ، والكالنجين .

ويعيش المسلمون السواحيليون في القرى الواقعة على شريط كينيا الساحلي، وفي مدن لامو، ومباسا ومالندي ، وقانجا ، وكليفي ، وهم منحدرين من تزاوج التجار العرب بنساء البانسو. أما المسلمون الصوماليون والذين كانت أعدادهم عند استقلال كينيا حوالي ٤٠٠.٠٠٠ نسمة، فيسكنون الإقليم الشمالي الشرقي من كينيا، ويحترف حوالي ٦٠ - ٧٠٪ منهم الرعي ، وقلّة منهم زراّع ، وأعدادهم الحالية تبلغ حوالي ٥٤٠.٠٠٠ شخص ، وكان الكثير منهم قد قتل أو لجأ إلى البلاد المجاورة عندما قاموا بثورتهم المعروفة إبان الاستقلال مطالبين بالانضمام إلى جمهورية الصومال، والتي يعتبرونها وطنهم الأم ، ويلجأ بدو الصومال إلى قانونهم العرفي، ولكن الشريعة الإسلامية هي المقدمة على العرف دائماً عندهم .

أما الأرومو فيعيشون في المنطقة الواقعة بين شمال شرقي اثيوبيا وأواسط كينيا، وبين حدود الصومال والسودان، كما أن جزءاً منهم يعيش في المناطق الشمالية الوسطى والشمالية من كينيا ، وهي مناطق ذات كثافة سكانية ضئيلة ، وعلى الرغم من أن ممارستهم للشعائر الدينية تختلف قوة وضعفاً من مكان إلى آخر إلا أن لهم

إحساساً قوياً بهويتهم الإسلامية وبانتمائهم للعالم الإسلامي .

والمسلمون البانتو في كينيا يؤلفون حوالي ٣٨٪ من مجموع البانتو في شرقي أفريقيا والبالغ عددهم خمسة ملايين نسمة، وهم مسلمون كان للتجار العرب والسواحيليين دور كبير في اعتناقهم للإسلام . ومعرفتهم بمبادئ الدين ، وتمسكهم بها، قليل نوعاً ما . ومن أهم مجموعاتهم في كينيا ، قبائل الميجيكندا Mijikenda والـ « تيتا » Tita .

أما المسلمون الآسيويون القادمون من جنوبي آسيا، فيكُونون حوالي ١٠٪ من جملة المسلمين في كينيا، وقد اندمجوا في البيئة الأفريقية، ويتحدثون السواحيلية بطلاقة. والمسلمون الآسيويون عامة منعزلون على قلتهم، وهم جماعات مختلفة، ظلت تلعب دوراً اقتصادياً بارزاً في كينيا، ولا زالت تلعب ذلك الدور ، فهم تجار ورجال أعمال ، ولهم تنظيمات جيدة، ساعدت على ازدهارهم الاقتصادي، وساعدهم تعاونهم وتعاضدهم الناتج عن شعورهم بأنهم أقلية عزلت نفسها إلى حد كبير عن المجتمع .

الوضع السياسي للمسلمين الكينيين :

على الرغم من أن المسلمين يكُونون أغلبية السكان في ثلاثة أقاليم من أقاليم كينيا الثمانية (هي إقليم الساحل، الإقليم الشرقي، والإقليم الشمالي الشرقي)، إلا أنهم ظلوا من أفقر طبقات المجتمع الكيني ، وأقلها تمثيلاً وتعليماً، وذلك أنهم بعدوا بأنفسهم وأبنائهم عن مدارس الإرساليات التنصيرية، خوفاً على دينهم وهويتهم، على العهد الاستعماري، وإلى حد ما على العهد الوطني ، وأمّ تلك المدارس أبناء الوثنيين ومن تنصروا، فبرزت طبقة من المتعلمين الكينيين النصاري، كانت هي الصفوة السياسية التي آلت إليها أمور الحكم في البلاد عند الاستقلال . واستمرت هذه الفجوة التعليمية بين المسلمين وغير المسلمين، كما استمر تخلف

المسلمين التعليمي، والذي كان سبباً أساسياً في عزلتهم السياسية ، وفي غيابهم عن المشاركة في السلطة السياسية والخدمة المدنية، وعدم فاعليتهم في المجال الاقتصادي، وفي صياغة القرارات المصيرية. وأسباب ذلك سياسية واقتصادية واجتماعية ، منها سيطرة غير المسلمين من النصارى على مقدرات البلاد بعد الاستقلال ، ونظرة هؤلاء المتحيزة ضد المسلمين والتي ورثوها عن الإدارة البريطانية، والتحيز ضدهم في المجالات التعليمية ، وفي مجال منح الجنسية وحقوق المواطنة ، باعتبار أن المسلمين الكينيين عرباً وليسوا مواطنين كينيين أفريقيين، عليهم إثبات مواظمتهم الكينية ، حتى وإن كانوا هم وآباؤهم مولودين في كينيا . ولم يكن غريباً إذاً أنه لم يعين وزير مسلم في الحكومة الوطنية إلا في عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٣ م)، وحتى يومنا هذا لا يوجد في الحكومة الكينية إلا وزير مسلم واحد (بدون أعباء) في مكتب رئيس الجمهورية) ، وأربعة نواب وزراء مسلمين، وهذا أمر لا يتناسب ووزن المسلمين السكاني والذي تبلغ نسبته ٢٥٪ من مجموع السكان، كما أن للمسلمين أربعة وعشرين نائباً في البرلمان الكيني البالغ عدد نوابه مائة وواحداً وسبعين نائباً، أي حوالي ١٤٪ فقط . وهكذا تبقى أعداد المسلمين في المجالات التنفيذية، والتشريعية والإدارية قليلة ولا تناسب حجمهم السكاني.

ورغم الكثرة العددية فقد ظل المسلمون دون قيادة ، ودون تنظيم أو حزب سياسي يمثلهم، ويدافع عن مصالحهم. وفي غياب ذلك فقد كانت مساهمات المسلمين السياسية في تاريخ كينيا السياسي مساهمات فردية، ومن داخل الأحزاب السياسية العاملة مثل « حزب المتتدى لإعادة الديمقراطية »، « الحزب الديمقراطي » و « حزب اتحاد كينيا الوطني الأفريقي » ، ومن ثم لم يكن لهم برنامج إسلامي خاص بهم يعملون من أجله . فقد كانوا سياسيين أولاً ومسلمين ثانياً . ولقد حاولت فئتان ملء هذا الفراغ السياسي بخلق قيادة سياسية للمسلمين ، أولاهما:

رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في كينيا، والذي تأسس سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) من قبل الدولة ليشرّف على النشاط السياسي، أما الفئة الثانية التي حاولت قيادة المسلمين: فهم جماعة من الشباب المسلمين الذين اجتمعوا في رجب ١٤١٢هـ (يناير ١٩٩٢م)، وقرروا تكوين حزب إسلامي كيني، والسعي لتسجيله كحزب سياسي يمثل كل الكينيين على اختلاف معتقداتهم الدينية، ويقوم على رعاية المثل الديمقراطية وحمايتها وحماية حقوق الإنسان، ويعمل على إزالة جميع أشكال التمايز وعلى كافة المستويات. ولكن ورغم هذه المبادئ العامة، فقد رُفِض تسجيله بحجة أنه حزب ديني لا يتماشى وعلمانية دستور الدولة، وإن قيامه سيهدد وحدة واستقرار البلاد وقد أدى موقف الحكومة هذا إلى حدوث حوادث شغب في مدينة ممباسا ولامو ذواتا الكثرة المسلمة (Salim, 1978, P. 890).

وهكذا باءت المحاولة لخلق قيادة سياسية إسلامية بالفشل في وجه رفض الحكومة تسجيل الحزب الإسلامي. . كما أنه قامت في الفترة الأخيرة فئة من المسلمين تعارض الحزب الإسلامي هذا، بتكوين حزب إسلامي آخر، يقولون إنه أكثر اعتدالاً، وأنه ضد العنف وضد الحزب الإسلامي، ذلك هو حزب «مسلمو أفريقيا المتحدون» United Muslims of Africa، ومرة أخرى يبدو واضحاً عجز المسلمين في كينيا في إيجاد سياسية توحيدهم، وترعى مصالحهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية (Ayubi and Mohyuddin, 1994, P.P. 148-149).

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية :

أوضاع المسلمين الاقتصادية ليست أسعد حالاً من أوضاعهم السياسية، فهم متخلفون اقتصادياً عن بقية قطاعات المجتمع، إلا القلة قليلة ممن وصلوا إلى وضع اقتصادي مميز بفضل كدهم وجهدهم، وكذلك بعضاً من أعضاء الأقلية الآسيوية المسلمة الذين طرّقوا مجالات التجارة، والصناعة، فأثروا وأصبحوا من

الأغنياء. أما جمهرة المسلمين فقراء يعملون حرفيين ، وعمال وفعلة ، وزراع ، وفي القطاعات ذات الدخل المحدود ، والحرف الهامشية ، ومن ثم فالأمة الإسلامية في كينيا تحتاج إلى قاعدة وبنية نقدية قوية ، فليست لها تنظيمات تعاونية ذات وزن، والأفراد الأثرياء فيها حالات محدودة ، متفرقة هنا وهناك ، لا رابط ولاتعاون بينهم. واحتياج الأمة إلى مثل هذا الجهد المشترك المنظم أمر ظاهر . ولابد لتلك الأمة من أن يكون لها مايشبه « بيت المال » ليمثل لأفرادها سنداً وعوناً . وهناك من يرى أنه على المنظمات الإسلامية التي تقوم بجمع الزكاة من المسلمين ، أن تجمعها وتحفظها في مؤسسة نقدية مركزية تستطيع عن طريقها إعانة المحتاجين من المسلمين، والمساهمة بعض مشروعات الأفراد والجماعات الاقتصادية التعاونية . (Azevedo and Patel, 1991, P.490)

وحيث إن الإسلام قد بدأ واستمر في كينيا كظاهرة حضرية، أهله أساساً يعيشون في المدن والمراكز التجارية - الحضرية وحولها فلعل هذا الوضع الاجتماعي للمسلمين هو الذي جعل غيرهم ينظر إليهم نظرة فيها شيء من الدونية وعدم التقدير، بحسبانهم مدنيين ، أي أهل مدن وحضر ، لاجذور لهم في الريف، بخاصة وأن المجتمع يضع اعتباراً كبيراً ووزناً عظيماً للعلاقات الريفية والقروية، ولأهميتها الاجتماعية، كما أن بعض الناظرين لمجتمع المسلمين في كينيا يقولون إن نسبة الطلاق، والتفكك الأسري فيه كبيرة ، وأن الفقر والجهل والمرض منتشر فيه، شأنه في ذلك شأن معظم المجتمعات الحضرية (Salim . 1978 , P. 840) .

المسلمون والتعليم :

كان للمسلمين تعليمهم الإسلامي الخاص بهم حتى قبل مجيء الاستعمار البريطاني إلى كينيا ، وكان تلقيه يتم في مرحلتين : المرحلة العليا : في المساجد وحلقات العلماء حيث يتم تعليم اللغة العربية والتفسير والفقه وعلم الحديث الشريف، وشيء من علوم الشريعة والمرحلة الدنيا : والتي يتم فيها تعليم الطفل

المسلم في مدارس القرآن وخلاويه مبادئ الكتابة والقراءة ، وتلاوة وحفظ القرآن الكريم دونما فهم لمعانيه، ثم مبادئ الدين الأساسية من صلاة وصيام . . . إلخ، وكان ذلك النوع من التعليم لا يؤهل الطالب للموظائف الدنيوية، بخاصة بعد وصول الاستعمار وتشعب متطلبات الحياة ، لهذا فقد ظل التعليم الإسلامي محصوراً في نطاق محدود، في حين أدخل الاستعمار تعليمه الغربي المدني (العلماني)، وجعله محصوراً في مدارس الحكومية، وفي مدارس البعثات والمؤسسات التنصيرية والتي جعلت منه وسيلة للتنصير، ولبت المبادئ والقيم الغربية النصرانية، الأمر الذي جعل المسلمين يقفون منه موقفاً رافضاً، خوفاً على دينهم وهويتهم الإسلامية ونتج عن ذلك تخلفهم التعليمي، كما أسلفنا، واستثثار غيرهم من النصارى بمواقع النفوذ والسلطة في دواوين الحكومة وأروقة الخدمة المدنية، وانعزل المسلمون عن المشاركة السياسية، وعن النشاط الاقتصادي والاجتماعي في بلادهم، وأصبحوا عدداً بلا نفوذ ولا سلطان.

والتعليم الإسلامي في كينيا لا يتعدى المرحلة الثانوية ، فليس هناك جامعة إسلامية في كينيا كما هو الحال في أوغندا ، وإن التعليم الديني الإسلامي الذي صار إجبارياً في مدارس الحكومة الأولية والمتوسطة عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٥ م) متدنى المستوى إذا ما قورن منهجه بمنهج تعليم الدين النصراني . وما لم تقم الأمة المسلمة في كينيا بمعالجة هذا القصور فإن أبناءها الملتحقين بمدارس الحكومة سيظلون على جهل بأمور دينهم، وفي ذلك خطر على هويتهم . والملاحظ أيضاً قلة أعداد الطلاب المسلمين في مراحل التعليم العليا ، فأعدادهم تتناقص كلما انتقلوا من مرحلة إلى أخرى، لدرجة أن نسبتهم في الجامعات الكينية لا تتعدى الـ ١٠٪ وأيضاً يلاحظ قلة عدد الأساتذة الجامعيين المسلمين، ولعل أهم مشاكلهم هي عدم توافر المال الذي يَكُنُّهم من الاعتناء بمدارسهم، وترشيدها، وتحسين الأداء فيها، بإعداد

المدرس المؤهل، والمنهج السليم الذي يجمع بين العلم المدني والعلم الديني،
وبتحسينه، وتوحيده في كل مراحل التعليم، (Badamana and Mazrui , 1993
(P.P.3-5) .

وهذا الوضع المتدني للمسلمين ، أدى إلى إعطائهم فرصاً كافية ، ناهيك عن
متكافئة مع فرص النصارى في وسائل الإعلام . فالإذاعة الكينية - مثلاً - لا تبث
إلا برامج إسلامية قليلة جداً ، وفي أوقات غير مناسبة ، علماً بأن ميزانيتها آتية من
دافع الضرائب المسلم وغير المسلم .

دور التنظيمات والجمعيات الإسلامية في تنمية المجتمع المسلم في كينيا :

إدراكاً من بعض شباب وقادة المسلمين لأحوالهم التي وصفنا ، فقد اتجهوا إلى
تكوين تنظيمات وجمعيات واتحادات وروابط بهدف تحسين مستوياتهم المعيشية
والتعليمية والصحية والثقافية ، ومن ثمَّ تنمية مجتمعهم . وقد بلغت تلك الجمعيات
أكثر من مائة وعشرين جمعية ، فأصبحت بكثرتها تلك إحدى مشكلات المسلمين في
كينيا حيث وزعت الجهد الإسلامي بدل أن توحيده ، كما أن الكثير منها أصبح حبراً
على ورق . ومن بين الجمعيات العاملة في المجال التعليمي والاجتماعي . الجمعيات
الآتية :

- ١ - الجمعية الخيرية الإسلامية .
- ٢ - الاتحاد الوطني للمسلمين .
- ٣ - جمعية الشبان المسلمين في نايروبي .
- ٤ - المؤسسة الإسلامية .
- ٥ - مؤسسة القرآن الكريم في نايروبي .
- ٦ - جمعية الدعوة الإسلامية في ممباسا .

٧ - الجمعية النسائية العربية الأفريقية في ممباسا .

٨ - الجمعية الإسلامية الصومالية .

٩ - الجمعية الإسلامية الباكستانية في ممباسا .

١٠ - جمعية الرعاية الاجتماعية لمسلمي شمال شرقي كينيا (جاريسا) عاصمة الإقليم .

١١ - المجلس الأعلى لمسلمي كينيا الذي تأسس سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) .

ولعل من أهمها وأكثرها نشاطاً وفاعلية ، « المؤسسة الإسلامية » وهي مؤسسة دينية تعليمية ، وفرع من المؤسسة الإسلامية في مدينة « ليستر » بإنجلترا، ومهمتها إصدار الكتب الإسلامية باللغات المحلية ، كالسواحيلية مثلاً ، وقد تأسست في ربيع ثاني ١٣٨٣هـ (أغسطس ١٩٦٣م) في نايروبي من بعض الغيورين على الإسلام ، بغرض النهوض بالإسلام وأهله في كينيا بإنشاء المدارس للبنين والبنات ، والاهتمام بالعمل الدعوي وتأسيس المراكز الإسلامية، مثل معهد « منشاكوس » الذي أنشأته وتشرف عليه، ومركز « اسيولو » الذي يضم مدرسة الفلاح الإسلامية ومعهداً لتحفيظ القرآن ومستشفى إلى جانب مركز زراعي ومهني، ومدرسة ثانوية للبنين وأخرى للبنات . وللمؤسسة نشاط إذاعي ، وجهود لمواجهة حركة التنصير في كينيا .

جمعية الشبان المسلمين (نايروبي) :

هي من أهم الجمعيات الفاعلة في أواسط المسلمين في كينيا ، بخاصة في مجال توفير التعليم الإسلامي، وقد تأسست عام ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) على يد شباب متحمس لبث تعاليم الدين بين الشباب، وبخاصة الشباب الجامعي، ولها نشاط في مجال الإغاثة، ورعاية فقراء المسلمين وأتباعهم، وطلابهم الفقراء، وحماية الشباب

من التيارات الهدامة، وإقامة المعسكرات . . . الخ. وهي جمعية غير سياسية، مسجلة لدى السلطات، وقد ركزت نشاطها في الأقاليم الأكثر عرضة للتنصير، مثل الإقليم الشمالي الشرقي. ومن مشروعاتها الكبرى « بيت الأطفال المسلمين في (جاريسا)». وهناك جمعيات طلابية تعمل معها، مثل جمعية الطلاب المسلمين في جامعة نايروبي.

وأخيراً : لا بد من الإشارة إلى العلاقة بين الأقلية المسلمة في كينيا بغيرهم من سكان كينيا من النصارى وأصحاب الديانات الأخرى السماوية والتقليدية. فالعلاقات بين هؤلاء وأولئك ظلت حسنة لم يشبها عنف أو قتال أو صراع دموي، إلا عندما منعت السلطات تسجيل الحزب الإسلامي ، فقامت مجموعات من الشباب المسلم باحتجاجات في ممباسا أدت إلى صدامات دموية ، وفيما عدا ذلك فليس هناك من عنف في الصلات ، على الرغم من الحساسيات التي تفصل بين قادة النصارى سواء كانوا في الحكومة ، أو في مؤسسات التنصير وبين المسلمين . فالمسلمون لا يعيشون متفوقين ومنغلقين على أنفسهم في كينيا ، وإنما هم جزء من المجتمع، ولكنه الجزء المستضعف، المهمش ، الذي لا يحظى بنصيب عادل في الشؤون السياسية، ولا يحظى بوضع اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي مريح ، وهم أمة متماسكة، رغم خلافاتها القيادية، ولها إحساس قوي بهويتها وذاتيتها الإسلامية.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن للأقلية الإسلامية في كينيا قدر كبير من الحرية في ممارسة شعائرها الدينية ، فالحكومة نادراً ما تتدخل في الأمور الدينية ، ولم تقم باضطهاد المسلمين بسبب ممارستهم لدينهم ، فالمساجد مفتوحة يؤمها المسلمون ، والأذان يرفع من على المآذن في المدن والقرى دون تدخل أو اعتراض من أحد، وعيد الفطر من أعياد الدولة الرسمية، أما عيد الأضحى فعيد خاص بالمسلمين

وحدهم . وهناك حوالي الخمسمائة مسلم كيني يؤدون فريضة الحج كل عام ، والدولة توفر لهم العملات الصعبة ، والشرعة مطبقة في أوساط المسلمين الكينيين في قضايا الأحوال الشخصية ، كالزواج والطلاق وأمور الميراث والأوقاف ، وللمسلمين قضاتهم الذين تعينهم الدولة في أماكن تواجد المسلمين ، ولأولئك القضاة محاكمهم ، ولهم رئيس هو قاضي القضاة (P.P. , 1995 , Mwangi) (252-259) .

ووعي المسلمين بدينهم وهويتهم الإسلامية متزايد في السنوات الأخيرة ممثلاً في لبس الحجاب بين النساء ، وحرص المسلمين على صيام رمضان ، وحضور صلاة الجمعة ، وإحجامهم عن التطبع بالأخلاق والعادات الغربية .

وأخيراً : لا ينبغي تجاهل أثر الإسلام ودوره في حياة كينيا السياسية ، بخاصة بعد أحداث العنف التي وقعت في ممباسا ، بسبب رفض الدولة تسجيل الحزب الإسلامي ، وقد وضح أنه لا يمكن تجاهل المسلمين على الرغم من كونهم أقلية سكانية كما لا يمكن تجاهل أثرهم في مجريات السياسة .

• • • • •

الأقلية المسلمة في الكونغو الديمقراطية

(زائير سابقاً)

الأقلية المسلمة في الكونغو الديمقراطية (زائير سابقاً)

لابد في البداية من الإشارة إلى شح المادة وقلتها إلى الحد البعيد عن الأقلية المسلمة في الكونغو الديمقراطية ، فالمسلمون هناك قلة لم يأبه لهم الكثيرون ممن كتبوا عن تاريخ الكونغو، الحديث والمعاصر ، ثم إنهم محصرون في مناطق - تكاد تكون مغلقة على نفسها ، إضافة إلى أن معظم من كتبوا عن الكونغو ، كانوا غربيين: بلجيكيين أو ناطقين بالفرنسية ، ومن ثم كانت كتاباتهم بتلك اللغة ، وربما وجد من يعرفها، شذرات مفيدة عن المسلمين وأحوالهم هناك . أما الكتابات العربية فهي قليلة، وعرضية، وبها شيء من السطحية ، وكثير من النقل والاقتباس ، فهي تنقل وتردد القليل من المعلومات الذي وجدته إما مترجماً ، أو منقولاً بنصه من مصادر أخرى أو هو في أحيان كثيرة مجرد انطباعات لزائر مسلم رار الكونغو الديمقراطية وسجلّ خواطره أو ماسمعه من آخرين عن المسلمين ، ومن ثم فدراسة الأقلية المسلمة هنا مجال غير مطروق ، يستحق الدراسة والعناية من الباحثين والدراسين .

خلفية جغرافية :

تقع الكونغو الديمقراطية (والتي كانت حتى عهد قريب تعرف بزائير) في وسط أفريقيا، تحدها الكونغو الشعبية من جهة الشمالي الشرقي ، وتحدها وسط أفريقيا والسودان شمالاً ، وبورندي وأوغندا ورواندا وتنزانيا شرقاً ، وتحدها جنوباً زامبيا وأنجولا ، ولها شريط ساحلي قصير على مصب نهر زائير ، ومناخها مداري ، بدرجة حرارة تصل في متوسطها إلى ٢٧ درجة مئوية ، وأمطار يبلغ متوسطها السنوي ما بين ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ ملم .

اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية ، وهناك أكثر من ٤٠٠ لهجة سودانية وبانتوية سائدة في تلك البلاد ، وأكثرها تداولاً وانتشاراً هي اللغة السواحيلية ، والكيلوبا والكيكونفو ، والكلابا ، والنقلا .

مساحتها ٢٣٣٤ر٨٨٥ كيلو متر مربع ، وسكانها حسب تقديرات عام ١٩٩١م الإحصائية ٣٦ر٦٧٢ر٠٠٠ مليون نسمة (Europa , 1996 , Vol 11 , P. 3614) .

والكونغو الديمقراطية مقسمة إلى ثمانية أقاليم أكبرها «هوت زائير» Haut Zaire ، ثم «إكواتور Equateur ، ثم إقليم شابا -المشهور بمعادنه- ، وإقليم كيفو Kivu . ، عاصمتها كنشاسا التي يبلغ عدد سكانها حسب تقديرات ١٩٩١م حوالي ٣ر٨ ملايين نسمة .

وتلي كنشاسا مدينة لومباشي (٧٣٩ر٠٠٠ نسمة) ، ثم كتانقا ، وكيسنجاني ، وكلويزي .

أما الديانات فيها ، فكثير من أهلها ذوي معتقدات وثنية ، وجزء كبير منهم نصارى وتتفاوت نسبهم ما بين ٥٢٪ حسب تقديرات (Europa , 1996 , P. 3612) ، ويقول مصدر آخر أن حوالي ٧٠٪ من السكان نصارى ، وحوالي ١٠٪ مسلمون ، و ٢٠٪ معتقدات أخرى . (World Almanac and Book of Facts , 1996 , P. 836) ، وفي عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م) اعترفت قوانين البلاد بالكنائس النصرانية ، بعد الخلاف الذي كان قائماً بين الكنيسة والرئيس السابق موبوتو بسبب سياساته الوطنية الداعية إلى العودة إلى الجذور الأفريقية . أما الأقليات المسلمة واليهودية ، فقد اعترف بها في ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) .

يشكل حوض نهر زائير (الكونغو) معظم أراضي الكونغو الديمقراطية وهو حوض سهلي يتسم بالانبساط وقلة التضاريس ، ويجري في وسطه النهر بروافده المتعددة ، والذي يبدأ أنسابه من أقصى جنوبي البلاد متجهاً شمالاً ، ثم غرباً ثم

جنوباً ليصب في المحيط الأطلسي ، ويأتي بعد نهر النيل في الطول إذ يبلغ طوله ٤٧٠٠ كيلو متر. والأجزاء الوسطى من البلاد هضبة منخفضة تغطيها الغابات المطرية، كما أن هناك منطقة جبلية في الغرب ، وأراضي سافنا في الجنوب والجنوب الشرقي، وأراضي تغطيها الحشائش باتجاه الشمال، ثم هناك جبال «الرونزوري» Ruwenzori في الشرق كما أن هناك منطقة ضيقة تقع على ساحل المحيط الأطلسي أيضاً (بكر، ١٤٠٥هـ، ص ص ٢٢٤-٢٢٥) ، (World Almanac and Boo; of Facts , 1996 , P. 836) .

المناخ :

مناخ الكونغو الديمقراطية حار رطب في منطقة حوض النهر وبارد نسبياً وجاف في المرتفعات الجنوبية، وهو أكثر برودة وأمطاراً في المرتفعات الشرقية. أما في المنطقة الواقعة شمال خط الاستواء فيمتد موسم الأمطار من إبريل إلى أكتوبر ، ويمتد موسم الجفاف من ديسمبر إلى فبراير ، كما أن موسم الأمطار في المنطقة الواقعة جنوب خط الاستواء يمتد من نوفمبر إلى مارس ، وموسم الجفاف من إبريل إلى أكتوبر، ومن ثم فإن الأمطار وفيرة في الشمال والوسط، ولهذا تغطي الغابات الاستوائية معظم حوض النهر وألطف المناطق مناخاً تلك المرتفعة في الجنوب والشرق. والمناخ متعدد ومتنوع في البلاد نسبة لاتساعها ولتضاريسها. فالمنطقة الوسطى ذات مناخ استوائي، ومعدل درجات الحرارة مرتفع طيلة العام، والمطر يهطل في كل المواسم تقريباً، أما باقي المناطق فيعتمد مناخها على موضعها من خط الاستواء- إن كانت شماله أو جنوبه، وهي ذات مواسم ممطرة أو جافة محدودة (World Facts Book, 1995, P. 466) .

السكان :

يسكن الكونغو الديمقراطية خليط من الأجناس البشرية تقدر بأكثر من مائتي

مجموعة عرقية، لكل منها لهجاتها بل لغاتها المتعارف عليها ، ومعظمهم من البانتو الذين يقدرون بحوالي ٨٠٪ من السكان بالإضافة إلى قبائل الزاندي وباكونجو، ومونجو، والأقزام، وجماعات مهاجرة من شرقي أفريقيا وغربيها وهي التي حملت الإسلام إلى حوض نهر زائير (الكونغو). وتتعدد اللهجات، ولكن الفرنسية هي اللغة الرسمية، علماً بأن اللغة السواحيلية تسود في شرقي البلاد وفي هضبة شاباً (الغنيمي «د.ت» ص ص ٣٢٤ - ٣٢٥) .

الحالة الاقتصادية :

كونت الزراعة (بما فيها الغابات وصيد الأسماك) حوالي ٥٩٪ من الناتج الوطني الإجمالي في عام ١٩٩٥م، وحتى منتصف عام ١٩٩٤م كان حوالي ٦٤٪ من السكان النشطين يعملون في المجال الزراعي . وحاصلات البلاد النقدية الأساسية هي: البن (والذي كَوَّنَ ١٢٫٥٪ من صادرات عام ١٩٩٤م) ، وزيت النخيل وثمار النخيل، والسكر والشاي والكافا والمطاط والقطن، كما أن في الكونغو الديمقراطية ٦٪ من غابات الأخشاب الموجودة في العالم .

أما الصناعة (بما فيها التعدين، توليد الكهرباء . . . إلخ) فقد كونت ١٤٫٩٪ من الناتج الوطني الإجمالي عام ١٩٩٥م، وحوالي ١٥٫٩٪ من جملة السكان النشطين يعملون في مجال الصناعة واستخراج المعادن التي تمثل عصب الصناعة، وكان نصيب المعادن في عام ١٩٩٣م حوالي ٩٢٪ من صادرات البلاد. وأهم المعادن هي: النحاس والكوبالت (حوالي ٦٥٪ من احتياطي العالم) المنجنيز، الزنك، اليورانيوم، الحديد، والذهب، كما أن هناك ترسبات من اللؤلؤ ، وكانت الكونغو في فترة الثمانينات الميلادية البلد الثاني في العالم المصدر للؤلؤ الصناعي، كما كان اللؤلؤ هو أهم مصدر للعملة الأجنبية في عام ١٩٩٣م إذ يبلغ دخله ٥٣٢ مليون دولار أمريكي، وقد انخفض إنتاجه ، كما انخفض إنتاج النحاس في السنوات الأخيرة. وهناك صناعات النسيج والأسمت .

والكونغو الديمقراطية تعتبر من أغنى البلاد الأفريقية، بمواردها الزراعية والمعدنية، وبطاقتها، ولكنها شهدت تدنياً اقتصادياً في الأعوام الأخيرة، أدى إلى تدني دخل الفرد، وإلى التضخم، مما أدى بدوره إلى عدم الاستقرار الاقتصادي والسياسي، كما أدى إلى إحجام رأس المال الأجنبي من الاستثمار في البلاد، وإلى مصاعب مع المؤسسات المالية والاقتصادية العالمية كمؤسسة النقد الدولي وغيرها .

التاريخ الحديث والمعاصر :

كانت الكونغو الديمقراطية تعرف في الماضي بالكونغو البلجيكي، ذلك أنها كانت حتى استقلالها في محرم ١٣٨٠هـ (٣٠ يونيو ١٩٦٠م) مستعمرة بلجيكية تحت إدارة التاج البلجيكي مباشرة حيث كان حاكم البلاد العام هو الممثل الملك بلجيكا، وقد قامت تلك الإدارة البلجيكية في الكونغو على دعائم ثلاث هي الدولة والكنيسة والشركات، وعن طريقها أحكمت بلجيكا سيطرتها على البلاد، مما قتل روح الاستقلال أو حتى التطلع إليه في أوساط الأهالي ، فهم واقعون تحت حماية الدولة تماماً، وتحت سياستها التي عرفت بسياسة « التبني » أو سياسية «الرعاية الأبوية» Paternalism، وهي سياسة تعتبر الأمة الواقعة تحت الاستعمار كالطفل الذي يحتاج للرعاية والتوجيه من والده ، فهي ترعاه كذلك تربية له ، وتحضيراً له، وتحسيناً لأوضاعه كلها، وهي سياسة ترمي أيضاً إلى عزل الكونغو تماماً عن ماحوله . وقد نجحت في فترتها الأولى - فترة الثلاثين سنة الأولى - ولكنها سرعان ما انهارت، وتبدلت بفضل المتغيرات السياسية التي اجتاحت القارة الأفريقية وأثّرت على الكونغو وأهله .

وقد تجلّى أثر الكنيسة في سيطرة النصارى على وظائف الدولة، وعلى هيمنتها الكاملة على التعليم والذي ترك أمره للإرساليات التنصيرية . ويكفي التدليل على ذلك بإيراد إحصائية لعام ١٣٧١هـ (١٩٥١م) عن عدد المدارس، تقول الإحصائية

أن عدد المدارس آنذاك كان ٢٥٧٩٦ مدرسة، منها ٩٤٦٣ مدرسة حكومية تحت رعاية وسيطرة الحكومة و ١٥٧٦٩ مدرسة تحت إدارة الإرساليات تماماً، و ٥٦٤ مدرسة حرة تابعة لجمعيات ومؤسسات خاصة. وإحكاماً للسيطرة لم تهتم الحكومة الاستعمارية بالتعليم العالي خوفاً من ظهور صفوة متعلمة قد تنادي وتطالب بالاستقلال، فلم يشهد الكونغو قيام جامعة له إلا في عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) وانصب الجهد على التعليم الابتدائي بقصد تدريب الأهالي فقط ، وكل ذلك تنفيذاً لسياسة الرعاية الأبوية التي أشرنا إليها، والتي حرمت البلاد من فئة متعلمة تسهم في الإدارة وتقود بعد الاستقلال. ولقد بدأ هذا العجز واضحاً في فترة مابعد الاستقلال حيث شهدت البلاد اضطرابات سياسية وحركات تمرد وانفصال، وانهيارات عسكرية كان يقودها بعض صف الضباط من جاويشية وغيرهم . بل إن بعضاً من أولئك الرئيس موبوتو، والذي كان حتى انقلابه، جندياً متواضعاً برتبة الجاويش . (Merriman , 1961 , P.P.27-41) .

• • • • •

تاريخ الإسلام في الكونغو الديمقراطية

دخل الإسلام إلى الكونغو الديمقراطية منذ مائة عام ونيف عن طريق تجار زنجبار والساحل الدالفين عبر طرق تجارية معينة إلى وسط القارة ، وإلى الكونغو بالذات ، طلباً للعاج ، الموجود بكثرة في تلك الأصقاع ، والمطلوب بشدة في أسواق ساحل شرقي أفريقيا ، حيث كان يأخذه الأجانب إلى أوروبا . كما دخل الإسلام أيضاً عبر التجار المسلمين والمهاجرين القادمين من نيجيريا ومالي والسنغال ، وقد ساهم المصريون أيضاً في دخول الإسلام إلى الكونغو عن طريق بحر الغزال (يمانى ، ١٤١١هـ ، ص ١١٩) .

امتد نشاط وسلطان دولة زنجبار إلى وسط أفريقيا عن طريق التجار القادمين منها إلى تلك الجهات . فقد توغل هؤلاء عبر تنزانيا حيث أسسوا في عام ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) مركزاً تجارياً لهم في مدينة « أوجيجي » على الساحل الشرقي لبحيرة تنجانيقا ، اتخذوها قاعدة لهم انطلقوا منها إلى داخل الكونغو ، حيث انحصر نشاطهم في الأجزاء الشرقية والشمالية منه ، ناشرين الإسلام والثقافة السواحيلية هناك ، مستغلين في ذلك التفكك الذي كانت تعاني منه المجتمعات في تلك الجهات . ، وقد وصل التجار المسلمون إلى الكونغو عن عدة طرق :

- ١ - من الساحل إلى ضفاف بحيرة تنجانيقا .
- ٢ - من بحيرة تنجانيقا (ومن قاعدتهم في أوجيجي) متجهين غرباً عبر « فيزي » و « كمامباري » إلى أفرع نهر الكونغو (رائير) متجهين إلى « نيانقوي » و « كاسونغو » على نهر « لوالابا » حيث أقاموا لهم عدة مراكز تجارية على ذلك النهر .
- ٣ - طريق يبدأ من « كلوا » إلى بحيرة ملاوي (نياسا) ثم يدخل إلى وسط

القارة، وعند دخولهم إلى الكونغو فقد توغلوا غرباً مستغلين أفرعه كنهر اللوالابا، أو شمالاً حتى فرع « ارويبي » ليصلوا عن طريقه إلى شمال شرقي الكونغو الملى بالعاج . وتحرك التجار المسلمين عبر هذه الطرق والمراكز هو الذي حدد مناطق انتشار الإسلام ، فأصبحت مدنٌ مثل نيانجوي وكاسنجو مثلاً مراكز إشعاع إسلامي في وسط أفريقيا . ولقد أشاد الزوار والمكتشفون الأوروبيون الذين زاروا « كاسونجو » بمظهرها الرائع وغناها الزراعي ، وتحدثوا عن الآثار الإسلامية البادية في ملابس الناس، وعاداتهم، وفي أساليبهم المعمارية التي بنوا بها دورهم . (Kritizeck and Lewis , 1969 , P.P. 251-269)

وكا أول من دخل الكونغو بشكل منظم في شكل حملات تجارية عسكرية من الرواد الأوائل هو حمد بن محمد المرجبي (أو الرجبي أو المجربي) ، وتسميه المصادر الأجنبية « تبوتيب » ، والذي كان له فضل الريادة في الدخول الإسلامي المنظم إلى الكونغو . وتحدث المصادر عن رحلاته التي كان يقوم بها إلى هناك بهدف الاتجار في العاج والرقيق ومحاصيل وسط القارة ، وقد استقر بعض الوقت وأنشأ وجوداً إسلامياً منظماً في شرقي الكونغو الديمقراطية يسميه البعض مملكة إسلامية، وآخرون إمارة ، وفريق ثالث امبراطورية ، والأصح أنه كان وجوداً إسلامياً، لاندرى إن كان يرقى إلى مستوى الدولة أو الدولة ، قوامه التجارة ، ونشاطه تجاري في المقام الأول . وكالشأن مع كل نشاط تجاري مسلم ، انتشر الإسلام مع التجارة وحمد المرجبي هذا من أصول عربية أفريقية ، إذ يعتقد البعض أنه نتاج زواج إبيه محمد من ابنة حاكم «طابورا» ، وأنه عاش معظم حياته في مسقط رأسه « طابورا » وتزوج من هناك، وعن طريق المصاهرة كوّن علاقات تجارية وسياسية قوية ، استغلها في نشاطه التجاري والعسكري في شرقي الكونغو)

الشيخ، ١٤٠٢هـ ، ص ٤٣-٦٣)، ولكن سرعان ماتكالت على وجوده الإسلامي في شرقي الكونغو القوى الاستعمارية البريطانية والبلجيكية ، فأخرجته من هناك بعد حروب دارت بين بلجيكا وأنصار تبوتيب من العرب والسواحيليين . كان العرب ينتصرون فيها أحياناً والبلجيك أحياناً أخرى حتى كانت الواقعة الأخيرة في ١٣١٢هـ (١٨٩٤م) ، حيث تم فيها القضاء على الوجود العربي وهزم تبوتيب فرجع إلى رنجبار ، حيث الصقت به تهمة سجن بسببها إلى أن مات في السجن ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) . وبسط البلجيكيون سلطانهم على المنطقة والتي أصبحت تعرف فيما بعد باسم الكونغو البلجيكي .

وقد ترك التجار المسلمون آثارهم في شرقي الكونغو في مجال الدين ، حيث نشروا الإسلام بين الأهالي على الرغم من أن نشر الدين لم يكن هدفهم الأول ، فقد كانت التجارة هي هدفهم ، وكان أولئك التجار موجة إنسانية اختلطت بالأهالي وصاهرتهم . وتركت بصماتها على الحياة هناك (مرقص ، ١٩٨٧م ، ص ص ٢٢١-٢٢٥) .

واجهت الجماعة الإسلامية في شرقي الكونغو على قتلها وضعفها إدارة بلجيكية استعمارية شرسة ، سياستها نحو مستعمراتها سياسة التبني الأبوية أو الرعاية الأبوية Paternalism التي أشرنا إليها سابقاً، ولم يكن عجباً أن وجهت تلك السياسة، التي كان للكنيسة دور كبير فيها، همها الأكبر لمحاربة الإسلام في الكونغو. فقتلت وشردت أعداداً كبيرة من المسلمين ، وهدمت مساجدهم ومدارسهم ، وظلت تقاومهم حتى خروجها من البلاد في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) واستمرت تلك السياسة حتى بعد الاستقلال ، حيث مازال نفوذ الكنيسة قوياً في تلك البلاد، ومازالت النظرة للإسلام هي النظرة العدائية القديمة نفسها . فالتنصير حركة نشطة ومستمرة ومدعومة من الجهات الرسمية في الكونغو

الديمقراطية . وعلى الرغم من أن الحكومة اضطرت أخيراً في عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) إلى الاعتراف بالدين الإسلامي رسمياً، إلا أنها عمدت في الوقت نفسه إلى إبعاد المسلمين من أهالي نيجيريا ومالي والسنغال المقيمين في البلاد ، رغبة في إضعاف المسلمين وتقليل أعدادهم .

ورغم ذلك ظل للمسلمين وجود في الكونغو الديمقراطية، يتمثل في الشرق والشمال الشرقي، وفي إقليم شابا ، ولهم كلية إسلامية وجمعيات إسلامية (لأنعرف الكثير عنها) ، وهم يواجهون حملات صليبية يدل عليها وجود أكثر من خمسة عشر ألف قسيس في مدينة كنشاسا العاصمة وحدها (يمانى ، ١٤١١هـ ، ص ١٢٠) .

• • • • •

المشكلات والتحديات

أماكن الكثرة الإسلامية في الكونغو الديمقراطية هي مدن: كاسنغو، وكيسنجاني (استانلي فيل) وكيروندو وكيندو وكيبومبو ، وفي أراضي الخوض الأوسط لنهر زائير، وكذلك في القطاع الممتد من نهر لوالابا من كيسنجاني إلى كنفولو، كما أن هناك أعداداً من المسلمين المهاجرين في العاصمة كينشاسا ، وفي مناطق التعدين في إقليم شابا (بكر ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢٣١) .

ولعل عدم المعرفة الدقيقة بأعدادهم وأحوالهم الآن والتعتمد الإعلامي المضروب حولهم، ثم العزلة التي فرضها الاستعمار البلجيكي عليهم، لعل ذلك هو أولى مشكلاتهم، إذ بلا معرفة دقيقة لأحوالهم، لا يمكن العمل السليم على تفهم ظروفهم، والتخطيط لمواجهة مايعترضهم من مشكلات وتحديات. فنحن نعرف أن نسبتهم هي ما بين ١٠ - ١٢,٥ ٪ من مجموع السكان، وإن كانت بعض التقديرات المعتمدة على مصادر الإدارة الاستعمارية البلجيكية تضع نسباً لهم أقل من ذلك بكثير، مثل قولها إنهم ٤ - ٥ ٪ ولكن تلك التقديرات مغرصة ولا يمكن الاعتماد عليها . (الغنيمي، (د . ت)، ص ٣٢٤) .

وندلل على عدم توافر المعلومات عن المسلمين في الكونغو الديمقراطية، بالقول إننا لانعرف الكثير عن نشاطهم ، ونشاط منظماتهم، أو حتى نشاط المنظمات الإسلامية الخارجية في وسطهم إلا التذر اليسير. فنحن نعرف أن هناك المؤتمر الإسلامي (الزائيري)، والجمعية الخيرية الإسلامية ، وإن هناك بعض الجمعيات الدينية والمدارس القرآنية المرتبطة بالمساجد ، مثل مساجد كينشاسا الثلاثة. والواضح أن هدف هذه الجمعيات (على قلتها) هو رعاية مصالح المسلمين ، وربما التصدي لحركات التنصير التي تحارب الإسلام، والتي تمثل التحدي الأكبر للمسلمين، كما أوضحنا سالفاً (الدوبي ، ١٩٩٠م) ومن مشكلاتهم الكبرى قلة ذات اليد

وحاجتهم الماسة للكتب الإسلامية المترجمة إلى لغاتهم أو إلى السواحيلية على أقل تقدير، وإلى المصاحف، ثم إلى المدارس، وإلى فتح باب البعثات الخارجية أمام أبنائهم، حتى يفتحوا على العالم الإسلامي، وينفتح عليهم بعد طول إغلاق، والحاجة ماسة إلى عمل جاد يقوم على التخطيط العلمي من جانب المنظمات الإسلامية الخارجية والفرعية لانتشال المسلمين في الكونغو الديمقراطية من الجهل والفقر، ولوضعهم على الطريق الصحيح حتى يقوموا بمساعدة أنفسهم، فهم الأدرى بحاجاتهم وطرق علاج مشكلاتهم.

وختاماً: لا بد من الإشارة إلى أنه على الرغم من أن الإسلام بقي محصوراً ومعزولاً في مكان ضيق محدود من الكونغو الديمقراطية، وعلى الرغم من عزلة المسلمين وتأخرهم، إلا أن بقاءهم على دينهم كان إنجازاً عظيماً في ذاته.

• • • • •

الأقلية المسلمة في غانا

الأقلية المسلمة في غانا

الكتابات الموجودة عن المسلمين في غانا عبارة عن جزئيات مختصرة، أو وصفات تاريخية، مذكرات ذات أساليب صحفية ، أو مقالات نشرت في الصحف والمجلات عن مجالات معينة، ولاتعطي الموضوع حقه ، وهي متأثرة بالكتابات الغربية التي تتجاهل الإسلام في غانا ، وتطمس معالمه ، وتصور مقدم الحضارة إلى غانا مرتبطاً بمجيء الغربيين إليها ، وذلك بغرض القضاء على الإسلام وعلى اللغة العربية التي كانت سائدة في المنطقة ، وعزل المسلمين عن حضارتهم الإسلامية ، وإشعارهم بأن الغربيين هم صانعو الحضارة الأفريقية ، مما قد يواجه المسلمين بأزمة ثقة في النفس، ويمهد لهيمنة الثقافة الغربية النصرانية . ويبدو أن اختيار المستعمرين قد وقع على غانا لجعلها منطلقاً لمحاربة الإسلام وحضارته في أنحاء بلاد غربي أفريقيا، بحسبانها أكثر الدول تأثراً بالثقافة الغربية في جنوب الصحراء .

خلفية جغرافية وتاريخية :

لابد من التنبيه إلى أنه لاصلة لمملكة غانا القديمة التي قامت في غربي أفريقيا في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، من حيث الموقع ، بدولة غانا الحديثة، فغانا القديمة تقع بين أعالي نهر النيجر ، ونهر السنغال ، في المنطقة التي تتقاسمها الآن حدود السنغال مع حدود موريتانيا ومالي . ولأن الزعيم الغاني كوامي نكروما وصحبه أرادوا تذكير العالم بالماضي المشرق للمملكة الأفريقية القديمة، وافتخاراً منهم بهذا الاسم التاريخي العريق أطلقوا اسم غانا على الجمهورية الحديثة كبديل وطني للاسم الذي أطلقه عليها المستعمرون البريطانيون وهو « ساحل الذهب» وتجاور غانا كلاً من توجو وساحل العاج وبوركينا فاسو ولها ساحل على خليج غينيا .

السطح :

يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام تضاريسية هي :

١ - السهول الساحلية ، ومنها السهول الواقعة إلى الغرب من أكرا العاصمة ، وإلى الشرق منها نجد السهول المعروفة بـ « أكرا » أو سهول فولتا الأدنى .

٢ - هضاب أشانتي ، وهي تشكل سلسلة من الأحواض ، وإلى الشمال منها تقع هضاب أهمها هضاب « غونجا » ، وهضاب « وا » Wa ، وهضاب مامبروسي .

٣ - حوض نهر فولتا ، تحف به هضاب عالية .

المناخ والبيئة الحيوية :

مناخ غانا يجمع بين المناخ الاستوائي والمناخ المداري ، ويتجلى تنوع المناخ هذا في وجود فصول جافة ورطبة واضحة المعالم . ففي الأجزاء الجنوبية من البلاد ، حيث يبلغ متوسط هطول الأمطار ما بين ٢٠٠٠ - ٢٢٧٠ ملم ، هناك موسمان ممطران: من إبريل إلى يوليو ، ومن سبتمبر إلى نوفمبر ، في حين أن الأجزاء الشمالية تشهد موسماً ممطراً واحداً ، يبلغ متوسط هطول الأمطار السنوي فيه ما بين ١٠٠٠-١٢٧٠ ملم ، ويستمر من إبريل إلى سبتمبر ، ويعقب هذا الفصل الممطر ، فصل طويل جاف تهب فيه رياح الهرماتان Harmattan .

يتراوح متوسط درجات الحرارة ما بين ٢٧ - ٢٩ درجة مئوية ، وهذا المتوسط مع نسبة الرطوبة العالية يجعل من الجو جواً خاتقاً في معظم الأحيان (Europa,1996,P.435) .

ويتحكم المناخ ونوع التربة في الحياة النباتية ، فالغابات الموسمية تغطي أرض

الأشانتي الوسطى والجنوبية ، وفي الشمال نجد منطقة السافانا (الإقليم الشمالي - وشمال منطقة الأشانتي) أما الشريط الساحلي فالظاهرة النباتية الغالبة فيه هي الحشائش والشجيرات . وفي الشمال نجد مناطق ذات أودية مناخها شديد الحرارة . أما المنطقة الجنوبية الغربية فأرطب من غيرها ، في حين أن المنطقة الساحلية ذات مناخ معتدل ، ومن ثم فهي أكثر ازدهاراً بالسكان .

سكان غانا والتوزيع السكاني والجغرافي للمسلمين :

عدد سكان غانا حسب تقديرات عام ١٩٩٥ م ١٦٩٤٧٠٠٠ نسمة يعيشون في مساحة تبلغ ٢٣٨٥٣٧ كيلو متر مربع . وتبلغ الزيادة السكانية السنوية حوالي ٣ر٥٪ ، ويكثر السكان في المدن والمراكز الحضرية ، وأماكن زراعة الكاكاو في الأجزاء الجنوبية من البلاد ، وهم موزعون على مناطق البلاد العشرة ، وهي : الإقليم الشرقي ، والغربي ، والأوسط ، والأشانتي ، والشمال ، وإقليم فولتا ، والشرقي الأعلى ، والغربي الأعلى ، وإقليم اكرا الكبرى ، وإقليم برونو - اهافو . وفي غانا ٧٥ لغة ولهجة ، وفيها العديد من الجماعات العرقية ، وأهمها : الاكان . Akan . ويشكلون ٥٢٤٪ من السكان ، والموسي Mossi وهم حوالي ١٥٩٪ ، الايوي Ewe حوالي ١١٩٪ ، والفور ٣٥٪ ، والقادانقي Qa Adanghe وهم حوالي ٧٨٪ من السكان حسب تقديرات عام ١٩٩١ م .

وينقسم الاكان إلى مجموعتين كبيرتين هما :

- ١ - الأشانتي .
- ٢ - الفانتي .

ويقطن الاشانتي المنطقة الشرقية ومنطقة الاشانتي - كما يسكن الفانتي المنطقة الوسطى والغربية .

ويكون النصارى في الاكان حوالي ٧٠٪ في حين يقدر المسلمون بحوالي

٢٠٪، أما قبا اذانقي فهم مهاجرون جاءوا من مدينة الفى Iefi في نيجيريا، واستقروا في المناطق الشرقية، وكونوا سلسلة من المدن على الساحل بما فيها أكرا العاصمة، وأغلبهم من النصارى، وفيهم قلة من الوثنيين، ونسبة المسلمين بينهم حوالي ٣٠٪. و«الايوي» يسكنون جنوبي غانا، ومعظمهم وثنيون، والمسلمون بينهم حوالي ٦٪. (محمد، ١٤١٥هـ، ص ص ٣٩-٤٣).

والمسلمون في غانا مركزون في « الفور » الذين يقطنون المنطقة الشمالية، ويكونون حوالي ٣٥٪ من السكان، وأغلب أفرادها مسلمون إذ تبلغ نسبتهم حوالي ٩٨٪ من مجموع السكان بينما النصارى حوالي ٢٪ وهم من موظفي الحكومة الوافدين إلى المنطقة.

أهم المدن :

العاصمة أكرا، وسكانها حوالي ثلاثة ملايين نسمة، يشكل المسلمون منهم حوالي مليون ونصف، ثم مدينة كوماسي، وتقع في قلب المنطقة الوسطى، وهي المدينة التجارية الأولى في البلاد وتشتهر بتجارة الذهب والكاكاو، وبها مصانع لتجميع السيارات وصناعة المنسوجات والأخشاب، وسكانها حوالي مليون ونصف المليون نسمة، معظمهم نصارى، وبها جماعات إسلامية ذات نشاط إسلامي سابق، وبها علماء درس عليهم الكثير. ثم هناك مدينة « تملى » العاصمة الإدارية الثالثة للدولة، وهي في المنطقة الشمالية، وتعتبر مدينة المسلمين، ويقطنها حوالي مليون ونصف المليون نسمة ٩٩٪ منهم مسلمون، وتشتهر بالمنتجات الزراعية المختلفة، ثم مدينة تيماء Tema على الساحل الجنوبي الشرقي.

ويلاحظ أن سكان المناطق الجنوبية أكثر تأثراً بالغرب وحياته ودينه، ذلك أن الغربيين من برتغاليين وهولنديين وبريطانيين جاءوا إلى البلاد عن طريق سواحلها الجنوبية، في حين أن أهل الشمال (حيث يتركز المسلمون) أقل تأثراً بالغرب،

وأكثر ارتباطاً بدينهم وحياتهم التقليدية . (Europa , 1996 , P. 435) . (محمد ، ١٤١٥هـ ، ص ص ٤٤-٤٥) .

النشاط الاقتصادي :

يقوم أساساً على الزراعة ، وإن كان للتعيين دور مهم في تجارة البلاد الخارجية . ويعتمد اقتصاد غانا على الكاكاو الذي يسهم في صادرات البلاد بنسبة تتراوح ما بين ٥٥ - ٦٠ ٪ . وتنتج غانا إلى جانب الكاكاو ، الموز والأرز والذرة ، واليام ، وكذلك البن وزيت النخيل ، المطاط ، والقطن ، وتأتي الأخشاب في المركز الثاني في تجارة غانا بعد الكاكاو ، وإنتاجها في القسم الغربي من أشانتي ، والقسم الجنوبي من المنطقة الغربية ، وتأتي الثروة المعدنية في المركز الثالث من حيث التصدير ، وكان الذهب من أهم صادراتها . وتنحصر الصناعة في المناطق الجنوبية وهي صناعات صغيرة ، تنحصر في مصانع لاستخراج زيت النخيل وتعليب الأسماك واللحوم وصناعة الصابون والمنسوجات . ومدينة « تيما » من أكبر مدن البلاد الصناعية .

تخلف غانا انعكس على المسلمين خاصة الزراع في الشمال ، حيث ظلت وسائل الزراعة بدائية ومحصورة في سد الحاجات الغذائية المحلية ، كما ظلت زراعة الكاكاو محصورة في مناطق الجنوب ، وهي موطن النصارى ، الذين يحتكرون زراعة هذا المحصول ، حيث لا يسمح للمسلمين القاطنين في تلك الأماكن بامتلاك مزارع الكاكاو (محمد ، ١٤١٥هـ ، ص ٦٧) . وكذلك مناجم الذهب ، والتجارة بأنواعها ، وأثر كل ذلك أثراً سلبياً على المسلمين . إذ أن مناطق المسلمين في الشمال ، والمعروفة بوعورة طرقها متخلفة (Europa , 1996 , P.443) .

انتشار الإسلام

ليست لدينا معلومات تاريخية مؤكدة عن قيام سلطنات إسلامية في ذلك الجزء المسمى غانا الحالية ولا عن قيام حركات إسلامية بين قبائلها الوثنية ، ولكن الثابت أن وصول الإسلام إلى تلك الجهات ، وبخاصة الأجزاء الشمالية من غانا مرتبط بحركة امتداد الإسلام من الشمال الأفريقي إلى منطقة غربي أفريقيا ، ولانستطيع أن نحزم أن الإسلام قد وصل تلك الأنحاء في القرن الأول الهجري ، ولكن الذي لاشك فيه أن انهيار امبراطورية غانا الوثنية أمام المد الإسلامي الذي قاده المرابطون بزعامة عبدالله ابن ياسين، وتحرك أبي بكر اللمتوني جنوباً قد ساعد على تسرب الإسلام إلى المناطق الشمالية من غانا. (الغنيمي ، « د.ت » ، ص ٢٨١) ، وبذلك يمكن القول إن الإسلام قد وصل إلى غانا الحالية منذ القرن الخامس الهجري (العاشر الميلادي) من الأطراف الشمالية للقارة ، وأنه وُجدت جماعة إسلامية في تلك الأصقاع ولاسيما حول نهر الفولتا حيث تركزت قبائل عربية وبربرية ، قامت بنشاط ملحوظ لنشر الإسلام بين القبائل الوثنية .

وقد ارتبط انتشار الإسلام في غانا - كالعادة - بتحرك التجار المسلمين- المنحدرين من قبائل « ديولا » و « الماندي » والذين ربما جاءوا مع البرتغاليين، وربما قبلهم بغرض التجارة مع ساحل الذهب ، والثابت أن أولئك التجار كانوا موجودين في ذلك الساحل منذ أواخر القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، ولقد أقامت قبائل « الديولا » مستوطنات صغيرة على طول الطريق التجاري الموصل بين مناجم الذهب في الشمال إلى الأسواق المزدهرة على نهر النيجر ، وكانت أهم هذه المراكز هي بيغو Begho ، عند الحدود الغربية لغانا وكانت من أهم المراكز التجارية في منطقة الفولتا ، كما كانت ونقاره Wangara مركزاً إسلامياً آخر مهماً في شمالي غانا . وظهرت في القرن الثاني عشر الهجري (منتصف القرن الثامن عشر

الميلادي)، سلسلة من المستوطنات التجارية ، ربطت الاشانتي بمدن الهوسا في شمالي نيجيريا، حيث كان التجار المسلمون في دول الهوسا يزاولون نشاطهم التجاري في المنطقة. وبلغت هجراتهم تلك ذروتها مع توسع التجارة ، فوصلوا قلب غانا، وأقاموا مستوطنات مهمة لهم هناك، منها سالابا Salapa ، ويندي، وأصبحت تلك المستوطنات مراكز إسلامية انتشر منها الإسلام إلى الأماكن المجاورة لها.

وفي القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، اجتاز الإسلام مواقع المراكز التجارية للديولا والهوسا ، واستطاع بعض الدعاة من بيغو تحويل رجال الأسرة الحاكمة من قبائل المالينكة والبمباريه في غونجا Gonja إلى الإسلام، واستمر الإسلام في الانتشار حتى أصبح لكل من ممالك غانا الثلاث حاكم مسلم، وهي ممالك غونجا وداغمبا و « بامبروسي » .

وفي أوائل القرن الثالث عشر الهجري (أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر الميلاديين) ، استقرت مجموعات من التجار المسلمين والمهاجرين القادمين من مناطق أعالي وأواسط النيجر (يقع معظم هذه المنطقة الآن في جمهوريات مالي، النيجر، ونيجيريا) في كوماسي عاصمة الاشانتي في غانا الحديثة. وقد وصلت كوماسي أيضاً مجموعات مسلمة أخرى قادمة من شمال غونجا وبامبروسي وداغومبا، وفي أحيان قادمة من الشمال الأفريقي مدفوعة بثروات الاشانتي من الذهب والكولا، وكان معظمهم من التجار والعلماء ذوي الكفاءة والخبرة ، وقد ألحقهم حكام كوماسي بخدمتهم كمستشارين، فأصبحوا يؤلفون مجلس الملك ، ويشرفون على القطاع الاقتصادي للاشانتي (Clarke , 1982 , P. 95 and 106-107) . فتوطد نفوذ الجماعات الإسلامية في جنوبي غانا .

وفي أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر الهجريين (النصف الثاني من

القرن التاسع عشر الميلادي) وصل الإسلام إلى شمال غربي غانا ، حيث أسلمت بعض القبائل الوثنية، مثل قبيلة « سيسالا » (محمد ، ١٤١٥هـ ، ص ٩٦).

وقد كان لحركة الجهاد التي قادها المصلح الديني عثمان دان فوديو في أوائل القرن الثالث عشر الهجري (أوائل القرن التاسع عشر الميلادي) ١٨٠٦م / ١٢٢١هـ في شمالي نيجيريا وبلاد الهوسا أثر كبير في انتشار الإسلام بين قبائل شمالي غانا لاسيما مجموعة قبائل الفولتا المشتغلة بالرعي ، كما شهد القرن الرابع عشر الهجري (منتصف القرن العشرين الميلادي) نشاطاً اقتصادياً في المنطقة الجنوبية نتيجة لاستغلال موارد الذهب والموارد الغذائية، فهاجر إليها العديد من العمال المسلمين من شمالي البلاد، ومن البلاد المجاورة، (نيجيريا ومالي والنيجر والسنغال) بقصد العمل والتجارة، فقاموا بنشر الدعوة وبناء المساجد والمدارس . ولعل أوضح مثال لذلك المجموعة الإسلامية الموجودة في العاصمة أكرا ، والتي هي مجموعة متباينة عبارة عن خليط من جماعات عرقية وافدة ، ومن مسلمين محليين غانيين (Pellow 1985 , P.P.419-430 , فالمسلمون الوافدون هم الذين قدموا من نيجيريا ، وغربي أفريقيا الفرنسية في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، ويعيشون في قلب أكرا، مرتبطين بمسجدها القديم ، بعضهم يوروبا ، وبعضهم الآخر من الهوسا، والقارا وهم من السابقين إلى الإسلام، ويسمونهم أحياناً « بالشمالين» وأحياناً « بالغرباء » تربطهم رابطة اللغة والثقافة والتعليم ، فالهوساوية لغة رسمية لهم، ولهم زعاماتهم ومشيخاتهم التقليدية الخاصة بهم ، ويعيشون في أحياء خاصة بهم، يسمونها زَنقور Zongos وإلى جانب هذه المجموعة هناك في أكرا الغانيون المسلمون الذين اعتنقوا الإسلام في فترة الثلاثين أو الأربعين سنة الأخيرة، وهم غالباً مجموعة عرقية جنوبية ، مختلفون عن « الغرباء » في لغتهم وثقافتهم، وبينهم خلافات، وصراعات ، ولكن هذه الفوارق غير ثابتة ومن ثم فهي ليست نهائية .

وعليه فالأقلية المسلمة في غانا مجموعة ذات تباين عرقي ، وهم حالياً مسلمون أفريقيون (وافدين ومحليين) ، ومسلمون غير افريقيين (لبنانيين وسوريين) والمسلمون الوافدون هم نيجيريون (هوسا ، يوروبا ، نوبي ، كانوري ، وفلاني) . أما المسلمون المحليون (الغانيون) فهم شماليون وجنوبيون ، والشماليون هم (داغومبا ، قورنشي ، فرافا) والمسلمون المحليون الجنوبيون هم : Ga واکان ، وايوي Ewe . والمصادر تختلف في تقديراتهم ، فهم في نظر البعض حوالي ١٩٪ من مجموع سكان غانا ، وفي نظر آخرين هم ٣٠٪ ، وتراهم فئة ثالثة ثلث السكان ، وبالغ آخرون في نسبتهم ، فيقولون إنهم ما بين ٥٠ - ٦٠٪ والأصح أنهم حوالي ٣٠٪ من السكان (Pellow, 1985, P.425) و (بكر، ١٩٨٥م ، ص ٣١٣) ، و (World , Fact Book , 1995 , P.462) ، مجلة الأزهر ، مجموعة ١٣٧٨هـ ، ص ٦٩) . وإذا ما قورنت نسبة المسلمين المثوية بالنسبة للديانات الأخرى ، فنجد أن المسلمين أكثر من النصارى بـ ٦٪ (هذا إذا اعتمدنا أن نسبة المسلمين ٣٠٪) وأقل من أصحاب الديانات التقليدية بـ ٨٪ ، ذلك أن نسبة النصارى ٢٤٪ من مجموع السكان ، في حين أن أصحاب الديانات التقليدية يشكلون ٣٨٪ من مجمل سكان غانا (World , Fact Book , 1995 , P.P. 461-462) .

جاء المهاجرون الفولاني والهوسا إلى غانا في الفترة السابقة للعهد الاستعماري وهم مسلمون تماماً ، على غير حال اليوروبا و الزاباما Zabrama و الونقارا الذين لم يكونوا كلهم مسلمين ، ولكن معظمهم اعتنق الإسلام بعد وصولهم إلى غانا ، وأصبح الإسلام هو رابطهم الجديد الذي حل محل العامل القبلي .

أحوال المسلمين التعليمية :

مستوى التعليم في غانا عموماً ضعيف ، شأنها في ذلك شأن كل بلد إفريقي نام ، فنسبة الأمية في تقدير بعض المصادر تبلغ ٦٠٪ في غانا (World , Fact

(Book , 1995 , P.P. 461-462 ، وحظ المسلمون من هذا التعليم ضئيل ، فأكثرهم مهتم بالنواحي المعيشية ، مشغول بالزراعة والتجارة . والكتاتيب التي تعلم القرآن ومبادئ الدين لا تكفي لتثقيف المسلم تثقيفاً صحيحاً ، فالقائمون على أمرها تنقصهم الكفاية العلمية ، كما أن الموارد المالية ضئيلة . وللمسلمين تعليمهم الإسلامي الخاص بهم ، وهو منتشر في شمالي غانا ووسطها حيث المدارس الإسلامية (الكتاتيب) المنتشرة في كل المدن والقرى بخاصة في الريف ، ويصعب حصرها إذ لا تخلو كل قرية أو مدينة في غانا من مسلمين ، وهي دائماً ملحقة بالمساجد ، ومنازل العلماء ، لتعليم الصغار القرآن بطريقة التكرار والحفظ . وهناك مجالس العلم التي تقام في المساجد والجوامع ، أو في دور خاصة لتعليم الكبار العلوم الدينية بعد مدارس القرآن ، كالتوحيد والتفسير والفقه والفرائض . وهناك مدارس إسلامية حديثة ، هي تطوير لمدارس القرآن ، وهي غير المدارس الحكومية ، يقوم بتأسيسها أفراد أو جمعيات خاصة أو أهلية ، وتهتم بتعليم القرآن الكريم وعلومه واللغة العربية ، وتدرس باللغة العربية ، وبعضها يدرس اللغة الإنجليزية كلغة ثانية ، ولكنها تعاني من غياب التخطيط في المناهج ، وطرق التدريس ، وعدم تأهيل المعلمين ، ومن أهمها :

١ - معهد العنبرية الإسلامي : في مدينة « تمالي » ، أسسه الشيخ يوسف ابن صالح أجرا عام ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ، وهو من أكبر المعاهد الإسلامية في البلاد وبه روضة للأطفال ، ثم مرحلة ابتدائية عدد تلاميذها ١٤٩٢ ، وعدد فصولها ٣٢ فصلاً وعدد معلميها ٦٤ وبعضهم من خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وبه مرحلة متوسطة ، بها ١٥٦ تلميذاً ، ومنهجها يحتوي على التربية الإسلامية واللغة العربية والحساب ، ولا يدرس العلوم العصرية ، ويقوم خريجه بالتدريس في مدارس القرآن في القرى المحيطة بالمدينة .

٢ - معهد النورية الإسلامية : وهو في تمالي أيضاً ، أسسه الشيخ إبراهيم باشا في عام ١٣٩٣هـ / ١٩٦٣م ، ويقوم بتدريس العلوم العصرية جنباً إلى جنب العلوم الإسلامية والعربية وبه ثلاث مراحل : روضة ، وابتدائي ، ومتوسط ، ويفوق عدد طلاب مرحلة مجتمعة الـ ٨٠٠ طالب ، ولكن مبانيه ضيقة ، إذ إن بعض التلاميذ يدرسون تحت الشجر .

٣ - معهد تحفيظ القرآن الكريم (نياكروم) : ويقع في مدينة نياكروم بالمنطقة الوسطى ، وهي منطقة واسعة بها عدد كبير من المسلمين ، أنشأه الشيخ عبدالناصر أبو بكر أحد خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م بترعات الأهالي ، ومساعدة السعودية ، والكويت ، ويتكون المعهد من مرحلة ابتدائية ، ومتوسطة وثانوية صغرى ، عدد تلاميذه ٦٤٠ تلميذاً ويدرس التربية الإسلامية واللغة الإنجليزية والعلوم العصرية ، وهو معترف به من قبل الدولة (محمد ، ١٤١٥هـ ، ص ص ٢١٣-٢٢٦) .

وفي هذه المعاهد والمدارس وحلقات المساجد يحافظ المسلمون في غانا على هويتهم وعقيدتهم الإسلامية ، وتقوم بعض الدول الإسلامية بتأسيس بعثات تعليمية في البلاد مثل بعثة الأزهر التعليمية الموفدة من مصر والتي تقوم بنشر الإسلام ، ومثل العلماء والدعاة الموفدين من السعودية ، والذين يقومون بأمر الدعوة ، وتعليم الدين واللغة العربية في بعض معاهد المسلمين (بكر ، ١٤٠٥هـ ، ص ٣٢١) . ويهتم المسلمون في غانا ببناء المساجد ، للعبادة وللتعلم فيها ، فهي كثيرة ومنتشرة في المدن والقرى . فمثلاً يقدر عدد المساجد في العاصمة أكرا وحدها بمائة وأحد عشر مسجداً منها أربعون تؤدي فيها الجمعة ، وأشهرها المسجد الجامع في حي « سابو ترنفو » الذي أسس عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) على يد تاجر لبناني ، كما أن بمدينة كوماسي حوالي تسعين مسجداً ، فالمسلمون فيها تجار أثرياء يتبرعون لبناء

المساجد ، وهناك مساجد مدينة « تمالي » العاصمة الإدارية للمنطقة الشمالية ، وهي الموطن الأصلي لأغلب مسلمي غانا ، وبها حوالي ١٤٠ مسجد ، وهناك عدد من المساجد القديمة في المنطقة الشمالية ، بعضها أثري مثل مسجد لارينغا الذي يرجع تاريخه إلى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، وقد أسسه أحد الدعاة القادمين من الحجاز ، ويسمى أبو أيوب الأنصاري ، وهو معلّم سياحي . وتشكل هذه المساجد المراكز التي درس فيها معظم علماء غانا ، كما أنها حفظت للأمة دينها ، وتحافظ على اللغة العربية من الضياع ، وهي مراكز للإرشاد والتوعية ، ومكان للدروس والتعليم (محمد ، ١٤١٥هـ ، ص ص ٢٠٢-٢١١) .

• • • • •

الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية

لقد اعتبر البعض سياسة بريطانيا الاستعمارية في شمالي نيجيريا، وكذلك في شمالي غانا (حيث المسلمون)، سياسة متسامحة ومتعاطفة، وحتى سياسة «حامية»، ولكنها لم تكن كذلك في حقيقتها بالنسبة للمسلمين في كلا البلدين، فقد رأوا فيها هزيمة حقيقية للإسلام، بحسبان أن سياسة الحكم غير المباشر التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية كانت سياسة ترمى إلى الهيمنة والسيطرة على الإسلام، لا حمايته. فقد خطط الاستعمار منذ وصوله لتنصير الشعب الغاني بأكمله، ففرض سيطرته على البلاد، وبسط وجوده الديني والثقافي والاجتماعي في أنحائها، وحارب الإسلام وأهله، وقضى على لغته العربية، ومهد للثقافة الغربية لتكون هي المهيمنة على المنطقة، وشوه صورة الإسلام، وضيّق فرص التعليم الإسلامي، وسد الأبواب أمامه مما نفر من الإقبال عليه، مع إعطاء كل الفرص للتعليم الغربي الحديث، وبخاصة في المناطق النصرانية والوثنية، مما فوّت فرص التقدم على المسلمين، كما أن المستعمرين عملوا على فرقة المسلمين بإدخالهم المذاهب والفرق الضالة لتغزو الفكر الإسلامي وتشتت أهله، وأصبح المسلمون في غانا بمعزل عن حضارتهم الإسلامية، كما أصبحوا بسبب عزلتهم وتخلفهم التعليمي الناتج عن تلك السياسات الإدارية، مهمشين سياسياً واجتماعياً واقتصادياً (Clarke, 1982, P.P. 189-193)، ذلك على الرغم من الدور السياسي والاقتصادي البارز الذي كان للمسلمين (رغم قلة عددهم) في مجتمع الأشانتي - في كوماسي وغيرها - في فترة القرن التاسع عشر الميلادي. فقد احتلوا عندئذ مكانة عالية في بلاط حكام كوماسي، حيث استخدموهم في الإدارة، واستعانوا بخبراتهم كدبلوماسيين وإداريين، وتحدثنا المصادر أنهم لعبوا دوراً في المفاوضات التي جرت ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م - ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م بين البريطانيين والأشانتي، وكانوا يتمتعون بثقة

الملك فجعلهم ضمن بطانته الخاصة ، مثل الشيخ علي بابا الذي كان يجلس دائماً على يمين الملك في مجالسه الخاصة والعامة (Clarke , 1982 , P.175) .

كما أن تجارهم تمتعوا بنفوذ اقتصادي كبير إذ إنهم احتكروا تجارة المواشي وسيطروا على جزء كبير من تجارة التوزيع ، يشجعهم على ذلك موقف الملك الموالي والمتعاطف معهم ومع دينهم ، ولكن رغم كل هذه المشاركة السياسية والاقتصادية إلا أن أوضاعهم انقلبت على عهد الإدارة الاستعمارية ، والحكومات الوطنية التي خلفتها فأصبح المسلمون ، ماعدا بعض التجار الأفراد الأثرياء هنا وهناك - قوة هامشية لا وزن سياسي ولا اقتصادي لها - بفضل سياسة مرسومة كانت ترمي إلى تهميشهم وإبعادهم عن مناطق النفوذ والقرار .

وهي سياسة أيضاً ترمي إلى عدم إعطاء المسلمين حقوقهم، فغانا نصرانية في كل شيء، دستورها ينص على عدم انتساب الحكومة لدين معين، وأن الدولة لادين لها، وأن الدستور يكفل حرية الدين لكل مواطن، ولكن التوجيهات نصرانية، فيوم الأحد عطلة رسمية في غانا ، ويمنح المسلمون ساعة لأداء صلاة الجمعة، والغالبية العظمى من الموظفين والإداريين المسيرين لدولاب الدولة، من النصاري الذين تلقوا تعليمهم إما في مدارس الإرساليات التنصيرية أو مدارس الحكومة، المماثلة لمدارس الإرساليات .

تنظيمات المسلمين :

بدأت صحوة في أوساط مسلمي غانا في العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري (سبعينات القرن العشرين الميلادي) ، بسبب معاناة المسلمين من إهمال الحكومات لهم، وغمطهم حقوقهم، ثم بسبب ازدياد نشاط الجماعات الإسلامية، كما شهدت هذه الفترة ظهور دعاة وعلماء غانيين ، من أمثال الشيخ عبدالصمد بن حبيب المختار، قاموا بالدعوة لتصحيح العقيدة . ومن مظاهر هذه الصحوة تكوين منظمات شبابية إسلامية هدفها بث الوعي الإسلامي بين الشباب مثل :

١ - رابطة الشباب المسلم : كونها الشيخ محمد محمود عدل ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، بغرض توعية الشباب إسلامياً ، بتنظيم المحاضرات والندوات والمخيمات ، وبغرض الدفاع عن قضايا المسلمين الكبرى ، مثل قضية هدم المسجد الكبير في أكرا ، وهي من أنشط وأوعى الحركات الشبابية الإسلامية في غانا .

٢ - المنظمات النسائية الإسلامية : مثل منظمة الأخوات المسلمات ، وهدفها بث المعرفة في أوساط النساء عن طريق المحاضرات . . وغيرها .

٣ - مجلس التنمية وترجمة الكتاب الإسلامي : أسسه الشيخ محمد مصطفى إبراهيم باكرا ، ويهدف إلى القيام بكتابة وترجمة الكتب والبحوث الإسلامية وتوزيعها في غانا وفي غرب أفريقيا ، وقد قام المجلس بتأليف بعض الكتب حول المبادئ الأساسية للإسلام ، وحول توضيح الانحراف العقدي لدى الفرق الهدامة ، وإذا ما طور هذا المجلس واعتُنى به ، فسيكون حلقة وصل بين المجتمع الغاني المسلم والكتاب المسلمين والمراكز الإسلامية خارج غانا .

٤ - الوحدة التعليمية الإسلامية : يعد إنشاء هذه الوحدة من أبرز مظاهر الصحوة الإسلامية في غانا ، إذا استجابت وزارة التربية والتعليم لضغوط المسلمين فكونت وحدة للتعليم الإسلامي في عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م وذلك أسوةً بالوحدات التعليمية للفرق الأخرى في الوزارة مثل النصرانية ، وكان غرض هذه الوحدة إقناع المدارس الإسلامية بتبني المنهج الحكومي في الدراسات العصرية الحديثة ، وإدخاله في منهجها على أن تتكفل الحكومة بتوفير الكتب الدراسية والمعلمين لهذه المواد ، وكان هذا نصراً كبيراً للمسلمين ، ولكن النية لم تكن خالصة إذ وضعت الحكومة هذه الوحدة في مدينة « تمالي » في المنطقة الشرقية ، ولم تجعلها في العاصمة أكرا كمثيلاتها ، ربما في محاولة لتهميشها وإبعادها عن رئاسة الوزارة ، كما أن علماء المسلمين ومثقفهم لم يشتركوا في هذه الوحدة ، ويرى بعض المسلمين أن إنشاءها

كان لمجرد امتصاص الغضب الإسلامي، ويمكن تنظيمها والاستفادة من خبرات مثقفي المسلمين إذا أريد لها النجاح (محمد، ١٤١٥هـ، ص ص ١٢٣ - ١٤٦).

٥ - جماعة أهل السنة والجماعة : ترجع نشأتها إلى أواخر القرن الرابع عشر الهجري (بداية الستينات من القرن العشرين الميلادي ، على يد بعض العلماء السلفيين من أمثال الشيخ يوسف بن صالح أجرا - وبعض خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . وخطه عملها تشمل الدعوة إلى التوحيد الخالص، ومجانبة البدع، وأخذ الدين من منبعه : الكتاب والسنة ، والوقوف بجانب الحق أينما يكون ومن يكون، ونشر العلم ، ومحاربة المذاهب الهدامة، وتربية الشباب وإعداده سنياً سلفياً ، وإقامة مجتمع إسلامي غاني معافى . وللجماعة مركز في أكرا، وهي تتولى مهمة توزيع الدعاة الموفدين من السعودية، وقد أنشأت الجماعة لها مجلساً أسمته (المجلس الأعلى للدعوة والبحوث الإسلامية عام ١٤٠٦هـ) بهدف توحيد كلمة الدعاة بعد أن كان الخلاف قد دب بين بعضهم، ولإجراء الأمور على أساس الشورى ، وللوقوف ضد التعصب القبلي والوطني، ونصرة الحق . وتواجه الجماعة معارضة قوية من بعض الفرق الدينية، بسبب الجهل المتفشي بين المسلمين ، وقلة الإمكانيات ، وجهل القائمين عليها باللغة الإنجليزية ، مما يقف حاجزاً بينهم وبين الوصول إلى الجماعات الوثنية ، ومواجهة النصارى ، كما أنهم يعانون من عدم خبرتهم بالأمور الإدارية، ومن الخلافات التي تدب بين الدعاة . ورغم كل العقبات استطاعت الجماعة محاربة الكثير من البدع ، وتصحيح العقيدة لكن نشاطها انحصر في المدن الرئيسة دون غيرها ، أي في أكرا ، وكوماسي، وتماي .

٦ - جماعة أهل التوبة : يقصد بأهل التوبة مجموعة قبائل دخلت الإسلام مؤخراً، أي أنهم لم يولدوا من آباء مسلمين . وتغطي هذه القبائل ست من مناطق

غانا العشرة هي : منطقة أكرا الكبرى ، المنطقة لشرقية ، والمنطقة الغربية ، والمنطقة الوسطى ، ومنطقة الاشانتي ، ومنطقة برنغ أهافو . وتعود هذه الجماعة إلى الخلاف الذي وقع في مدينة كوماسي عام ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) ، حينما تنازع أبناء كوماسي الأصليون (وهم أفراد الجماعة) مع مسلمي « زنقو » الوافدين ، حول تولي الإمامة ورعاية شؤون المسلمين ، فكونت الجماعة نفسها لترعى مصالح أفرادها ، عن طريق الاهتمام بالتعليم العصري ، وتوعيتهم ، وبالوقوف أمام النشاط التنصيري بشتى السبل ، وهذا من أهم أهدافها ، وبإنشاء المدارس والمعاهد الإسلامية على النمط الحكومي (محمد ، ١٤١٥هـ ، ص ص ١٥٠ - ١٦٨) . ومن إنجازاتها أنها استطاعت تعليم الكثير من الشباب المسلم تعليماً عصرياً ، ومنهم من التحق بالجامعة وبالعمل الحكومي ، ومنهم من برز في مجال الصحافة وغيرها .

٧ - مجلس العلماء والأئمة : تكون هذه المجلس من مشايخ وعلماء ، وبعض أئمة مناطق غانا العشرة ، زائداً ست هيئات وجمعيات إسلامية غانية هي :

- أ - جالية مسلمي غانا .
- ب - البعثة الإسلامية في غانا .
- ج - مجلس مسلمي غانا .
- د - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
- هـ - مجلس ممثلي غانا .
- و - اتحاد المجالس الإسلامية .

وسبب تأسيس المجلس هو محاولة توحيد جهود المسلمين ، وإيجاد حل لنزاع القيادة الذي كانت تعاني منه أمة الإسلام في غانا ، وذلك أن كل واحدة من هذه الهيئات الستة كانت تحتكر قيادة المسلمين في غانا في فترة من الفترات ، وكانت تتحد وتنقسم حسب الأهواء والمطامع الشخصية ، مما فرّق المسلمين وضيّع حقوقهم .

ظهر المجلس بعد مؤتمره التأسيسي في مدينة (سكندي) بالمنطقة الغربية في عام ١٤٠٢هـ (مايو ١٩٨١م) ، وقد حضره العلماء المحليون ورؤساء الأئمة ، وبعض شخصيات الحكومة ، وانتخب المؤتمر لجنة تأسيسية من ٣٨ عضواً بواقع ٤ أعضاء لكل منطقة ، كما انتخب رئيساً للمجلس ، وأميناً عاماً ، ونائباً للأمين العام .

ويهدف المجلس إلى توحيد العلماء والأئمة في غانا ، وتكوين لجنة مهمتها توحيد الفتوى حول رؤية هلال رمضان ، وتحديد نصاب الزكاة . . . الخ وتوجيه الدعاة للمدن والقرى النائية للدعوة والإرشاد ثم توحيد صوت المسلمين والمطالبة بحقوقهم ، مع توثيق الصلة مع الحكومة بحسبان أن المجلس هو الجماعة الوحيدة الممثلة للمسلمين . وللحكومة ثقة في الجماعة ، حيث أوكلت إليها أمر تنظيم الحج ، وأمر قانون الأحوال الشخصية ، كالميراث والزواج . . . إلخ ، وسمح للجامعة بإصدار جريدة خاصة هي جريدة (صوت العلماء والأئمة) . وتضم الجماعة في عضويتها مسلمين بارزين ، أساتذة جامعيين وغيرهم ، وقد تمكنت الجماعة من ضبط شؤون الحج ، وعقد دورات للأئمة بمشاركة رابطة العالم الإسلامي ، والأزهر ، ولكنها لم تهتم بأمر التعليم ، وبوضع أسس ثابتة لنشاطها ، الأمر الذي أدى إلى تدني نشاطها . (محمد ، ١٤١٥هـ ص ص ١٦٩-١٧٨) .

وتجدر الإشارة إلى أن معظم هذه الجماعات الإسلامية متنافرة مع بعضها البعض ، ومن ثمَّ فخلافاتها مستمرة ، وهي إشارة واضحة إلى فرقة المسلمين وإلى أزمة القيادة بينهم .

المسلمون والعالم الخارجي

ظلت علاقات المسلمين في غانا بعالم الإسلام الخارجي ، وعلاقة ذلك العالم بهم محدودة جداً ، وذلك بسبب العزلة التي ضربها عليهم الاستعمار البريطاني ، وبسبب البعد الجغرافي ، ثم بسبب الهيمنة الاستعمارية على معظم أجزاء العالم الإسلامي . ولكن رغم ذلك ، كان الأزهر الشريف من أسبق المؤسسات التعليمية التي قامت بتقديم خدمات تعليمية لمسلمي غانا ، بغرض سد الفجوة التعليمية التي فصلت أولئك المسلمين عن بقية شرائح مجتمعهم الغاني . فهو أول من فتح أبوابه لأبناء المسلمين الغانيين . ففي عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م ، قدم الأزهر لهم عشرين منحة دراسية في مختلف التخصصات ، كما فتحت الجامعة أول مركز ثقافي لها في أكرا عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م للاعتناء بتدريس اللغة العربية .

وكذلك كان للجامعات السعودية دور رائد في هذا المجال ، إذ بلغ الخريجون الغانيون من تلك الجامعات منذ السبعينات الميلادية حوالي ١٨٠ طالباً ، معظمهم في تخصصات دينية من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة أو من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، كما أرسلت هذه الجامعات وفوداً لزيارة غانا والتعرف على مسلميها ومشكلاتهم ، وعقدت دورات لأئمتها وعلمائها .

وهناك أيضاً مجهودات لمؤسسات سعودية أخرى مثل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة ، في مجال الدعوة ، فهي تقوم بكفالة حوالي ٤٠ داعية من خريجي جامعات المملكة من أبناء غانا ، وإرسال دعاة آخرين ، وكذلك تفعل رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، فهي تكفل دعاة محليين ، وترسل آخرين إلى غانا ، فضلاً عن إرسال الكتب الإسلامية والمصاحف . وهناك بعثات البنك الإسلامي للتنمية لدراسة العلوم العصرية ، فقد ابتعث البنك أربعين طالباً إلى تركيا ، كما يقوم بإنشاء المعهد الإسلامي للعلوم الطبية في شمالي غانا بمدينة «تمالي» .

ولجمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية جهود أيضاً ، فقد فتحت لها مكتباً في أكرام عام ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، وهي تساعد في بناء المساجد ، والمدارس الإسلامية، وحفر الآبار، وفي المجال الاجتماعي بكفالة اليتامى ومساعدة الأسر الفقيرة، وقد أسست لها مزرعة (حوالي ١٧٠ فداناً) في مدينة « كاسوا » . وهناك محاولات أخرى لافتتاح مكاتب من قبل مؤسسات كهيئة الإغاثة العالمية بالسعودية، ولجنة مسلمي أفريقيا ، وبيت زكاة الكويتيين بغرض تخفيف معاناة المسلمين (محمد، ١٤١٥هـ، ص ص ٤٢٨ - ٤٣٥) .

المشكلات والتحديات :

تعرضنا فيما مضى للمشكلات التي تواجه المسلمين في غانا، مثل الفرقة، والقيادة، ثم مشاكلهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبقي أن نشير إلى التحديات الأساسية التي تواجههم وهي: النشاط التنصيري، ونشاط الفرقة الهدامة.

١ - التنصير :

يتخذ النشاط التنصيري أشكالا عدة، فهو يتم عن طريق العمل الإذاعي، وبث البرامج باللغات الإنجليزية والتوى والهوسا ، وعن طريق المؤسسات التنصيرية وأعمالها الخدمية والاجتماعية ، وعن طريق صحفها ومجلاتا وكتيباتها ، كما أضحت الكنيسة والمزرعة والمدرسة هي مراكز أساسية للتنصير . وفي غانا أكثر من ثماني عشرة كنيسة تقوم بمهمة التنصير (محمد، ١٤١٥هـ، ص ص ٣٧١-٣٧٨)، وقد باشرت الكنيسة حملاتها التعليمية التنصيرية في غانا منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري(التاسع عشر الميلادي)، حيث لعبت ثلاث إرساليات دوراً خطيراً هي:

أ - جمعية وزيان التبشيرية Wisliyan Missionary Society .

ب - جمعية بازل Basil Missionary Society .

ج - جمعية بريمان التبشيرية Breman Missionary Society .

بدأت كلها في الساحل ، ثم تحولت إلى الداخل ، ثم تبعتها إرساليات أخرى ، كاثوليكية وغيرها . وكانت ميزانية الكنائس في حقل التعليم تفوق بكثير ميزانية الحكومة تجاهه . وصارت مدارس الكنائس أفضل عطاءً من المدارس الحكومية ، وكانت الكنيسة تمول المدارس التي تعجز الحكومة عن تمويلها ، وفي عام ١٣٨١هـ / ١٩٦١م بلغ عدد الطلاب في غانا مليون طالب ، كانت حصيلة مدارس الكنائس من هذا العدد حوالي ٧٠ - ٧٥ ٪ وهدفها من كل هذا الجهد هو إيصال النصرانية عن طريق التعليم (Mcwilliam , 1975 , P.P. 15-22) .

كذلك عملت الإرساليات على تأمين العلاج للفقراء المرضى من أجل التنصير ، فأقامت المستشفيات والمستوصفات في المدن والأرياف . وللكنائس هيئات ومراكز طبية ، فلكنيسة الكاثوليكية مثلاً « وكالة الصحة الكاثوليكية » ومقرها العاصمة أكرا ، ولها مستشفيات ، كما أن الكنائس تنشط في غانا لتأمين الغذاء للأسر الفقيرة عن طريق إقامة المزارع ومشروعات الري ، وركزت نشاطها هذا في المنطقة الشمالية حيث المسلمون ، ولها هيئات إغاثة مثل هيئة الإغاثة الكاثوليكية ، وهي تستورد وتزرع المواد الغذائية ، وتوظف المسلمين ، وتساعد الأعيان بالمعدات والجرارات . . إلخ (الدوبي ، ١٩٩٠م ، ص ٨٥) ، أيضاً (مجلة الأهر ، محرم ١٣٧٥هـ ، ص ٧١) .

٢ - الفرق الهدامة :

دخلت بعض الفرق الهدامة إلى غانا بتشجيع من المستعمرين البريطانيين بهدف

خلق البلبلة والفرقة بين المسلمين . ولقد كان وصول أهم تلك الفرق في مطلع القرن العشرين الميلادي ولقد وجدوا مساندة ودعمًا ماديًا وأدبيًا من الحكومة الاستعمارية فركزوا على التعليم فكان لهم عام ١٤١١هـ (١٩٩٠م) أكثر من مائة مدرسة بالإضافة إلى ثلاث كليات جامعية . ولقد خرجت هذه المؤسسات التعليمية أعداداً كبيرة مشبعة بالأفكار الهدامة ومكنتهم الحكومة الاستعمارية من احتلال المناصب الحكومية وأوكلت إليهم أمور المسلمين ، وأتاحت لهم الفرص للانتشار عن طريق إنشاء دور للنشر وبناء المساجد الخاصة بهم وتقديم الخدمات الصحية عبر مستشفيات خاصة موزعة في مناطق غانا العشرة .

ولاشك أن هذه الفرق تمثل خطراً جسيماً على المسلمين في غانا ، مما يتطلب الانتباه من كل من يعنيه نشر وتثبيت المعتقدات الإسلامية الصحيحة .

• • • • •

الأقلية المسلمة في جنوب أفريقيا

الأقلية المسلمة في جنوب أفريقيا

خلفية جغرافية وتاريخية مختصرة :

تقع جمهورية جنوب أفريقيا (ترد فيما يأتي جنوب أفريقيا) في أقصى الطرف الجنوبي من القارة الأفريقية ، وتحدها ناميبيا من الشمال الغربي ، وبتسوانا وزمبابوي من الشمال ، وموزمبيق وسوازيلاند من الشمالي الشرقي ، وفي الشرق يحدها المحيط الهندي ، ومن الجنوب والغرب المحيط الأطلسي ، أما ليسوتو فتحيط بها تماماً أراضي الجمهورية وتقع داخل جزئها الشرقي .

وتبلغ مساحتها ١٣١٩ر٠٨٠ كيلو متر مربع ، ويسكنها حسب إحصاء مارس ١٩٩١م ١٨ر٣٧ر٩٤٤٤٠ مليون نسمة (World Fact Book , 1995 , P.467) ، وقد يصلون إلى ٤٠ر٤٣٦ر٠٠٠ مليون نسمة حسب تقديرات يونيو ١٩٩٥م . (Statesman Year Nook , 1996-1997 , P.P. 1156-1157) .

ويشكل السكان الأفارقة ٧٦ر١٪ في حين يشكل البيض ١٢ر٨٪ من جملة السكان ، والملونون ٨ر٥٪ أما الآسيويون فهم ٢ر٦٪ من مجمل السكان (Eunopa,1995,P.870)، وسمت السكان في جنوب أفريقيا هو التباين العرقي واللغوي والثقافي -فهم أفارقة وآسيويون وأوروبيون وهجين بين ذلك، وكثافة السكان حوالي ٣١ نسمة للكيلو متر الواحد، ولكنهم موزعون بطريقة غير متساوية، فأماكن التعدين هي أكثر المناطق كثافة سكانية، تليها منطقة جوهانسبرج وماحولها، ثم المواني ويتواجد الأوروبيون بكثافة في المدن، أما الأفريقيون فحوالي ٦٠٪ منهم كانوا يعيشون في المعازل القبلية المخصصة لهم، في حين أن الملونين يعيشون بكثرة في منطقة الكيب، والآسيويون في الناتال وماجاورها .

ولسكان جنوب أفريقيا إحدى عشرة لغة رسمية، بما فيها لغة الأفريكانا واللغة الإنجليزية، والبدي Pedi والسوازي والتسونقا والفندا والزولو . . إلخ .

المناخ :

متعدد السمات بسبب ارتفاع أراضي الدولة ، وقرب معظمها من المحيط ، واتساع رقعتها . وهو مناخ شبه جاف على طول الساحل الشرقي ، وشبه مداري عموماً مع شئ من التفاوت من منطقة إلى منطقة ، فالمناطق الجنوبية الغربية ذات مناخ « بحر متوسط » تسقط أمطاره شتاءً ، في حين تسود المناطق الشمالية الغربية مظاهر المناخ الصحراوي ، وتلطف الهضبة التي تكوّن معظم أراضي جنوب أفريقيا من معدل درجات الحرارة في البلاد ، والتي هي درجات معتدلة طول العام ، وتتفاوت ما بين ١٧ر٢ درجة مئوية في برتوريا ، و١٦ر٧ درجة مئوية في مدينة الكاب ، كما أن معدل سقوط الأمطار يتفاوت من منطقة إلى أخرى ، ويتساقط في بعض أجزائها صيفاً ، وفي البعض الآخر شتاءً . فالمعدل السنوي للأمطار هو ٥٦٤ ملم في مدينة الكاب ، و ٥٠٨ ملم في ديربان وحوالي ١٠٠٨ ملم في جوهانسبرج (Stafes man Yeanr Book , 1996-1997 , P.1157) .

الأرض والسكان :

معظم أراضي جنوب أفريقيا هضبة مرتفعة ، يزيد ارتفاعها عن ألفي متر ويحيط بها من الجنوب والشرق نطاق جبلي ، يفصل بين الهضبة والسهول الساحلية ، وأعلى ارتفاع لهذه الهضبة يوجد في الشرق والجنوب الشرقي ، وتندحر تدريجياً نحو حوض كلهاري في الشمال الغربي ، أي أن الهضبة تشغل وسط البلاد . وتقع منطقة ترانسفال إلى شمال الهضبة ، وفي قسمها الشرقي يوجد إقليم الفيلد الأعلى ثم الفيلد المنخفض . وفي الشمال الغربي توجد صحراء ناميبيا وتنحرف مياه الهضبة إلى نهر الأورانج وأفرعه ، حيث يفرغها بدوره في المحيط الأطلسي ، وهناك أنهار أخرى صغيرة تصرف مياه الهضبة (Europa , 1995 , P. 858) .

الاقتصاد :

الزراعة عنصر مهم من عناصر الاقتصاد في جنوب أفريقيا ، وإنتاجها هو القمح والذرة وقصب السكر والقطن . وفي البلاد ثروة حيوانية تزيد عن حاجة الاستهلاك

المحلي، وإنتاج الذهب يجعلها في المركز الأول من حيث الإنتاج العالمي، ودوره مهم في اقتصاد البلاد . وهناك أيضاً الماس واليورانيوم والفحم . ورغم هذا الغنى فإن الأغلبية العظمى من السكان الأفريقيين ظلت تعيش حالة من الفقر المدقع ، ومن البطالة، بينما الأقلية البيضاء هي التي تستأثر بخيرات البلاد ، وتحظى بمستوى عال يضارع مستويات غربي أوروبا ، ولكن هذه الأوضاع الآن آخذة في التغير بعد مجيء الحكومة الوطنية. (World Fact Book , 1995 , P.P. 389-390) .

دخول الإسلام إلى جنوب أفريقيا والتوزيع المجالي للمسلمين :

على الرغم من أن الإسلام قوة لا يستهان بها في القارة الأفريقية ، إلا أن وجوده في جنوب أفريقيا ضئيل للدرجة التي جعلت سبنسر ترمنجهام يقول «إن دخول الإسلام إلى أواسط وجنوب أفريقيا كان ضئيلاً للدرجة التي يمكن بها تجاهله» . (Trimingham , 1980 , P. 11) . ولكننا لا نتفق مع ترمنجهام، فرغم قلة عدد المسلمين في جنوب أفريقيا فلا يمكن تجاهلهم، أو تجاهل مساهماتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في حياة بلادهم، والدور الذي لعبوه، كأفراد، أو كمجموعات عرقية ، أو كأقلية دينية . فقد كان للمسلمين دور نشط في معارضة سياسة الفصل العنصري مثلاً ، والتي حرمتهم من حقوقهم الأساسية، فجعلتهم لا وزن سياسي لهم ، ولا يتمتعون بحق المواطنة كالبعض ، وغير مسموح لهم بالتصويت . . . ولكن - وعلى غير حال الأقليات المسلمة الأخرى فحالهم الاقتصادية جيدة، وهم أكثر انضباطاً ووعياً وتنظيماً وحرصاً على هويتهم الإسلامية .

ويرجع تاريخ الإسلام في جنوب أفريقيا إلى منتصف القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، وقد وردها عن عدة طرق هي :

استجلاب الأسرى والمستبعبدين والزعماء السياسيين المنفيين من أرخبيل أندونيسيا ومن الملايو وسيلان، والعمال الذين استجلبوا من الهند للعمل في مزارع السكر في مقاطعة الناتال، ثم المهاجرين الآتين من شبه القارة الهندية كتجار وعمال . . . إلخ . ثم مجموعة الزنجباريين، وأخيراً العمال الآتين من البلدان المجاورة للعمل في مناجم جنوب أفريقيا.

مسلمو الكاب :

كانت منطقة الكاب هي المنطقة الأولى التي وصلتها طلائع المسلمين المستبشرين والسجناء المسلمين السياسيين في حوالي عام ١٠٧٨هـ (١٦٦٧ م) من المستعمرات الهولندية في أرخبيل أندونيسيا . ومن بين المنفيين الأسرى كان الأمير عابدين «ناديا تيوسيوب» ، والذي اشتهر في تاريخ جنوب أفريقيا بالشيخ يوسف ، وقد وصل معه ١٢ رجلاً من علماء وفقهاء الدين الإسلامي ، ويعتبر المؤسس الأول، والأب الروحي للإسلام في جنوب أفريقيا. وقد لقي أولئك المسلمون الأوائل صنفاً من المعاملة السيئة، ومحاولات تغيير دينهم، ولكنهم عضوا عليه بالنواجذ، وظلوا يمارسون شعائره سرّاً في بيوت قادتهم، حتى أعلنت حرية الاعتقاد في عام ١٢١٩هـ (١٨٠٤م)، وتزايدت أعدادهم، فبعد أن كانوا حوالي ٧٨٣٠ مسلماً في عام ١٢٥٩هـ (١٨٤٣ م) ، فقد بلغوا في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠ م) ٩٣٠٥٢٦ مسلماً، ثم صاروا في عام ١٤٠١هـ (١٩٨٠ م) حوالي ١٦٣٧٠٠ مسلم وذلك حسب آخر إحصائية أجريت في عام ١٩٨٠م (Naude , 1985 , P.P. 21-22) ، وكانت قوانين جنوب أفريقيا العنصرية تصنف هذه المجموعة « بالملونين » ، ومسلمو الكاب الآن هم أحفاد أولئك الذين ثبتوا على دينهم ، وحوالي ٥٠٪ من المسلمين في جنوب أفريقيا ينتمون إلى هذه الجاليات الملونة .

مسلمو مقاطعة ناتال :

وصلت مجموعة ثانية من المسلمين إلى جنوب أفريقيا ، قادمة من شبه القارة الهندية، منذ عام ١٢٧٧هـ (١٨٦٠ م) ، استجلبهم المستوطنون البريطانيون للعمل في مزارع السكر التابعة لهم ، وذلك لقلّة الأيدي العاملة ، ومهارة الزراع الهنود، وقد وصلت أول دفعة منهم إلى ناتال في ١٦ نوفمبر ١٨٦٠ م ، وقد تبع معيهم هؤلاء هجرتان للهنود، إذ هاجر بعض الزراع الهنود إلى مقاطعة ناتال حيث عملوا بالزراعة والوظائف والتجارة، كما هاجرت مجموعة أخرى من الهنود عرفت «بالمسافرين الأحرار» Free Passengers . وصلت إلى ناتال بموجب قوانين

الهجرة العادية، ومعظمهم من المسلمين ، والذين استقروا في المقاطعة حيث تملكوا قطعاً صغيرة من الأراضي استغلوها في زراعة الفواكه والخضر . وقد بلغت أعداد المسلمين الهنود الذين استقروا في ديربان حوالي أربعة آلاف مسلم ، ولحرصهم على المحافظة على هويتهم أقاموا أول مسجد كبير في ديربان هو « مسجد الجمعة » الشهير، والذي يعتبر من أكبر المساجد في القارة الأفريقية ، وتلاه قيام مساجد أخرى (The Islamic Council of South Africa , 1984 , P.P. 13-16) . .

الجماعة الزنجارية :

وتزايدت أعداد المسلمين بوصول هذه الجماعة الأفريقية المسلمة ، وهم مجموعة من الأرقاء الزنجاريين الذين حررهم الأسطول البريطاني في مياه المحيط الهندي، ونقلهم إلى منطقة ديربان، حيث استقروا فيها . وعلى الرغم من أنهم كانوا من قبائل ماكوا في شمالي موزمبيق إلا أنهم أطلقوا على أنفسهم لقب الزنجاريين، وقد بلغت أعدادهم حتى الثمانينات من القرن العشرين حوالي ثلاثة آلاف مسلم (Sicaid , 1980 , 1981 , P.P. 128-137) .

كما أن هناك عدداً من المسلمين جاءوا من البلاد المجاورة للعمل في مناجم جنوب أفريقيا بخاصة من موزمبيق وملاوي .

وقد وصل الإسلام إلى السكان البيض من ذوي الأصول الأوروبية ، ويبلغ عدد المسلمين بينهم حالياً حوالي ألفي مسلم ولهم جمعية خاصة بهم - اسمها حركة الدعوة، ويتبعها مسجد ، ومركزها جوهانسبرج ، ولهم علاقات مع المجالس والجمعيات الإسلامية في غربي أوروبا وأمريكا الشمالية. (عودة ، ١٩٨٩م ، ص ٩-١٢) .

توزيع المسلمين العرقي والجغرافي (جدول رقم ٢ ، ورقم ٣) :

تفاوتت أعداد المسلمين ونسبهم بين ٤٠٠ - ٥٠٠ ألف مسلم ، ونسبتهم المثوية بين ١٤ - ١٦ ٪ وفي أحيان ٢ ٪ والجدولان رقم (٢) ، ورقم (٣) يوضحان أعدادهم وتزايدها في السنوات ١٩٦٠م ، و١٩٧٠م ، و١٩٨٠م (وهي السنة التي جرى فيها آخر احصاء) .

جدول رقم (٢) عدد ونسب المسلمين في جنوب أفريقيا في الأعوام
١٩٦٠، ١٩٧٠، ١٩٨٠م

١٩٨٠م		١٩٧٠م		١٩٦٠م		
العدد	%	العدد	%	العدد	%	
١٦٩٧ر	٤٨ر	٩٤٥	٣٥ر	٢٤٠	١٢ر	البيض
١٦٥٨٤٢ر	٤٧	١٢٥٩٨٧ر	٤٧	٩٩٠٦٨	٥٠	الهنود + زنجاريون
١٧٦٤٠٦ر	٥٠	١٣٤٠٨٧ر	٥٠	٩٢١٣٠	٤٧	الملونون
٩٠٤٨	٣	٨٨٩٦	٣	٥٥٩٩	٢٨ر	الافريقيون
٣٥٢٩٩٣	-	٢٦٩٩١٥	-	١٩٧٠٣٧	-	العدد الكلي
٢٥٠١٦٥٢٥	-	٢١٧٩٤٣٢٨	-	١٥٩٤٣١٧١	-	جملة سكان جنوب أفريقيا
١٤ر		٢٤ر		١٢ر		النسبة المئوية من سكان جنوب أفريقيا

المصادر :

- Vawdas, Winter 1994, P. 535.

- Thw Emerging Islam in an African Town-ship, The American
jonraul of Islamic Social Suieneecs, Vol. 11, no, 4.

جدول رقم (٣) عدد ونسب المسلمين في جنوب أفريقيا حسب تقديرات

لجنة مسلمي أفريقيا (عام ١٩٨٠م)

الفئة	عدد السكان	المسلمون	نسبتهم	نسبة المسلمين
الأفريقيون	٢٠,٠٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠	١٠٪	
البيض	٦,٠٠٠,٠٠٠	٢٥٠,٠٠٠	٤٪	
الملونون	٣,٣٠٠,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠	٨٣٪	١٦
الآسيويون	١,٠٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	٢٠٪	
المجموع	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	٤,٧٢,٥٠٠	١٦٪	

المصدر : لجنة مسلمي أفريقيا ، مكتب جنوب أفريقيا «د.ت»، ص: ٥).

ويستقر المسلمون بشكل مكثف في مقاطعات الكاب ثم ناتال وترانسفال الترتيب حسب أعدادهم ويقل وجودهم في مقاطعة الأورانج الحرة لأسباب تاريخية تتصل بهجرتهم، وهناك ما بين ٧٠٠-٨٠٠ مسلم تقريباً يعيشون في المواطن الأفريقية، ويعيش حوالي ٩٠٪ من المسلمين في المدن الكبرى كما هو موضح أدناه :

- ١ - كيب تاون ٢٠٠,٠٠٠ مسلم أكثر من ٩٠٪ من ماليزينا .
 - ٢ - ديربان ١٥٠,٠٠٠ مسلم أكثر من ٩٠٪ من أصول هندية .
 - ٣ - جوهانسبرج ١٠٠,٠٠٠ مسلم حوالي ٧٠٪ من أصول هندية .
- (عبدالله ، ١٩٨٦م ، ص ٩٤٩) .

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية للمسلمين

المسلمون في جنوب أفريقيا جالية على درجة من الرخاء على الرغم من الجو السياسي والاقتصادي والاجتماعي القاسي وعلى الرغم من القيود المفروضة عليهم، فهم يشاركون في شتى مجالات العمل ، ويلعبون دوراً رائداً في التجارة، وينافسون البيض في هذا المجال ، وأسواق مدينة ديربان شاهدة على ذلك، وفي الكيب يشاركون في كل الحرف والأعمال التي تحتاج إلى مهارات ، بخاصة أعمال البناء، والتجارة والحدادة ، والحياكة ، وصناعة السجاد . . . إلخ .

وحوالي ٣٠ ٪ من المسلمين يعملون في مجال التجارة (تجار جملة وتجار صغار) بخاصة في ناتال وترانسفال ، وحوالي ٤٠ ٪ يعملون كصناع مهرة ، و ٢٠ ٪ كعمال شبه مهرة أو غير مهرة ، و ١٠ ٪ يعملون في قطاع الخدمات كالتدريس والطب والمحاماة والمحاسبة . ويتمتع المسلمون بشكل عام بمستوى معيشي أعلى من الجاليات الملونة والهندية (غير المسلمة) وهناك بالطبع فوارق في الرواتب بين البيض وغيرهم ممن هم في خدمة الدولة ولكنها الآن في طريقها إلى الزوال ، كما أن تطور المسلمين وغيرهم من غير البيض في المجالات الاقتصادية معاق سلباً بسبب القوانين العنصرية والتي تنحاز إلى البيض كلية ، ولكن هذا الوضع أخذ أيضاً في الزوال (Argyle , 1981 , P. 224) .

وعلى الرغم من معاناة المسلمين من قوانين البلاد العنصرية إلا أنهم أسعد حالاً من غيرهم (من غير البيض) فمجالات عملهم أفضل ، ودخلهم أكبر ، ويتمتعون نسبياً بمستوى أفضل في المجالات التعليمية ، كما أن خضوع المسلمين لتلك القوانين التي تقسم السكان إلى مجموعات عرقية حسب ألوانهم ، جعل التواصل بينهم أمراً صعباً والتفاعل بينهم أمراً ليس باليسير، ومن تلك القوانين قانون منع الزواج المختلط، وقانون مناطق المجموعات ، وقانون التوظيف ، والقوانين التعليمية،

وأدى كل ذلك إلى أن يصبح لكل جماعة مساجدها وجمعياتها ومطبوعاتها في مناطقها السكنية المنفصلة عن بعضها البعض . وغنى عن القول أن تلك القوانين العنصرية نفسها وضعت المسلمين وغيرهم من غير البيض في وضع اجتماعي متدن . فهم قاعدة الهرم الاجتماعي ، والذي يقف على قمته البيض أصحاب الجاه والسلطان .

(The Islamic Council of South Africa , 1984 , P.P. 21-22)

وقد حاولت الحكومة العنصرية السابقة اتباع سياسة فرق تسد ، عندما حاولت القيام ببعض الإصلاحات الدستورية التي تعطي الملونين والآسيويين حق المشاركة في الجهاز التشريعي ، ولكن في قاعات برلمانية منفصلة ، وعزلت الأفارقة تماماً ، فليس لهم حق في الانتخاب ولا المشاركة ، وإنما العيش في انفصال تام ، حيث حاولت جعل الملونين والآسيويين جزءاً هامشياً معزراً لنظام التفرقة العنصرية ، وكان فعلها ذاك بسبب الضغوط العالمية عليها ، وذراً للرماد في العيون .

والدولة لاتعترف رسمياً بالدين الإسلامي ، ولكنها تسمح للمسلمين ببناء المساجد والمدارس . فجنوب أفريقيا بلد نصراني ، وجل أهله نصارى ، وللمسلمين شيء من الحرية في مجالات العمل الديني ، ولكن الدولة لاتسمح بالتدخل السياسي من أي جهة دينية ، مالم يكن ذلك التدخل لمصلحة سياسة الفصل العنصري ، ومتماشياً معها . والنظام القضائي في جنوب أفريقيا لايعترف بقانون الأحوال الشخصية الإسلامي بالنسبة للمسلمين ، ويرى أن الزواج حسب القانون الإسلامي سبيل لتعدد الزوجات ، ومن ثم على المسلمين إلى جانب زواجهم الإسلامي في المسجد أو في مكان خاص ، عليهم إمضاء عقد زواج مدني . أما الميراث فيقسم حسب الشريعة الإسلامية إذا ما وصى المتوفى بذلك في وصيته ، وحدد نصيب كل من الورثة ، وليس في هذا اعتراف بالشريعة في أمور الميراث وإنما

تنفيذ لوصية فقط . وماعدا ذلك فتقسيم التركة يكون حسب قوانين البلاد، والمحاولات جارية من المجلس الإسلامي الأعلى في جنوب أفريقيا لجعل الحكومة تعترف بجوانب من القانون الإسلامي .

التعليم الإسلامي :

السياسة العنصرية التعليمية في جنوب أفريقيا تعمل على إفراذ برنامج تعليمي لكل مجموعة عرقية، تبدأ بالمرحلة الابتدائية وتنتهي بالجامعة ، والبرنامج التعليمي علماني عنصر يتهمل التربية الدينية تماماً . فمدارس الحكومة والمعانة منها لاتدرس الدين الإسلامي . وقد تنبه المسلمون إلى خطر مثل هذا النظام فعملوا على نشر المعرفة الإسلامية من خلال عدة قنوات منها :

١ - المدارس الإسلامية : لتعليم النشء القرآن وحفظه، دون فهم لمعانيه، وهي تعلمهم أيضاً التوحيد، جوانب من تاريخ الإسلام الأول، التلاوة، الأخلاق، الفقه، واللغة العربية . وتعاني هذه المدارس من ندرة المعلمين المدربين تدريباً حديثاً، كما تعاني من رداءة الكتب المدرسية ، وضعف ماداتها التربوية، كما أن وقت الدراسة فيها يبدأ بعد انتهاء اليوم الدراسي في المدارس الحكومية، مما يحد من مقدرة التلاميذ على الاستيعاب والاستفادة من تلك الدراسات الإسلامية، كما أنهم يتوقفون عن تلك الدراسات في المراحل التعليمية المتقدمة لانشغالهم بالدراسة العنصرية في مدارس الحكومة . ولقد بدأت بعض المنظمات التعليمية الإسلامية تهتم بتطوير هذه المدارس بعد عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م)، والنهوض بمستوياتها. ومن أهم تلك المنظمات « الأمانة الإسلامية المركزية في جوهانسبورج The CENTRAL ISLAMIC TRUST واتحاد مسلمي لناسيا LENASIA MUSLIM ASSOCIATION والمجلس الإسلامي في مدينة الكاب. ولعل العلاج الوحيد لمشاكل المدارس الإسلامية هذه هو إنشاء مدارس تعنى بالعلوم الإسلامية والعلوم

العصرية، من خلال منظور إسلامي (عبدالله، ١٩٨٦م، ص ٩٥٢)، و
(NADAWI, 1993 , P.P. 46-47)

٢ - المعاهد الدينية : هناك عدد من هذه المعاهد يصل إلى ٣٠٠ THE
(ISLAMIC COUNCIL OF SOUTH AFRICA , 1984 , P. 26) و
(NADUWI , 1993 , P.49) ولعل من أهم تلك المعاهد « دار العلوم في نيوكاسل
(ناتال) ومعهد ديربان للسلام، ومعهد الدراسات الإسلامية في الكاب، ومعهد
دراسات الشريعة الإسلامية في الكاب ، ومعهد وترفال الإسلامي في جوهانسبرج .
وفي تلك المعاهد العليا يتلقى الطلاب المسلمون المزيد من المعرفة الإسلامية وتخرج
بها الدعاة والأئمة، وقد يلتحق بعض هؤلاء بالجامعات الإسلامية في باكستان،
والسعودية، ومصر ليصبحوا دعاة فيما بعد .

لم يهتم المسلمون بالتعليم الجامعي في أيامهم الأولى، ولكنهم الآن يهتمون به
إذ يدرس طلابهم بعض المقررات الإسلامية الجامعية، فهناك خمس جامعات في
جنوب أفريقيا تدرس اللغة العربية ضمن برامجها الدراسية، وخمس أخرى تدرس
الدراسات الإسلامية. ففي جامعة ديربان (وستفيل) مثلاً هناك شعبة للدراسات
الإسلامية حيث يدرس الطلاب جوانب متعددة من الإسلام
(Haron,1988,P.P48-50)

٣ - المساجد : تنتشر المساجد في أحياء المسلمين ، وتقوم بنشر المعرفة الدينية
بين الناس، وقد أنشئ أول مسجد في مدينة الكاب في عام ١٢٦٧هـ (١٨٥٠م،
وتوالى إنشاء المساجد والمدارس بعد ذلك ، في ناتال وترانسفال والكاب، ولكل بلد
أو قرية بها عدد معقول من المسلمين مسجدهم ومدرستهم، وأكبر المساجد هو
مسجد الجمعة في ديربان والذي يسع حوالي خمسة آلاف مصلٍ . وهناك الآن
حوالي ٣٠٠ مسجد ومئات المدارس المشيدة في أنحاء البلاد كلها شيدت وتتم

رعايتها من قبل المسلمين أنفسهم . ولقد أدت سياسات وممارسات الحكومة العنصرية السابقة في أحيان كثيرة إلى تحويل جماعة من المسلمين، من مكانهم إلى مكان آخر، مخلفين وراءهم مسجدهم ومدرستهم . وفي هذه تكلفة مالية ومعاناة على أولئك المسلمين .

تعليم المرأة المسلمة :

ظلت المرأة المسلمة في جنوب أفريقيا، تعاني من الجهل والإهمال، شأنها في ذلك شأن كثير من أخواتها المسلمات في شتى بقاع العالم الإسلامي، ولم يهتم بأمر تعليمها إلا حديثاً، إذ أنشئت أول مدرسة خاصة للبنات في عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٣م)، وهي كلية حبيبة الإسلامية للبنات، وقد تلى ذلك فتح ١٢ مدرسة خاصة أخرى. وقد اهتمت كل تلك المدارس إلى جانب اهتمامها بالمستويات الأكاديمية بأسلمة المناهج. وقد تجمعت كل هذه المدارس الثلاثة عشرة لتكوّن رابطة المدارس المسلمة، ومنها: مدرسة السلام الخاصة وبها ٣٧٠ طالبة، و ٢٠ مدرساً، وكلية حبيبة الإسلامية للبنات وبها ٤٥٠ طالبة ويدرس بها ٣٠ مدرساً ومدرّسة، ومدرسة لناسيا ٢٤٤ طالبة و ١٩ مدرّسة. . إلخ . (Nadawi , 1993 , P. 51) .

المنظمات الإسلامية المحلية :

المسلمون في جنوب أفريقيا ، رغمًا عن التباين العرقي والثقافي ، ورغمًا عما وجدوه من قهر واضطهاد من جراء السياسات العنصرية القاسية ، متحمسون للإسلام، مهتمون بالحفاظ على هويتهم وذاتيتهم الإسلامية ، فلهم مثلاً حوالي عشرين تنظيماً إسلامياً تطوعياً تعمل من أجل حاجاتهم الثقافية والاجتماعية والروحية، ويعمل بعضها على توحيد المسلمين ولقد كانت نشطة ضد السياسات العنصرية السابقة الرامية إلى فصل العناصر بعضها عن بعض والتي كانت تحول دون اختلاط المسلمين وعيشهم سوياً، ناهيك عن توحدهم، وتجعل من الصلات

الاجتماعية والثقافية بينهم أمراً صعباً، مما نتج عنه تشتت المسلمين. فهم مثلاً مشتتون لغوياً، وتعدد اللغات بينهم يمنع من توحيدهم لساناً. فهناك لغات رسمية عمل النظام العنصري السابق على تمكينها، وهناك لغات ثانوية تنحصر في بعض الفئات، كما توجد لغات تستعمل في البيوت. وأمام هذا التشتت ومن أجل لم شمل المسلمين، وربطهم ثقافياً واجتماعياً، قامت عدة منظمات إسلامية بهدف العمل في أوساط المسلمين، وتوعيتهم بأمور دينهم، ومساعدتهم على المحافظة على هويتهم، وتشمل نشاطات هذه المنظمات إلقاء المحاضرات، وطباعة النشرات، وعقد الندوات للتعريف بالإسلام والرد على دعايات الإرساليات التنصيرية، وحمل الإسلام إلى غير المسلمين وذلك رغماً عن قلة عدد المسلمين، وندرة الدعاة بينهم، والظروف الصعبة التي تحيط بهم، وقلة الإمكانيات المادية. ومن تلك المراكز والمؤسسات الإسلامية، جمعية المسلمين البيض، وهي أول جمعية تأسست في عام ١٩٧٦م في جوهانسبرج، ومركز الدعوة الإسلامية في ديربان، الذي أسسه الداعية المعروف أحمد ديدات والذي يقوم بطبع ونشر الكتب للرد على دعاوي النصارى. ونشاط الداعية أحمد ديدات معروف في مجال المناظرات التي يعقدها مع القساوسة ورجال الدين النصراني، وفي المؤلفات التي يوزعها المركز. ولنشاطه دور ملحوظ في إبراز نشاط المسلمين في جنوب أفريقيا، وتعريف العالم الخارجي بهم وبأحوالهم.

المجلس الإسلامي لجنوب أفريقيا The Islamic Council of South Africa :

وهو التنظيم القومي الجامع للمسلمين في جنوب أفريقيا، والذي ينضوي تحت مظلاته حوالي ١٣٥ تنظيماً إسلامياً آخر، إما كأعضاء فيه، أو منتسبين إلى عضويته، وقد تم تكوينه في ٢٩ نوفمبر ١٩٧٥م، حينما اجتمع ممثلون لحوالي ١٠٩ تنظيم إسلامي يمثلون كل أنحاء البلاد في ديربان لغرض جمع كلمة المسلمين

وحماية مصالحهم ورعايتهم والتحدث رسمياً باسمهم وطنياً وعالمياً ، وتوجيه البرامج وتنسيقها، وحل مشكلات المسلمين بالمشورة والتفاوض والتحكيم والتعاون مع المنظمات العالمية من أجل ترقية العمل الإسلامي وتمثيل المسلمين في المؤتمرات والندوات العالمية وتنظيم ندوات حول الإسلام، والعمل من أجل تحقيق كرامة الإنسان والعدالة الاجتماعية، وإشاعة المودة والوحدة بين المسلمين من جهة وبينهم وبين أهل جنوب أفريقيا من جهة أخرى. وتدير المجلس لجنة أمناء ينتخبها مؤتمر عام كل ثلاثة سنوات، وهي مكوّنة من ٣٢ عضواً يمثلون الأقاليم الثلاثة: الكاب وناتال وترانسفال، وتنتخب هذه اللجنة جهازاً تنفيذياً من ١٢ عضواً هو الذي يباشر الإدارة اليومية للمجلس. ويتزعم المجلس رئيس يساعده ثلاثة نواب (الأمة، ع ١٤، محرم ١٤٠١هـ، P.P. , 1984 , The Islamic Council of South Africa) 33-35.

الحكمة الشرعية في الكاب :

وتقوم بإنجاز قضايا الأحوال الشخصية، من زواج وطلاق وميراث... إلخ.

حركة الشباب المسلم. The Muslim Youth Movement of South Africa :

من ضمن الجمعيات التي قامت من أجل الاعتناء بحاجات الأطفال والنساء، وطلاب الجامعات والشباب العامة، ويعتبر إنشاؤها في ١٦ ديسمبر ١٩٧٠م، حدثاً مهماً في تاريخ المسلمين في جنوب أفريقيا ، وقد قامت على مبدأ أن المسلمين أخوة، وأن هدفها الأساس هو أسلمة جميع أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، وإبراز وترقية القيم الإسلامية في أوساط الأمة، ونشر الإسلام في القطاعات غير الإسلامية. ولكل مسلم الحق في الالتحاق بعضويتها، وقد أدى نشاطها إلى قيام عدد من المنظمات الفرعية التابعة، مثل :

١ - صندوق الزكاة الوطني في جنوب أفريقيا ، والذي يتولى جمع الزكاة وتوزيعها .

٢ - وكالة الإغاثة الإسلامية (أسرا) .

٣ - مراكز إسلامية دعوية ، مثل معهد السلام التعليمي وحركة الدعوة .

٤ - المؤسسة المالية الإسلامية .

٥ - مطبعة الدعوة الإسلامية .

٦ - صندوق التنمية الإسلامية لإيجاد المال اللازم للدعوة .

٧ - الجمعية الإسلامية الطبية .

٨ - جمعية المحاسبين والمحامين عن الشريعة الإسلامية (امل) .

٩ - جمعية العلوم الاجتماعية الإسلامية .

١٠ - جمعية الطلبة المسلمين .

١١ - حركة النساء المسلمات .

وللحركة جهد مقدر في المجال الإسلامي بإصدارها الكتيبات والمطبوعات الدورية، وبإصدارها مجلة إسلامية شهرية هي « القلم » ، وكذلك إنشاؤها هيئة الإذاعة الإسلامية لإصدار أجهزة سمعية وبصرية للدعوة ، ثم إنشاؤها أيضاً لخدمات الكتاب الدولية وهي عبارة عن شبكة من خمس مكاتب إسلامية كلها في جنوب أفريقيا (لجنة مسلمي أفريقيا - مكتب جنوب أفريقيا - غير منشور، «د.ت»، ص ص ٨-١٠). (Esack , 1988 , P.P 477-483) ، و (العراقي وجريس، ١٩٩٧م، ص ص ١٣١-١٣٤) .

النشاط الاجتماعي والثقافي للمسلمين :

إلى جانب بناء المدارس والمساجد ورعايتها فللمسلمين في جنوب أفريقيا
تنظيمات اجتماعية وثقافية عدة، منها :

منظمات الرعاية الاجتماعية والإغاثة - وهي تهتم بالفقراء والأيتام مثل :

أ - جمعية العون العالمي International في بريتوريا .

ب - دار الأيتام والفقراء في ديربان ، وهي تعمل من أموال الزكاة والصدقات
والتبرعات وتصرف حوالي ٥ ملايين راند (العملة المحلية)، كل عام وقد
يمتد عملها إلى غير المسلمين .

ج - جمعيات تعمل على مساعدة أبناء المسلمين النابهين ، بدفع مصروفاتهم
، ومتابعة تعليمهم ، وقد يساعدون الآخرين من الملونين والإفريقيين غير
المسلمين .

الإعلام :

هناك عدد قليل من الجرائد والمجلات التي يكتب فيها مسلمو جنوب أفريقيا من
مسلمي الخارج ، وأهمها اثنتان :

١ - أنباء المسلمين (أخبار المسلمين) Muslim News ، وتصدر كل أسبوعين
في مدينة الكاب .

٢ - القلم وتصدرها حركة الشباب المسلم في ديربان .

٣ - مجلة « المختار الإسلامي » Muslim Readers Digest وتصدر شهرياً
عن دار مكّي للنشر في ديربان ، وعمرها الآن أكثر من ستين عاماً .

هذا إلى جانب النشاط الثقافي والإعلامي الذي تقوم به جمعيات ومراكز أخرى
مثل حركة الشباب المسلم Haron , 1995 , P. 317 FF .

المشكلات والتحديات

إلى جانب معاناتهم من قوانين وسياسات الفصل العنصري التي اكتتوا بنارها، كما اكتوى بها الآخرون من غير البيض ، والتي عطلت من نشاط ومشاركة المسلمين السياسية والاقتصادية في أمور بلدهم ، وفرقت بين جماعاتهم ، وحدت من انتشار الإسلام، إلى جانب كل ذلك فإن المسلمين يواجهون مشكلات وتحديات أخرى من أهمها حركة التنصير والسند الكبير الذي يلقيه المنصرون ، وضعف إمكانات المسلمين وثانياً جهلهم باللغة العربية وضعف صلتهم بالعالم الإسلامي ، وقد ظلت اللغة العربية حبيسة المدارس والمساجد، وقد أدخلت مؤخراً كمادة اختيارية على مستوى المدارس الثانوية التابعة للهند والملايين، كما أن هناك حركة من قبل الحكومة لتعليم اللغة العربية، فإذا وجد عدد مناسب من الطلاب حوالي ٣٠ طالباً، فإن الحكومة تقوم بتدريسهم اللغة العربية على حسابها، كما فتح قسم للغة العربية في جامعة ديربان، وغرض الحكومة من كل ذلك ليس غرضاً إسلامياً، وإنما تريد منافعها، وزيادة اتصالها بالعرب لتحقيق مصالح اقتصادية، (الأمّة، ع ١، محرم ١٤٠١هـ/نوفمبر ١٩٨٠م)، وهناك مشكلات القيادة في أواسط المسلمين، وتباينهم العرقي والثقافي وتشتتهم وعدم وجود اتصال قوي بينهم، ولكن كل هذا آخذ في التغير والزوال بفضل ماتشهده جنوب أفريقيا من حركة بعث جديد بعد انهيار النظام العنصري فيها.

وأمر التنصير والتحدي الذي يشكله للمسلمين في جنوب أفريقيا يماثل ما عليه الحال في كل بقاع القارة الأفريقية ، بخاصة مواطن الأقليات المسلمة . وقد لخص الداعية الأستاذ: أحمد ديدات نشاط الإرساليات التنصيرية، وخطرهما في مقابلة مع جريدة الأمة القطرية، فأوضح نشاطها الواسع في طباعة الكتب والنشرات النصرانية بأعداد ضخمة، وتوزيعها على المسلمين في بيوتهم بالمجان. فمثلاً تم في عام

١٣٩٥هـ (١٩٧٥م)، تم توزيع مليون نسخة من الإنجيل، وهناك ثمان ترجمات عربية للإنجيل، وعدد من الترجمات الأخرى بلغات جنوب أفريقيا، الأفريكانا والزولو وغيرهما، وقد وصل بهم الحد إلى طباعة كتب مضللة عن الإسلام مثل كتاب « القرآن يقول Quran Says » ومثل كتاب « لماذا تنصرت »، وكتاب « الهداية » وكل هذه الكتب تصل إلى المسلمين في بيوتهم وأماكن عملهم، وكلها كتب تشوش على المسلم تفكيره، وربما انطلت حيلها على ضعاف الإيمان، فأفسدت عليهم دينهم (الأمة، ع ١، محرم ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م ، ص ٣١ وما بعدها) .

وفي وجه هذا النشاط التنصيري والإمكانات المادية الهائلة التي تتمتع بها المؤسسات التنصيرية ، كان لابد من دعم مراكز الدعوة الإسلامية مالياً وثقافياً وتعليمياً ومن تزويد الأمة المسلمة في جنوب أفريقيا بالمعلمين والعلماء والدعاة، وبكل مايعين على نشر الإسلام ، ولابد أيضاً من دعم جهود تعلم اللغة العربية . فالمسلمون في حاجة إلى معلمين للغة العربية حتى يفهموا الإسلام ويقوموا بنشره بين سكان البلاد الإفريقية وغيرهم فيسدوا الطريق أمام المنصرين ، بخاصة وأن الإسلام - رغم ضعف إمكاناته- يلقى قبولاً متزايداً في جنوب أفريقيا ، ويعود ذلك إلى عوامل وأسباب ثقافية ودينية وسياسية وأخلاقية وسلوكية .

فالإسلام لم يرتبط في العقل الأفريقي العام بالدور الاستعماري الأوروبي، أو بالتسلط العنصري الأبيض ، في حين أن النصرانية والكنائس مرتبطة في عقول الأفريقيين بدور الرجل الأبيض في أفريقيا ، كما أن معارضة المسلمين كأفراد وجماعات للنظام العنصري وتحالفهم سياسياً مع الأفريقيين والملونين، رفعت من نظرة عامة الناس للإسلام والمسلمين . فعلى الرغم من أن قوانين البلاد وقفت عقبة في طريق مشاركة المسلمين في الحياة الوطنية إلا أنهم أسهموا بدور ملحوظ في ذلك المجال، فقد أسهم الرقيق المسلم في تنمية الزراعة في منطقة الكاب، وأثروا زراعة

قصب السكر، بخبراتهم ومهاراتهم ، كما أن المسلمين الهنود لعبوا دوراً في مجال التجارة والاقتصاد والأعمال ، كما ساهم المسلمون الأوائل في النضال من أجل المساواة والعدل . وهناك بعض الدراسات المفصلة حول دور المسلمين في النضال الوطني، منذ أيام الحركة التي بدأها المهاتما غاندي أثناء إقامته في جنوب أفريقيا في الفترة (١٨٩٣ / ١٩١٤ م) حيث سجن الكثيرون من المسلمين في الأربعينات والخمسينات من هذا القرن (العشرين الميلادي) لمساهمتهم في حركة المقاومة السلمية (Esack, April . 1988 , P.P. 473-495) ، وقد اتخذت تلك المساهمات أشكالاً فردية في أطوارها الأولى ، ثم اتخذت طابع الجماعة ، إذ كان لحركة الشباب المسلم وجمعية الدعوة إلى الإسلام ، وجماعة القبلة دور واضح ومقدر في ذلك الكفاح المناوئ لسياسة القهر والفصل العنصري .

مسلمو جنوب أفريقيا والعالم الإسلامي :

يرى البعض أن المسلمين في جنوب أفريقيا وصلوا إلى ماوصلوا إليه اليوم دون دعم من معظم دول العالم الإسلامي إذ إنها لم تهتم أو تكثر للتطورات التي كانت تمر بها أمة الإسلام في جنوب أفريقيا ، وكل مايجده الشخص في وسائل الإعلام العربية مثلاً هو استنكار وشجب لجنوب أفريقيا، لتعاونها مع الصهيونية دونما تركيز على وحشية نظامها العنصري السابق وعلى الرغم من ادعاءات الحكومة العنصرية أن بعض الحركات الإسلامية النشطة في جنوب أفريقيا تلقى دعماً من دول البترول الإسلامية إلا أن الواقع يكذب ذلك، ولبنك التنمية الإسلامي نشاط ومشروعات في جنوب أفريقيا، ولكنها ذات طبيعة دعوية، والغريب في الأمر أن الحركات الإسلامية والتي تعلم منها بعض قادة الشباب المسلم في جنوب أفريقيا الكثير، لم تهتم إلا عرضاً بأمر المسلمين في تلك البلاد (Esack , April , 1988 , P.P. 497-498) .

من ناحية أخرى فإن لمسلمي جنوب أفريقيا اهتماماً بالغاً بما يجري في العالم الإسلامي ويدللون على ذلك بالمقالات والافتتاحيات الصادرة في بعض المجلات والصحف الإسلامية مثل « أخبار المسلمين » News Muslim ، و « القلم » التي تؤيد قضايا الشعب الفلسطيني، وتدين بشدة السياسات الإسرائيلية التوسعية، وتقف مع أفغانستان المسلمة ضد الغزو الشيوعي لها . وهناك إشارات أخرى إلى أن بعض المنظمات الإسلامية في جنوب أفريقيا ، مثل حر نور الإسلام، في « لناسيا » تحاول خلق صلات مع بعض الدول العربية بغرض نيل بعض المساعدات المالية منها، وقد نتج عن تلك المحاولات أن المغفور له الملك فيصل عاهل السعودية طلب من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة إرسال وفد لتقصي أحوال المسلمين في جنوب أفريقيا، وقد أرسلت الرابطة في ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م)، وفداً مكوناً من شخصين زار جنوب أفريقيا، وأوصى بضرورة دعم المسلمين هناك مادياً ، وتوفير بعثات دراسية لطلابهم في جامعات السعودية، كما أوصى بضرورة تكوين مجلس يمثل كل مسلمي جنوب أفريقيا، ويكون صلة بينهم وبين الرابطة ، وكان هذا من أسباب قيام المجلس الإسلامي لجنوب أفريقيا .

إلى جانب هذه الصلاة الخارجية فإن المسلمين في جنوب أفريقيا يستقبلون العديد من العلماء والدعاة والشخصيات الإسلامية من بعض بلدان العالم ، بخاصة من الهند وباكستان، ويسهم المسلمون هناك إلى حد ما في المؤتمرات الإسلامية العالمية، كما أن بعض شبابهم الذي تعلم في جامعات السعودية وجامعات مصر بدأ يعود إلى البلاد، ويتخذ موقعه على الساحة الإسلامية . ولكن رغم عودة هؤلاء ، يظل معظم علماء المسلمين في جنوب أفريقيا علماء هنود وباكستانيون ، ولعل في كل ماذكرنا من صلات هو في الواقع إشارات إلى أن مسلمي جنوب أفريقيا بصدد إيجاد موقع لهم في منظومة العالم الإسلامي . (Naude , 1985 , P.P. 31-32)

(، و (عودة ، محرم ١٤١٠هـ / أغسطس ١٩٨٩م ، ص ص ١٢ - ١٣) .

لقد تزايد وعي الأمة المسلمة في جنوب أفريقيا بنفسها ، وقوي شعورها بهويتها في فترة العشرين سنة الماضية، وذلك بفضل عوامل عدة، منها أثر الاتجاهات الإسلامية العالمية، بخاصة في منطقة الشرق الأوسط، وفي شبه القارة الهندية ولاشك أن ظروف الحكومة العنصرية السابقة في جنوب أفريقيا والتطورات التي شهدتها قد لعبت دورها في تزايد وعي المسلمين . فقد عاش المسلمون لأكثر من ثلاثة قرون كأقلية مضطهدة تعيش جنباً إلى جنب مع الأغلبية التي اضطهدتها، ولكنها منفصلة عنها تماماً ، وقد تولد من ذلك الوضع إحساس المسلمين بذاتية ذات جوانب متعددة، فهم مسلمون ، وهم غير بيض ، وهم مواطنون جنوب أفريقيون، وكل جانب من هذه الذاتية يتفاوت عن الجانب الآخر في حدته ، وفي قيمته واستمراريته فشعور المسلمين بتدنيهم العرقي هو شعور مفروض عليهم من الخارج، ولكنه مرفوض من جانبهم - لأنه معارض لمبادئ دينهم الإسلامي الذي لايعرف الفوارق العرقية، مضافاً إلى ذلك فإن شعورهم بأنهم مواطنون جنوب أفريقيون ممزوج بولاءات قديمة قابضة في نفوسهم إلى مواطنهم الأولى - في الهند وجنوب شرقي آسيا وغيرها- والتي استجلبوا أو هاجروا منها . وقد بقيت في النهاية ذاتيتهم وانتماؤهم الإسلامي هو الذاتية الغالبة عليهم، والتي مكنتهم من الوقوف بنجاح في وجه كل ممارسات وسياسات الحكومة العنصرية في جنوب أفريقيا . والذي لاشك فيه أن هذه الهوية والذاتية الإسلامية أمر متطور غير جامد ، ومن ثم فإن الأقلية المسلمة في جنوب أفريقيا اليوم لاتقف جامدة أمام التغيرات السياسية والاجتماعية التي تشهدها جنوب أفريقيا، فهي تتطور وتتفاعل معها ، فهم اليوم يشهدون تحولاً تاريخياً، من أقلية مضطهدة، تعاني سياسات الانفصال والقهر العنصري ، إلى فئة ذات مساهمة في مجتمع متباين جديد ، هو مجتمع جنوب أفريقيا الحالي . والدور

الذي سيلعبه المسلمون في ذلك المجتمع يشكل التحدي الأكبر لهم ، فإن هم أحجموا عن المشاركة والمساهمة في التطورات السياسية والاجتماعية التي يشهدها ذلك المجتمع ، فإن مصيرهم إلى التخلف ، والعيش مرة ثانية في مؤخرة الركب ، في وقت ستقدم وتتطور فيه الأقليات الأخرى في جنوب أفريقيا ، وإن هم ساهموا في حياة ذلك المجتمع ، كجزء لا يتجزأ منه ، مع المحافظة على ذاتيتهم الإسلامية ، وعدم السماح بذوبانها في مجتمع الأغلبية العلماني ذاك ، فذلك هو الطريق الأسلم ، والأحوط لبقائهم مسلمين جنوب أفريقيين ، يمثلون جزءاً من المجتمع له ذاتيته الخاصة التي لاتعيق تطوره ، ولا تكون صوتاً نشازاً فيه ، وإنما هي عامل متمم له ، يثريه ولا يتقص من تقدمه وتطوره شيئاً . ويبقى القول إن بقاء أي أقلية وضمنان استمرارها رهين بما تقدمه من إسهام وإعطاء في مجال الصالح العام لبلادها .

• • • • •

المراجع

أولاً : المراجع العربية :

- أبو العلا ، محمود (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) جغرافية العالم الإسلامي ، طبعة ثالثة ، الكويت .
- أبو بكر ، علي الشيخ أحمد (١٤٠٥هـ) الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي ، طبعة أولى ، الرياض .
- أبو بكر ، علي الشيخ أحمد ، (١٤١٣هـ) ، معالم الهجرتين إلى الحبشة .
- أبو زيد ، أحمد محمود (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) حوار مع مفتي أوغندا، مشكلات المسلمين في أوغندا منار الإسلام عدد ٨ شعبان ١٤١٠هـ / فبراير ١٩٩٠م ، ص ص ٩٣ - ٩٨ .
- الأمة (١٤٠١هـ / ١٩٨٠م) المسلمون والتحديات التي يواجهونها في جنوب أفريقيا، مقابلة مع أحمد ديدات مؤسس حركة الدعوة الإسلامية في ديربان، الأمة عدد ١ ، محرم ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م ، ص ص ٢٨-٣٣ .
- بشري ، عبدالغني بشري «د . ت» المسلمون المنسيون، ط ١ ، القاهرة .
- بكر ، سيد عبدالمجيد ، (١٩٨٥م) ، الأقليات المسلمة في أفريقيا .
- ترمنجهام ، سبنسر ، (١٩٧٣م) ، الإسلام في شرق أفريقيا ، ترجمة وتعليق عاطف محمد النواوي ، طبعة أولى ، القاهرة .
- جريدة الرياض ، العدد ٦٤٢٧ بتاريخ ١٧/٥/١٤٠٦هـ .

- الجمل ، شوقي عطا الله ، «د . ت» ، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، ط ١ ، القاهرة .
- الدوبي ، بدر رشاد (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) الإسلام والمسلمون في زائير التضامن الإسلامي، ج ١٢ ، جمادى الآخرة ١٤١٠هـ / يناير ١٩٩٠م ، ص ص ٧٩ - ٨٢ .
- الدوبي ، بدر رشاد (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) الإسلام والمسلمون في جنوب أفريقيا التضامن الإسلامي ، ج ٤ ، شوال ١٤١٠هـ / مايو ١٩٩٠م ، ص ص ٨٣ - ٨٧ .
- الدوبي ، بدر رشاد (١٤١١هـ / ١٩٩٠م) الإسلام والمسلمون في غانا التاضمن الإسلامي ، ج ٩ ، ربيع أول ١٤١١هـ / أكتوبر ١٩٩٠م ، ص ص ٨١-٨٥ .
- ديكس ، جون (١٩٩٠م) جغرافية العالم الإسلامي ترجمة فوزي سهاونه ، ط ١ ، عمان .
- رابطة العالم الإسلامي (١٩٩٥م) تقرير : المسلمون في أفريقيا ، غير منشور (مكة المكرمة) .
- رضوان ، طه عبدالعليم ، (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) جغرافية العالم الإسلامي ، ج ١ ، ط ١ ، القاهرة .
- روكز ، يوسف (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) أفريقيا السوداء - سياسة وحضارة ، ط ١ ، بيروت .
- زين العابدين ، سيد (١٩٩٢م) أمة الإسلام والأقليات المسلمة في العالم النفس المطمئنة عدد ٣٢ ، أكتوبر ١٩٩٢م ، ص ص ٢٥ - ٢٩ .

- الشيخ ، عبدالرحمن عبدالله (١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م) دول الإسلام وحضارته في أفريقيا ، بحوث في التاريخ الحديث ، ط١ ، دار اللواء ، الرياض .
- عبدالرحمن ، محمود (١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) ، الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق أفريقيا ١٨٤٤-١٩١٤م دراسة أولية عن تطور العلاقات المسيحية الإسلامية في أفريقيا في ظل الاستعمار الأوروبي ، دراسات أفريقية ، العدد الخامس ، ربيع الأول ١٤١٠هـ / أكتوبر ١٩٨٩م ، ص ٥١-٦٨ .
- عبدالله ، عمر الصديق (١٩٨٦م) أضواء على أوضاع المسلمين واللغة العربية في جنوب أفريقيا، في الندوة العالمية للشباب الإسلامي الأقليات المسلمة في العالم، ج١، ط١، الندوة، الرياض، ص ٩٤٣-٩٦٥ .
- العبيدي ، عبدالعزيز بن راشد (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا ، دراسة تاريخية دراسات أفريقية ، العدد السادس ، رجب ١٤١٠هـ/ فبراير ١٩٩٠م ، ص ٣٧-٦١ .
- العراقي ، السر سيد أحمد و جريس، غيثان بن علي (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم ، الجزء الأول (أفريقيا ، ط١ ، نادي أبها الأدبي ، أبها .
- عمادة البحث العلمي ، ملف الأقليات المسلمة (غير منشور) .
- عودة ، عبدالمالك (١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) قضايا الأقلية المسلمة في جنوب أفريقيا الهداية ، عدد ١٤٣ ، محرم ١٤١٠هـ/ أغسطس ١٩٨٩م ، ص ٨-١٣ .

- الغنيمي ، عبدالفتاح مقلد (دون تاريخ) ، حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا ، القاهرة .
- قاسم ، عون الشريف (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) الدعوة الإسلامية في أفريقيا ، دراسات أفريقية ، العدد السادس ، رجب ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ١٩ - ٣٥ .
- سوار الذهب ، عبدالرحمن محمد حسن (١٤٠٨هـ) ، أوضاع الأقليات المسلمة في القارة الأفريقية ، من بحوث المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية ، ط١ ، الأزهر ، القاهرة .
- شاكِر ، محمود (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ، العالم الإسلامي ، ط١ ، دمشق .
- عباس ، محمد جلال (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) ، المد الإسلامي في أفريقيا ، ط١ ، القاهرة .
- مجلة الأزهر ، ١٣٧٨هـ ، يوليو ١٩٥٨م ، محرم ١٣٧٥هـ .
- محمد إبراهيم (١٤١٥هـ / ١٩٤٥م) ، الدعوة الإسلامية المعاصرة في غانا من ١٣٢٢هـ / ١٤١١هـ (١٩٠١ - ١٩٩٠م) رسالة ماجستير ، كلية الدعوة والإعلام ، قسم الدعوة والاحتساب ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض (غير منشورة) .
- محمود ، حسن أحمد (١٩٨٦م) ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- محمود ، جمال الدين محمد (د.ت) ، الأقليات الإسلامية والمشكلات الثقافية والاجتماعية .

- مرسى ، محمد مرسى محمد (١٩٩١م) ، الأقليات المسلمة في القارة
الأفريقية منار الإسلام ، العدد السادس ، جمادى الآخرة ١٤١٢هـ /
ديسمبر ١٩٩١م ، ص ص ٨٢ - ٩١ .
- مرقص ، يواقيم رزق ، العرب في الكونغو في النصف الأخير من القرن
التاسع عشر: حامد ، رؤوف عباس (١٤٠٧هـ) ، العرب في أفريقيا ،
ط ١ ، القاهرة ، ص ص ٢٢١ - ٢٤٥ .
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي (١٩٨٦م) ، الأقليات المسلمة في
العالم - ظروفها ، آلامها ، آمالها ، أبحاث ووقائع الندوة المؤتمر
السادس الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ج ٣ ، ط ١ ، الرياض .
- يماني ، محمد عبده (١٤١١هـ / ١٩٩١م) ، أفريقيا - لماذا ؟ ، ط
١ ، القاهرة .

• • • • •

ثانياً : المراجع الإنجليزية :

- Academic AMerican Enclopedia , (1981) .
- Argyle , Wij (1981) Muslims in South Africa : Origins , Development and present Economic Status Dtatus , Journal of the Instute of Muslim Minority Affairs , Vol . 111 , No 2 , P.P. 222-255 .
- Ayubi , Saheen and Mohyuddin , S. (1994) . Muslims in Kenya . An overview . Journal the Institute of Muslim Minority Affairs , Vol XV , Nos 1-2 , P.P. 142-154 .
- Azevedo , M. and Patel , P.S. (1991) . The Minority Status of Islam in East Africa , Historical Sociological Perspective , Journal the Institute of Muslim Minority Affairs , Vol . 12 . No. 2. , P.P. 490 .
- Badamana , M. and Mazrui , K. A. (1993) . Muslim Education in Kenya . paper presented at the educational conference on Muslim Contribution Towards Education development in East Africa , Arusha , Tanzania , P.P. 1-109 .
- Bakari, M. and Yahya. S (wds.) (1995). Islam in Kenya Proceedings of the National Seminar on Contemporary Islam in Kenya, 1st edition, Signal Press Limited, Nairobi .
- Europa, (1995) Africa South of the Sahara, Europa Publicationa Ltd, London .
- Europa, (1996) Africa South of the Sahara, Europa Publicationa Ltd, London .

- Clarke, Peter B. (1982) West Africa and Islam, London .
- Esack, F, (1988), Three Islamic Strands in the South African Struggle for Justice , Third Wprld Quarterly, Vol,. 10, No. 2, pp. 473 - 498 .
- Europa World Year-Book (1996) Voll 11, Europa Publiccation Ltd .
- Islamic Council of South Africa (1984) . Meet the Muslims of S. Africa, 2 nd ed Durban .
- Haron, M. (1988) . Islamic Education in Suth Africa Muslim Education Quartrly, Vol.5m No2, pp41 - 54 .
- Haron, M. (1995), The Muslim News (1973 - 1986) Its Contribution Towards the Establishment of An Alternative Press at the Cape. The Muslim World, Vol. LXXXV, No 3 - 4, pp. 316 - 332.
- Kalisa, Anasi AbdooNoor, (1994), Leader-ship Crisis Among Muslime of Uganda (1950 - 1994) unpublished M.A. Thesis, Makerer University Nairobi .
- Kasozi, A. (1987) . The Uganda Muslim Supreme Council, Journal of the Institute of Muslim Minority Affairs, Vol. 6 m No. 1, pp. 34 - 52 .
- Kettani, A. (1982) . Muslim East Africa : An Overview Journal of the Institute of Muslim Minority Affairs, Vol. 4, Nos 1 - 2, pp. 104 - 187 .
- Khan, Inamullah (ed) -(1985) .WorldMuslim Gazetley Karachi .

- Kiymb, A. (1990) . The Muslim Community in Uganda Through one Hundred and Forty Years : The Trials and Tribulations of a Muslim Minority , Journal of African Religion and Philosophy, Vol 1. No. 2 pp. 84 - 120 .
- - Kritizeck, J. and Lewis, W.H. (eds) . (1969). Islam in Africa, Reinhold Company, New York .
- Lewis, I.M. (ed.) (1969) . Islam in Tropical Africa, Studies Presented and discussed at the fifth international Seminar, Ahmadu Bello University, Zaria 2 nd edition. Oxford University Press .
- Mazrui, Ali, (1988) . African Islam and Competitive Religion : Between Revivalism and expansion Third World Quarterly Vol. 10., No. 2 , pp 419 - 518 .
- Mc. William, K.P. (1975) . The Development of Education in Ghana, 1 st edition, London .
- Merrimar, A.P. (1961) . Congo, Background to Conflict. North Western, U.S.A .
- Mwangi, K. (1995) The Application and Development of Sharia in Kenya. In Bakari and Tahya (eds.) Islam in Kenya .
- Naude, J.A. (1985) , Islam in South Africa . A general Survey, Journal of the Institute of Muslim Minority Affairs Vol. 6., No. 1, pp. 21 - 33 .
- Naude (J.A.) (1992) South Africa : Role of a Muslim Minority in a Situation of Change, Journal the Institute of Muslim Minority Affairs Vol. XIII., No. 1, pp. 1 - 19 .

- Nadwi, Ali (1993) . Soth African Muslims and Education .
Muslim Education Quarterly Vol. 10, Number 3 (spring Issue)
pp. 43 - 55 .
- New Encyclopedia Britannica (1995) vol. 13 .
- Oded, Arye, (1974), Islam in Uganda-Islamisation through
centralised State in pre-colonial Africa New-York .
- Pellow, D. (1985) Muslim Segmentation : Cohesion and
Division in Accra . Journal of Modern African Studies, Vol.
23, No. 3, pp. 419 - 444 .
- Qureshi, M.I.(ed) (1993) World Muslim Minorities World
Muslim Congress , Islamabad .
- Said, A.S. (1995) . An Outline History of Islam in
Nyanza, Province, In Bakart and Yehya (eds.) Islam In Kenya,
Signal Press Ltd, Nairobi .
- Salim, A.I.(1978) Kenya, Ency. of Islam New ed. pp. 885 -
891 .
- Salim, Ahmad (1978) The Impact of Colonialism upon
Muslim Life in Kenya, Journal the Institute of Muslim Minority
Affairs Vol. 1., No. 1, pp. 61 - 66 .
- Slade , Ruth (1966) . The Belgian Congo , 1 st ed Oxford
University Press .
- Sicard, S.V., (1981) . The Zanzibaris, : in Durban South
Africa, Journal the Institute of Muslim Minority Affairs, Vol 1 -
2, Nos, Winter 1980 and Summer 1981, pp. 128, 137 .
- Son, Tamua, (1994) . Situation Report, Islamic Studies in

South Africa, The American Journal of Islamic Social Sciences,
Vol. 11, No. 2, pp. 274 - 281 .

- The Statesman Year-Book, A Statistical Political and
Economic Account of the States of the World For the Years
1996 - 1997 . Macmillan. London .

- Trimingham in Africa, in Lewis, I.M. (ed.) , Islam in
Tropical Africa, 2 nd edition, Oxford University press .

- Trimingham, S. (1980) The Influence of Islam upon Africa,
Longmans, London , New-York .

- Vawda, Shahid, (1994) . The Emerging Islam in An
African Township . The American Journal of Islamic Social
Sciences, Vol. 11, No. 4. pp. 532 - 547 .

- Wandati, AI Rahman, (1993) The Muslim Community of
Kenua, their Experience of Christian Evangelization,
Un-published Research Paper, Nairobi, Kenya .

- World Almanac and Book of Facts (1996) World Almanac
Books, A K. 111, Communication Co.

- World Fact Book (1995). Central Intelligence Agency
(CIA) .

- Zein Abdin, S. (1990) . Muslim Minorities in the World ,
The Islamic Times, Oct. Dec, 1990, pp. 24 - 31 .-

فهرس الأشكال

الرقم	العنوان	الصفحة
١	توزيع المسلمين في كينيا	٤٣٥

.....

فهرس الجداول

م	العنوان	الصفحة
١-	نسب الأقليات المسلمة في القارة الأفريقية	٤٠٠
٢-	عدد ونسب المسلمين في جنوب أفريقيا في الأعوام ١٩٦٠م،	
	١٩٧٠م ، ١٩٨٠م.....	٥٩٢
٣	عدد ونسب المسلمين في جنوب أفريقيا حسب تقديرات لجنة	
	مسلمي أفريقيا (عام ١٩٨٠م)	٥٩٣

• • • • •

الأقليات المسلمة في أستراليا ونيوزلاندة

الدكتور: إبراهيم بن حمد القعيد

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥٢٣	فهرس الموضوعات
٥٢٥	خلفية عامة
٥٤٠	وصول الدعوة الإسلامية إلى أستراليا ونيوزيلندا
٥٤٧	توزيع الأقليات المسلمة وأصولها في أستراليا ونيوزيلندا
٥٥٦	المؤسسات الإسلامية والنشاط الدعوي في أستراليا
٥٦٦	المؤسسات الإسلامية والنشاط الدعوي في نيوزيلندا
٥٧٣	التعليم الإسلامي في أستراليا ونيوزيلندا
٥٧٦	المظاهر العامة لنشاط الأقليات المسلمة في أستراليا ونيوزيلندا .
٥٨٠	علاقات الأقليات المسلمة في أستراليا ونيوزيلندا
٥٨٦	المشكلات والتحديات التي تواجه المسلمين في أستراليا ونيوزيلندا
٥٩٣	الهوامش
٥٩٤	المراجع
٥٩٧	فهرس الأشكال
٥٩٨	فهرس الجداول

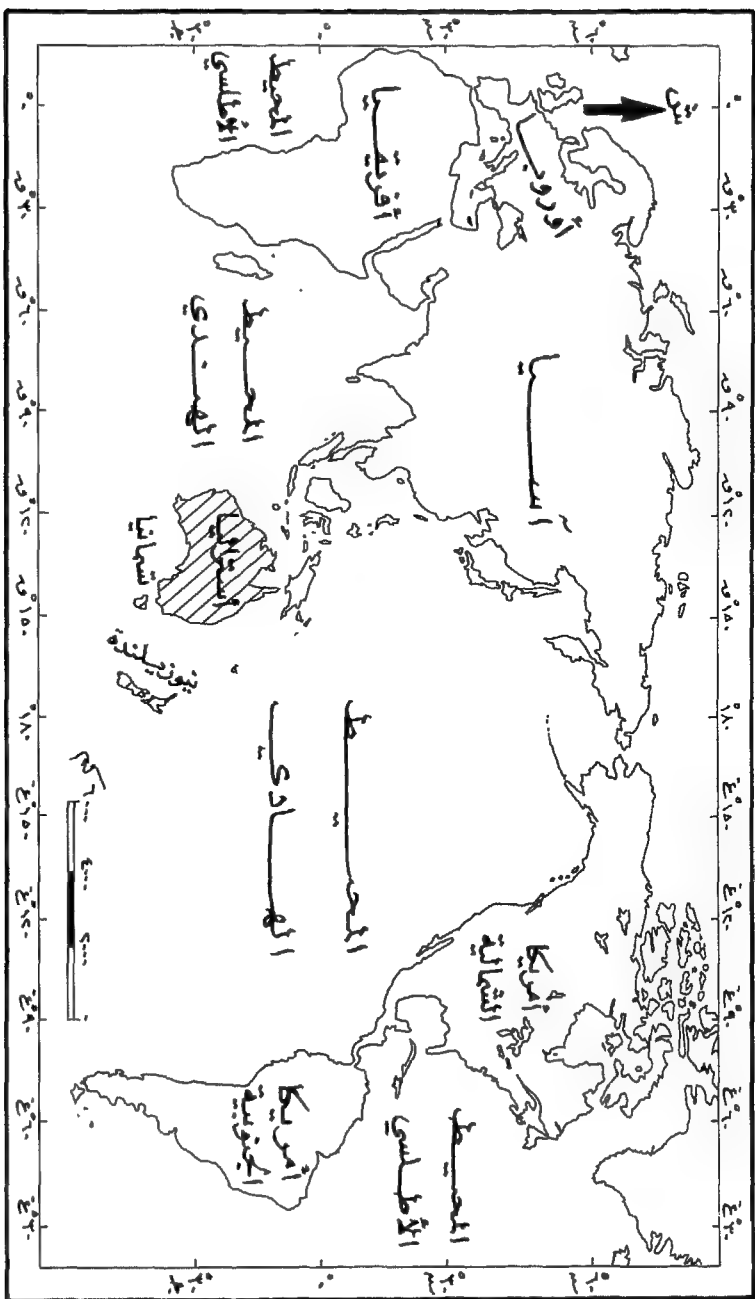
خلفية عامة

١ - الموقع والملامح العامة :

تقع أستراليا في الركن الجنوبي الغربي من المحيط الهادي ، فيما بين دائرتي عرض ١٠ ، ٤٠ درجة مئوية جنوباً وخطي طول ١١٣ ، ١٥٣ درجة مئوية شرقاً (شكل رقم ١) . وتبلغ مساحتها (مع جزيرة تسمانيا) ٧٦٨٢٣٠٠ كيلو متر مربعاً ، وهي بذلك تعد سادس قارات العالم مساحة ، وحوالي نفس مساحة الولايات المتحدة الأمريكية (باستثناء الاسكا) أضعف مساحة الهند وباكستان معاً .

وتشير بعض النظريات إلى أن أستراليا كانت جزءاً من كتلة جندوانا القديمة ، ثم انفصلت عنها بفعل حركات شد هائلة ، ثم أخذت تتزحزح حتى استقرت في هذا الركن القصبي من العالم .

وظلت قارة أستراليا مجهولة حتى القرن السابع عشر الميلادي حين وصل المستكشف الهولندي أبل تسمان (ABEL TASMAN) إلى سواحلها الجنوبية سنة ١٦٤٢م ، وأكمل اكتشافها المستكشف البريطاني جيمس كوك (James Cook) سنة ١٧٧٠م فتحوّلت إلى مستعمرة بريطانية . وفي عام ١٧٨٨م ، بدأ وصول المستوطنين البريطانيين وظلت طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي تستخدم كمستعمرة للمعاقين ، ثم أزالها بريطانيا عنها هذه الصفة وأعلنتها مستعمرة للأحرار ، وفتحت أبواب الهجرة إليها . وفي عام ١٩٠١م (١٣١٩هـ) ، اتحدت مستعمرات أستراليا الست مكونة الكومنولث الأسترالي ، الذي اتخذ من مدينة كانبرا (Canberra) عاصمة له (Australian Government Publishing Services (A. G. P.S) . 1994 , 25) .



شكل (١) موقع أستراليا ونيوزيلندا

هذه الخريطة مرفقة بالبرق المرفقة لتقدير مديتها للمورد السياسي.

أما جزر نيوزيلندة، فتقع شرق وجنوب شرق أستراليا ، فيما بين دائرتي عرض ٣٤ر٥٠ ، ٤٧ درجة مئوية جنوباً ، وبين خطي طول ١٦٦ ، ١٧٨ درجة مئوية شرقاً، وتتألف نيوزيلندة من جزيرتين رئيسيتين، هما الجزيرة الشمالية والجزيرة الجنوبية فضلاً عن مجموعة أخرى من الجزر الصغيرة أهمها جزيرة ستيوارت (Stewart) (المعلومات، ١٩٩٤ - ١٩٩٥ م ، ٦٩٩)، وتبلغ مساحة نيوزيلندة ٢٦٧ر٨٤٤ كيلو متر مربع ، أي قدر حجم اليابان أو الجزر البريطانية. وتشير الدراسات إلى أن اكتشاف نيوزيلندة كان قبل حوالي ألف عام على يد بعض القبائل البولينية (القبائل الأصلية التي تسكن جزر المحيط الهادي)، وهم أجداد قبائل الماوري (Maoris) ، السكان الأصليون لنيوزيلندة.

وظلت نيوزيلندة قابعة في جنوب المحيط الهادي تلفها العزلة حتى تم اكتشافها في العصر الحديث على يد المستكشف الهولندي أبل تسمان عام ١٦٤٢م، ثم أكمل اكتشافها المستكشف الإنجليزي جيمس كوك عام ١٧٦٩م، وفي عام ١٨٤٠م غزاها البريطانيون وخضعت لسيطرتهم بعد صراعات دامية مع سكانها الأصليين من قبائل الماوري ، الذين وقعوا اتفاقية مع البريطانيين ، تخلوا بموجبها عن السيادة لبريطانيا مقابل تأمين حياتهم وممتلكاتهم . وقد منحت بريطانيا إدارة البلاد لأحدى الشركات البريطانية التي استقدمت أعداداً كبيرة من المستوطنين لإعمار البلاد واستصلاح الأراضي . ونتيجة لبطش المستعمر البريطاني بالسكان الأصليين ، قامت مجموعة من الثورات ضد السيطرة البريطانية ، ولكنها انتهت بهيمنة بريطانيا ومد نفوذها على كامل الجزر. وبسبب موقع نيوزيلندة المنعزل وبعدها عن العالم ، أعلن الحكام البريطانيون المحليون عام ١٨٥٢م حكماً ذاتياً مستقلاً عن الحكومة في لندن. ولم تقبل حكومة بريطانيا هذا الاستقلال في بادئ الأمر ، ولكنها اضطرت

للموافقة على ذلك في عام ١٩٠٧م، فأصبحت منذ ذلك الحين دولة مستقلة تحت التاج البريطاني، تتكون من اتحاد تسع ولايات، وعاصمتها ولبنخون (المعلومات، ١٩٩٤-١٩٩٥م، ٦٩٩).

٢ - التضاريس والمناخ :

نظراً لاتساع مساحة أستراليا فإنها تجمع ألواناً مختلفة من التضاريس . فقسمها الغربي عبارة عن هضبة عظيمة الاتساع تضم سلاسل جبلية عديدة، مثل جبال ماكدونالد (Mcdonald) وبالم (Palmer) وفي شرقي أستراليا، توجد سلاسل المرتفعات الشرقية وتمتد من الشمال إلى الجنوب . وفي القسم الأوسط، توجد السهول الوسطى وتضم مجموعة من الأحواض ، كحوض مري (Murry) ودارلنج (Darling) والسهول الشمالية حول خليج كاريينتاريا (Carpentaria) والسهول الجنوبية التي تمتد إلى أقصى الجنوب (شكل رقم ٢) ويكاد مدار الجدي ينصف هذه القارة إلى قسمين متساويين ، ولذلك يقع مايقرب من نصف مساحتها في العروض المدارية الجافة، وأشد الشهور حرارة يناير وفبراير وفي الجزء الجنوبي من القارة. أما شماليها فأشد الشهور حرارة نوفمبر وديسمبر ، والأمطار موسمية غزيرة في الجنوب الشرقي والجنوب الغربي. والأطراف الجنوبية من القارة تشبه إلى درجة كبيرة مناخ البحر المتوسط. أما القسم الغربي والأوسط من القارة، فيسيطر عليه المناخ الصحراوي.

وتعد أستراليا أكثر القارات انبساطاً وأشدّها جفافاً بعد القارة القطبية الجنوبية (أنتاركتيكا) ، ولهذا يتركز ٨٠٪ من السكان في شريط ساحلي منخفض وضيق في جنوب شرقي وجنوب غربي القارة ، ويزيد قليلاً عن ٣٪ من مساحة الأرض. ولايستغل من مساحة القارة إلا ثلثها تقريباً، ومن هذا

الجزء المستغل ٩٠٪ تستخدم لرعي الماشية و ١٠٪ للزراعة ، أما الثلث الباقي فهو أرض قاحلة وشبه قاحلة غير مستغلة اقتصادياً .

أما جزيرة تسمانيا التي تنفصل عن القارة الأم بواسطة مضيق باس (Bass) الضحل ، فهي تعد من حيث التركيب الجيولوجي والتضاريس امتداداً للقسم الجنوبي الشرقي من القارة ، ولذلك فالمظهر الجبلي هو الغالب على سطح الجزيرة ، كما أن الصخور النارية تؤلف القسم الأكبر من هذه الأراضي الجبلية التي يزيد متوسط منسوب ارتفاعها عن ١٢٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر . وفي ظل هذا المظهر الجبلي السائد ، يتركز معظم السكان (٤٧٢٢٠٠ نسمة عام ١٩٩٣ م) في السهول الساحلية والأحواض النهرية الجبلية (شكل رقم ٢) .

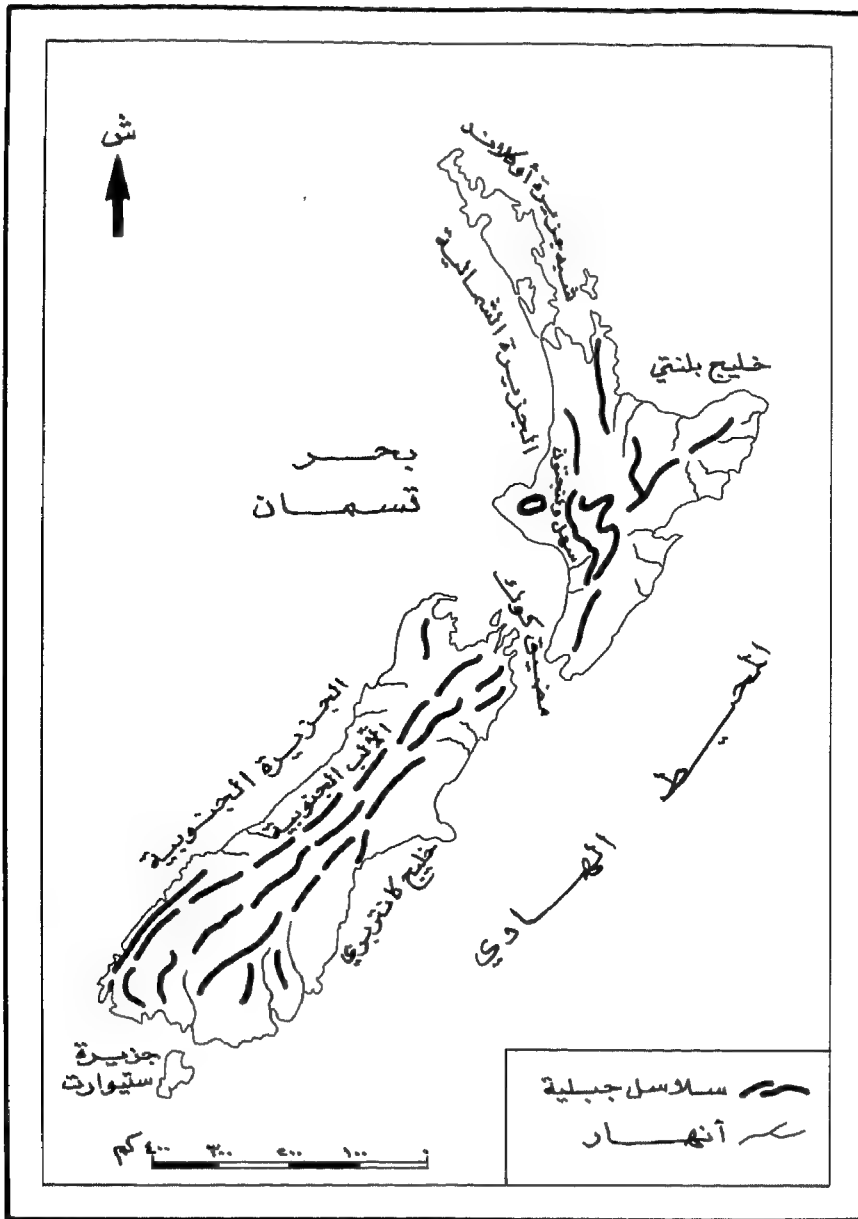
وتتكون تضاريس نيوزيلندة من سهول واسعة وهضبة بركانية في الجزيرة الشمالية ، بينما تتكون الجزيرة الجنوبية من سلسلة جبال الألب الجنوبية النيوزيلندية . وتتكون هذه السلسلة من سبعة عشر جبلاً ، يقترب كل منها إلى ٣٠٠٠ متر (شكل رقم ٣) . ويتميز مناخ نيوزيلندة بأنه دافئ ورطب . ولكن نظراً لامتداد البلاد طويلاً ، فإنها تشمل ظروفًا مناخية مختلفة ، من أمطار غزيرة في جبال الألب إلى ثلوج شبة دائمة في الجبال الشرقية . والقسم الشمالي من الجزيرة الشمالية ، وهو شبه جزيرة أوكلاند (Auckland) ، ينتمي لنمط مناخ البحر المتوسط ، وباقي الجزر تنتمي للنوع المعتدل البارد . وتكاد تسقط الأمطار في معظم شهور السنة ، وتزداد في المناطق الغربية وتقل فوق السهول الشرقية (المعلومات ، ١٩٩٤ ، ١٩٩٥ م ، ٦٧٠) .



شكل (٢) المظهر العام لسطح الأرض في قارة أستراليا وجزيرة تشامانيا

المصدر:

The Times Atlas of The World , 1975.



شكل (٣) المظهر العام لسطح الأرض في جزيرة نيوزيلندا الشمالية والجنوبية

وكما هو الحال في أستراليا ، تعتبر فصول السنة في نيوزيلندا معاكسة لما هو موجود في النصف الشمالي للكرة الأرضية ، فأكثر الأشهر دفئاً يناير وفبراير ، حيث يصل متوسط الحرارة إلى ١٧ درجة مئوية ، وأكثرها برودة شهر يوليو ، حيث يصل متوسط الحرارة إلى ٨ درجات مئوية . ويتراوح المتوسط السنوي لسقوط الأمطار بين ٤٠٠ ملم في المناطق الداخلية وأكثر من ١٢٠٠ ملم في الجبال الجنوبية المعروفة بسلسلة الألب . وتغطي نيوزيلندا في معظمها المراعي والغابات ، ففي الشمال غابات شبه مدارية ونبضية ، وفي الجنوب غابات الزان والبلوط والصنوبر .

٣ - السكان والنشاط البشري :

يلعب عدد سكان أستراليا (بما فيها تسمانيا) حسب آخر إحصاء رسمي (يونيو ١٩٩٣م) ١٧٦٦١٥٠٠ نسمة . وتعتبر أستراليا من أكثر الدول حضرية . حيث يعيش أكثر من ٨٥٪ من السكان في المدن (Encyclopedia Britannica , 1995 , 554) . ويتمركز السكان في الأجزاء الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية للقارة . ويفخر الأستراليون بأنهم أكثر الأمم تنوعاً في العالم ، حيث ينتمي السكان إلى حوالي ١٦٠ دولة أو جنسية . وحسب آخر الإحصاءات الرسمية ، فقد ولد ٢٥٪ من سكان أستراليا خارجها ، ومن هذه النسبة ٦٠٪ يأتون من بلاد لا تتحدث اللغة الإنجليزية . هذا وتنحدر أصول أغلب الشعب الأسترالي من الأنجلو - كلت (Anglo - Clet) (الإنجليز والآيرلنديين والأسكتلنديين) ويمثلون ٧٥٪ من نسبة السكان . أما باقي التركيبة السكانية ، فهي ٢٠٪ من أصول أوروبية أخرى ، ٣٥٪ من أصول آسيوية ، ١٥٪ من الأستراليين الأصليين (The Government of Australia , 1997 , 7) .

ويعيش الأستراليون الأصليون في الأصقاع الشمالية من القارة وفي الجزر

المحاذية للأجزاء الشمالية منذ آلاف السنين . وتقدر بعض الدراسات أنهم استوطنوا القارة منذ ٥٠ إلى ٦٠ ألف سنة . كما تذهب بعض الدراسات إلى القول بأن استيطانهم كان قبل أكثر من مائة ألف سنة .

وتعتبر أستراليا المعاصرة بلداً متعدد الأديان والثقافات والأعراق ، ولكن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومظاهر الحياة الأخرى تتبع النموذج الغربي ولا تختلف عن الثقافة الغربية في غربي أوروبا وأمريكا الشمالية .

وتتنوع الأنشطة الاقتصادية في أستراليا بتنوع ثروات القارة وراثتها بالموارد الاقتصادية . وتحتل الزراعة، ولاسيما الحبوب، المركز الأول من هذه الأنشطة وذلك لاتساع رقعة الأراضي الصالحة للزراعة، حيث تمثل ٦٧٪ من جملة مساحة القارة (١٩٩٢م). ويولي الاشتغال بالزراعة، نشاط تنمية الثروة الحيوانية ومايتبع هذا النشاط من صناعات، وذلك لوفرة المراعي وامتدادها على مساحات شاسعة تقدر بـ ٥٤٣٪ من جملة المساحة (Encyclopedia Britannica Inc., 1995, 555) وبالإضافة إلى ذلك ، تتنوع الثروات المعدنية في القارة كخامات الحديد والنحاس والزنك والفحم والذهب والفضة (Hunter, 1996, 107) .

وقد وصلت أستراليا بفضل هذه الثروات والموارد الاقتصادية الضخمة إلى مصاف الدول المتقدمة صناعياً. فعلى الرغم من أنها كانت أقل نمواً في السنوات الأخيرة من أغلب الدول التي عرفت باسم النمر الآسيوية السبعة، إلا أنها تأتي في المرتبة السابعة من بين دول العالم المتقدم في مستوى المعيشة، كما تعتبر من أهم الدول المصدرة للمواد الغذائية (A. G. P. S. , 1994, 5) .

أما نيوزيلندة ، فيبلغ عدد سكانها حسب إحصاء ١٩٩٦م حوالي ٤٠٠.٣٦٦ نسمة . ويعيش ٧٤٪ من السكان في الجزيرة الشمالية ،

ويعيش أكثر من نصف السكان في ثلاث مناطق حضرية رئيسة : أوكلاند ويسكنها حوالي ١.٧٣٢.٠٠٠ نسمة ، وكانتربري ٤٧٧.٧٠٠ نسمة و لنجتنون ٤١٢.٦٠٠ نسمة ، ويعيش باقي السكان في المدن الكبيرة والصغيرة، وقليل جداً يعيش في الأرياف. ونيوزيلندا مع ذلك قليلة الكثافة السكانية حيث لايزيد معدل الكثافة عن ١٣ر٢ شخصاً في الكيلو متر المربع الواحد .

وينحدر ٨٠٪ من السكان من أصول أوروبية وبخاصة البريطانية و ١٢ر٩٪ من أصول الشعب الماوري (الشعب الأصلي لسكان نيوزيلندا) و ٥٪ من سكان جزر المحيط الهادي ، مثل ساموا الغربية وجزر كوك، ينوي، توكيلاو، تونغا وفيجي. وقد تعاقبت الهجرات من مختلف الأعراق والأزمنة الماضية على نيوزيلندا، فوصل إليها لاجئون من أوروبا في الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي ، وخلال الحرب العالمية الثانية وبعدها ، مثل اليهود والبولنديين . كما وصل إليها المزيد من المهاجرين من المجر وتشيلي وروسيا وأوروبا الشرقية وسوريا (وزارة الشؤون الخارجية والتجارة ، ١٩٩٥م ، ٢٢). كما وفدت هجرات من بلاد جنوب وجنوب شرقي آسيا في السبعينات الميلادية.

وتتميز نيوزيلندا بغناها بالنبات الطبيعي . ففي الشمال ، توجد غابات شبه مدارية ونفضية ، وفي الجنوب غابات الزان والبلوط والصنوبر ، بالإضافة إلى الأعشاب التي تغطي مساحات واسعة من الأرض . كما توجد مساحات قابلة للزراعة ، غير أن الاقتصاد المبني على رعي الأغنام والماشية يجذب أغلب السكان المشتغلين بالزراعة ، ومع ذلك يزرع القمح والشعير والذرة (بكر ، ١٩٨٣م ، ٤٩) ، ويعتمد اقتصاد نيوزيلندا بدرجة كبيرة على التجارة

الخارجية ، حيث اشتهرت بمنتجاتها الزراعية التي تسوّق في بريطانيا وأوروبا . وفي السنوات الأخيرة ، تحوّلت البلاد من مصدرة للألبان والصوف واللحوم والأسماك إلى الصناعات الغذائية التحويلية والسياحية .

٤ - نظام الحكم :

تأثر تشكيل نظام الحكم في أستراليا بنظامين ديمقراطيين ، النظام البريطاني (نظام وست منستر Westminster) والنظام الأمريكي . فعقب الاستيطان البريطاني عام ١٧٨٨م ، تم اتخاذ النظام البريطاني كأساس للحكم في المستوطنات الست المنفصلة التي أقيمت عبر القارة في القرن التاسع عشر الميلادي . وعندما اجتمعت هذه المستوطنات لبحث تشكيل حكومة وطنية فيدرالية عام ١٨٩٠م ، اختارت أن تكون العلاقة بين الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات مشابهة لما هو قائم في الولايات المتحدة الأمريكية . وفي الوقت نفسه اختارت الاحتفاظ بالنظام البريطاني كأساس للسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية على المستوى الفيدرالي وعلى مستوى الولايات . وقد تم التعبير عن التقليد الأمريكي من خلال دستور يحدد صلاحيات الحكومة الفيدرالية .

وفي إطار النظام البرلماني الفيدرالي القائم في أستراليا ، تتمثل السلطة التشريعية في ملكة بريطانيا^(١) ممثلة في الحاكم العام ومجلسي الشيوخ والنواب . أما السلطة التنفيذية ، فتتمثل في الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات الست وحكومات المحليات التي تتألف منها كل ولاية ، بالإضافة إلى سلطتي الحكم الذاتي في كل من إقليم العاصمة الأسترالية والإقليم الشمالي .

ويتشكل مجلس النواب من ممثلين عن كل ولاية أصلية ، يتحدد عددهم

بالنسبة لإجمالي سكان كل ولاية ، على ألا يقل عدد نواب كل منها عن خمسة . وقد بلغ عدد أعضاء المجلس ١٤٨ نائباً عام ١٩٩١ م ، بما في ذلك ممثلي إقليم العاصمة والإقليم الشمالي . أما مجلس الشيوخ ، فيضم ١٢ مثلاً عن كل ولاية واثنين عن كل من إقليمي الحكم الذاتي . وتبلغ مدة التمثيل في هذا المجلس ست سنوات (Hunter , 1991, 1032) .

ويتكون التشكيل الإداري لأستراليا من الولايات والأقاليم التالية (شكل رقم ٤) :

- ١ - ولاية نيو ساوث ويلز (New South Wales) . وعاصمتها سdney (Sydney) .
- ٢ - ولاية فيكتوريا (Victoria) . وعاصمتها ملبورن (Melbourne) .
- ٣ - ولاية كوينزلاند (Queensland) . وعاصمتها برزبين (Brisbane) .
- ٤ - ولاية جنوب أستراليا (South Australia) وعاصمتها أدلريد (Adelaide) .
- ٥ - ولاية غرب أستراليا (Western Australia) . وعاصمتها بيرث (Perth) .
- ٦ - ولاية تسمانيا (Tasmania) . وعاصمتها هوبرت (Hobart) .
- ٧ - الإقليم الشمالي (Northern Territory) . وعاصمته دارون (Darwin) .
- ٨ - إقليم العاصمة الأسترالية (Australian Capital Territory) . وفيها عاصمة الاتحاد كانبرا (Canberra) .

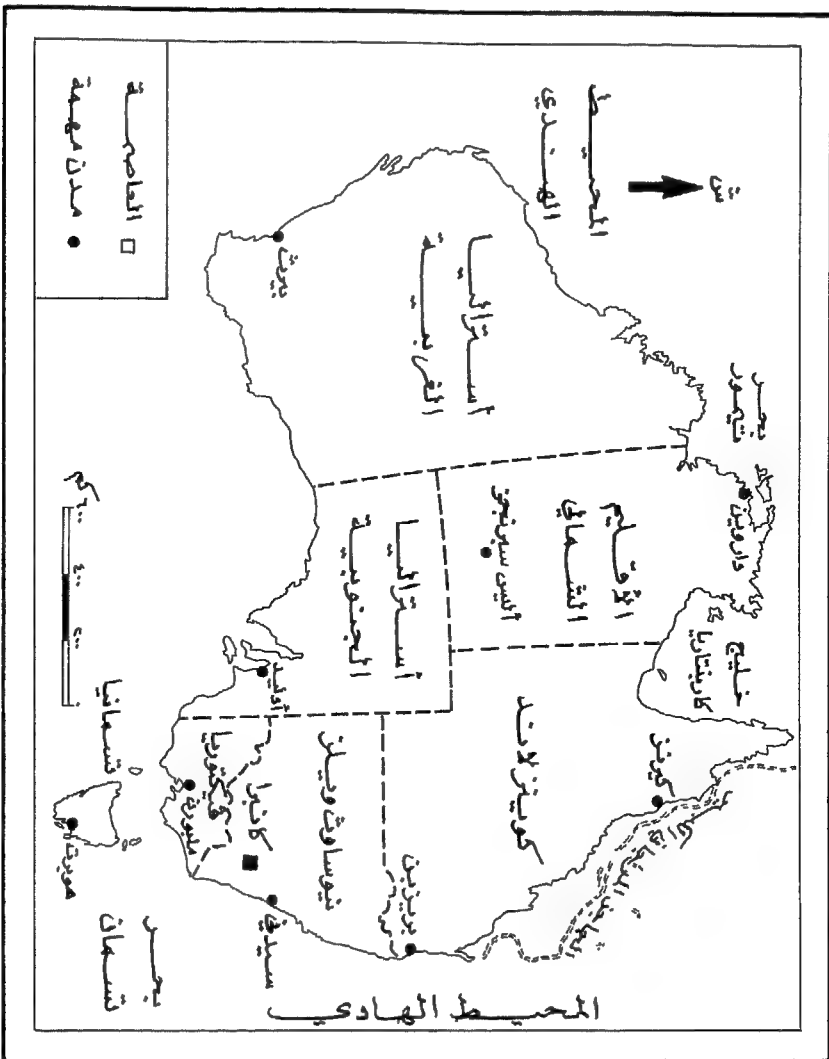
وتتميز أستراليا بسياساتها السكانية المفتوحة . ففي غضون الخمسين سنة الماضية ، استوطن فيها حوالي خمسة ملايين نسمة من حوالي ١٦٠ دولة . والآن من بين كل عشرة أستراليين هناك أربعة يعتبرون مهاجرين أو أبناء

لمهاجرين . وفي عام ١٩٩١ - ١٩٩٢ م جاء ٤١٪ من المهاجرين من بلاد جنوب شرقي وشمال شرقي آسيا ، وتتبع أستراليا بصفة عامة سياسة مرنة وغير متحيزة لاستقطاب المهاجرين ، فتمح بالهجرة لمن يوجد لهم أقارب في البلاد ، كما تسمح بالهجرة لأصحاب رؤوس الأموال وأصحاب الخبرات والمؤهلات . وقد قبلت البلاد هجرة ٨٠.٠٠٠ شخص حسب أنظمة وبرامج الهجرة لعام ١٩٩٢م-١٩٩٣م . كما تسمح أستراليا بالهجرة والاستيطان للاجئين من بلاد مختلفة ، وقد استوعبت ١٣.٠٠٠ لاجيء في عام ١٩٩٣ - ١٩٩٤ م (A . G . P . S . , 1994 , 14-15) .

ويمنح الدستور الأسترالي الجنسية الأسترالية للسكان الذين ولدوا خارجها لأبوين أستراليين أو من جرى تبنيهم في أستراليا في تاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٨٤م أو بعد ذلك . وكذلك تمنح الجنسية للمهاجرين حسب الشروط الموضوعية . وقد منحت الجنسية الأسترالية عام ١٩٩٣م لـ ١٢٨٥٤٤ شخصاً .

ويتنمي الأستراليون إلى أعراق وثقافات مختلفة كما يختلفون في دياناتهم . فحسب الإحصاء الرسمي الأخير (يونيو ١٩٩٣ م) ، فإن ٧٥٪ من الأستراليين ، نصارى ، و ١٢٪ لادين لهم ، وباقي السكان يتبع ديانات مختلفة ، من أهمها الأديان السماوية الإسلام واليهودية وأديان غير سماوية أهمها البوذية (A . G . P . S . , 1994 , 15) .

أما نيوريلندة ، فقد تشكلت من اتحاد تسع ولايات عام ١٩٠٧م ، ومنذ ذلك الحين وهي دولة مستقلة تحت التاج البريطاني (رئيس الدولة ملكة بريطانيا ويمثلها الحاكم العام) . وهي اليوم من أهم أعضاء دول الكومنولث الأكثر ارتباطاً ببريطانيا . ويتكوّن البرلمان من ١٢٠ عضواً يتم انتخابهم ديمقراطياً



ولاحيات أستراليا وأقاليمها الإدارية

شكل (٤)

ممثلين للولايات والأحزاب السياسية لفترة ثلاث سنوات . والنظام السياسي بمجمله مبني على النمط البريطاني . واللغة الرسمية هي الإنجليزية وتستعمل الماورية (لغة السكان الأصليين) كلغة محلية . والعملة هي الدولار النيوزيلندي (في مارس ١٩٩١م ، الدولار الأمريكي يعادل ١٫٦ دولار نيوزيلندي) .

ويتمشي النيوزيلنديون إلى أعراق وثقافات مختلفة ، كما يختلفون في ديانتهم . فحسب إحصاءات عام ١٩٩٣م ، فإن ٨١٪ من الشعب النيوزيلندي نصارى ، و ١٨٪ لادينيين ، و ١٪ يدينون بالإسلام أو عقائد أخرى كالبوذية (المعلومات ، ١٩٩٤-١٩٩٥م ، ٦٩٩-٧٠٠) .

وتتسم نيوزيلنده كأستراليا ، بسياسة سكانية مرنة . وتصلها سنوياً أعداد كبيرة من المهاجرين المؤقتين أو الدائمين . وقد وصلت أعدادهم في السنوات القليلة الماضية كالآتي : في عام ١٩٩٤م وصل ٧٥٢٥٧ مهاجراً ، وفي عام ١٩٩٥م زاد العدد إلى ٦٧٥٩١ ، وفي عام ١٩٩٦م ، وصل العدد إلى ٨٠٣٨٨ مهاجراً .

ويتكوّن التقسيم الإداري في نيوزيلنده من الأقاليم التالية :

- ١ - نورثلاند (Northland) .
- ٢ - ولينجتون (wellington) .
- ٣ - أوكلاند (Auckland) .
- ٤ - تسمان (Tasman) .
- ٥ - ويكاتو (Waikato) .
- ٦ - نلسون (Nelson) .
- ٧ - بي أوف بلنتي (Bay of Plenty)
- ٨ - مارلبرا (Marlborough) .
- ٩ - جيسبورن (Gisborne) .
- ١٠ - وست كوست (West Coast)
- ١١ - هيك بي (Hake's Bay) .
- ١٢ - كانتربري (Otago) .
- ١٣ - تارانكي (Taranki) .
- ١٤ - أوتاغو (Otago) .
- ١٥ - ماناواتو والنجاير (Manuwatu - Wangai)
- ١٦ - ساوث لاند (Southland) .

وصول الدعوة الإسلامية إلى أستراليا ونيوزيلندا

طرق وصول الدعوة إلى أستراليا :

وصلت الدعوة إلى أستراليا بطرق مختلفة أهمها :

١ - الطريق الأول : عن طريق اتصال السكان الأصليين واختلاطهم ببعض المسلمين القادمين من جزر الملايو وغيرها، والذين كانوا يفدون إلى السواحل الشمالية للقارة للصيد وللتجارة، وربما أقاموا لفترات طويلة، وبعضهم استوطن القارة. وقد ظهرت آثار هذه العلاقات في لغات السكان الأصليين ، التي تنتشر في تلك المناطق، وفي رسوم المراكب الإسلامية المنقوشة على جدران بعض الكهوف. كما تدل الدراسات الإثنية على وجود بعض الملامح والمفاهيم والعادات المتأثرة بالإسلام بين الأستراليين الأصليين، بخاصة سكان جزر مضيق تورس، المحاذية للطرف الشمالي الشرقي للقارة الأسترالية (الخميس، ١٤١١هـ ، ٤) .

٢ - الطريق الثاني : عن طريق الهجرات الأولى للمسلمين في القرن التاسع عشر الميلادي . فبعد أن أعلنت بريطانيا فتح باب الهجرة إلى أستراليا عام ١٨٤٠م ، بدأت أفواج المستوطنين البريطانيين في الوصول إلى أستراليا عبر أطرافها الجنوبية . وأخذ المستوطنون مع مرور الزمن بالامتداد نحو شمالي القارة، ولكن حملاتهم الاستكشافية منيت بالكثير من الفشل ، وذلك لطول المسافات والطبيعة الجافة الصحراوية للأرض ووعورة المسالك ، فاستقدمت بريطانيا عام ١٨٥٠م اثني عشر جملاً أفغانياً ومائة وعشرين جملاً لاكتشاف مجاهل الصحراء الأسترالية . وقم تم اختيار الجمّالين (الأباله) لمعرفة

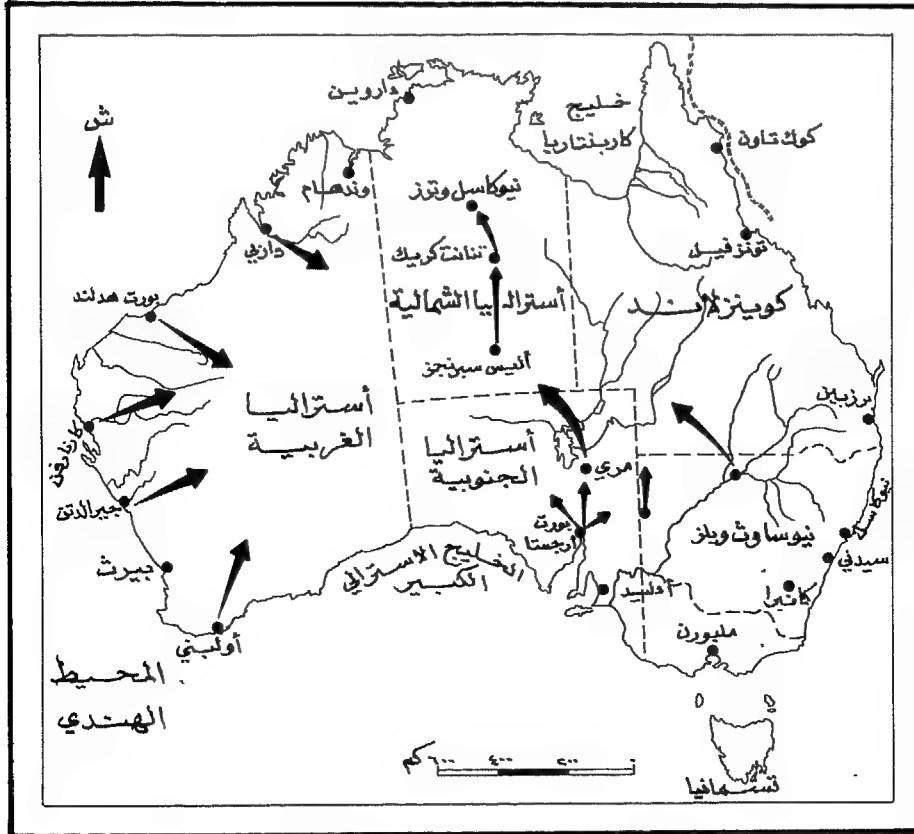
البريطانيين بطبيعة الشعب الأفغاني المسلم ، كما اختارت الجمال لمناسبتها للطبيعة الصحراوية الجافة .

وأطلق الأستراليون على المسلمين الأوائل لقب غان (Ghan) اختصاراً لكلمة أفغان . وأصبحت هذه كلمة دارجة تعني كل من يأتي مع الجمال ، ثم بعد ذلك صارت تشير للمسلمين الأوائل الذين استوطنوا أستراليا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ومع هذه القوافل وحراسها ، دخل الإسلام أستراليا . وكان المستوطنون الأستراليون ينتظرون هذه القوافل بصبر نافذ ويهرعون لاستقبالها ، فهي تحمل إليهم البريد والطعام والصحف وحاجياتهم من مطالب الحياة الأخرى وقد كان منظراً مألوفاً للأستراليين أن يروا المسلمين بجانب القوافل وقد أذنوا للصلاة وأقاموها^(٢) (خان ، ١٩٩١م / ب ، ٩) .

وحملت لقوافل الدين الإسلامي معها إلى كل بلدٍ سافرت إليه وإلى كل طريق سارت فيه (شكل رقم ٥) .

ولقد شيد المسلمون الأوائل العديد من المصليات والمساجد عبر طرق القوافل التي سلكوها داخل أستراليا في مدن أدلريد وفريينا (Freena) ومري (Murry) ، وبلغ عدد المساجد التي شيدها عشرة . كما زاد عدد المسلمين في أستراليا من ١٢ نسمة عام ١٨٥٠م إلى ٦٦١ نسمة في عام ١٨٦١م ، ٥٠٠٣ نسمة عام ١٨٨١م ، وأصبح ٦٠١١ نسمة عام ١٩٠١م (طاشقندي ، ١٩٩٢م ، ١٦٣) .

وقد كانت مدينة أدلريد في جنوبي القارة هي مركز تجمع المسلمين ، ولكن مع مرور الزمن وتقدم وسائل المواصلات ، بدأت فرص العمل تقل أمامهم ،



شكل (٥) محاور حركة القوافل في قارة أستراليا

المصدر: ١ بكر ٥ سيعيد المجيد: الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ٥ مكة المكرمة ٥ دعوة لحو. ١٩٨٢م، ص ٢٣

فانتشروا في بقية أنحاء القارة واتخذوا أعمالاً أخرى غير قيادة الأبل ،
فاشتغلوا في التجارة والزراعة والعمل في المناجم والبحث عن الذهب ،
ووضعوا بذلك لبنات الاستقرار الأولى للجاليات الإسلامية في غربي أستراليا
وفيكтория وكوينزلاند ونيوساوث ويلز وتسمانيا . .

ولكن الأمور تغيرت بعد ذلك، وأصدرت أستراليا عام ١٩٠٢م قانون
"حافظوا على أستراليا بيضاء" فحظرت دخول الآسيويين والملونين إلى
أستراليا. وقد أدى هذا إلى توقف تدفق الهجرات، مما أثر تأثيراً بالغاً على
حياة المسلمين فانقطعت صلتهم بأوطانهم الأصلية، وهو ما حدى بالكثير منهم
إلى ترك أستراليا والعودة إلى أوطانهم. ثم أخذت أعداد المسلمين في
التناقص، فانخفض العدد من ٦٠١١ مسلماً في عام ١٩٠١م إلى ٢٠٢٠
مسلماً في عام ١٩١١م.

وبدأت بذلك فترة من أصعب الفترات التي مرت على المسلمين في
أستراليا، حيث حل الركود والضعف والتفكك بالجاليات المسلمة، نتيجة
لمجموعة من العوامل السلبية؛ فبالإضافة إلى التناقص في الأعداد، فشل
المسلمون في المحافظة على هوية أبنائهم الإسلامية، حيث لم يتمكنوا من
تعليمهم الإسلام أو إنشاء المدارس لهم، ومن ثم استحكم النقص في الثقافة
الإسلامية، وانقطعت الصلة بالعالم الإسلامي، وتأثرت الأجيال الجديدة
بالثقافة الأسترالية ذات الطابع الغربي، وفقدت هويتها الإسلامية بالذوبان
والزواج من الأوروبيين، بل وتخلى البعض عن دينه (خان، ١٩٩١م/ب،
١٣) .

٣ - الطريق الثالث : يتمثل في الهجرات المتعاقبة للمسلمين والتي بدأت
بعام ١٩٢٤م ، وازدادت في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، ثم

وصلت إلى ذروتها في الستينات والسبعينات الميلادية ، ففي عام ١٩٢٤م ، سمحت أستراليا لعدد من الأوروبيين ممن شردتهم الحرب العالمية الأولى بالهجرة إليها ، فجاء مع هذه الهجرة أعداد من المسلمين من ألبانيا ويوغسلافيا ، كما جاءت مجموعة من المسلمين الروس الذين فروا بدينهم من الثورة الشيوعية . وفي هذه الفترة ، جاء إلى أستراليا عدد من المسلمين الألمان واليونانيين والبلغار ومن بعض بلاد البلقان الأخرى . ولم تكن معرفة المهاجرين في هذه الفترة بالإسلام والتزامهم به أحسن حالاً ممن سبقهم ، ولكنهم على الأقل كانوا محافظين على هويتهم الإسلامية العامة في أوروبا قبل هجرتهم . وتعتبر هذه الفترة امتداداً للركود الذي بدأ في عام ١٩٠٢م (خان ، ١٩٩١/ب ، ١٤) .

وفي الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، فتحت أستراليا الباب على مصراعيه للهجرات من أوروبا وآسيا لتخرج من عزلتها التي كانت تهدد موقعها بين الدول ، بسبب قلة سكانها وضخامة مواردها ، وموقعها بالقرب من مناطق قريبة منافسة ، مأهولة بالسكان . وفي هذه الهجرات ، جاء مسلمون مهنيون ومتخصصون وخبراء في شتى التخصصات من بلدان متعددة ، مثل لبنان وسوريا وتركيا وفلسطين وألبانيا وقبرص ومصر وروسيا ويوغسلافيا وباكستان والهند وسريلانكا وأندونيسيا وماليزيا وأفغانستان . وعن طريق هذه الهجرات المتتالية المؤهلة علمياً والتي يوجد عند بعضها الحماس والخلفية الدينية الجيدة والرغبة في الحفاظ على الهوية الإسلامية ونشر الإسلام ، أمكن إنقاذ الوجود الإسلامي في أستراليا من الانقراض .

٤ - الطريق الرابع : يتمثل في الطلبة المسلمين الذين جاءوا إلى أستراليا لمواصلة التعليم الجامعي والعالي في الجامعات والمؤسسات التعليمية الأسترالية .

وقد ظهر وجود هؤلاء الطلبة منذ السبعينات الميلادية ، حيث بدأ توافدهم من الهند والباكستان والملايو وأفغانستان وأندونيسيا والفلبين وتايلند وغيرها من الدول الآسيوية ، وبعض الدول العربية والأفريقية . وقد برز دور هؤلاء الطلبة في قيادة العمل الإسلامي وتأسيس الجمعيات الطلابية الإسلامية ، كما امتد هذا الدور ليؤثر تأثيراً إيجابياً على الجاليات المسلمة ويبعث فيها روحاً من الانتماء والالتزام بالإسلام .

طرق وصول الدعوة الإسلامية إلى نيوزيلندة :

أما بالنسبة لنيوزيلندة ، فيوجد هناك بعض التشابه مع أستراليا في الطرق التي وصلت بها الدعوة الإسلامية إليها ، باستثناء الطريق الأول وهو علاقة الشعوب المسلمة في جنوبي شرقي المحيط الهادي بالسكان الأصليين لنيوزيلندة، حيث لم يظهر أي سند تاريخي كما هو الحال في أستراليا . وتبقى الطرق الثلاثة الأخرى لوصول الدعوة متشابهة ، بل ومتزامنة إلى حد كبير وذلك على النحو التالي :

١ - الطريق الأول : يتمثل في الهجرات الأولى للمسلمين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى للقرن العشرين . فقد بدأ التواجد الإسلامي منذ سنة ١٨٧٤م ، كما دلت على ذلك بعض الإحصاءات الرسمية . وفي الفترة من ١٩٠٧-١٩١١م ، وصل ثلاثة رجال مسلمين من منطقة كجرات في غربي الهند كجزء من هجرة هندية صغيرة . واستقر أحد هؤلاء الرجال ويدعي محمد سليمان كارا (Muhammad Suleiman Kara) في مدينة كرايست شيرش (Christ Church) بينما استقر الآخران وهما إسماعيل بهيكو (Ismail Bhikoo) ، وعيسى موسى (Esa Musa) في منطقة نورث آيلند (North Island) . وقاما بعد فترة وجيزة بفتح

محلات صغيرة لهما في مدن شمالي أوكلاند ، وتمكنا فيما بعد من استقدام عائلاتهم . وأعقب مجيء هؤلاء الرجال ، هجرات متتالية ولكنها صغيرة من منطقة كجرات في الهند (Shepard , 1996 , 212) .

٢ - الطريق الثاني : يتمثل في هجرة عدد قليل من المسلمين من تركيا ودول البلقان بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد ترواح عددهم ما بين ٢٠ إلى ٣٠ مهاجراً ، استوطنوا منطقة أوكلاند . ثم ازدادت أعداد المهاجرين حتى وصل العدد إلى ٢٦٠ فرداً حسب التعداد السكاني لسنة ١٩٦١م . وبعد ربع قرن ، زاد هذا العدد عشر مرات (حسب الاحصاءات الرسمية) ، وخمسة عشر مرة (حسب تقدير الجالية ذاتها) ، وزاد العدد ثلاثين مرة في سنة ١٩٩١م (Shepard , 1996 , 223) .

٣ - الطريق الثالث : يتمثل في الطلاب الذين وفدوا للدراسات الجامعية والعليا من كثير من البلدان الآسيوية . وكان لهؤلاء الطلاب أثر مشابه لزملائهم الذين وفدوا إلى أستراليا . فعن طريق جهودهم ، تم تنظيم قيادة العمل الإسلامي ، وبمساعدهم ودعمهم المعنوي والمادي ، تم بناء العدد من المراكز والمساجد والمدارس للجالية المسلمة في نيوزيلندا ، كما تم عن طريقهم المساعدة في تنظيم جهود الدعوة ، ودخل في الإسلام الكثير من أبناء البلاد الأصليين على أيديهم .

وبالإضافة إلى هذه الطرق التي وصلت بها الدعوة الإسلامية إلى أستراليا ونيوزيلندا ، يجب ألا نغفل دور بعض البعثات الرسمية وسفارات بعض البلاد العربية والإسلامية ، كسفارات السعودية ومصر وباكستان وماليزيا وغيرها في جهود الدعوة الإسلامية ومساعدة الجاليات المسلمة وتبني بعض مشروعاتها كبناء المراكز الإسلامية والمدارس والمساجد .

توزيع الأقليات المسلمة وأصولها في أستراليا ونيوزيلندا

حسب الإحصاء الرسمي الأسترالي لعام ١٩٩٣ م ، قدر عدد المسلمين بنحو ١٤٧ر٤٨٧ نسمة . وتقدر بعض المصادر الإسلامية بأن هذا العدد يبلغ ٢٨٠ر٠٠٠ نسمة (الداود ، ١٤١٣هـ ، ١١٣) . وتشير تقديرات الاتحاد الإسلامي للمجالس الأسترالية - الممثل الرسمي للمسلمين في أستراليا - بأن العدد يقارب ٣٠٠ر٠٠٠ نسمة . وتشير تقديرات أخرى مقربة من الجالية الإسلامية هناك ، بأن العدد يقارب ٣٤٤ر٠٠٠ نسمة (الخميس ، ١٤١١هـ ، ٥) . ويعود السبب في تضارب التقديرات إلى أن البيانات الخاصة بالدين متروكة للاختيار عند تعبئة بيانات الإحصاء السكاني . والطريقة الوحيدة المتوافرة لمعرفة أعداد المسلمين التقديرية ، هي الرجوع إلى البيانات المتعلقة بالأصول العرقية أو المواطن الأصلية التي جاء منها المهاجرون ، ومعروف أن هذه لاتقدم معلومات كافية . وعلى كل حال ، حسب هذه الإحصاءات المتفاوتة ، يشكل المسلمون في أستراليا نسبة تتراوح بين ١ر٥ - ٢ ٪ من جملة عدد السكان .

وإمام اختلاف التقديرات ، فإنه لا مناص من الاعتماد على الإحصاء السكاني الرسمي لعام ١٩٩٣ م على ما فيه من أوجه قصور لإعطائنا فكرة عامة عن أعداد المسلمين وتوزيعهم الجغرافي ونسبتهم إلى الشعب الأسترالي . فحسب هذا الإحصاء ، يشير جدول رقم (١) إلى توزيع المسلمين على الولايات الأسترالية ، ويشير جدول رقم (٢) إلى توزيع المسلمين حسب بلد الميلاد ، كما يشير جدول رقم (٣) إلى التوزيع النسبي لأعمار المسلمين .

جدول رقم (١) توزيع المسلمين على الولايات والأقاليم الأسترالية (١٩٩٣م)

الولاية / الإقليم	عدد المسلمين	النسبة من جملة السكان المسلمين (%)
نيوساوث ويلز	٧٧٨٢٥	٥٢٫٧٧%
فيكتوريا	٤٩٦١٧	٣٣٫٦٤%
كوينزلاند	٥٦٠٥	٣٫٨%
جنوب أستراليا	٣٠٩٢	٢٫٠٩%
عرب أستراليا	٨٢٢٧	٥٫٥٨%
إقليم أرضي العاصمة	١٨٦٨	١٫٢٧%
الإقليم الشمالي	٦٣٠	٠٫٤٣%
تسمانيا	٦٢٣	٠٫٤٢%
المجموع	١٤٧٤٨٧	١٠٠%

بتصرف من العمري ، ١٩٩٧م ، ص ٤ .

جدول رقم (٢) توزيع المسلمين في أستراليا حسب بلد الميلاد (١٩٩٣م)

البلد	العدد	النسبة من جملة السكان المسلمين (%)
أستراليا	٥١٣٢١	٣٤ر٨%
لبنان	٢٥٥٠٧	١٧ر٢٩%
تركيا	٢١٣٠٦	١٤ر٤٥%
يوغسلافيا (سابقاً)	٥١٦٠	٣ر٥%
إندونيسيا	٤٧٨٢	٣ر٢٤%
قبرص	٣٦٦٩	٢ر٤٩%
إيران	٣٥١٤	٢ر٣٨%
باكستان	٣٣٣٩	٢ر٢٦%
فيجي	٣٢٥٣	٢ر٢١%
مصر	٢٣٢٩	١ر٥٨%
بلاد أخرى	٢٣٣٠٧	١٥ر٨%

بتصرف من العمري ، ١٩٩٧ م ، ص ٤ .

جدول رقم (٣) توزيع المسلمين في أستراليا حسب فئات العمر العريضة (١٩٩٣م)

العمر	أقل من ١٤ سنة		١٥ - ٦٤ سنة		٦٥ + سنة	
	العدد	النسبة من جملة السكان المسلمين	العدد	النسبة من جملة السكان المسلمين	العدد	النسبة من جملة السكان المسلمين
١٩٩٣ م	٥٢٣٠٧	٣٥ر٤٦%	٩٢٤٢٥	٦٢ر٦٧%	٢٧٥٥٥	١٨ر٨٧%

بتصرف من العمري ، ١٩٩٧ م ، ص ٤ .

ويتبين من المؤشرات الإحصائية التي يتضمنها الجدول رقم (١) بأن غالبية المسلمين تتركز في ولاية نيوساوث ويلز، وبخاصة في عاصمتها سدني وولاية فيكتوريا وبخاصة في عاصمتها ملبورن، حيث يعيش حوالي ٨٦٪ من مسلمي أستراليا، وتتركز في هاتين المدينتين وضواحيهما أغلب المساجد والمدارس وغيرها من المؤسسات التابعة للجاليات المسلمة .

ويتضح من الجدول رقم (٢)، بأن حوالي ٣٥٪ من المسلمين في أستراليا هم من مواليدها، مما يدل على أن الجاليات المسلمة في أغليتها مكونة من مجموعات من المهاجرين. وينتمي هؤلاء المهاجرون إلى جنسيات عديدة وأصول عرقية متنوعة ولكن معظمهم (٧٥ - ٨٠ ٪) من اللبنانيين والأتراك. وفيما يتعلق بالتوزيع النسبي لأعمار المسلمين في أستراليا، يتضح من الجدول رقم (٣) أن أكثر من الثلث (٣٥ر٤٦٪) هم من صغار السن (أقل من ١٤ سنة) وأقل من الثلثين بقليل (٦٢ر٦٧ ٪) يتركزون في الفئة العمرية (١٥ - ٦٤ سنة)، بينما لا تمثل نسبة كبار السن فوق ٦٥ سنة إلا ١٨٧ر١٪ فقط من العدد الكلي للمسلمين. وهذا يدل على أن المسلمين في أستراليا يشكلون بصفة عامة مجتمعاً منتجاً قادراً على تجديد أجياله .

وتتكون الجاليات الإسلامية في أستراليا من ثلاث مجموعات رئيسية، وهي كالتالي :

١ - المسلمون الذين حملتهم الهجرات المتعاقبة التي استوطنت منذ القرن التاسع عشر الميلادي حتى يومنا هذا . وقد بلغت ذروة هذه الهجرات في الفترة ١٩٤٥ - ١٩٨٨ م ، وجاءت من بعض البلاد الإسلامية والعربية على فترات وتحت ظروف مختلفة .

٢ - مجموعة من المسلمين تعيش في أقصى شمالي القارة الأسترالية ،

أستوطنت منذ أزمنة طويلة قبل اكتشاف أستراليا .

٣ - المسلمون الجدد من أصل أسترالي ، سواء من الأوروبيين أو من أهل البلاد الأصليين .

وفيما يلي دراسة موجزة لهذه المجموعات :

١ - مجموعة المسلمين المهاجرين :

وتمثل هذه المجموعة الأغلبية من عدد السكان المسلمين في أستراليا والتي تتولى قيادة أغلب المؤسسات الإسلامية والمراكز والجمعيات والمدارس . وعن طريق جهود هذه المجموعة ، يعتبر المسلمون أكبر مجموعة دينية غير نصرانية في أستراليا . فأينما وُجِدت ، وتلحظ الوجود الإسلامي الذي تعبر به هذه المجموعة عن نفسها من خلال المساجد والمدارس العربية والإسلامية والجمعيات والمراكز والمؤسسات الاقتصادية .

وتتكون الغالبية العظمى من هذه المجموعة من الأشخاص الذين جاءوا في هجرات متتالية وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية . وتنتمي هذه الهجرات إلى جنسيات عديدة وأصول عرقية متنوعة ، ولكن معظمهم (٧٥ - ٨٠ ٪) من اللبنانيين والأتراك ، والباقون جاءوا من يوغسلافيا السابقة وأندونيسيا وقبرص وإيران وباكستان وفيجي ومصر وبلاد أخرى ، مثل أفغانستان وبنجلاديش ، وحديثاً من البوسنة والهرسك والصومال . وهناك صعوبة في معرفة العدد الكلي لجنسيات المسلمين في أستراليا وخلفياتهم العرقية ، لأن المصادر الرسمية لاتربط بين الخلفية العرقية أو جنسية المهاجر وديانته ، وتترك الأمر اختيارياً في البيانات الإحصائية . ولكن تشير بعض مصادر الجاليات الإسلامية إلى أن المسلمين ينتمون لست وسبعين جنسية (العمري ، ١٩٩٧م ، ٢) .

٢ - مجموعة المستوطنين الأصليين :

وهي مجموعة من المسلمين تعيش في أقصى شمالي القارة الأسترالية ، قرب دارون (Darwin) عاصمة الإقليم الشمالي وفي الجزر المجاورة لها ، كجزر كوكوس (Cocos) ، و ناروو (Narou) وأغلبهم من الجنس الملاوي ويعملون في صيد اللؤلؤ . وقد جاءوا إلى هذه المنطقة منذ زمن بعيد ، قبل اكتشاف الأوروبيين لأستراليا ، وقد انقطعت صلتهم بالعالم الإسلامي وفقدوا هويتهم الإسلامية المميزة ، فتحولت حياتهم إلى مزيج من تعاليم الإسلام المندثرة وبقايا عادات وتقاليده سكان أستراليا الأصليين . وهذه المجموعة صغيرة وليس لها تأثير يذكر في حياة الجاليات الإسلامية في أستراليا . وقد تعرضوا كغيرهم من السكان الأصليين الأستراليين لعمليات تطبيع قسرية من قبل المستوطنين الأوروبيين .

٣ - مجموعة المسلمين الجدد :

وهذه مجموعة صغيرة ولكنها واعدة . وتتكون من الأستراليين الذين يرجعون لأصل أوروبي أو للسكان الأصليين الذين اعتنقوا الإسلام عن اقتناع تام ، بفضل جهود الدعوة ونشاط بعض الأفراد والجاليات الإسلامية . وقد تحول بعض أفراد هذه المجموعة إلى عناصر نشطة للغاية وبخاصة في مجال الدعوة والتعليم^(٣) .

وفيما يتعلق بالتوزيع العام للأقليات المسلمة في نيوزيلندا ، فهو يتفق إلى حد كبير مع التوزيع القائم في أستراليا ، حيث إن أغلب المسلمين من المهاجرين بينما القلة منهم ممن اعتنقوا الإسلام من أهل البلاد ، سواء من الأوروبيين أو السكان الأصليين . وتشير التقديرات الإحصائية الحكومية في نيوزيلندا بأن عدد المسلمين يبلغ حوالي عشرة آلاف نسمة ، (Khawaja , 1997)

(1) ، بينما تشير مصادر المسلمين إلى أن العدد يتراوح بين ١٥ - ٢٠ ألف (Rasheed , 1997 , 1 .

وتتكون الأقليات المسلمة في نيوزيلندا من مجموعتين رئيسيتين :

المجموعة الأولى ، تتمثل في المهاجرين الذين حملتهم الهجرات المتتالية التي وصلت إلى البلاد ، بينما تتمثل المجموعة الثانية في المسلمين من أهل البلاد .

١ - مجموعة المسلمين المهاجرين :

على الرغم من أن الوجود الإسلامي بدأ في الظهور في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، إلا أن الجالية المسلمة لم تأخذ شكلها المميز إلا في الخمسينات الميلادية من هذا القرن . وكان أول التجمعات الإسلامية في مدينة أوكلاند ، التي لا تزال موطن أغلب المسلمين في البلاد ، حيث تشير الإحصاءات الرسمية إلى أن نصف عدد المسلمين يسكنون فيها . وتشير مصادر أخرى أن العدد قد يصل إلى ٨٠٪ (Shepard , 1996 , 213) . وينتمي أغلب المسلمين في نيوزيلندا إلى جزيرة فيجي وهم من أصول هندية . وقد قدم هؤلاء في الأصل إلى فيجي للعمل في مزارع قصب السكر التابعة للشركة التجارية البريطانية ، إبان فترة الاستعمار البريطاني للمنطقة ، أي قبل أكثر من مائة عام . وقد هاجرت هذه المجموعة على فترات متتالية إلى نيوزيلندا ، ولكن الهجرة الكبرى حدثت بعد الانقلاب العسكري الذي حصل في فيجي في بداية التسعينات الميلادية . كما جاءت هجرات مباشرة من شبه القارة الهندية ، من الهند وباكستان وبنجلاديش وسريلانكا .

وقد فرق من المهاجرين من شرقي أوروبا (ألبانيا ويوغسلافيا -سابقاً-،

وتركيا) ، كما قدم فريق من منطقة جنوب شرقي آسيا (أندونيسيا ، ماليزيا ، سنغافورة ، كمبوديا ومينمار - بورما سابقاً -) ، كما قدم البعض من البلاد العربية كسوريا ومصر وليبيا والمغرب (2 , 1997 , Rasheed) وأخيراً جاءت بعض الهجرات من البوسنة والهرسك والصومال .

وتشير الإحصاءات الرسمية أن أغلب المسلمين يسكنون في أوكلاند وهي أكبر مدن نيوزيلندا والتي يتميز جوها بالاعتدال ومناسبتها لسكان الجزر المجاورة والبلدان الآسيوية . كما تتميز بوجود أغلب المصانع والشركات والمؤسسات . وتليها من حيث عدد المسلمين، مدينة ولنجتون (Wellington) عاصمة البلاد، ويعيش فيها حوالي ١٢٪ من المسلمين ، وأغلبهم من فيجي . وتليها مدينة كرايست شيرش (Christchurch) عاصمة الجزيرة الجنوبية وأكبر مدنها، ويعيش فيها حوالي ٩٪ ، أغلبهم من طلاب البلاد الإسلامية المختلفة . كما يوجد مسلمون بأعداد أقل في مدن هاملتون (Hamilton) (حوالي ٥٪) وبالميرستون نورث (Palmerston North) (٣٪)، وديندن (Dunedin) (١٪) . (خان ، ١٩٩١م / ١) .

٢ - مجموعة المسلمين الجدد :

وهي تتكون من أفراد اعتنقوا الإسلام من النيوزيلنديين ، سواء من أصول أوروبية أو من أصول قبلية لشعوب المنطقة . وهذه مجموعة صغيرة لكنها نشطة ، وتُرى بعض مساهماتها في خدمة الجالية والدعوة في المراكز الإسلامية والمساجد والمدارس .

وبالإضافة إلى هذه المجموعات من الأقليات في أستراليا ونيوزيلندا ، هناك مجموعة مؤقتة ولكنها مؤثرة وفاعلة وبخاصة في قيادة العمل الإسلامي، وهي الطلاب الذين قدموا إلى المنطقة للدراسة من البلاد الإسلامية . فقد

حفظ لنا التاريخ مساهمة هذه المجموعة في بناء المساجد والاتحادات الطلابية الإسلامية ونشر الوعي الإسلامي وبث روح من الحماس والتنظيم في الأقليات المسلمة. وبالإضافة إلى ذلك ، يجب ألا نغفل دور البعثات الرسمية لبعض البلاد الإسلامية مادياً ومعنوياً .

• • • • •

المؤسسات الإسلامية والنشاط الدعوي في أستراليا

يتمتع المسلمون في أستراليا نسبياً بنوع من التنظيم الشكلي ، حيث يوجد في كل ولاية من الولايات الأسترالية مجلس إسلامي منتخب ، يضم في عضويته أغلب الجمعيات والمراكز الإسلامية الموجودة في الولاية . ومن أكبر هذه المجالس الإقليمية ، المجلس الإسلامي في نيو ساوث ويلز والمجلس الإسلامي في فيكتوريا والمجلس الإسلامي لغربي أستراليا وغيرها . وتتكون هذه المجالس من مجموعة كبيرة من الجمعيات والمراكز الإسلامية قد تصل في بعض الأحيان إلى ٢٥ جمعية أو أكثر في المجلس الواحد . وعلى مستوى أستراليا ، هناك اتحاد يضم جميع هذه المجالس الإقليمية وهو الاتحاد الأسترالي للمجالس الإسلامية (AFIC) The Australian Federation of Islamic Councils^(٤) . ويتمتع هذا الاتحاد باعتراف الحكومة الأسترالية وهو يعتبر المعبر عن المسلمين في أستراليا .

المؤسسات المحلية :

أنشأ المسلمون العديد من الجمعيات على أسس إسلامية تحاول أن تجمع المسلمين على اختلاف خلفياتهم العرقية ، ولكن الغالبية العظمى من الجمعيات تم إنشاؤها على أسس قومية أو لغوية ، مثل الجمعيات الإسلامية اللبنانية والمصرية والتركية والهندية والباكستانية . . . إلخ . وأغلب هذه الجمعيات لها دستور معترف به من قبل حكومة الولاية ، ولها لجنة تنفيذية منتخبة ، تضم رئيس اللجنة أو الجمعية ونائباً للرئيس وسكرتيراً وأميناً للصندوق وأعضاء تنفيذيين آخرين . وتشير بعض التقارير الإسلامية إلى أن هناك مائة وخمسين هيئة وجمعية أنشأها المسلمون في أستراليا (العمري ، ١٩٩٧م ، ٥) .

كما تم إنشاء العديد من المساجد والمؤسسات والجمعيات الإسلامية في أستراليا في العقدين الأخيرين . وتقدر بعض المصادر الإسلامية ، بأن هناك الآن حوالي مائة مسجد ومصلى على مستوى البلاد (العمري، ١٩٩٧م، ٦)، كما تقدر مصادر إسلامية أخرى بأن العدد بلغ مائة وخمسة عشر (الخميس ، ١٤١١هـ ، ٦) . وتنتشر هذه المساجد والمؤسسات والجمعيات في جميع ولايات ومدن أستراليا ، إلا أن أغلبها في ولاية نيو ساوث ويلز ، وبالذات عاصمتها مدينة سدني ، وولاية فيكتوريا وعاصمتها ملبورن وذلك لكثرة عدد المسلمين في هاتين المدينتين . وأكبر مسجد في أستراليا ، هو مسجد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في مدينة سدني ، التي يعيش فيها حوالي نصف المسلمين في أستراليا ، ويقع في ضاحية ليكامبا (Lakemba) ويتسع لحوالي خمسة آلاف مصلٍ . والمسؤولون عن إدارته من أصل لبناني وهم أيضاً أغلب رواده . وهناك مسجد آخر قام بإنشائه حديثاً مسلمون من أصل تركي في منطقة أوبرن (Auburn) بمدينة سدني ، ويتسع لحوالي ألف مصلٍ . وبالإضافة إلى ذلك، تنتشر المساجد في ضواحي سدني، مثل ساري هلس (Surry Hills ، إرسكينفل (Erskinvill) ، ريدفرن (Redfren) ، أبرن (Aburn ، هريستفل (Hurstville) ، كبرامنت، سانت ماري (St. Marys) ، أرنست (Arnest)، كامبل تاون (Campbelltown)، روتي هيل (Rotty Hill) ، وماونت درنت (Mount Drunt) وتوجد كذلك بعض المساجد في المدن الإقليمية، مثل نيوكاسل (New Castle) ، وولونجونج (Wollongong) ويوجد في ولاية فيكتوريا العديد من المساجد والمصليات ، حيث تعتبر المنطقتان الثانية بعد مدينة سدني وضواحيها من حيث عدد السكان المسلمين وانتشار مؤسساتهم . وقد أنشأت الجمعية الإسلامية بفكتوريا مسجداً كبيراً في ضاحية برستون (Priston) في مدينة ملبورن عاصمة الولاية، وذلك في أكتوبر

١٩٧٦م، بتكلفة بلغت ٥٠٠ ر. دولار. كما قامت الجمعية الإسلامية التركية في فيكتوريا ببناء مسجد في ضاحية إيست كوبرج (East Coburg) في مدينة ملبورن، وهو يتسع لحوالي ستمائة مصلي .

وتدير الجمعية الإسلامية الألبانية مسجداً في ضاحية كارلتون (Carlton) . أما باقي المساجد ، فتنشر في الولاية في أماكن تجمع المسلمين في مناطق، مثل نوبل بارك (Noble Park) ، بروميدوز (Broamedows) ، داندونج (Dandong) ، دير بارك (Deer Park) ، دونكاستر (Doncaster) ، ميدستون (Maidstone) ، وفي مدينة شبرتون (Shepparton) وهي مركز لزراعة الفواكه في شمالي الولاية ، قام المسلمون المنحدرون من أصل ألباني ببناء مسجد في عام ١٩٦٠ م .

وفي ولاية كوينزلاند ، يوجد مسجد كبير في مدينة برسبين (Brisbane) عاصمة الولاية ، أسسه أحد المسلمين الباكستانيين في عام ١٩٠٧م ، وقد تقرر في الستينات الميلادية إزالته وتجديده بنائه بطراز صممه أحد الطلبة الدارسين للعمارة في جامعة كوينزلاند . وتم البناء بجهود المسلمين المتطوعين، وأكمل بناؤه في عام ١٩٧٠م بتكلفة ٣١٠٠٠ دولار . كما أنشئ بعد ذلك مسجداً على موقع كنيسة في إحدى ضواحي المدينة . وهناك مسجداً آخران تحت الإنشاء، يقعان في جولد كرس (Gold Coast) شمالي برسبين . وتوجد مساجد أخرى في مدن مثل ماكي (Mackay) وتاونسفيل (Townsville) ومدينة ماريبا (Mareeba) في شمال غربي كوينزلاند . وفي ولاية غرب أستراليا يوجد مجموعة من المساجد بعضها قديم قدم الجالية المسلمة في أستراليا، وبعضها حديث . وتجدر الإشارة هنا إلى أن في الولاية مسجد يعتبر من أول المساجد التي أنشئت في أستراليا ، ويقع في مدينة بيرث

(Perth) عاصمة ولاية غرب أستراليا . وقد تم تأسيسه عام ١٩٠٥م ولا يزال قائماً حتى الآن .

ويوجد في ولاية غرب أستراليا المجلس الإسلامي لغرب أستراليا والذي يتكون من مجموعات ثلاث :

١ - اتحاد بيرث الإسلامي ويوجد لديه مسجد ومدرسة في ضاحية ريفر فيل (Rivervale) .

٢ - الجالية الإسلامية في كاتيننج (Katanning) وهي مركز ريفي في جنوب غربي الولاية ، وتشمل مناطق كوكوس (Cocos) ، وجزر كرسماس (Christmas Islands) ويؤدي المسلمون في هذه المناطق صلاتهم في مسجد تم تأسيسه بمساعدة إخوانهم من البلاد العربية ، وبخاصة من السعودية ودول الخليج الأخرى .

٣ - الاتحاد الإسلامي لشمال غربي أستراليا ، ويشمل مسلمي الجزر العديدة التي تنتشر أمام السواحل الشمالية الغربية ، وقد بنوا مسجداً لهم في مدينة بورت هيدلاند (Port Hedland) بمساعدة من السعودية ودول الخليج العربية . وأنشأت ستون عائلة من مسلمي الأتراك اتحاداً يسمى ب (الاتحاد الإسلامي التركي) . وأقامت هذه المجموعة مسجداً لها في ضاحية فيثبول (Veithboul) في بيرث .

وفي جنوبي أستراليا ، يعتبر مسجد أدلید الواقع في عاصمة ولاية جنوب أستراليا من أقدم المساجد المعروفة ، حيث أنشئ عام ١٨٩٩م ومازال قائماً حتى الآن ، وتوجد في هذه المنطقة ثلاث مجموعات إسلامية :

١ - الجمعية الإسلامية لجنوبي أستراليا ، وقد أنشأت مسجداً في المنطقة .

٢ - الجمعية الإسلامية في أدلريد بجنوبي أستراليا ، وهي مسؤولة عن مسجد أدلريد وتشرف عليه .

٣ - الجمعية الإسلامية في هويلا (Why alla) وهي مدينة صغيرة تقع على خليج سبنسر في جنوبي أستراليا . وهذه الجمعية تابعة للجمعية الإسلامية لأستراليا الجنوبية ، والتي ترتبط بدورها بالاتحاد الإسلامي للمجالس الإسلامية وهناك مسجد في مدينة رينمارك (Renmark) على نهر موري (Murray) .

وفي تسمانيا (Tasmania) ، تم إنشاء مسجد ومركز إسلامي في هوبرت عاصمة ولاية جزيرة تسمانيا .

وفي منطقة عاصمة أستراليا ، تم إنشاء مسجد في كانبرا عاصمة البلاد في عام ١٩٦٠م ، وقد شارك في تمويل إنشائه كل من حكومة إندونيسيا وماليزيا وباكستان .

وفيما يتعلق بالولاية الشمالية ، فقد تم تأسيس الجمعية الإسلامية للولاية الشمالية عام ١٩٧١م . وفي عام ١٩٧٨م ، تبرعت الحكومة الأسترالية للجمعية بأرض في دارون (Darwin) لبناء المركز الإسلامي ، الذي أكمل في ١٩٧٩م .

كما تم إنشاء الجمعية الإسلامية في آليس سبرنج (Alice Apring) ، جنوب دارون . وتمت موافقة مجلس المدينة على التبرع بأرض للجمعية والموافقة على بناء مسجد عليها .

وفي المحيط الهندي ، وعلى بعد ٢٨٠٠ كيلو متر شمال غرب أستراليا ، تقع جزر كوكوس Cocos (كيلنج Keeling) ، التي أصبحت أحد أقاليم

أستراليا الخارجية منذ عام ١٩٨٤م . ويعيش في هذه الجزر المرجانية الصغيرة مايقرب من ١٢٠٠ نسمة ، نصفهم تقريباً من المسلمين ، وهي تضم ثلاثة مساجد، تتركز في هوم لاند Home Land . ويعتقد بأن أقدم هذه المساجد يعود تاريخ إنشائه إلى الأربعينات من القرن التاسع عشر الميلادي . أما المسجدان الآخران، فقد أنشئا عام ١٨٩٠م . كما توجد مدرستان تم إنشاؤهما في الفترة نفسها (Foreign Affairs and Trade Ministry , 1992,2) .

وبالإضافة إلى هذه الجمعيات والمساجد المذكورة هناك عدد كبير منها تم إنشاؤه في السنوات الأخيرة في أستراليا ويصعب حصره .

المؤسسات الإقليمية :

يوجد في أستراليا مجموعة من المؤسسات والجمعيات والهيئات الإسلامية التي تعمل على مستوى أستراليا . ومن أهم هذه الهيئات التالي :

١ - الاتحاد الإسلامي للمجالس الإسلامية :

(The Australian Federation Of Islamic Councils - A. F. I.C)

ويمثل هذا الاتحاد إلى حد كبير ، أهم وأكبر هيئة إسلامية عامة في أستراليا، وقد تم إنشاؤه عام ١٩٦٤م في مدينة سدني . ويضم الاتحاد ممثلاً عن كل ولاية أسترالية ويتبعه اتحاد المجالس والجمعيات المحلية في كل ولاية ويضم في عضويته حتى الآن سبعين هيئة وجمعية (منار الإسلام ، ١٩٩٣م ، ٦٢) . وقد تم إنشاء الاتحاد ليمثل المسلمين أمام السلطات الأسترالية ويجسد آمالهم واحتياجاتهم . وقد حظي الاتحاد بسمعة جيدة واحترام كبير كواجهة إسلامية في المجتمع الأسترالي ، لأنه يدار عن طريق هيئة منتخبة، ويمثل المسلمين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم وميولهم السياسية . ويتشكل

الهيكل الإداري للاتحاد من رئيس وسبعة نواب للرئيس ، هم ممثلو الولايات ، بالإضافة إلى سكرتير وأمين للصندوق وجهاز إداري .

ويقوم الاتحاد بمجموعة من الأنشطة الدعوية والتعليمية والاجتماعية ، مثل تزويد مختلف مناطق أستراليا بالأئمة والدعاة والمعلمين ، وتشجيع الصلوات والعلاقات الإيجابية مع المسؤولين الرسميين على المستوى المحلي والفيدرالي في أستراليا . كما أسس الاتحاد مجلساً للطعام الحلال لمساعدة المسلمين على الحصول على اللحم الحلال ومعرفة القواعد الشرعية في ذلك ، ونشر منشورات وكتيبات عن الموضوع ، وإنتاج وتسويق الطعام الحلال للمسلمين وغيرهم (وكالة الأنباء الإسلامية ، ١٩٩٥ م ، ٦٣٢) . وبالإضافة إلى ذلك ، ينبثق من الاتحاد الإسلامي للمجالس الإسلامية مجموعة من الهيئات والمراكز المتخصصة مثل المركز الإسلامي الذي يصدر مجلة شهرية ، ويرعى برامج للناشئة في مركز الشباب الإسلامي ، ويدير " دار رعاية المرأة المسلمة " ، وهي دار مخصصة لإيواء المطلقات وحماية الفتيات والنساء اللائي حدث شقاق بينهم وبين أزواجهن ، حيث يتعهدهن بالرعاية والنصح حتى يتم إرجاعهن إلى بيت الزوجية . كما أنشأ " المركز الإسلامي " مغسلة للموتى . . . إلخ . والواقع أن الاتحاد يعتبر الممثل الرسمي لمسلمي أستراليا لدى الحكومة الأسترالية وحكومات الدول العربية والإسلامية . وقد نجح في الحصول على العديد من المساعدات وحظي بأوجه متعددة من التعاون .

٢ - اتحاد الطلبة والشباب المسلمين في أستراليا : ويجمع هذا الاتحاد في عضويته جماعات وروابط وجمعيات الطلبة المسلمين الدارسين في الجامعات والمؤسسات التعليمية والتقنية والفنية . كما يضم في عضويته ، منظمات الشباب على مستوى أستراليا . ويدخل في عضوية هذا الاتحاد الطلبة

المسلمون الذين جاءوا من خارج أستراليا ويعيشون مؤقتاً للدراسة . وللاتحاد دستور وهيئة إدارية يتم انتخابها بصفة دورية، ويتمتع بعضوية نشطة، وله أنشطة فاعلة، وبخاصة في مجال المخيمات واللقاءات والمحاضرات والأنشطة الثقافية الأخرى .

٣ - جمعية المسلمين المهاجرين : وقد أنشئت في عام ١٩٨٥م (١٤٠٥هـ)، وتهدف إلى القيام ببعض النشاطات الإسلامية ذات الصبغة الثقافية والاجتماعية ، والاهتمام بالتعليم الإسلامي ، وتسهيل سبل إقامة الشعائر الإسلامية ، وخدمة الطلبة المسلمين الوافدين ، وتوفير فرص التعارف والتفاهم بين المسلمين والجاليات الأخرى في أستراليا . ويبدو أن نشاط هذه الجمعية محدود نسبياً مقارنة بالهيئات الإقليمية الأخرى .

٤ - جمعية النساء المسلمات في أستراليا : وتهدف هذه الجمعية إلى الدفاع عن المرأة المسلمة وتوضيح الرؤية الإسلامية الصحيحة تجاهها ضد حملات التشويه والتشكيك التي قد تنشر في وسائل الإعلام . كما تهدف إلى توعية المرأة المسلمة والأسرة المسلمة بتحقيق الأحكام الشرعية ، وبمسؤوليتها تجاه أسرتها ومجتمعها المحلي والمجتمع الأسترالي . وقد تم إدخال الجمعية في بعض الحوارات والمشاورات بشأن المناسبات الدولية والمؤتمرات العالمية الخاصة بالمرأة والأسرة . وتصدر الجمعية نشرة خاصة بها ، كما تقيم مركزاً تعليمياً وترفيهياً للنساء المسلمات . وتقوم عضوات الجمعية بالقاء محاضرات عن الإسلام لغير المسلمات في المتدييات والجمعيات النسائية .

٥ - أمانة الوقف الإسلامي : وقد تم تأسيس هذا الوقف في عام ١٩٨٤م، تعبيراً عن الاهتمام بهذا الجانب في حياة الجاليات المسلمة في أستراليا، ومركزه في ولاية فيكتوريا . ويهدف هذا الوقف إلى تنظيم وإدارة

الأوقاف للصرف منها على النشاطات الإسلامية . وأغلب مايتضح فيه نشاط هذا الوقف الجانب التعليمي حيث تم تخصيصه بأولوية كبيرة .

٦ - المركز الثقافي الإسلامي في أستراليا : وقد تم إنشاء هذا المركز في مدينة سدني ، والتي تضم أكبر التجمعات الإسلامية في أستراليا . ويقوم المركز بنشاط جيد في مجال الدعوة الإسلامية والتعليم والإعلام الإسلامي . ويذكر بأن المركز استطاع الحصول على موافقة الحكومة الأسترالية لتعليم الإسلام لساعة واحدة أسبوعياً في المدارس الحكومية في عام ١٩٩٠ م . ويقوم المركز بافتتاح المدارس الإسلامية وتوفير المعلمين وإعداد الأئمة والدعاة .

وبالإضافة إلى هذه الجمعيات والهيئات ، هناك عدد آخر له صبغة إقليمية ويقدم خدمات مطلوبة في حياة الجاليات المسلمة في أستراليا .

المؤسسات العالمية :

وفيما يتعلق بالمؤسسات العالمية العاملة في أستراليا فإن أهمها :

١ - مكتب الدعوة في أستراليا : ويتبع وزارة الشؤون الإسلامية في السعودية . وقد بدأ المكتب نشاطه في عام ١٤١١ هـ ، ويهدف إلى خدمة القضايا الإسلامية ودعم الجاليات الإسلامية وحماية الأجيال المسلمة التي ولدت في أستراليا من التيارات الوافدة . ويقوم المكتب بجهود طيبة في طباعة وتوزيع الكتاب الإسلامي وتوزيع المصحف الشريف وترجمة معانيه باللغات الإنجليزية والبنغالية والتركية وغيرها .

٢ - الندوة العالمية للشباب الإسلامي : وهي هيئة إسلامية عالمية مستقلة ومركزها الرئيس في مدينة الرياض ، وتهدف إلى خدمة العقيدة الإسلامية ونشرها ورعاية الشبيبة المسلمة . وتقوم الندوة بنشاط مميز في العديد من

المجالات، ومن ذلك: طباعة الكتب وترجمتها وتقديم المنح الدراسية وتنظيم المخيمات والدورات التدريبية وقوافل الدعوة... إلخ. وتقوم الندوة بتنسيق جهودها في أستراليا عن طريق ممثلها والهيئات والجمعيات المتعاونة معها.

٣ - جماعة التبليغ: وهي جماعة معروفة بنشاطها على مستوى العالم، ومقرها الرئيس في شبه القارة الهندية، وتعمل في أستراليا في ضوء منهجها الداعي إلى تجنب القضايا الخلافية وعدم الخوض في القضايا السياسية، والتركيز على الجانب الروحي والعبادات والذكر. وعلى الرغم من بعض التحفظات المثارة حول فكر الجماعة وتعاليمها، فقد نفع الله بها خلقاً كثيراً حتى أنها وصلت إلى مناطق ومجتمعات لم تستطع غيرها من الهيئات الوصول إليها. وعلى الرغم من عدم وجود مكتب أو منظمة رسمية معترف بها في أستراليا للجماعة، إلا أنها منظمة تنظيمياً جيداً وتتخذ من المساجد ومراكز الدعوة منطلقاً لنشاطها. كما أقامت مدرسة بنظام اليوم الكامل في مدينة ملبورن.

٤ - الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية: وهو هيئة إسلامية عالمية مستقلة، تعمل بين الشباب والطلاب، وتضم في عضويتها الاتحادات الطلابية الإسلامية النشطة على مستوى العالم. ويقوم الاتحاد عن طريق الجمعيات التي تمثله بجهود طيبة في العديد من المجالات، وبخاصة الطباعة والنشر والترجمة وتنظيم المخيمات واللقاءات الطلابية.

وبالإضافة إلى هذه الهيئات العالمية في أستراليا، هناك بعض الهيئات الأخرى والبعثات الرسمية التي لها بعض النشاط والتأثير على حياة الجاليات المسلمة، مثل الأزهر وبعض الهيئات الحكومية وغير الحكومية التي تقدم الإرشاد والتوجيه وتأتي من بلاد عديدة، مثل ماليزيا وباكستان وبعض البلاد العربية.

المؤسسات الإسلامية والنشاط الدعوي في نيوزيلندا

المؤسسات المحلية :

تعيش أقدم الجاليات الإسلامية وأكبرها عدداً في مدينة أوكلاند أكبر وأشهر مدن البلاد وتشير آخر الإحصاءات بأن عدد المسلمين في المدينة قد يصل إلى ٨٠٪ من بين عدد المسلمين في نيوزيلندا (Shepard , 1996 , 213) وفيما يلي أهم الهيئات الإسلامية في المدينة .

١ - اتحاد المسلمين في نيوزيلندا: وقد تم إنشاؤه في عام ١٩٥٠م وشهد نشاطاً ملحوظاً في منتصف الخمسينات الميلادية بفضل جهود بعض المهاجرين المسلمين من أصل أوروبي . وحصل الاتحاد على جزء من مقبرة خصصت لدفن موتى المسلمين ، كما عيّن الاتحاد مأذوناً شرعياً مرخصاً لإبرام عقود الزواج ضمن إطار القانون النيوزيلندي .

وفي منتصف السبعينات الميلادية ، تشكلت ثلاث مجموعات إسلامية أخرى في أوكلاند، وهي جمعية أنجومان حماية الإسلام (Anjuman Himayat Al-Islam) ، والمجلس النيوزيلندي للمؤتمر الإسلامي العالمي (New Zealand Council of The World Muslim Congress) ، ومجموعة ثالثة عرفت بميولها الصوفية تحت قيادة مسلم من أصل نيوزيلندي أوروبي . ولقلة عدد أفراد الجالية ورغبة في عدم بعثرة الجهود ، تمّ في عام ١٩٧٦م اتحاد أنجومان والمجلس النيوزيلندي في اتحاد أخذ مسمى الاتحاد القديم نفسه ، أي "اتحاد المسلمين في نيوزيلندا" ، وكان أكبر مشروع تولاه الاتحاد الجديد، بناء مسجد أوكلاند الذي اكتمل عام ١٩٨٣م، ويتسع لحوالي ٤٠٠ مصلٍ . ويقوم الاتحاد بتنظيم نشاطات دينية واجتماعية وبالإشراف عليها، كما يقدم دروساً

مسائية يومية لحوالي ٨٠ طفلاً ، وخصص مسائية أسبوعية منتظمة للنساء والأطفال كل يوم أحد (222 , 1996 , Shepard) والجدير بالذكر ، أن الأعضاء الناشطين في الاتحاد من أصل فيجي أو من منطقة كجرات الهندية مع بعض المسلمين من جنوب شرقي آسيا ، وقليل من النيوزيلنديين من أصل أوروبي ، الذين اعتنقوا الإسلام.

وأن مدينة أوكلاند تغطي منطقة جغرافية واسعة ، فقد نشأت مجموعتان صغيرتان تحت رعاية اتحاد المسلمين في أوكلاند لخدمة مناطق معينة من المدينة ، إحداهما في ضاحية مانجير (Mangere) سنة ١٩٧٩م ، والأخرى في منطقة روسكيل (Roskill) في عام ١٩٨٨م . وتقوم هاتان المجموعتان بتقديم خدماتهما الاجتماعية والتعليمية للمسلمين في المنطقة .

٢ - اتحاد المسلمين في ولنجتون : تم إنشاء الاتحاد في عام ١٩٦٤م ثم غير اسمه إلى الاتحاد العالمي للمسلمين في نيوزيلندا (International Muslim Association of New Zealand) وعرف اختصاراً باسم (Iman) وقد ارتبط إنشاء هذا الاتحاد بقربه من جامعة فيكتوريا وتأثره بجوها الأكاديمي . وت مارس معظم أنشطة الاتحاد الدينية والتعليمية والاجتماعية في المقر الذي تم شراؤه وتجديده عام ١٩٧٨م . وتتميز عضوية (إيمان) بأنها عالمية الطابع وذات مستوى تعليمي أعلى من الاتحادات الموجودة في منطقة أوكلاند ، وقد انعكس هذا في بروز مظاهر الالتزام بالسلوكيات الإسلامية وتوافر النشاط والحماس لدى أعضاء الاتحاد . ويتأثر الاتحاد بنوعية الطلاب المغتربين الموجودين في أوقات مختلفة وقد اتضح هذا الأمر في أوائل الثمانينات الميلادية حينما تخرجت مجموعات نشطة من طلاب الجامعة ، مما أضعف نشاط الاتحاد لبعض الوقت ، استطاع بعدها استعادة قوة نشاطه من جديد .

٣ - اتحاد المسلمين في وايكاتوبي أوف بلنتي : وقد أنشئ هذا الاتحاد في مدينة هاملتون (Hamilton) ، ويضم في عضويته مجموعات من المهاجرين قدم أغلبهم منذ عام ١٩٧٣ م . ويرجع هؤلاء في غالبيتهم إلى أصول هندية ، إلا أن هناك مسلمين من أوغندا وماليزيا وسنغافورة وألبانيا وقليلاً من المسلمين النيوزيلنديين من أصل أوروبي . كما يضم الاتحاد في عضويته مجموعات من الطلبة المغتربين ، الذين قدموا مع عائلاتهم للدراسة في جامعة وايكاتو .

٤ - اتحاد المسلمين في ماناواتو : وقد تم إنشاء هذا الاتحاد في منطقة المرستون نورث (Palmerston North) عام ١٩٧٦ م . ويضم في عضويته جالية إسلامية قليلة العدد، بالإضافة إلى الطلاب المغتربين في جامعة ماسي (Massey) .

٥ - اتحاد المسلمين في كانتربري : تم إنشاء هذا الاتحاد عام ١٩٧٦ م ، ويضم المسلمين في مدينتي كرايستشيرش (Christchurch) ، ولنكولن (Lincoln) في الجزيرة الجنوبية لنيوزيلندا ، حيث يعيش معظم المسلمين في المنطقة . وتتكون الجالية من مهاجرين جاءوا في أواخر الستينات الميلادية من بعض البلاد الإسلامية وجزيرة فيجي واستوطنوا المنطقة ، ومن بعض الطلاب المغتربين الدارسين في جامعة كانتربري .

٦ - اتحاد المسلمين في أوتاغو : وقد تم إنشاء الاتحاد في عام ١٩٨٨ م على أيدي مجموعة من المسلمين ، أغلبهم من منطقة دنيدن (Dunedin) وتدار نشاطات هذا الاتحاد من قبل مركز الطلاب الماليزيين .

المساجد والمراكز الإسلامية في نيوزيلنדה :

يوجد في نيوزيلنדה مسجداً ، المسجد الجامع في أوكلاند ويقع في وسط المدينة وهو أول جامع يؤسس في نيوزيلنדה وتم الشروع في بنائه في أواخر السبعينات الميلادية وانتهى في بداية الثمانينات . وقد جاءت أغلب التكلفة من التبرعات التي وصلت من السعودية .

والمسجد الثاني في نيوزيلنדה، هو مسجد النور في مدينة كرايستشيرش، وتم بناؤه في أواسط الثمانينات الميلادية، وتبرع بتكلفة البناء خادماً الحرمين الشريفين، واجتهد في سبيل إتمام بنائه أحد الطلبة السعوديين، الذي كان يدرس في المدينة، وربما يعد هذا المسجد آخر المساجد على وجه الأرض ناحية القطب الجنوبي، وهو قلعة إسلامية من ناحية الفن المعماري والمحتويات، يجذب أنظار الزوار من الأوروبيين والأمريكيين .

وبالإضافة إلى هذين المسجدين، هناك سبعة مراكز إسلامية تؤدي فيها الصلاة وتمارس فيها مجموعة من الأنشطة الاجتماعية والثقافية والرياضية، وهي كالآتي :

١ - المركز الإسلامي في مانجيري في جنوبي أوكلاند، ويشرف عليه اتحاد المسلمين في أوكلاند الجنوبية، وهو عبارة عن بيت متوسط الحجم .

٢ - المركز الإسلامي في مدينة هاميلتون ، ويشرف عليه اتحاد المسلمين في وايكاتوبي أوف بلنتي ، وهو عبارة عن بيت كبير تم شراؤه وتحويله إلى مركز إسلامي .

٣ - المركز الإسلامي في مدينة بالمستر نورث ، ويشرف عليه اتحاد المسلمين في ماناواتو ، وهو عبارة عن بيت ضخم يقع في وسط المدينة قريباً من السوق الرئيس .

٤ - المركز الإسلامي في مدينة ولنجتون العاصمة ، ويشرف عليه الاتحاد العالمي لمسلمي نيوزيلندا والمعروف باسم (إيمان) ، وهو عبارة عن بيت كبير قريباً من السوق الرئيس للمدينة .

٥ - المركز الإسلامي في مدينة كرايستشيرش ، ويشرف عليه الاتحاد الإسلامي في كانتربري ، وهو عبارة عن بيت عادي على شارع رئيس في المدينة .

٦ - المركز الإسلامي في هويرا (Hawera) إحدى مديريات ولنجتون ، ويشرف عليه اتحاد إيمان ، وهو مكان مستأجر ، وقد تم شراء الأرض لبناء مركز إسلامي عليها .

٧ - المركز الإسلامي في مدينة دنيدن في الجزيرة العربية ويشرف عليه اتحاد المسلمين في أوتاغو ، ويقع المركز في مكان مستأجر نتيجة لقلة المسلمين ، وأغلبهم من الطلاب المغتربين الدارسين في جامعة أوتاغو (خان ، ١٩٩١م/أ ، ٢-٦) .

المؤسسات الإقليمية :

وترتبط الاتحادات الإسلامية والمراكز والجمعيات على مستوى نيوزيلندا باتحاد إقليمي هو اتحاد الجمعيات الإسلامية في نيوزيلندا ، وقد تم تأسيس الاتحاد في أبريل عام ١٩٧٩م ، وهو يضم في عضويته مجموعة من الاتحادات والجمعيات الإسلامية على مستوى نيوزيلندا ، مثل الاتحادات والجمعيات الإسلامية في أوكلاند وجنوب أوكلاند وهاميلتون وبالمرستون نورث ولنجتون وكرايستشيرش ودنيدن . ويهدف الاتحاد إلى توحيد كلمة المسلمين وجمعهم والتحدث باسمهم والحفاظ على هويتهم الإسلامية ونشر الإسلام . وللإتحاد

دستور وهيئة منتخبة ويعقد اجتماعاً مرة كل ستة أشهر واجتماعاً سنوياً عاماً .
ويقوم الاتحاد بمجموعة من الأنشطة ، ومنها على سبيل المثال :

- توفير مرجعية دينية وسياسية للمسلمين في نيوزيلندا .

- بناء المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية .

- إصدار المطبوعات والكتب .

- دعوة غير المسلمين .

- مراقبة اللحوم المصدرة إلى العالم الإسلامي .

- تحديد رؤية هلال رمضان والعيدين ومواقيت الصلاة .

- مساعدة العائلات الفقيرة وتقديم النصح والتوجيه .

- مساعدة اللاجئين من المسلمين القادمين إلى نيوزيلندا من بلاد أخرى .

وعلى المستوى الإقليمي ، تم إنشاء مجلس للنساء المسلمات في نيوزيلندا عام ١٩٩٢م ، وله نشاطات ثقافية ودعوية تهدف إلى تنسيق نشاطات النساء المسلمات على مستوى البلاد ، والتعاون مع المنظمات الإسلامية ، ونشر المعلومات المتعلقة بالإسلام .

المؤسسات العالمية :

وفيما يتعلق بالهيئات الإسلامية العالمية العاملة في نيوزيلندا، فإنها تشابه إلى حد كبير مع ماهو موجود في أستراليا. فعلى المستوى المحلي، تنشط الدعوة عن طريق جهود الاتحادات المحلية. وعلى مستوى البلاد، يقوم اتحاد الجمعيات الإسلامية في نيوزيلندا بدوره في ذلك. ولكن مسؤوليات الدعوة بصفة عامة، تتم عن طريق جهود جماعة التبليغ. وبالنسبة لدعوة غير

المسلمين، نشطت عن طريق جهود مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي في أوكلاند خلال العشر سنوات الماضية . وقد أنشئت مؤخراً جمعية للمهتدين بدعم مباشر من مكتب الندوة. وبالإضافة إلى ذلك، هناك بعض الجهات العالمية، مثل وزارة الشؤون الإسلامية في السعودية ورابطة العالم الإسلامي وبنك التنمية الإسلامي، التي تقوم بجهد واضح في الدعوة والدعم المادي والمعنوي للمسلمين في نيوزيلندا .

• • • • •

التعليم الإسلامي في أستراليا ونيوزيلندا

يقدم لنا إحصاء عام ١٩٩٣م بعض المؤشرات عن مستوى التعليم لدى الجاليات المسلمة ، مقارنة بغيرها من فئات المجتمع الأسترالي . ومن هذه المؤشرات أن المسلمين فوق ١٥ عاماً تقل فيهم نسبة الحاصلين على شهادات علمية جامعية عن بقية الشعب . كما أن أصحاب الخبرات أو الشهادات المهنية بين المسلمين أقل بكثير أيضاً عن ماهو موجود لدى فئات المجتمع الأسترالي الأخرى . ومع ذلك ، توضح المؤشرات الإحصائية بعض الاتجاهات التعليمية التي تدل على اهتمام الفئات المتعلمة من المسلمين بالتعليم فوق الجامعي ، حيث تصل نسبة المسلمين الذين يحملون شهادات فوق الجامعية ضعف النسبة في بقية الشعب (العمري ، ١٩٩٧م ، ٤) .

وقد اهتمت الجاليات المسلمة في أستراليا ونيوزيلندا في السنوات الأخيرة بموضوع التعليم الإسلامي وجعلت له أولوية عالية في برامجها ، وذلك رغبة منها في حماية النشء المسلم من تأثيرات الحضارة الغربية ، وحفظ الهوية الإسلامية ، وربط الجيل الجديد بدينه وقيمه . وعملت الجاليات المسلمة على محورين في هذا السياق ، المحور الأول : إدخال تدريس الدين الإسلامي كمادة في المدارس الحكومية ، والمحور الثاني بناء المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية التي تدرس المنهج الحكومي ، وتدرس بالإضافة إليه اللغة العربية والدين الإسلامي . ومن الامتيازات التاريخية للجاليات المسلمة في أستراليا الحصول على حق تدريس الدين الإسلامي في المدارس الحكومية التي يوجد بها طلبة مسلمون ، وقد تم ذلك بصدور قرار لهذا الغرض في تاريخ ٢٢/١/١٩٩٠م . كما أدخلت اللغة العربية في المنهج الدراسي كلغة ثانية بعد

الإنجليزية لمن يرغب في تعلمها . والجدير بالذكر ، أن الحكومة الأسترالية أعطت الموافقة للمجالس الإسلامية في الولايات بإرسال المعلمين إلى المدارس التي تضم عدداً من أبناء المسلمين لتعليمهم الدين الإسلامي لمدة ساعة أسبوعياً . كما تسمح للمجالس والجمعيات الإسلامية باستعمال المدارس الرسمية بعد الدوام وفي يومي الإجازة الأسبوعية (السبت والأحد) لتعليم العربية والإسلام .

ويوجد حالياً خمس عشرة مدرسة ابتدائية وإعدادية وثانوية في أستراليا، معظمها في ولايتي نيو ساوث ويلز وفيكتوريا . وأكبر مدرسة إسلامية، هي مدرسة الملك فهد في مدينة سدني ويدرس فيها أكثر من ألف طالب وطالبة، ويعمل فيها ٥٦ معلماً ومعلمة بنظام الدوام الكامل . وثاني أكبر مدرسة، هي ثانوية الملك خالد في فيكتوريا بمدينة ملبورن . وقد تم بناء هاتين المدرستين بواسطة التبرعات السخية التي قدمتها السعودية .

وتدرس المدارس الإسلامية المنهج الأسترالي حسب متطلبات وزارة التعليم في الولاية، بالإضافة إلى تدريس مواد الدين الإسلامي والقرآن واللغة العربية . ويتم الالتزام بالشعائر والآداب الإسلامية في هذه المدارس، كتأدية الصلوات وتشجيع الطلبة على الالتزام باللباس الإسلامي وبخاصة بين الفتيات . وتحصل معظم هذه المدارس على تمويل من حكومات الولايات والحكومة الفيدرالية ، كما يتم تحصيل الرسوم الدراسية من أولياء الأمور، كما تجمع التبرعات من المسلمين وغيرهم . وبالإضافة إلى ماتقدمه المدارس من خدمات تعليمية، فإن معظم المساجد والمراكز الإسلامية تنظم دروساً إسلامية في العلوم الدينية والقرآن واللغة العربية في إجازة نهاية الأسبوع أو بعد الدوام الرسمي اليومي .

ومن المبشرات على الساحة الأسترالية ، إنشاء الكلية الإسلامية في ويربي (Werribee) ، حيث أنشئت لتخدم الجالية الإسلامية النامية في مناطق ملبورن الغربية، وقد أسسها مجموعة من المسلمين المتمين إلى جنسيات مختلفة ، عن طريق صندوق إسلامي ، أنشئ خصيصاً لتمويل المدارس الإسلامية في فيكتوريا. وبلغ عدد المسجلين في الكلية ٣٦٥ طالباً وطالبة عام ١٩٩٥م، موزعين على ٢٣ فصلاً ، ويتبع الكلية مسجداً يتسع لنحو ٨٠٠ مصلي وتدرس الكلية إلى جانب العلوم الإسلامية ، اللغة الإنجليزية والرياضيات . وقد تم اختيار مجموعة من الأساتذة المسلمين المؤهلين تأهيلاً جيداً لتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامي واللغة العربية (وكالة الأنباء الإسلامية ، ١٩٩٦م ، ٦٣٧).

وفي نيوزيلندا ، تعتبر المدرسة التي أنشأها اتحاد الجمعيات الإسلامية في نيوزيلندا أول مدرسة في البلاد . وقد بدأت المدرسة بداية بسيطة في عام ١٩٨٦م وانتقلت إلى مبنى مستأجر في عام ١٩٩١م، ثم انتقلت في بداية عام ١٩٩٥م إلى المبنى الجديد الذي تم بناؤه على نفقة المسلمين والمؤسسات الإسلامية في نيوزيلندا وبعض الدول الإسلامية . وقد حصلت المدرسة على ترخيص من وزارة التربية والتعليم النيوزيلندية ، بحيث تقوم بتدريس المنهج النيوزيلندي، إضافة إلى التربية الإسلامية واللغة العربية (وكالة الأنباء الإسلامية، ١٩٩٦م ، ٦٣٧) . وتتوافر في أغلب الجمعيات والاتحادات الإسلامية خدمات التعليم البسيط للأطفال ، مثل دروس تحفيظ القرآن الكريم والتربية الإسلامية واللغة العربية ، وذلك بعد ساعات المدرسة العادية .

المظاهر العامة لنشاط الأقليات المسلمة في أستراليا ونيوزيلندا

١ - المظهر الاجتماعي :

ازداد في الثمانينات والتسعينات الميلادية وعي الجاليات الإسلامية في أستراليا ونيوزيلندا بأهمية المحافظة على هويتها الإسلامية، وقد انعكس هذا في الأعداد الكبيرة من الجمعيات والاتحادات الإسلامية والمساجد والمراكز والمؤسسات التي تم إنشاؤها ، وكذلك في ازدياد عدد المدارس الإسلامية وانتشارها وتدريس القرآن والتربية الإسلامية واللغة العربية . كما انعكس ذلك في جهود الجاليات الإسلامية ممثلة باتحاداتها الرئيسية في العمل مع الحكومات المحلية والحكومة الفيدرالية لتذليل العقبات الاجتماعية التي تواجه حياتهم . وتتمتع كل من أستراليا ونيوزيلندا ببيئة متسامحة . تبني التعددية الثقافية على الرغم من أن الأغلبية من سكانها يأتون من أصول أوروبية غربية . ولهذه البيئة أثر كبير في فتح المجال للمسلمين للحركة والنشاط والتعبير عن هذه الحرية بالدعوة إلى الله ، وتنظيم الاجتماعات واللقاءات، ونشر الكتب، وإصدار المجلات، والتمتع بحقوقهم السياسية والاجتماعية والدينية التي كفلها الدستور . وقد وافقت الحكومة الأسترالية على اعتبار الزي الإسلامي والحجاب الشرعي حقاً مكفولاً للفتاة المسلمة، فلها أن ترتدي بكل حرية داخل المدارس والجامعات، وذلك على الرغم من بعض مظاهر العنصرية من بعض فئات الشعب (عبدالفتاح ، ١٩٩١م ، ١٤٠٦) .

وتقوم الاتحادات والجمعيات والمساجد والمراكز وغيرها بتقديم الكثير من الخدمات الاجتماعية للمسلمين في أستراليا ونيوزيلندا، ومن ذلك على سبيل المثال :

أ - إنشاء المساجد ورعايتها وإقامة صلوات الجماعة والجمعة وتأمين الأئمة والمعلمين .

ب - فتح فصول تدريس القرآن الكريم واللغة العربية والتربية الإسلامية للأطفال والكبار .

ج - توفير الكتب والنشرات وأشرطة التسجيل والأفلام الإسلامية .

د - إقامة المناسبات الاجتماعية والاحتفالات وتنظيم الرحلات والمخيمات .

هـ - إقامة الأنشطة الترفيهية والرياضية .

و - توفير شهادات اللحم الحلال وتنظيم إمدادات وصوله إلى المسلمين داخل وخارج أستراليا ونيوزيلندا .

ر - تقديم الخدمات الأخرى كالمشورة والإصلاح والتوجيه والإشراف على مقابر المسلمين وغيرها .

وتتطلع الجاليات المسلمة في أستراليا ونيوزيلندا لتأهيل وتدريب أئمة يجمعون بين ثلاثة عناصر : المعرفة الشرعية الجيدة ، والطلاقة في اللغة الإنجليزية ، والوعي بثقافة البلاد الأصلية ، وذلك لأن مثل هؤلاء الأئمة يساعدون في نشر الإسلام وزيادة معتنقيه ، وكذلك يساعدون في نقل صورة الإسلام الصحيح بشكل أدق وأصدق لأطفال الجاليات الإسلامية .

٢ - المظهر الاقتصادي :

يمثل الجانب الاقتصادي محوراً رئيساً في حياة الجاليات المسلمة في أستراليا ونيوزيلندا ، وذلك لأنه في الغالب هو المبرر الذي أدى إلى هجرات ألباليات الإسلامية من مواطنها الأصلية منذ زمن بعيد . وتتسم الهجرات الأولى

للمسلمين إلى استراليا ونيوزيلندا بأنها من الحرفيين والعمال وصغار التجار . ولا تزال هذه الطبقة تمثل الأغلبية بين أفراد الجاليات الإسلامية حتى وقتنا الحاضر . وبالإضافة إلى ذلك ، اهتمت الجاليات بالتعليم ودفع أبنائها للدراسة والانضمام إلى المدارس الاسترالية والنيوزيلندية ، مما أدى إلى ازدياد نسبة المتعلمين الذين يدخلون سوق العمل كل عام ، فأصبحنا نرى أبناء الجيل الثاني والثالث في الوظائف الحكومية وفي المهن الحرة ، كما نراهم في ذوي التخصصات المرموقة ، كأطباء ومهندسين ومحامين وباحثين متميزين وأساتذة في الجامعات .

وكما تم الإشارة إليه سابقاً ، فإن المؤشرات الإحصائية توضح أن العائلة المسلمة العادية التي تمثل غالبية المسلمين في أستراليا في الغالب من أصل لبناني أو تركي ، ومكونة من زوجين ، وطفلين أو أقل ، والوالدان بدون مؤهلات وأعمارهما بين ١٥ - ٦٤ عاماً ، والأب يعمل والأم قد تكون عاملة أيضاً ، والعمل غالباً ما يكون في مصنع على خط تجميع أو ما شابهه . وتنتشر البطالة بين بعض فئات المسلمين وبخاصة طبقة العمال اعتماداً على الدورات الاقتصادية وتوافر الفرص الوظيفية (العمري ، ١٩٩٧م ، ٣) .

وأغلب المسلمين في نيوزيلندا من العمال والحرفيين ، وبينهم مجموعة في ملكية وإدارة البقالات الصغيرة ، كما تنتشر بعض المهن الصغيرة بينهم ، مثل قيادة سيارات الأجرة والعمل على خطوط التجميع في المصانع . وتوجد بطالة بين بعض المسلمين ، الذين يعيشون على الضمان الاجتماعي (Rasheed ، 1997 ، 2) .

وتقوم بعض الاتحادات الرئيسة والجمعيات الإسلامية والأفراد في أستراليا ونيوزيلندا بحيارة وإدارة بعض الملاحم لضمان توافر اللحم الحلال والإشراف

على تسويقه داخل البلاد وخارجها . وتدل المؤشرات على أن أكثر من نصف المسلمين في نيوزيلندا يستهلكون اللحم الحلال (Shepard , 1996 , 218) .

وبصفة عامة ، عند مقارنة مستوى المسلمين الاقتصادي بغيرهم من فئات المجتمع الأسترالي والنيوزيلندي ، تجد أن وضعهم ضعيف وقد انعكس ذلك في عدم قدرتهم الذاتية على إنشاء مؤسساتهم ، كالمساجد والمدارس ، بدون دعم إخوانهم المسلمين من الخارج .

٣ - المظهر السياسي :

على الرغم من وجود البيئة الاجتماعية المتسامحة والظروف السياسية والقانونية الملائمة في أستراليا ونيوزيلندا إلا أن المسلمين أقل من غيرهم حصولاً على حقوقهم السياسية . والسبب في ذلك يعود إلى تدني مستواهم الاقتصادي وانشغالهم بتأمين معيشتهم وضروريات حياتهم ، كما يعود إلى قلة الوعي وانخفاض نسبة التعليم والتزاعات والفرقة بينهم ، ومن ثم لم يكن للمسلمين الوزن الذي يناسب عددهم ، وليس لديهم نائب أو ممثل واحد على المستوى الفيدرالي أو المحلي في البرلمان أو المجالس المحلية أو في وظائف الدولة الكبيرة . وتبعاً لذلك ، ليس غريباً ألا تتم موافقة الدولة رسمياً حتى الآن على إقرار أبسط حقوق المسلمين ، مثل الحصول على إجازة لأداء صلاة الجمعة أو الاحتفال بالعيد ، وعلى المسلم أن يرتب مثل هذه الأمور على المستوى الشخصي . والحديث عن مستوى أعلى من الحقوق ، مثل تطبيق الشريعة في الأحوال الشخصية في الزواج والطلاق والميراث ، يبدو أمراً بعيد المنال في هذه المرحلة .

وفي أستراليا ، تم إنشاء العديد من الجمعيات والاتحادات على أسس عرقية وذلك لكثرة الجاليات هناك . ولكن الأمر في نيوزيلندا مختلف ، حيث حافظ المسلمون على الصبغة الإسلامية العامة في إنشاء الجمعيات والاتحادات .

علاقات الأقليات المسلمة في أستراليا ونيوزيلندا

١ - العلاقات مع الأكثرية :

كانت أستراليا في الماضي ترتبط بأصولها كمستوطنة أوروبية أكثر من ارتباطها بموقعها في منطقة آسيا والمحيط الهادي. ولكن مع مرور الزمن ووجود حوالي ١٥١ جنسية، وتغير التركيبة السكانية، تم إدخال تغييرات أساسية في مختلف سياسيات وتوجهات الحكومة والشعب الأسترالي، حيث أسست مفاهيم المساواة وسياسة التعدد الثقافي والحرية الدينية وعدم التمييز العنصري. وقد وضعت قوانين لحماية هذه الحريات والحقوق لمختلف الأفراد والجماعات.

ويتمتع المسلمون في أستراليا ونيوزيلندا بصفة عامة بظروف سياسية واجتماعية متسامحة، والعلاقة بينهم وبين الأكثرية علاقة إيجابية، يسودها التفاهم والاحترام المتبادل لتقاليد وعادات وثقافات وديانات مختلف الأطراف. ولدى المسلمين كامل الحرية في إعمار المساجد وممارسة العبادة والعمل الاجتماعي والسياسي، كما أن لديهم أيضاً حرية التنظيم وإقامة المؤتمرات وإصدار المطبوعات، وإلى غير ذلك من الحريات المعروفة في الأنظمة الديمقراطية والتي يكفلها الدستور للجميع. ومن المظاهر الإيجابية في العلاقة مع الأكثرية مشاركة بعض المسؤولين الأستراليين والشخصيات المرموقة مناسبات وحفلات المسلمين. ومن المشاهد المألوفة أن يشارك بالحضور بعد صلاتي عيد الفطر وعيد الأضحى من كل عام بعض كبار المسؤولين الأستراليين في الحكومة والمعارضة ونواب البرلمان ورؤساء البلديات وغيرهم، ممن يتولى مناصب قيادية في الدولة على المستوى الفيدرالي أو المحلي، ليعبروا عن مشاركتهم للمسلمين فرحتهم في هذين العيدين (عبدالفتاح، ١٩٩١م، ١٤٠٦).

كما تقوم الحكومة الأسترالية بتوفير بعض التسهيلات للجمعيات والاتحادات والمدارس الإسلامية ، وتقديم الدعم المادي والفني لضمان استمرار هذه الهيئات . وهناك على وجه التحديد مخصصات مالية حكومية لدعم ميزانيات المدارس الإسلامية ، والتأكد من أن نوعية التعليم المقدمة تتناسب مع المستوى التعليمي السائد في أستراليا .

ويعمل المسؤولون الأستراليون من أصل أوروبي في الحكومات والوزارات والأجهزة الرسمية على عدم إظهار العداء أو التمييز ضد المسلمين . وقد قامت العديد من الوزارات والمؤسسات والشركات ، بشكل منفرد ، بإجراء تغييرات مختلفة في أنظمتها لتناسب احتياجات موظفيها المسلمين ، مثل الحق في التعطيل للاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى ، وحضور صلاة الجمعة وغير ذلك (العمرى ، ١٩٩٧م ، ٤) .

ومع توافر الحريات ووجود القوانين التي تكفلها ، تحدث أحياناً بعض التجاوزات والمضايقات الفردية ، كما توضع بعض العقوبات أمام المسلمين عند ظهور أي قضية تتعلق بهم أو عند بناء المساجد أو المدارس الإسلامية . وبالإضافة إلى ذلك ، تعتمد الصحف الأسترالية والنيوزيلندية إلى حد كبير ، على وسائل الإعلام العالمية ووكالاته الأخبارية في الحصول على معلوماتها ، بما قد تشيعه هذه الوسائل أحياناً من معلومات غير صحيحة عن الإسلام والمسلمين . ويتمتع المسلمون في نيوزيلندا بالظروف السياسية والاجتماعية والقانونية المماثلة لمسلمي أستراليا ، بل إن وضعهم أفضل بقليل ، حيث أفادت بعض الأحداث بأن وسائل الإعلام والجهات الرسمية النيوزيلندية أكثر استجابة لاهتمامات المسلمين (Shepard , 1996 , 224) ، وقد أنشأ اتحاد الجمعيات الإسلامية في نيوزيلندا في عام ١٩٨٩م مركزاً خاصاً للمعلومات ،

أطلق عليه "الخدمة المركزية للمعلومات الإسلامية" ، ويتولى مسؤولية توزيع المواد المرئية والمسموعة ، ويعخدم المسلمين وغير المسلمين على حد سواء .

وقد أظهر الاتحاد اهتماماً بالطريقة التي يعرض بها الإسلام للشعب النيوزيلندي في وسائل الإعلام وقد سلم الاتحاد مع مجموعة من الاتحادات والأفراد التماساً لهيئة الإذاعة والتلفزيون النيوزيلندية لوقف بث فيلم مشير للجدل عن الإسلام ، وفعلاً كانت نيوزيلندا هي الدولة الغربية الوحيدة التي أوقفت بث ذلك الفيلم . وقد تمكن الاتحاد حتى الآن من اتخاذ إجراءات ضد وسائل الإعلام في ثلاث مناسبات . وكانت إحداها عندما نشرت مجلة واسعة الانتشار مقالاً غير منصف وغير صحيح عن الإسلام .

وتتولى لجنة حقوق الإنسان في نيوزيلندا التحقيق في الشكاوي التي تصدر من المسلمين وغيرهم ، وهي عادة ماتوصي بقرارات منصفة وفي صالح المسلمين وغيرهم من الأقليات (Shepard , 1996 , 224) .

٢ - العلاقات مع الأقليات الأخرى :

تمثل علاقات المسلمين مع الأقليات الأخرى في أستراليا ونيوزيلندا جانباً مشرقاً آخر من حياتهم ، حيث يسود التفاهم والاحترام بين الجميع في ضوء قوانين البلاد . وللمسلمين في أستراليا ممثلون في المنظمة الوطنية لمناهضة التمييز العنصري والتي تمثل مختلف الأجناس والأعراق غير البريطانية . ومن أعمال هذه المنظمة ، دراسة ومتابعة أي شكاوي يتقدم بها الأفراد أو الجماعات أو الهيئات بخصوص قضايا تتعلق بالتمييز العنصري أو الاعتداء على الحريات بسبب الدين أو اللون أو العرق أو الجنس . ومن أعمال هذه اللجنة أيضاً إسداء النصح للحكومات المتتالية والضغط عليها ، إذا لزم الأمر ، لتعديل بعض القوانين وإدخال قوانين جديدة (العمري ، ١٩٩٧م ، ٤) .

ومن أكبر المشكلات في العلاقة مع الأقليات هو أن هذه الأقليات تتأثر بالصورة السائدة عن الإسلام والمسلمين التي تنشرها وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها ، مما يجعل لدى هذه الأقليات تصورات خاطئة قد تضر أحياناً عند تعاملهم مع المسلمين أو في مواجهة قضاياهم ، وهذا بلا شك يضع الكثير من الأعباء والمسؤوليات على المسلمين لتصحيح هذه التصورات الخاطئة وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين .

وتقوم الهيئات والاتحادات المحلية والإقليمية الإسلامية بجهود جيدة في تعزيز التعاون والتعايش مع الطوائف والجماليات الأخرى في المجتمع الأسترالي والنيوزيلندي ، وقد أفرز هذا بعض العلاقات الإيجابية والأنشطة المشتركة . ومن أمثلة ذلك ما تلقاه الاتحاد العالمي للمسلمين في نيوزيلندا من تعاطف وتضامن من الكنائس المحلية ومن بعض قيادات الطوائف الأخرى ، عندما وضعت كتابات ورسومات تهكمية على جدار مبناه إبان غزو العراق للكويت في أغسطس ١٩٩٠م (Shepard , 1996 , 215) .

٣ - العلاقات مع العالم الإسلامي :

مع ازدياد سهولة الاتصالات والمواصلات في عصرنا ، أصبح للجماليات الإسلامية في أستراليا ونيوزيلندا علاقات وثيقة بالعالم الإسلامي . وهناك اتصال دائم عن طريق الزيارات المتبادلة وحضور ممثلي الهيئات والمنظمات والجهات الرسمية الإسلامية من خارج أستراليا ونيوزيلندا لما يعقد من مؤتمرات ولقاءات إسلامية ومخيمات ودورات تدريبية تعقد سنوياً أو بشكل دوري . كما أن ممثلين للهيئات والاتحادات الإقليمية في أستراليا ونيوزيلندا يتم دعوتهم للمشاركة في المؤتمرات واللقاءات الإسلامية الي تنظم في مناطق متعددة من العالم الإسلامي .

وتقوم مجموعة من الجهات الرسمية الإسلامية بإرسال المبعوثين والدعاة والمعلمين. ومن هذه الجهات وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية (التي أنشأت مركزاً متخصصاً للدعوة في أستراليا) والأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامي. ولم تتوافر معلومات عن جهود بعض الجهات الرسمية الإسلامية في المواطن الأصلية التي جاء منها أغلب المهاجرين، مثل تركيا ولبنان وباكستان وماليزيا وغيرها. ويقوم البنك الإسلامي للتنمية في السعودية بتقديم بعض الدعم المالي لإنشاء المدارس والمراكز والمساجد، ومساعدة المسلمين في استكمال مشروعاتهم التي يصعب إكمالها بالجهود الذاتية.

ويؤكد واقع الحال ، بأن أكثر المساعدات التي وصلت إلى الجاليات الإسلامية جاءت من السعودية، فأكبر ثلاثة مشروعات تمت في أستراليا ونيوزيلندا موّلت مباشرة من السعودية، وهي: مدرسة الملك فهد في سدني وثانوية الملك خالد في ملبورن ومسجد مدينة كرايست شيرش في نيوزيلندا، ويعتبر هذا المسجد تحفة معمارية رائعة وأبعد مسجد في الأرض عن مكة المكرمة، وهو يقع في مدينة يعني اسمها بالعربية « كنيسة المسيح ».

وتستقطب بعض الجامعات الإسلامية في السعودية ومصر وماليزيا والباكستان وغيرها بعض الطلاب المسلمين من أستراليا ونيوزيلندا ، الدارسين للغة العربية والعلوم الإسلامية . وتقديم بعض الهيئات والجمعيات الإسلامية المحلية والإقليمية والعالمية المنح الدراسية لمثل هؤلاء الطلاب، وتقديم لهم الرعاية الكافية لتأهيلهم لقيادة الجاليات الإسلامية.

وتشير مصادر المعلومات القريبة من أستراليا ونيوزيلندا، إلى أن المنظمات الإسلامية العالمية الرئيسة التي لها علاقات قوية وأنشطة واضحة بالتعاون مع

الاتحادات والمنظمات الإسلامية في أستراليا هي: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، المجلس الإسلامي للدعوة لمنطقة جنوب شرقي آسيا، جمعية دار الأرقم في سنغافورة، رابطة مسلمي فيجي، وحركة شباب مسلمي فيجي (العمرى ، ١٩٩٧م ، ٤).

• • • • •

المشكلات والتحديات

التي تواجه المسلمين في أستراليا ونيوزيلندا

١ - المشكلات الاجتماعية :

تواجه المسلمين في أستراليا ونيوزيلندا مجموعة من المشكلات الاجتماعية من أهمها التالي :

أ - الآثار العميقة المترتبة على الحياة في المجتمع الغربي ، وهذه من أكبر التحديات التي تواجهها جميع الجاليات الإسلامية في بلاد الحضارة الغربية . ومن المظاهر المباشرة لهذه الآثار ، قضية الذوبان وفقدان النشء المسلم لمقوماته الإسلامية ، وتبنيه لأساليب الحياة الغربية ، وتأثره فكرياً وسلوكياً بسبب الاحتكاك والدراسة في مؤسسات التعليم غير الإسلامية . ومن مظاهر هذا التأثير ، العلاقة بين الذكور والإناث في المجتمع ، حيث إن نمط الحياة الغربية لا يضع فواصل أو حواجز في العلاقات بين الجنسين ، بما يخالف القيم الإسلامية . والألبسة النسائية السائدة في الغرب غير مقبولة بالمقاييس الإسلامية ، وكذلك بعض الألبسة الرجالية ويزداد الأمر خطورة عندما تفرض هذه الألبسة في المدارس على الفتيات المسلمات ، الأمر الذي يترك أثراً عميقاً في حياة الشبيبة المسلمة .

ويواجه المسلمون في هذا السياق معضلة رئيسة : إذ كيف يمكن أن يحافظوا على إسلامهم وعلى هويتهم الدينية والثقافية ويقوموا بدورهم كمواطنين لا كمهاجرين ؟ . أي كيف يتم توطين الإسلام لتحول الجاليات الإسلامية من كونها ملجأً ثقافي يأوي إليه المهاجرون

ويتجمعون حوله إلى عنصر فاعل من المواطنين المستوطنين ، الذين يقدمون أنفسهم ودينهم بطريقة مقبولة ، تتكيف مع الأوضاع الجديدة .

ب - تفشي الجهل بأمور الدين بين الجاليات الإسلامية ، وذلك لقلة المتعلمين أصلاً بين المجموعات المهاجرة التي جاءت لطلب الرزق . وقد أدى هذا الأمر إلى ظهور العديد من المشكلات والتحديات ، منها انتشار البدع والخرافات ، وتحكم العصبية الجاهلية ، والتأثر ببعض الفرق الضالة ، ويعاني قادة العمل الإسلامي من هذا الجهل ويعطونه أولوية كبيرة في برامجهم وخططهم للمستقبل .

ج - وجود فجوة بين الجيل القديم من الآباء والأجداد المهاجرين وبين الأبناء والأحفاد الذين ولدوا وتربوا في أستراليا ونيوزيلندا . الجيل القديم يرغب في المحافظة على هويته وتقاليده ولغته وبعض صلاته مع موطنه الأصلية ، أم الجيل الجديد فظروفه مختلفة تماماً ، يريد أن يندمج بل ويذوب في المجتمع الجديد ، المجتمع الذي ولد وتربى وتعلم فيه . وتسبب هذه الفجوة هاجساً اجتماعياً مزعجاً للجيل القديم جعلته يتحرك لبناء المدارس الإسلامية ، وإنشاء المساجد والمراكز الإسلامية ، ودعم الجمعيات والاتحادات الإسلامية . ولكن ضغوط المجتمع الغربي ومغرياته ونمط حياته ، تجعل من هذه الفجوة أمراً لا يمكن مواجهته بالإمكانات الحالية المتوافرة لدى المسلمين .

د - وجود إعلام غير منصف لقضايا الإسلام والمسلمين ، فوسائل الإعلام المتنوعة في أستراليا ونيوزيلندا تأخذ معلوماتها من وسائل الإعلام ووكالات الأنباء الغربية الأخرى . ومعروف أن هذه الوسائل والوكالات ليست منصفة دائماً وتحركها في كثير من الأحيان دوافع العداوة والكراهة

للإسلام والمسلمين . وقد أثر ذلك في حياة المسلمين في تلك البلاد ، حيث يجدون أنفسهم في موقف الدفاع وفي حصار الأفكار المغلوطة والمفاهيم الخاطئة والأفكار المشوهة ، التي تنشر صباح مساء . ولاشك أن لهذا تأثيرات نفسية عميقة على المسلمين ، وبخاصة النشء المسلم ، الذي قد يجد نفسه مبتعداً عن الإسلام لينفي التهم عن نفسه ، وليكون أكثر قبولاً اجتماعياً .

هـ - قلة المدارس الإسلامية وتركزها في بعض المدن الكبيرة . وعلى الرغم من أن الوضع في فترة الثمانينات والتسعينات الميلادية ، قد تحسن كثيراً ، إلا أن عدد المدارس الإسلامية لا يزال أقل بكثير من حاجة المسلمين وازدياد أعداد أبنائهم من الذكور والإناث . وبالإضافة إلى ذلك ، لا يتوافر العدد الكافي من المدرسين المؤهلين . كما أن المناهج التي تدرس ليس هناك اتفاق عليها حيث إنها تختلف تبعاً لاختلاف الأعراق والثقافات . وقد أدى هذا الأمر إلى نوع من الفوضى وتبديد الجهود ، وربما أدى في المستقبل إلى زيادة تهميش الجاليات الإسلامية وفقدانها لهويتها المميزة .

و - عدم اكتراث البعض من الآباء بنشأة وتربية أبنائهم تربية إسلامية . وذلك بسبب تفشي الجهل والانشغال في العمل وتحسين المستوى الاقتصادي ، مما أفرز العديد من المظاهر السلبية .

٢ - المشكلات السياسية :

أ - شعور الأقليات المسلمة في أستراليا ونيوزيلندا بالعزلة ، وذلك لبعدها عن مراكز الحضارة الإسلامية . وعلى الرغم من أن مشاعر هذه العزلة تخف مع الزمن لتطور وسائل المواصلات والاتصالات ، إلا أن البُعد

الجغرافي للمنطقة وقلة عدد المسلمين وكذلك تآثر المسلمين على مناطق شاسعة، وبخاصة في أستراليا لا يزال يمثل مشكلة كبيرة. فهذا التآثر مع القلة العددية، يجعل من الصعب بناء المؤسسات الإسلامية، وبخاصة المدارس والمراكز.

ب - قلة الوزن السياسي، وهذا نتيجة لما ذكرناه من مشكلات اجتماعية، ولا يمثل قلة العدد في حد ذاته المشكلة الرئيسة في هذا السياق، ذلك أن هناك مجموعات أخرى من الجاليات والطوائف في البلاد أقل عدداً من المسلمين ولكنهم أكثر تنظيماً وأثقل وزناً سياسياً في الحياة العامة. وبالإضافة إلى الأسباب الاجتماعية التي ذكرناها والتي أدت إلى هذا الوضع، هناك أسباب أخرى مثل تفرق المسلمين على جمعيات وهيئات تم إنشاؤها على أسس عرقية ولغوية، وعدم توافر الوعي الكافي لدى المسلمين بالعمل المنظم للحصول على حقوقهم التي كفلها الدستور. وقد أدى هذا إلى قلة التمثيل السياسي وعدم وجود ممثلين في المجالس البلدية والبرلمان، وعدم الاكتراث بأصواتهم كناخبين لتفرقهم.

ج - عدم وضوح الرؤية حول المستقبل لدى الكثير من أفراد الجاليات الإسلامية في أستراليا ونيوزيلندا. إذ هل المستقبل يتمثل في المحافظة على الجاليات الإسلامية فيما يتعلق بهويتها وعاداتها وتقاليدها كمجتمع مهاجر روابطه قائمة ومستمرة مع مواطنه الأصلية ؟ أم أن المستقبل يجب أن يركز - بالإضافة إلى ما ذكر - على المواطنة في المجتمع الجديد، وما يتبع ذلك من تغييرات في بعض العادات والتقاليد والاتجاهات، تجعل البلاد وطناً جديداً للإسلام ؟ .

٣ - المشكلات الاقتصادية :

أ - ضعف الإمكانيات المادية لدى المسلمين بصفة عامة، وعدم القدرة على بناء المراكز والمساجد والمدارس بدون الاستعانة بمصادر تمويل من خارج البلاد. وعلى الرغم من أن مساعدة المسلمين في أستراليا ونيوزيلندا واجبة على إخوانهم القادرين في البلاد العربية والإسلامية، وأنها كانت حاضرة ووصلت لبناء العديد من المشروعات، إلا أن المسؤولية الكبرى تقع على عاتق الجاليات الإسلامية نفسها، ولا بد من الاستفادة من الفرص العظيمة التي يقدمها الاقتصاد الأسترالي والنيوزيلندي في هذا المجال. وقد أوضحت بعض التجارب في السنوات القليلة الماضية أن ضعف الإمكانيات المادية أمر يمكن معالجته بالطرق الذاتية، فقد تمكن المسلمون مع قليل من التنظيم والعمل وتوظيف الموارد المتاحة أن يبنوا مؤسساتهم بأنفسهم.

ب - ارتفاع نسبة العمال والحرفيين الذين يعملون على خطوط التجميع في المصانع وفي الورش والحرف الصغيرة وقلّة عدد المتعلمين والمتخصصين ورجال الأعمال ومهن الحرة، كالمهندسين والأطباء وغيرهم. ولهذا تأثيره على حياة المسلمين، حيث تقل مشاركتهم وظهورهم في الحياة العامة وتصنف الجاليات المسلمة على أنها من الطبقة الفقيرة الدنيا، ولهذا فهي تعد ذات وزن اجتماعي وسياسي واقتصادي منخفض.

ج - وجود بطالة كبيرة، بخاصة في السنوات الأخيرة، حيث يتأثر المسلمون قبل غيرهم بتقلبات الدورات الاقتصادية ويكونوا عرضة للتسريح من المصانع والوظائف. وعلى الرغم من أن النظام الاجتماعي في البلاد يقدم أجوراً للعاطلين، إلا أن هذه تبقى دون المستوى للحياة الكريمة

التي ينشدها المسلم، بخاصة الذي هاجر من موطنه الأصلي طلباً لرفع
مستواه الاقتصادي.

٤ - المشكلة الدينية :

أ - ظهور بعض الخلافات الشخصية والتنظيمية بين بعض الهيئات الإسلامية
وبروز هذه الخلافات على السطح مما يؤثر على أهداف هذه الهيئات
وعلى أنشطتها وسمعتها. وهناك أسباب كثيرة لمثل هذه الخلافات،
بعضها يتعلق بالمنافسة الشخصية على المناصب، والبعض الآخر يتعلق
بتنوع الخلفيات الاجتماعية واللغوية والعرقية والطائفية.

ب - وجود الكثير من القصور لدى بعض المتصدرين للعمل الإسلامي. ومن
مظاهر هذا القصور قلة التأهيل والعلم الشرعي، وفقدان الثقة في
النفس، وقلة التجربة والخبرة في العمل التنظيمي، وعدم توافر روح
العمل الجماعي. وفي الجهة المقابلة، هناك بعض الدعاة يتوافر لديهم
العلم الشرعي ولكن تنقصهم المعرفة الحقيقية بظروف الجاليات المسلمة
ومعرفة المجتمع الغربي، وكذلك تنقصهم وسيلة التفاهم، حيث
لا يجيدون الاتصال باللغة الإنجليزية.

ج - اعتماد بعض الدعاة والعاملين للإسلام على بعض العادات والتقاليد
والممارسات المجلوبة من المواطن الأصلية للمعاجرين في الدعوة
والتعليم والإدارة. وهذا أمر له آثاره السلبية على الجاليات الإسلامية
وعلى انتشار الإسلام، ذلك أن البيئة الغربية لها طرقها ووسائلها
وتقاليدها الإدارية والتنظيمية، ويمكن عند تفعيل هذه الجوانب تحقيق
إنجازات إسلامية جيدة. فعلى سبيل المثال تنص دساتير الجمعيات
والاتحادات على أن الهيئة الإدارية أو المجلس أو اللجنة التنفيذية منتخبة

ولكن الطريقة الانتخابية التي تتم في الكثير من الهيئات لا تتماشى مع الأعراف والتقاليد الديمقراطية الغربية أو الشورى الإسلامية، مما يشير الحزازات الشخصية ويعزز مشاعر البغضاء والعداوة بين الأخوة.

د - عدم توافر التنسيق بين الجمعيات والهيئات الإسلامية، مما يؤدي إلى بعثرة الجهود وتعزيز مظاهر الفرقة. وهذه المشكلة نتيجة للمشكلات التي قبلها.

هـ - وجود جمعيات غير إسلامية كثيرة بين المسلمين - وبخاصة في أستراليا - قائمة على أسس علمانية أو قومية أو عرقية وتنص هذه الجمعيات في دساتيرها على فصل الدين أو استبعاده أو إغفاله ، وقد أدت هذه الجمعيات إلى نشر الفتن وإفساد الجاليات الإسلامية وتهميش دورها في الحياة العامة في البلاد. وتتلقى هذه الجمعيات الدعم الكثير من داخل وخارج أستراليا .

و - ظهور بعض الفرق الباطنية، مثل الأحباش والقاديانية والبهائية وانتشارها بين المسلمين لقلّة الوعي الإسلامي الصحيح، والبعد عن مراكز الإسلام ومعاقله، ولعدم توافر البرامج الإسلامية الموجهة لمكافحة هذه الفرق، ولانشغال كثير من الدعاة بخلافاتهم.

ز - وجود بعض العداء للإسلام لدى بعض فئات المجتمع الاسترالي والنيوزيلندي، تغذيه وسائل الإعلام الخارجية والمحلية ووكالات الأنباء. وقد ظهرت في السنوات الأخيرة هيئة أسترالية متطرفة تحت اسم «هيئة مكافحة انتشار الإسلام»، وتقوم هذه الهيئة بشن حملات مسعورة ضد الإسلام والمسلمين. وقد نشرت بيانات، طالبت فيها بترحيل جميع الدعاة والأئمة والمواطنين المسلمين من أستراليا، زاعمة أنهم يشكلون خطراً على أستراليا وأنهم عنوان للجهل والتخلف.

الهوامش

- ١ - تنتمي أستراليا لعضوية رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) Commonwealth ، وتعتبر ملكة بريطانيا ملكة لأستراليا بصفة رمزية ويمثلها الحاكم العام . وتدرس أستراليا حالياً التحول إلى النظام الجمهوري مع بداية القرن الحادي والعشرين الميلادي .
- ٢ - سجل التاريخ قصص بعض الأبطال (الجمالة) ، حتى أن بعض الروايات تشير إلى أن صوت الأذان قد ارتفع في أرجاء القارة الأسترالية قبل أن تدق أجراس الكنائس . للمزيد يمكن مراجعة (خان، ١٩٩١م/ب، ١٢).
- ٣ - ومن هذه النماذج ، صاحب ومدير مدرسة النور في مدينة سدني ، حيث يقوم هو وزوجته بتعليم أبناء المسلمين ، مستعيناً في ذلك بمجموعة من المعلمين المسلمين .
- ٤ - هذا المصطلح عبارة عن اختصار للعبارة التالية :

The Australian Federation Of Islamic Councils .

• • • • •

المراجع

أولاً : المراجع العربية

- بكر ، سيد عبدالمجيد (١٩٨٣ م) ، الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة
- خان ، شفيق (١٩٩١ م / ١) ، موجز عن المسلمين في نيوزيلندا ، المركز الثقافي في أستراليا ، سدني .
- = خان ، شفيق (١٩٩١ م / ب) ، الإسلام والمسلمون في أستراليا ، المركز الثقافي في أستراليا ، سدني .
- الخميس ، وليد (١٤١١ هـ) ، تقرير عن الجمعيات الإسلامية في أستراليا ، مكتب الدعوة في أستراليا ، سدني .
- الداوود ، عبدالمحسن (١٤١٣ هـ) ، المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات المسلمة في العالم ، الرياض .
- طاشقندي ، عبدالجليل (١٩٩٢ م) ، المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم ، جدة .
- عبدالفتاح ، عبداللطيف (١٩٩١ م) ، " القارة الأسترالية بين الماضي والحاضر " ، في: مجلة الأزهر ، الجزء الثاني ، السنة الثالثة والستون ، ص ص ١٤٠٦ - ١٤٢٠ .
- العمري ، مصطفى (١٩٩٧ م) ، تقرير عن المسلمين في أستراليا ، مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي في أستراليا والباسفيكي ، سدني .

- مكتب الآفاق المتحدة (١٩٩٤م) ، المعلومات ١٩٩٤-١٩٩٥م ، الرياض .
- منار الإسلام (١٩٩٣م) ، " ٣٠٠ ألف مسلم في أستراليا " ، العدد ١٠ ، ص ص ٦٢ - ٦٧ .
- وزارة الشؤون الخارجية والتجارة النيوزيلندية (١٩٩٥م) ، كل شيء عن نيوزيلندا .
- وكالة الأنباء الإسلامية (١٩٩٥م) ، أستراليا: اتحاد إسلامي ، في: أحداث العالم الإسلامي: شؤون وقضاياها ، الكتاب الخامس ، جدة .
- وكالة الأنباء الإسلامية (١٩٩٦م) ، " أستراليا ، كلية إسلامية " ، في: أحداث العالم الإسلامي: شؤون وقضاياها ، الكتاب الخامس ، جدة .

• • • • •

ثانياً : المرجع الأجنبية :

- Australian Government Publishing Services (A. G. P. S.), (1994) ' Australia in Brief , Canberra .
- Encyclopedia britannica Inc . (1995) ' Britannica Book of the Year .
- Foreign Affairs and Trade Ministry (1992) ' Islam in Australia ' Fact sheet on Australia , Overseas Information Branch , Australia .
- The Government of Australia (1997) ' Australia in The World National Capital Printing , Canberra , Australia .
- Hunter , B. (1991) ' The Statesman's Year-book 1991-1992 .
- Hunter , B. (1996) ' Statistical and Historical Annual of the Ststes of the World .
- Khawaja , M. (1997) ' " Chief Demographer of Statistics New Zealand " , Report on Muslim Youth Magazine , V.XI , No. 55 .
- Rasheed , A. (1996) ' Muslims in New Zealand , Journal of Muslims . Minorty Affairs , Vol . 16 , No. 2 , PP. 211-232 .
- Rasheed , A. (1997) ' Report on Muslims in New Zealand , World Assembly of Muslim Youth , Pacific Regional office .
- Shepard , W. (1996) ' Muslims in New Zealand , Journal of Muslims . Minorty Affairs , Vol . 16 , No. 2 , PP. 211-232 .

فهرس الأشكال

م	موقع الأشكال	الصفحة
١	موقع أستراليا ونيوزيلندة	٥٢٦
٢	المظهر العام لسطح الأرض في قارة أستراليا وجزيرة تسمانيا	٥٣٠
٣	المظهر العام لسطح الأرض في جزيرتي نيوزيلندة الشمالية والجنوبية	٥٣١
٤	ولايات أستراليا وأقاليمها الإدارية	٥٣٨
٥	محاوير حركة القوافل في قارة أستراليا	٥٤٢

فهرس الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
١	توزيع المسلمين على الولايات والأقاليم الأسترالية (١٩٩٣م)	٥٤٨
٢	توزيع المسلمين في أستراليا حسب بلد الميلاد (١٩٩٣م) . . .	٥٤٩
٣	توزيع المسلمين في أستراليا حسب فئات العمر العريضة (١٩٩٣م) .	٥٤٩

• • • • •

The Deanery of Academic Research
P.O.Box 18011 Riyadh 11415
Fax. (01) 2590261
Kingdom of Saudi Arabia

Editorial Board

- Prof. Mahdi Amin El - Tom .
Deanery of Academic Research .
- Prof. Abdallah N. Al - Welaie .
Geography Dept. College of Social Sciences, Riyadh.
- Prof. Mahamoud Towfik Mahamoud .
Deanery of Academic Research .
- Dr. Abdallah H. Al - Khalaf .
Geography Dept. College of Social Sciences, Riyadh.
- Dr. Al - Asam A. A. Al - Asam .
Geography Dept. College of Social Sciences, Riyadh.
- Dr. Ibrahim S. Al - Dosary .
Geography Dept. College of Social Sciences, Riyadh.
- Dr. Abdullah S. Al - Rekeiba .
Geography Dept. College of Social Sciences, Riyadh.
- Dr. Abdel Rahman A. Al - Sinaidi .
History Dept. College of Social Sciences, Riyadh .
- Dr. Mohammad S. Al - Rebdi .
Geography Dept. College of Social Sciences, Riyadh.
- Dr. Abdulla A. Al - Sebaiheen .
Geography Dept. College of Social Sciences, Riyadh.
- Mr. mohammad Atiya Abdel Muhsin (Map Technician)
Deanery of Academic Research .

Advisory Board

Prof. Abdullah Ibn - Yusuf Al - Shibl .
President of the University . (President)

Prof. Muhammad Ibn - A. Rahman Al - Rubai .
Principal for Post - Graduate Studies and Academic Research . (Member)

Dr. Abdullah Ibn Abdel Rahman Al - Rabei
Dean of Academic Research . (Member)

Prof. Mahdi Amin Al - Tom .
Academic Supervisor and Editor -In-Chief (Member)

Contents

- 1 - The Concept of Minorities in Islam .
Dr. Abdel Aziz I. Al - Shahwan .
- 2- Moslim Minorities in Asia .
Mr. Sayed A. Bakr .
- 3 - Moslim Minorities in Africa .
Dr. Tag Al - Sir A. Harran .
- 4 - Moslim Minorities in Australia and New
Zealand . Dr. Ibrahim H. Al - Giayed .

All Rights Reserved
The First Edition
1999 A.D / 1419 H

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AL-IMAM MUHAMMAD BIN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY
DEANARY OF ACADEMIC RESEARCH



The Geographical Encyclopedia Of The Islamic World

Volume 14

THE MOSLIM MINORITIES
(Part One)
[Asia, Africa, Australia and Newzealand]

1419 H. - 1999 A.D

Issued on the occasion of Centennial Anniversary of
The Kingdom of Saudi Arabia Foundation

Published Under The Supervision of the
Department of Culture And Publications

THE GEOGRAPHICAL ENCYCLOPEDIA

THE MOSLIM MINORITIES

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY
DEANARY OF ACADEMIC RESEARCH



The Geographical Encyclopedia of the Islamic World

Volume 14

THE MOSLIM MINORITIES
(Part One)
[Asia, Africa, Australia and Newzealand]

1419 H. - 1999 A. D.

Issued on the occasion of Centennial Anniversary of
The Kingdom of Saudi Arabia Foundation

Bibliotheca Alexandrina



0338302